سلسلة الرسائل المكية

وميض من الحرم

خطب ومواعظ من المسجد الحرام

بقلم

سعود بن إبراهيم بن محمد الشريم

إمام وخطيب المسجد الحرام

دار الوطن للنشر

سلسلة الرسائل المكية (٢)

وميض من الحرم

خطب ومواعظ من المسجد الحرام

- المجموعة الأولى -

بقلم
سعود بن إبراهيم بن محمد الشريم
إمام وخطيب المسجد الحرام

دار الوطن
الرياض - شارع المعذر - ص.ب: ٣٣١٠
☎ ٤٧٩٢٠٤٢ - فاكس: ٤٧٦٤٦٥٩


بسم الله الرحمن الرحيم

وميض من الحرم

خطب ومواعظ من المسجد الحرام

الشريم، سعود بن إبراهيم
وميض من الحرم
١٩٢ص ١٧× ٢٤
ردمك ٣ ـ ٢٣ ـ ٢٨ ـ ٩٩٦٠
١ـ الخطب الدينية ٢ ـ خطبة الجمعة أ ـ العنوان
ديوي ٢١٣ ١٥/١٦٥٠

رقم الإيداع: ١٥/١٦٥٠
ردمك: ٣ ـ ٠٢٣ ـ ٢٨ ـ ٩٩٦٠

رقم الإيداع: ١٥/١٦٥٠
ردمك: ٣ ـ ٠٢٣ ـ ٢٨ ـ ٩٩٦٠

حقوق الطبع محفوظة
الطبعة الأولى
١٤١٥هـ

المقدمـــة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونتوب إليه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ﴿١٠٢﴾ ﴾ [سورة آل عمران، الآية: ١٠٢].

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ﴿١﴾ ﴾ [سورة النساء، الآية: ١].

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ﴿٧٠﴾ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾ ﴾ [سورة الأحزاب، الآيتان: ٧٠، ٧١].

أما بعـد:

فهذه هي **المجموعة الأولى** من الخُطب التي ألقيتها في المسجد الحرام، أضعها بين يدي الخطيب والقاريء استجابة لكثرة الإلحاح من ذوي الفضل والمحبة، لاسيما الوافدين إلى

بيت الله الحرام، الذين لا أحصي طلباتهم المتكررة بنشر هذه الخطب؛ إما في كتاب مستقل؛ أو تصويرها لكل من طلبها. ومن ثَمَّ إرسالها على عنوان بريده، فرأيت الطلب الأول أيسر لي ليكون في متناول الأيدي، عل الله أن يجعل فيها خيراً، وأن يجعلها حُجَّة لي لا عليَّ إنه سميع قريب، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

قالـه مقـيده

سعود بن إبراهيم بن محمد الشريم

القاضي بالمحكمة الكبرى بمكة

وإمام وخطيب المسجد الحرام

خواطر بين يدي الخطيب

هذه مجموعة خواطر أقدمها بين يدي الخطيب، وهي في حقيقتها ليست جديدة الطرح ولكنها خواطر قد تخفىٰ على بعض الخطباء؛ إما لقلة المعرفة بأهمية الخطابة أو لصيرورة الخطبة عادة وعرفاً لا تحتاج إلى وضع الأطر المعينة على ضبطها وتجددها. **وهذه الخواطر تتمثل فيما يلي:**

١ ـ الإخلاص والمتابعة:

فالذي ينبغي للخطيب في ذلك أن يكون مَنْشَأْ الخطبة والسعي إليها وطلبها، من باب الإخلاص لله عز وجل، وتبليغاً للدين، ودعوةً إلى التمسك بالعقيدة الصحيحة والشريعة السمحة، عملاً بقول النبي ﷺ **«بلغوا عني ولو آية»**، ولكن هذا العمل لا يتم قبوله بعد الإخلاص لله عزوجل إلا بمتابعة النبي ﷺ، فهذان هما شرطا قبول العبادة لقوله تعالى: ﴿لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ [سورة هود، الأية: ٧]. قال الفضيل بن عياض أي أخلصه وأصوبه أهـ.

واعلم بأن الأجر ليس بحاصل
إلا إذا كانت له صفتانِ
لابد من إخلاصه ونقائه
وخلوه من سائر الأدرانِ
وكذا متابعة الرسول فإنها
شرط بحكم نبينا العدنانِ

٢ ـ قوة البيان وفصاحة اللسان:

وهذه ليست واجبة على كل خطيب وإلا لتوقفت الخطبة لأن

عدداً ليس بالقليل من الخطباء ليس لهم اهتمام بهذا الجانب، ولكن الذي ينبغي على الخطيب أن يجتهد في أن تكون الخطبة قوية المعنى سليمة المبنى، وإلا كان النفع قليلاً، وكلما كان اللسان أبيَّن فهو أقوى وأجمل، كيف لا وقد قال موسى عليه السلام: ﴿وَٱحۡلُلۡ عُقۡدَةٗ مِّن لِّسَانِي ٢٧ يَفۡقَهُواْ قَوۡلِي ٢٨﴾ [سورة طه، الآيتان: ٢٧، ٢٨]. وقال: ﴿وَأَخِي هَٰرُونُ هُوَ أَفۡصَحُ مِنِّي لِسَانٗا فَأَرۡسِلۡهُ مَعِيَ رِدۡءٗا يُصَدِّقُنِيٓ﴾. (سورة القصص، الآية: ٣٤). فلو لم يكن للفصاحة هذا الدور فما الحاجة إذاً إلى أن يطلب موسى من ربه إرسال أخيه هارون ليكون ردءاً له؟!

ومما يدل على بعد هذه المسألة عن عدد من الخطباء إلا من رحم الله هو ما يسمع من بعضهم هداهم الله من اللحن الجلي والتكسير؛ الذي ربما صار كالمطارق تضرب رؤوس المستمعين الذين يميزون بين الفصاحة واللحن.

ومن ذلك مثلاً كلمة (أما بعد:) فإن بعض الخطباء لا يتبعونها بالفاء، فمثلاً يقول: أما بعد أيها الناس. والصواب أن يقول: أما بعد فيا أيها الناس. قال ابن مالك:

أما كمهما يكن من شيء وفا
لتلو تلوها وجوباً ألفا

والطريقة العملية لهذه المشكلة لا يمكن أن تتحقق إلا بإحدى حالين:

الحال الأولى: إن كان الخطيب ممن درس علوم الآلة؛ ومنها علم النحو، أو كانت لديه مفاتيح النحو بحيث يميز بين المرفوع، والمجرور، والمنصوب، وتقدم العامل على المعمول، وما أشبه ذلك فما عليه إلا أن يطبق ما درس على خطبته.

الحال الثانية: إن لم يكن الخطيب ذا إلمام بالنحو، فلا أقل من أن يعرض الخطبة على من يملك ذلك ليصحح له ما فيها من أخطاء، وما هي إلا فترات حتى يصبح للخطيب بعدها ملكة تعينه على سلامة الخطبة من اللحن.

٣ ـ **ينبغي للخطيب أن ينتبه لناحية مهمة** تعد مدخلاً واسعاً من مداخل الشيطان لاسيما إذا كان الخطيب ممن يتجمهر حوله الناس ويكثر محبوه، وهذا الأمر المهم هو إرضاء الناس، فالخطيب المشهور تعتريه غالباً حالتان؛ إما أن يرضي جمهوره بخطبة فيها تشنج وقوة نقد دون روية أو تسييس، أو يرضي طرفاً آخر غير الجمهور، وكلا الأمرين خطأ فادح، ولا أدل على خطأ ذلك من قول النبي ﷺ: «**من التمس رضا الناس بسخط الله سخط الله عليه وأسخط عليه الناس، ومن التمس رضا الله بسخط الناس رضي الله عنه وأرضىٰ عنه الناس**» هذا إن أرضاهم بأمر خاطيء، أما إذا أرضىٰ أحد الطرفين بأمر صواب وهو يقصد إرضاءهم بذلك فهو من باب الرياء، وهو الشرك الخفي.

٤ ـ **قد يبدأ الخطيب مشوار الخطابة بداية متواضعة** يحقر فيها نفسه، ولكن ما أن تقف قدماه على منبر الخطباء النجباء الذين يملكون قلوب الناس قبل أسماعهم إلا وتبقىٰ نفسه عرضة للانزلاق في مهاوي العجب، الذي يحمله على الإعجاب برأيه دون غيره، فيقع فريسة للأخطاء ومجانبة الصواب، لاسيما في الأمور المعضلة، والنبي ﷺ ذم هذه الصفة بقوله: «**إذا رأيت شحاً مطاعاً وهواً متبعاً وإعجاب كلِّ ذي رأيٍ برأيه فعليك نفسك**» [رواه أبوداود والترمذي وحسنه].

وأحسن ما يداوي المعجب بنفسه نَفْسَهُ هو أن ينظر إلى من

فوقه علماً وتواضعاً من سلفنا الصالح وعلمائنا الكرام ﴿نَرْفَعُ دَرَجَٰتٍ مَّن نَّشَآءُ وَفَوْقَ كُلِّ ذِى عِلْمٍ عَلِيمٌ ﴿٧٦﴾﴾ [سورة يوسف، الأية: ٧٦].

قال الشاعر:

من شاء عيشاً هنياً يستفيد به
في دينه ثم في دنياه إقبالا
فلينظرن إلى من فوقه أدباً
ولينظرن إلى من دونه مالا

٥ - **يقع بعض الخطباء وفقهم الله لكل خير** في عادة مذمومة جمعت مذمتين؛ ألا وهي عادة السجع المتكلف في الخطب، حيث يجمع مذمتين إحداهما ترادف الكلمات بحيث تصبح الخطبة حشواً يغني عنه كلمة أو كلمات، والأخرى كون السجع مذموماً في بعض الأحوال.

ومما يدل على ذم السجع ما ثبت في الصحيحين من حديث أبي هريرة رضي الله عنه «... وفيه وقضى بدية المرأة على عاقلتها وورثها ولدها ومن معهم فقال حمل بن النابغة الهذلي: يارسول الله كيف يغرم من لا شرب ولا أكل ولا نطق ولا استهل فمثل ذلك يطل!؟ فقال رسول الله ﷺ: «**إنما هذا من إخوان الكهان**...» [متفق عليه].

وقد أخذ العلماء من هذا الحديث أن السجع مكروه لسببين:

الأول: إذا عورض به حكم الشرع كما في الحديث.

الثاني: إذا تكلفه المخاطب في مخاطبته، وأما إذا لم يتكلفه فإنه لا يكره، وعلى هذا يحمل ما ثبت عنه ﷺ في غير ما حديث من الأحاديث التي ورد فيها السجع.

وثبت عن عائشة أنها قالت لكاتب: «إياك والسجع فإن النبي ﷺ وأصحابه كانوا لا يسجعون» [رواه أحمد بإسناد صحيح].

وثبت في البخاري عن ابن عباس وفيه: «وانظر السجع من الدعاء فاجتنبه فإني عهدت النبي ﷺ وأصحابه لا يفعلون ذلك» قلت: وهذا كله محمول على التكلف في السجع.

٦ ـ **عاب علي أحد طلبة العلم الفضلاء** كيف أورد الشعر أحياناً في خطبي، وذكر أن هذا الأمر محدث، ولم يعرف إلا من عصر الحجاج فما بعده. وأن هذا أمر لا ينبغي، فتأدبت معه في الخطاب لسعة علمه ومنزلته. مع قناعتي بأن ما قاله ليس بصحيح، وهو يعلم أنه هو وغيره يأتون في خطبهم بألفاظ لم تكن في خطب النبي ﷺ ولا خطب أصحابه ولا القرون الأولى المفضلة.

ومن ذلك مثلاً قول معظم الخطباء «أقول قولي هذا...»، وقولهم في آخر كل خطبة «اذكروا الله العظيم يذكركم...» وغير ذلك من الألفاظ التي اتخذها جمهور الخطباء عادة، ولو تركها أحد لربما أنكر عليه.

ولرد شبهة ذم الشعر في الخطبة أقول وبالله التوفيق:

لا شك أن الإكثار من الشعر بحيث يطغىٰ على جوانب أهم منه؛ كالقرآن والسنة وما هو أنفع من الشعر، قد يكون مذموماً ويزداد ذماً إذا اشتمل على قبح أو كذب أو فحش أو تفحش، قال الله تعالى: ﴿وَٱلشُّعَرَآءُ يَتَّبِعُهُمُ ٱلْغَاوُۥنَ ﴿٢٢٤﴾﴾ [سورة الشعراء، الآية: ٢٢٤]، وقد قال بعضهم «أعذب الشعر أكذبه» وقد قال بعض العلماء لم ير متدين صادق اللهجة يأتي بالعجيب في شعره. وقد قال الشافعي ـ رحمه الله ـ في الإكثار من الشعر:

ولولا الشعر بالعلماء يزري
لكنت اليوم أشعر من لبيد

واختلف في ذم الشعر ومدحه، وأحسن ما قيل فيه قول الإمام الشافعي ـ رحمه الله ـ حين سُئل عن ذلك فقال: الشعر كلام حسنه حسن وقبيحه قبيح، وروي مثل ذلك عن عائشة ـ رضي الله عنها.

والذي يظهر لي أن الخطيب لا بأس أن يستعمل الشعر إذا كان موعظة ظاهرة يُرتدع بها عن خبث الباطن، أو حكمة نادرة يُتعظ بها في كشف السر الكامن، وعلى هذا يحمل قول النبي ﷺ كما جاء من حديث أُبيّ بن كعب أن رسول الله ﷺ قال: «**إن من الشعر حكمة**» [رواه البخاري]. ومما يدل على ذلك أن النبي ﷺ ثبت عنه عند مسلم حديث يتعلق بخطبة الجمعة وفيه «**وإن من البيان سحراً**» وقوله هذا فيه تأويلان؛ أحدهما: أنه ذم لأنه إمالة للقلوب وصرفها بمقاطع الكلام إليه حتى يكسب من الإثم به كما يكسب بالسحر وبه قال مالك ـ رحمه الله.

والثاني: أنه مدح لأن الله تعالى امتن على عباده بتعليمهم البيان وشبَّهه بالسحر لميل القلوب إليه وهذا التأويل هو الصحيح المختار، كما ذكر ذلك النووي ـ رحمه الله ـ في شرح صحيح مسلم.

قلت: فإذا كان البيان يشبه السحر، وقد ذمه بعض أهل العلم كما رأيت على أحد التأويلين، وعلى التأويل الثاني مدح؛ فكان ما يشبه السحر يُعد مدحاً ولو كان في الخطبة، لأن الحديث ورد في الخطبة كما سيأتي قريباً إن شاء الله.

فإذا كان الأمر كذلك فإن قوله ﷺ في الشعر: «**إن من الشعر**

حكمة» لا يحتمل تأويلين كما احتمله تأويل البيان، فإن الحديث هنا محكم يدل دلالة واضحة على أن الحكمة قد تنطلق من الشعر، و«من» هنا للتبعيض، فيخلص عندنا هنا أن الشعر لا بأس به إذا أتى به في المجامع والمواعظ والخطب بشروطه المذكورة آنفاً.

ويؤيد ذلك أنه ثبت في الأحاديث الصحيحة ذكر الأشعار أمام النبي ﷺ في المسجد النبوي؛ من قبل حسان بن ثابت، وكعب بن زهير، وغيرهما. وليس المنبر في المساجد العادية بأفضل من مسجد رسول الله ﷺ أو منبره. والعلم عند الله تعالى.

٧ ـ **يلحظ على بعض الخطباء** وفقني الله وإياهم وجميع إخواننا المسلمين أنهم يلتزمون في دخولهم إلى المنبر وقتاً واحداً على مدار السنة، ولو اختلف التوقيت فزاد أو نقص، وهذا فيما يظهر لي أنه ليس بجيد لعدة أمور:

الأمر الأول: أن فيه خروجاً من خلاف أهل العلم في وقت الجمعة: وهل هو بعد الزوال أم قبله. أو مع الزوال؟

الأمر الثاني: أن هذا فيه مشقة على الناس، فلو نظرنا مثلاً إلى وقت الظهر في مدينة الرياض لوجدنا أنه يختلف باختلاف الفصول؛ فقد يدخل وقت الظهر في الساعة الحادية عشرة ونصف الساعة تقريباً كأدنى حدٍ له في السنة، وقد يصل إلى الساعة الثانية عشرة وخمس دقائق تقريباً كأعلى حدٍ له في السنة، ومع ذلك تجد بعض الخطباء يلتزم الدخول مطلقاً طوال العام في الساعة الثانية عشرة تقريباً، ومع أن وقت الزوال يبدأ في الساعة الحادية عشرة ونصف الساعة تقريباً، فيكون هناك زيادة نصف ساعة على الناس تثقل عليهم في مقابل قرب دخول وقت العصر،

فيصبح الوقت بين الظهر والعصر قليلاً عند بعض المساجد التي تؤخر الصلاة.

والذي ثبت عن النبي ﷺ من حديث سلمة بن الأكوع أنه قال: كنا نجمع مع النبي ﷺ إذا زالت الشمس ثم نرجع فنتتبع الفيء. [أخرجه البخاري ومسلم]، وفي هذا دليل على التبكير بها في وقتها حسب اختلاف دخوله بالنسبة لفصول السنة. والعلم عند الله تعالى.

٨ - **يحرص بعض الخطباء عن حسن نية** أن يقرأ في صلاة الجمعة آيات تتناسب مع موضوع خطبة الجمعة، وهذا خلاف السنة وإن كان عن حُسن نية، فإن الأكمل اتباع سنته ﷺ، وقد ثبت عنه ﷺ عند مسلم أنه كان يقرأ في صلاة الجمعة سورة الجمعة في الركعة الأولى، وسورة المنافقين في الركعة الثانية، أو يقرأ في الأولى سبح، وفي الثانية الغاشية.

فيتبين من هذا أن ما يفعله بعض الخطباء خلاف السُنَّة، وكذلك الاقتصار على بعض السورة، أو يقرأ إحداهما في الركعتين. وهذا خلاف السنة. قال ابن القيم ـ رحمه الله: «وجُهَّال الأئمة يداومون على ذلك» أهـ. يقصد بذلك من يقرأ بعض السورة أو يقرأ إحداهما في الركعتين.

٩ - **يغفل بعض الخطباء** ـ وفقهم الله ـ عن التنبيه للداخلين إلى المسجد بعد خروج الإمام الذين يجلسون ولا يصلون ركعتين، والأولى للإمام أن ينبه على ذلك إذا رأى أحداً دخل فجلس دون أن يركع ركعتين، ودليل ذلك ما رواه مسلم من حديث جابر بن عبدالله قال: جاء رجل والنبي ﷺ على المنبر يوم الجمعة يخطب، فقال له: «**أركعت ركعتين؟**» قال: لا، فقال: «**اركع**».

خلافاً لمالك وأبي حنيفة وغيرهما، ممن قالوا لا يصليهما واحتجوا بالأمر بالإنصات للإمام، ولكن هذا القول خلاف الأحاديث الصحيحة الثابتة عن النبي ﷺ كقوله: «**إذا جاء أحدكم يوم الجمعة والإمام يخطب فليركع ركعتين وليتجوز فيهما**» [رواه مسلم].

١٠ ـ **اعتاد بعض الخطباء** على أن يستخدم السواك إذا صعد المنبر وجلس للأذان، وهذا فيما أعلمه ليس من السنة، فإن ظن الخطيب أن الاستياك قبل الخطبة من السنة فهو بدعة، وأما إن كان يرى أن السواك لا يُحد بوقت، وقد يستحب عند تغير رائحة الفم، فيقال إن كان كذلك فليحرص الخطيب على ألا يكون عند الصعود على المنبر، لئلا يظن الناس أنه سنة في ذلك الوقت والله أعلم.

١١ ـ **هذه مسألة مهمة يغفل عنها جمهور الخطباء** إلا من رحم الله، ألا وهي مسألة قصر الخطبة وطول الصلاة، فالناس فيها بين الإفراط والتفريط إلا من رحم الله، فبعضهم يطيل إطالة مملة، وآخرون يقصرونها قصراً مخلاً، وسبب ذلك هو عدم فهم الحديث الفهم الصحيح.

قال أبو وائل: خطبنا عمار فأوجز وأبلغ. فلما نزل قلنا: ياأبا اليقظان! لقد أبلغت وأوجزت. فلو كنت تنفست ـ أي أطلت قليلاً! فقال: إني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إن طول صلاة الرجل وقصر خطبته مئنة من فقهه** ـ أي علامة ـ **فأطيلوا الصلاة وأقصروا الخطبة، وإن من البيان سحراً**» [رواه مسلم].

قال النووي ـ رحمه الله: المراد بالحديث أن الصلاة تكون طويلة بالنسبة إلى الخطبة لا تطويلاً يشق على المأمومين. انتهى

كلام النووي ـ رحمه الله، وقد ثبت عند مسلم من حديث جابر بن سمرة قال: كنت أصلي مع رسول الله ﷺ فكانت صلاته قصداً وخطبته قصداً. قال النووي ـ رحمه الله: أي بين الطول الظاهر والتخفيف الماحق. ا.هـ.

ولأجل أن نصل إلى تحديد تقريبي من حيث طول الصلاة وقصر الخطبة بالتوقيت العصري فأقول لو قرأت في صلاة الفجر بالجمعة والمنافقين قراءة متأنية لأخذت الصلاة منك ما لا يقل عن عشر دقائق، وقد جربت ذلك فوجدته كذلك، وهذا كله إذا قرأت حدراً. فكيف بالنبي ﷺ وهو ينفذ أمر ربه ﴿وَرَتِّلِ ٱلْقُرْءَانَ تَرْتِيلًا ۝٤﴾ [سورة المزمل، الأية: ٤]؟ وكان يطيل الركوع والرفع منه، والسجود والجلوس بين السجدتين حتى قال الراوي: حتى يقول القائل إنه نسي، فإذا كان الأمر كذلك فقد تصل الركعتان بالنسبة لمن أراد أن يطبق صلاة النبي ﷺ إلى عشرين دقيقة على الأقل، فيكون قصر الخطبة بالنسبة إلى الصلاة أقل من عشرين دقيقة. هذا على سبيل المثال. وإلا فخير الأمور الوسط كما قال جابر بن سمرة ـ رضي الله عنه ـ في الحديث السابق.

قلت: فالعجب كل العجب من بعض الخطباء الموصوفين بالعلم. كيف يطيلون الخطبة حتى يتجاوز بعضهم ثلاثة أرباع الساعة أو أقل قليلاً؟ ولربما قال الناس ليته سكت. ومن هنا يظهر الفقه الذي ذكره النبي ﷺ في الحديث.

١٢ ـ خلاصة مسألة رفع اليدين في الخطبة:

الصواب أن اليدين لا ترفع للدعاء في الخطبة، إلا إذا استسقىٰ الإمام في خطبته، كما ثبت ذلك عن النبي ﷺ في صحيح البخاري، وأما إذا لم يستسق فإنه لا يرفع يديه في الدعاء، وإنما

يشير بأصبعه السبابة إذا دعا وإذا ذكر الله. فقد ثبت في سنن أبي داود ورواه مسلم من حديث عمارة بن رويبة أنه رأى بشر بن مروان على المنبر رافعاً يده فقال: قَبَّحَ الله هاتين اليدين لقد رأيت رسول الله ﷺ ما يزيد على أن يقول بيده هكذا وأشار بأصبعه المسبحة».

١٣ - **بعض الخطباء لا يعد للخطبة إلا في صبح الجمعة** أو قبلها بسويعات، والذي يفعل ذلك إن كان فعله له سبب يبيح ذلك له فالضرورة لها أحكامها، أما إذا كان ديدنه ذلك أو يقتلع إحدى الخطب ثم يلقيها من على المنبر، فهذا ممن لا يحمل دعوة ولا رسالة وإنما اتخذ المنبر عادة أو تكسباً، فلا حول ولا قوة إلا بالله.

فالواجب على الخطيب أن يضع جل همه وتفكيره في خطبة الجمعة، ويفرغ لها الوقت الطويل لإعدادها الإعداد المناسب، حتى تبرأ الذمة ويحصل المقصود، والله الموافق.

هذه **بعض الخواطر**، وما تركته أكثر مما ذكرته، ولعل المجموعات الأخرى من الخطب أن تُصدَّر بمثل هذه الخواطر. فما كان منها من صواب فمن الله، وما كان منها من خطأ فمن نفسي والشيطان. **والله حسبي ونعم الوكيل.**

إذا غاب الإحسان

الخطبـة الأولـى

الحمد لله الواحد الأحد، الفرد الصمد، الذي لم يلد ولم يولد، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، لم يكن له شريك في الملك، ولم يكن له كفواً أحد.

وأصلي وأسلم على أفضل المصطفينَ محمد، وعلى آله وصحبه ومن تعبَّد.

أما بعـد:

فيا أيها الناس: إن الوقوف الدقيق عند حديث رسول الله ﷺ، المنبعثِ من مشكاة النبوة، ليحمل النفسَ المؤمنة، على أن تعرف أسراره، وتستضيء بأنواره، فلا ينفك يشرح للنفس ويهديها بهديه، فتؤمنُ بالنبي المصطفى، والرسول المجتبى صلوات الله وسلامه عليه وتتبعُ النور الذي أُنزل معه، وكلما ذكر كلامُ المصطفى صلوات الله وسلامه عليه، فكأنما قيل من فمه للتو. كلام صريح، لا فلسفة فيه، يجعل ما بين المرء وصِنوِه من النية، كما بين الإنسان وربه، من الخوف والمراقبة، كلامٌ. . يقرر أن حقيقةَ المسلم العالية، لن تكون فيما ينالُ من لذته، ولا فيما

ينجحُ من أغراضه، ولا فيما يُقنعهُ من منطقه، ولا فيما يلوحُ من خياله. بل هو السمو الروحي؛ الذي يغلب على الأثرة، فيسميه الناس براً. والرحمةُ؛ التي تغلب على الشهوة، فيسميها الناس عفة. والقناعة؛ التي تغلب على الطمع فيسميها الناس أمانة.

عبـــاد الله:

إن تنشئة النفس المؤمنة، على البر والتقوى، والعفَّة والأمانة، والخوف والمراقبة، هي وحدها الطريقةُ العملية الممكنةُ، لحل معضلةِ الشر والانحراف، لدى المجتمع المسلم. أرأيتم الطفل، كيف يشِب على الخُلق الكريم، والنهج القويم، لو تعهده القيِّم بالتوجيه والتقويم. وعلى العكس من ذلك، لو أهمل أمره، وتركه في مهب الريح، فإنه ينشأ شريراً، خطراً على نفسه ومجتمعه، ذلكم ياعباد الله أبرز مثل للنفس، حين ينشأ الفرد، على مراقبة الله والخوف منه.

عبـــاد الله:

لقد ثبت في صحيح مسلم أن جبريل عليه السلام سأل النبي ﷺ عن الإحسان، فقال له المصطفى ﷺ: «**أن تعبد الله، كأنك تراه فإن لم تكن تراه، فإنه يراك**». الله أكبر، إنه لتعبير عجيب، تعبيرٌ.. يحمل في اختصاره حقيقةً هائلة، وخُلةً مذهلة. إنها كلماتٌ تحمل في طياتها قاعدةً كبرى، يقيم عليها الإسلامُ بناءَه: هي أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك. قاعدةٌ.. يقيم عليها نظمه كلَّها، وتشريعاتِه وتوجيهاتِه طُرا، نظام القضاء، نظام الاقتصاد، نظام السياسة، نظام الأسرة، موقفُ الفردِ من المجتمع، وموقفُ المجتمع من الفرد، نظامُ المجتمع بأَسْرِهِ، بل نظام الحياة كُلِّها، تعبدُ الله كأنك تراه.

فالمرء المسلم، في مواجهة خالقه ومولاه، المستعلي على جميع المخلوقات، في مواجهة مولاه، بنفسه جميعاً، بكل جوارحه وكل خلجاته، بظاهرها وباطنها، بأسرارها وما هو أخفى من الأسرار، ﴿يَعْلَمُ خَآئِنَةَ ٱلْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِى ٱلصُّدُورُ ﴿١٩﴾﴾ [سورة غافر، الآية: ١٩] سبحان الله، حتى خائنة الأعين، الخائنة، التي يظن الإنسان، أنه وحده الذي يُحسها ويعرفها، دون أن يراها أحد من الناس أو يفهمها، وحتى السر، بل وما هو أخفى من السر، الخطرات التائهة في مسارب النفس، لا تصل إلى ظاهر الفكر، ولا يتحرك بها اللسان للتعبير، إنه لا ستر إذن ولا استخفاء ﴿فَإِنَّهُۥ يَعْلَمُ ٱلسِّرَّ وَأَخْفَى ﴿٧﴾﴾ [سورة طه، الآية: ٧] وكل هذه مكشوفةٌ لله، فإن لم تكن تراه فإنه يراك. وإنه لخير لك أيها المسلم، أن تعبد الله كأنك تراه، خير لك، أن تتوجه إلى حيثُ يَرقُبُك خَالِقك، فتأمنَ المفاجأة.

إنها الرهبةُ في الحالين، رهبةٌ مصحوبةٌ بالأمل، حال كونك متوجهاً إلى الله، مخلصاً له قلبَك، عاملاً على رضاه.

ورهبةٌ، مصحوبةٌ بالذعر، حال كونك متوجهاً بعيداً عنه، وهو من ورائك محيط!! فخير لك إذن: أن تعبد الله كأنك تراه.

أيها المسلمون: قول النبي ﷺ في تفسير الإحسان، يشير إلى أن العبد، يعبد الله على هذه الصفة، وهي استحضارُ قربه، وأنه بين يديه كأنه يراه، لأنه يوجب الخشية والخوف، والهيبةَ والتعظيم، وذلك أفضل الإيمان، كما ثبت عنه ﷺ، أنه قال: «**أفضل الإيمان، أن تعلم أن الله معك حيث كنت**» [رواه الطبراني].

وبه تفوز بوعد الله ﴿۞ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ [سورة

يونس، الآية: ٢٦]، وثبت عن النبي ﷺ عند مسلم تفسيرُ الزيادة بالنظر إلى وجه الله عزوجل في الجنة، وهذا مناسبٌ لجعله جزاءً لأهل الإحسان. لأن الإحسان: هو أن يعبد المؤمنُ ربه في الدنيا، على وجه الحضور والمراقبة، كأنه يراه بقلبه وينظر إليه في حال عبادته، فكان جزاءُ ذلك، النظرَ إلى الله عياناً في الآخرة. وعكسُ هذا، ما أخبر به تعالى، عن جزاء الكفار في الآخرة ﴿إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ﴿١٥﴾﴾ [سورة المطففين، الآية: ١٥] وجعل ذلك، جزاءً لحالهم في الدنيا، وهو تراكم الران على قلوبهم، حتى حُجبت عن معرفته ومراقبته في الدنيا، فكان جزاؤهم على ذلك، أن حُجِبوا عن رؤيته في الآخرة.

إن الإحسان، على ما فسره به رسول الله ﷺ، ينبغي أن يتجلى في الأمة بعامة، وفي كل شأن من شؤونها.

فالقاضي المسلم، لا يُظَن فيه الظلم والجور، حين يرقبُ الله كأنه يراه!! ولا يجوزُ له أن يضع نزواته وهواه، في مكان العدل، الذي يطلبه منه رقيبه ومولاه. بل كيف تتجه نفسه إلى البطش والغمط، ومن يرقبه يقول له: ﴿اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ﴾ [سورة المائدة، الآية: ٨] ويقول له: ﴿وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ النَّاسِ أَن تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم﴾[1]. [سورة النساء، الآية: ٥٨].

إن القاضي المسلم، إذا لم يعبد الله كأنه يراه، فهو للدنيا أحب، وللزلل أقرب، ولربما اقتطع أموال اليتامى والأرامل، وأموال الوقف والفقراء والمساكين، فأكل الحرام وأطعم الحرام، وكثر الداعي عليه، فالويل ثم الويل، لمن أورثه قضاؤه هذه الأخلاق. وصدق رسول الله ﷺ إذ يقول: «**فنعمت المرضعة، وبئست الفاطمة**» [رواه البخاري].

وكان يزيدُ بن عبدالله من قضاة العدل والصلاح، وكان يقول «من أحب المال والشرف وخاف الدوائر لم يعدل فيها». إذن خير لك أيها القاضي المسلم، أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك.

أيها الناس:

إن الإحسان بهذا المفهوم، يُمكِّنُ للزوج وزوجته، أن يتعاشرا بالمعروف، وأن يصون كلُ واحد منهما عرضه في غيبة الآخر، ومطارقُ الخوف من الله ومراقبته، تذكرهم بقوله تعالى عن يوسف عليه السلام ﴿وَرَٰوَدَتْهُ ٱلَّتِى هُوَ فِى بَيْتِهَا عَن نَّفْسِهِۦ وَغَلَّقَتِ ٱلْأَبْوَٰبَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ﴾ [سورة يوسف، الآية: ٢٣].

لقد اجتمع ليوسف عليه السلام، من الدواعي لإتيان الفاحشة الشيءُ الكثير، فلقد كان شاباً، وفي الشباب ما فيه، وقد غلقت الأبواب، وهي ربة الدار، وتعلم بوقت الإمكان وعدم الإمكان، فكان ماذا؟ ﴿قَالَ مَعَاذَ ٱللَّهِ إِنَّهُۥ رَبِّىٓ أَحْسَنَ مَثْوَاىَ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٢٣﴾﴾[1]. [سورة يوسف، الآية: ٢٣] استعاذة، وتنزه واستقباح، لماذا؟ وما هو السبب؟ لأنه يعبد الله كأنه يراه، وفي الحديث الصحيح أن رسول الله ﷺ قال: «**سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله، وذكر منهم، ورجل دعته امرأة ذات منصب وجمال فقال إني أخاف الله**» [متفق عليه].

وإذا خلوت بريبة في ظلمة
والنفس داعية إلى الطغيان
فاستحي من نظر الإله وقل لها
إن الذي خلق الظلام يراني

الإحسان أمر جليل، ذو مسلك طويل، يُظهرُ صدقه الموقف.

والفرج يصدق ذلك أو يكذبه، يغيب الزوج عن زوجته، اليوم واليومين، والشهر والشهرين، فيحمل الإحسانُ المرأة، على صيانة عرض زوجها في غيبته، بعد أن فارقها مطمئناً إلى عرضه، وبيته وماله.

خرج الفاروق رضي الله عنه من الليل، فسمع امرأة تقول وقد غاب عنها زوجها للجهاد في سبيل الله:

لقد طال هذا الليل واسود جانبه
وأرقني ألاَّ خليل ألاعبه
فوالله لولا اللهُ لا شيء غيرُه
لحرك من هذا السرير جوانبه
مخافةُ ربي والحياءُ يصُدني
وإكرامُ بعلي أن تُنال مراكبهُ

عباد الله:

وأما العالم، فيالعظيم العلم، وعلوِ منزلة العالم، ولكن، يالفظاعة الكبوة، وعِظَم الزلة في عيون الناس.

إن أشرفَ ما تنافس فيه المتنافسون، وأفضل ما بُذِلَتْ فيه الجهود، طَلَبُ العلم النافع. فهو الروح، يمد الجسد بالحيوية، وهو النورُ الوضَّاء، يبدد ظلمات الجهل، ويهدي إلى السبيل ﴿أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ﴾ [سورة الأنعام، الآية: ١٢٢] وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاؤُا﴾ [سورة فاطر، الآية: ٢٨].

فالعلماء هم أولى الناس بالإحسان، وأقربُ الناس إلى الإحسان، وأكثرُ الناس دعوة إلى الإحسان.

والعالم الرباني هو من تحقق فيه ذلك، وجمَّل علمَه بالعمل به،

كما تتجمل المرأة، بالحُلة الحسناء للدنيا، لأن العلم والعمل، إنما يُطلب به ما عند الله، من الدرجات العلى، والنعيم المقيم، والقرب منه، والزلفى لديه، قال سفيان الثوري رحمه الله: «إنما فُضِّل العلم لأنه يُتَّقىٰ به الله، وإلا كان كسائر الأشياء». فمن طلب بالعلم والعمل، سيادة على الخلق، وتعاظماً عليهم، وإظهاراً لزيادة علمه، ليعلو به على غيره، فهو متوعد بالنار، كما قال المصطفى ﷺ: «**من طلب العلم ليماري به السفهاء، أو يجاري به العلماء، أو يصرف وجوه الناس إليه، أدخله الله النار**» [رواه الإمام أحمد والترمذي]. وقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: «يا حملة العلم، اعملوا به، فإنما العالم، من عمل بما علم فوافق عمُلهُ عِلمَه، وسيكون أقوام يحملون العلم، لا يجاوز تراقيهم، حتى إن الرجل ليغضب على جليسه إذا جلس إلى غيره».

والعالِم المسلم، إذا عَبَدَ الله كأنه يراه، كرهت نفسه الفتيا، والحرص عليها، والمسارعة إليها، والإكثار منها.

قال الإمام أحمد رحمه الله: من عَرَضَ نفسه للفتيا، فقد عرَّضها لأمر عظيم، قيل له: فأيما أفضل: الكلام أم السكوت؟ قال: الإمساك أحب إليَّ، ثم قال: وليعلم المفتي، أنه يوقع عن الله أمرَه ونهيَه، وأنه موقوف ومسؤول عن ذلك».

وكان سفيان الثوري يقول: «ما كفيت عن المسألة والفتيا، فاغتنم ذلك ولا تنافس وإياك أن تكون ممن يحب أن يُعمَل بقوله، أو يُنشَر قوله، أو يُسمَع قوله، وإياك وحب الشهرة، فإن الرجل يكون حبُ الشهرة، أحب إليه من الذهب والفضة وهو باب غامض لا يبصره إلا البصير من العلماء السماسرة».

وكان أحد السلف يعجبه ما يراه من علم أحد الناس، وحسن خطابه وسُرعة جوابه فقال له يوماً، وقد سأله عن مسألة فأجاب: أخشى أن يكون حظك من الدنيا لسانَك، فكان ذلك الرجل، لايزال يبكي من هذه الكلمة».

إذن خير لك ياصاحب العلم أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك ﴿ ٱدْعُوا۟ رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴿٥٥﴾ وَلَا تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَٰحِهَا وَٱدْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا ۚ إِنَّ رَحْمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٥٦﴾ ﴾.[سورة الأعراف، الآيتان: ٥٥، ٥٦].

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعني وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم. أقول ما تسمعون واستغفر الله لي ولكم من كل ذنب فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية

الحمد لله حمداً كثيراً كما أمر، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، إرغاماً لمن جحد به وكفر، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، سيدُ البشر، اللهم صل وسلم على هذا النبي الشافع المشفع في المحشر وعلى آله وأصحابه السادة الغرر.

أما بعد:

فياعباد الله: إن من تأمل كلام المصطفى ﷺ عن الإحسان، علم أن جميع العلوم والمعارف، ترجع إلى هذا الحديث وتدخل تحته، وينتج عن هذا الإحسان، الإحسانُ في العمل، بأن يؤدي الإنسان واجبه على أكمل وجه، بل الإحسان على كل شيء كما قال رسول الله ﷺ: «**إن الله كتب الإحسان على كل شيء فإذا قتلتم فأحسنوا القتلة، وإذا ذبحتم فأحسنوا الذِبحة، ولْيَحُدَّ أحدكم شفرته، وليرح ذبيحته**» [رواه مسلم].

الله أكبر، إنه يأمر بالإحسان حتى في ذبح الذبيحة «وليرح ذبيحته»، إنه الحرص على إراحة الذبيحة، وهي تساق إلى الموت، إلى العدم، إلى حيث لا تشعر. وهنا تتجلى رحمة المسلم، بالحيوانات العجماوات، التي سخرها الله له، وجعلها في خدمته ومصلحته، فالإسلام دين الرحمة، ودين الرأفة، ودين الرفق بالإنسان والحيوان. ثبت في الصحيحين أن النبي ﷺ قال: «**بينما رجل يمشي في الطريق، اشتد عليه العطش، فوجد بئراً، فنزل فيها فشرب ثم خرج، فإذا كلب يلهث، يأكل الثرى من العطش، فقال الرجل لقد بلغ هذا الكلب من العطش، مثلَ الذي كان بلغ بي، فنزل البئر، فملأ خفه ثم أمسكه بفيه، فسقى الكلب،**

فشكر الله له، فغفر له. قالوا يارسول الله: وإن لنا في البهائم أجراً؟! فقال: في كل كبد رطبة أجر».

وفي مقابل جزاءِ من رحم الحيوان، نجد الرسول ﷺ يقرر عقاب من أذى حيواناً وقسى عليه بقوله: «**عذبت امرأة في هرة حبستها حتى ماتت جوعاً فدخلت فيها النار**» [أخرجه البخاري ومسلم].

فإذا كان هذا جزاء من يعذب الحيوان الأعجم، فكيف تكون حال من يسيء معاملة والديه، أو يؤذي إخوانه، أو يصبَّ شديد غضبه، وعظيم شره، على قرابته وجيرانه، وبني ملته ومجتمعه . . ؟؟ فاتقوا الله أيها المسلمون وراقبوا ربكم، وتخلقوا بالإحسان تفلحوا، وتفوزوا بوعد الله لكم، إنه لا يخلف الميعاد.

هذا وصلوا رحمكم الله. . .

الصحبة يارسول الله..
دروس وخواطر من هجرة المصطفى ﷺ

الخطبـة الأولى

الحمد لله حمداً لا ينفد، أفضل ما تبغي أن يحمد، وصلى الله وسلم على أفضل المصطفين محمد، وعلى آله وصحبه ومن تعبد.

أما بعـد:

فاتقوا الله أيها المسلمون، اتقوا الله حق التقوى، وراقبوه في السر والنجوى، فبتقوى الله عزوجل تجتمع الكلمة، وتتم النعمة، وتتجلى الحكمة.

أيهـا المســلمون:

إن في دنيا الناس، ذكرياتٍ لا يُمل حديثُها، ولا تُسأم سيرتُها، بل قد تحلو أو تعلو إذا أُعيدت وتكررت، كما يحلو مذاقُ الشهد وهو يكرر، ومن الذكريات التي لا يُمل حديثُها، ولا تُسأم سيرتها، حياةُ محمد ﷺ إمام البشرية، وسيد ولد آدم فهي من الذكريات الغوالي، التي تتجدد آثارُها وعظاتها، كلما سلك المرء سبيله إلى الاعتبار والإدكار، والعبدُ المؤمن إذ يغشىٰ معالم

سيرته ﷺ فهو كعابد يغشى في مصلاه، ومن حسن حظ المؤمن، أنه ما قلب سيرة المصطفى ﷺ يوماً فأخطأ دمع العين مجراه، وفي أيام محمدٍ الجليلةِ النبيلة أيامٌ خوالد، ماتزال تتضوأ على الأيام. وتتألق في غرة الزمان، ولعل من أسطعها وأروعها، هو يوم الهجرة، الذي تَهُبُ علينا نسماتُ ذِكراه، في كل عامٍ من أعوام الزمن، ومن شواهد عظم حادث الهجرة أنه يزداد بهاء وسناء كلما تناوله العرض والبحث، كالذهب الإبريز؛ كلما عرضته على النار لتمحصَّه، ازداد إشراقاً وصفاءً، وهجرةُ المصطفى ﷺ كانت فاتحة الأمل، وبارقة النصر، وطريق العوده له ولأصحابه إلى مكة فاتحين ظافرين، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِى فَرَضَ عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لَرَآدُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ﴾ [سورة القصص، الآية: ٨٥] يعني إلى مكة.

عباد الله: إننا هنا، نعرض لمحاتٍ من هجرة المصطفى ﷺ، في الوقت الذي يشهد فيه المسلمون نكباتٍ وويلات، تعصر قلوبهم، وتمزق صدورهم، وأمتهم وعقيدتهم وحرماتُهم ومقدساتهم، تستصرخ ولا مجيب، وتطالب المسلمين بتضحيات وفداءٍ وبذل. والهجرة النبوية، تعطينا في هذا المجال، قدوةً وأسوة، ففيها تتجلى دروس ودروس، من التضحية والفداء والبذل، فهذا رأسُ الأمة، وإمامُ الملة صلوات الله وسلامه عليه يتحملِ العبء الثقيل، في سبيل الدعوة إلى الله، وإعلاء كلمته، ويشتطُ المجرمون من أعدائه في مقاومته، والتطاول عليه بالسخرية والاستهزاء، ثم بالكذب والافتراء، ثم بحيلةِ الوعد والإغراء، ثم بتسليط الغوغاء والسفهاء، ثم بالتآمر الدنيء، ينتهي إلى الإجماع على اغتياله بلا إرعواء ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا

لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ ﴿٣٠﴾﴾ [سورة الأنفال، الآية: ٣٠].

أيها المسلمون:

لما رأي المشركون أصحابَ رسول الله ﷺ قد تجهزوا، وخرجوا بالذراري والأطفال، وساروا بهم إلى المدينة، خافوا خروج رسول الله ﷺ إليهم، ولحوقه بهم، فاشتد عليهم أمره، ولم يبق بمكة من المسلمين، إلا رسول الله ﷺ وأبوبكر وعلي رضي الله عنهم وخلا من اعتقله المشركون كُرهاً، فلما كانت ليلة، همَّ المشركون بالفتك برسول الله ﷺ، جاء جبريل بالوحي من عند ربه تبارك وتعالى، فأخبره بذلك، وأمره ألا ينام في مضجعه تلك الليلة. وجاء رسول الله ﷺ إلى أبي بكر نصف النهار، في ساعةٍ لم يكن يأتيه فيها، فقال له: «أخْرِج من عندك» فقال إنما هم أهلُك يا رسول الله، فقال: «إن الله قد أذن لي في الخروج، فقال أبوبكر: الصحبة يا رسول الله؟ قال: نعم، فقال أبوبكر، فخذ بأبي وأمي إحدى راحلتي هاتين فقال له رسول الله ﷺ آخذها بالثمن.

وأمر علياً أن يبيت في مضجعه تلك الليلة، واجتمع أولئك النفرُ من قريش، يتطلعون من صير الباب ويرصدونه، ويأتمرون أيهم يكون أشقاها، فخرج رسول الله ﷺ فأخذ حفنةً من البطحاء، فجعل يذروه على رؤوسهم وهم لا يرونه وهو يتلو ﴿وَجَعَلْنَا مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ﴿٩﴾﴾ [سورة يس، الآية: ٩] ومضى رسول الله ﷺ إلى بيت أبي بكر، فخرجا من خوخة في داره ليلاً، ثم مضى رسول الله ﷺ وأبوبكر إلى غار ثور فدخلاه، وضرب العنكبوت على بابه، وجدَّت قريش في

طلبهما، وأخذوا معهم القافة، حتى انتهوا إلى باب الغار فوقفوا عليه، فقال أبوبكر، يارسول الله: لو أن أحدهم نظر إلى ما تحت قدميه لأبصرنا، فقال رسول الله ﷺ يا أبابكر ما ظنك باثنين، الله ثالثهما.

ولما يئس المشركون من الظفر بهما، جعلوا لمن جاء بهما ديَّة كلِ واحد منهما فجد الناس في الطلب، فلما مروا بحي مدلج، بُصر بهم سراقةُ بن مالك فركب جواده وسار في طلبهم، فلما قَرُبَ منهم سمع قراءة النبي ﷺ، ثم دعا عليه رسول الله ﷺ، فساخت يدا فرسه في الأرض، ثم قال سراقة، ادعوا الله لي، ولكما عليَّ أن أرد الناس عنكما، فدعا له رسول الله ﷺ فأطلق، ورجع يقول للناس: قد كفيتم ماههنا.

ومر رسول الله ﷺ في مسيره ذلك بخيمة أم مَعْبَد، فقال عندها، ورأت من آيات نبوته في الشاة وحلبها لبناً كثيراً في سنةٍ مجدبة، ما بهر العقول صلوات الله وسلامه عليه.

وقد كان بلغ الأنصار مخرجُه ﷺ من مكة، وقصدُه المدينة، وكانوا يخرجون كل يوم إلى الحرة، ينتظرونه أول النهار، فإذا اشتد حرُّ الشمس، رجعوا على عادتهم إلى منازلهم، فلما كان يومُ الاثنين، ثاني عشر ربيع الأول، على رأس ثلاثَ عشرة سنةٍ من النبوة، خرجوا على عادتهم، فلما حَمِيَ حرُ الشمس رجعوا، وصعد رجل من اليهود على حصن من حصون المدينة لبعض شأنه، فرأى رسول الله ﷺ وأصحابه، فصرخ بأعلى صوته، يابني قَيْلَة، هذا صاحبكم قد جاء، هذا جدكم الذي تنتظرونه، فبادر الأنصار إلى السلاح ليتلقوا رسول الله ﷺ وسُمعت الرجةُ والتكبير، وكبر المسلمون فرحاً بقدومه، وخرجوا للقائه فتلقوه،

وحيوه بتحية النبوة، فأحدقوا به مطيفين حوله، والسكينةُ تغشاه؛ وجاء المسلمون يسلمون على رسول الله ﷺ وأكثرهم لم يره بعد، وكان بعضهم أو أكثرهم، يظنه أبابكر، لكثرة شيبه، فلما اشتد الحر، قام أبوبكر رضي الله عنه، بثوب يظلل على رسول الله ﷺ فتحقق الناس حينئذٍ رسول الله ﷺ.

بذلك كله **أيها المسلمون** يتضح موقف هو أعظم المواقف، التي وقفها رسول الله ﷺ ضد العدوان فغير به مجرى الأحداث، وضيع على خصومه فرصة الانتقام، وأحبط مسعاهم، وبلبل أفكارهم، وأسفر عن مبلغ تأييد الله له، وحمايته من كيد الكائدين، وطيش الظلمة الجاحدين.

أيها الناس: بمثل هذه السيرة العطرة، تتجلى الخواطر، لننهل منها دروساً عظيمة. عميقة الدلالة، دقيقة المغزى، بعيدة الأثر في نفوس الكرام من أبناء الملة. ومن واجب المسلمين أن يحسنوا الانتفاع بها، عن طريق التذكر المفضي إلى العمل بها ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى ٱلسَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ﴿٣٧﴾﴾ [سورة ق، الآية: ٣٧] ومهما تتبار القرائح، وتتحبرُ الأقلام، مسطرة فوائد الهجرة، فستظل جميعاً كأن لم تبرح مكانها، ولم تحرك بالقول لسانها، وقد يعجز عن حصرها كثير من الناس. قال شيخ الإسلام، الإمام محمد بن عبدالوهاب ـ المجدد لما اندرس من معالم الإسلام رحمه الله تعالى ـ قال في حادث الهجرة: «وفيها من الفوائد والعبر ما لا يعرفه أكثر من قرأها». انتهى كلامه رحمه الله.

ولعل من أبرز الدروس المستقاة من حادث الهجرة، هو أن صاحب الدين القويم والعقيدة الصحيحة، ينبغي ألا يساوم فيها،

أو يحيد عنها، بل إنه يجاهد من أجلها ما استطاع إلى ذلك سبيلاً، وإنه ليستهينُ بالشدائد والمصاعبِ ـ تعترضُ طريقه عن يمين وشمال ـ ولكنه في الوقت نفسه، لا يصبر على الذل ينالُه، ولا يرضى بالخدش يلحق دعوته وعقيدته.

ويلوح لنا في حادث الهجرة خاطر آخر، يتعلق بالصداقة والصحبة، فالإنسان في هذه الحياة لا يستطيع أن يعيش وحيداً منفرداً، بل لابد من الصديق يلاقيه؛ ويناجيه ويواسيه، يشاركه مسرته، ويشاطره مساءته. وقد تجلت هذه الصداقة والصحبة في تلك الرابطة العميقة، التي ربطت بين الرسول ﷺ وبين أبي بكر رضي الله عنه.

لقد أصبحت علاقات الكثيرين من الناس في هذا العصر، تقوم لغَرَضٍ أو لغَرَضْ، وتنهض على رياء أو نفاق، إلا من رحم الله، والأمة المسلمة اليوم أحوجُ ما تكون إلى عصبةِ أهل الخير، التي تتصادقُ في الله، وتتناصرُ على تأييد الحق، وتتعاونُ على البرى والتقوى ﴿ ٱلْأَخِلَّآءُ يَوْمَئِذٍۭ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٦٧﴾ ﴾ [سورة الزخرف، الآية: ٦٧].

وخاطر ثالث يتجلى من ذكر هذه الحادثة، وهو أن الله ينصر من ينصره، ويعين من يلجأ إليه ويعتصم به ويلوذ بحماه، ولا يكون ذلك إلا للمؤمن المخلص، الموقن بما عند الله، حين تنقطع به الأسباب، وحين يخذله الناس، وبعض الأغرار الجهلاء يرون مثل ذلك فراراً وانكساراً، ولكنه ـ في الحقيقة ـ كان عزاً من الله وانتصاراً ﴿ إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ ﴾ [سورة التوبة، الآية: ٤٠] وبم نصره الله؟ نصره بأضعف جنده ﴿ وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ ﴾ [سورة المدثر، الآية: ٣١] نصره بنسيج العنكبوت [قصة

العنكبوت حسنها الحافظ ابن حجر رحمه الله، انظر زاد المعاد بتحقيق الأرناؤوط] ﴿وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنكَبُوتِ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴿٤١﴾﴾ [سورة العنكبوت، الآية: ٤١].

وخاطر رابع؛ يشير إلى أن الشباب إذا نبتوا في بيئة الصلاح والتقوى، نشأوا على العمل الصالح، والسعي الحميد، والتصرف المجيد، والشبابُ المسلمون إذا رضعوا رحيق التربية الدينية الكريمة، كان لهم في مواطن البطولة والمجد، أخبارٌ وذكريات. فعلي بن أبي طالب رضي الله عنه لم يتردد في أن ينام على فراش الرسول ﷺ، وهو يعلم أن سيوف المشركين تستعد للانقضاض على النائم فوق هذا الفراش، ويتغطى ببردته، في الليلة التي اجتمع فيها شياطين الكفر والغدر، ليفتكوا برسول الله ﷺ، ويالها من نومة تحيطها المخاوف والأهوال، ولكن ﴿فَاللَّهُ خَيْرٌ حَافِظًا وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴿٦٤﴾﴾ [سورة يوسف، الآية: ٦٤].

أيها المسلمون: هكذا تعطينا الهجرة اليوم ما يعظنا في حاضرنا، وينفعنا في أولانا وأخرانا، وهناك اليوم في أرجاء المعمورة أخوان لنا مهاجرون مسلمون، أرغموا على ترك ديارهم وأوطانهم، بعد أن فعل بهم الكفرة الأفاعيل، وبعد أن تربصوا بهم الدوائر، ووقفوا لدعوة النور في كل مرصد، يقطعون عليها الطريق، ويعذبون أهلها العذاب الشديد، لا لشيء إلا لأنهم قالوا ربنا الله، فهاجروا كرهاً، وأخرجوا كرهاً، فهم يهاجرون من موطن لآخر، إقامةً لدين مضطهد، وحقٍ مسلوب في فلسطين، وفي البوسنة والهرسك، وفي كشمير، وإريتريا، وغيرها من بلاد المسلمين.

فاتقوا الله **أيها المسلمون**، وقفوا وقفة المهاجر بنفسه، وإن لم

يهاجر بحسه، فلنهاجر إلى الله تعالى بقلوبنا وعقولنا وأعمالنا ولنلجأ إلى الله ليكون ناصِرنا ومؤيدنا ﴿إِن يَنصُرۡكُمُ ٱللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمۡۖ وَإِن يَخۡذُلۡكُمۡ فَمَن ذَا ٱلَّذِي يَنصُرُكُم مِّنۢ بَعۡدِهِۦۗ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ١٦٠﴾ [سورة آل عمران، الآية: ١٦٠].

الخطبـة الثانيـة

الحمد لله حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه، كما يحب ربنا ويرضاه، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلى الله وسلم وبارك عليه، وعلى آله وأصحابه، ومن سار على طريقه إلى يوم الدين.

أما بعـد:

فيا أيها الناس: لقد كان ابتداءُ التاريخ الإسلامي الهجري، منذُ عهد أمير المؤمنين عمرَ بن الخطاب رضي الله عنه، حيث جمع الناس إبان خلافته، فاستشارهم من أين يبدأ التاريخ، فقال بعضهم يبدأ من مولد النبي ﷺ، وقال بعضهم يبدأ من بعثته، وقال آخرون يبدأ من هجرته، وقال بعضهم يبدأ من وفاته، ولكنه رضي الله عنه رجح أن يبدأ من الهجرة، لأن الله فرق بها بين الحق والباطل، فجعل مبتدأ تاريخ السنين من الهجرة، ثم تشاوروا من أي شهر يبدؤون السنة فقال بعضهم من ربيع الأول لأنه الشهر الذي قدم فيه النبي ﷺ مهاجراً إلى المدينة، واتفق رأي عمر وعثمان وعلي رضي الله عنهم على ترجيح البداءة بالمحرم لأنه شهر حرام، ويلي ذا الحجة، الذي به تمام أركان الإسلام وهو الحج.

فعلينا جميعاً أيها المسلمون، أن نأخذ بالتاريخ الهجري، فأعداء الله حريصون على أن يمسخوا الأمة المسلمة في كل شؤونها، حتى في تسمية الشهور والأعوام وإن استبدال تاريخ الكفار بالتاريخ الهجري عدول عن الطريق السوي، والمسلك القويم، وتشبه بالكفرة والمشركين، والمشاكلة في الأمور الظاهرة

توجب مشابهة في الأمور الباطنة، على وجه المسارقة والتدريج الخفي، والمشابهة في الظاهر تورث نوع مودة ومحبة وموالاة في الباطن؛ فتكون محرمة، كما قرر ذلك شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله.

هذا وصلوا رحمكم الله على خير البرية، وأزكى البشرية.

داء الشباب

الخطبة الأولى

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونتوب إليه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾ ﴾ [سورة آل عمران، الآية: ١٠٢].

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾ ﴾ [سورة النساء، الآية: ١].

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾ ﴾ [سورة الأحزاب، الآيتان: ٧٠، ٧١].

أما بعد:

فيا أيها الناس: لقد أشرق الإسلام بآدابه وتعاليمه الخالدة، فأقر كل خَيرٍ وُجد في الأخلاق الأصيلة، وغسلها مما علق بها

خلال القرون من الأوضار الدخيلة، ثم أكملها بما أوحىٰ به ربُ السموات والأرض إلى نبيه صلوات الله وسلامه عليه، تحقيقاً لقول الله عزوجل: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ شَٰهِدٗا وَمُبَشِّرٗا وَنَذِيرٗا ﴿٤٥﴾ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذۡنِهِۦ وَسِرَاجٗا مُّنِيرٗا ﴿٤٦﴾ ﴾ [سورة الأحزاب، الآيتان: ٤٥، ٤٦]. فبعثه الله عزوجل لحفظ مصالح الخلق ومقاصدهم، وسد كل ذريعةٍ تخدشُ دينهم، أو تهزُّ كيانهم، ولذا فقد أجمع الأنبياء والرسل قاطبة على الديانة بالتوحيد في مللهم، وعلى حفظ المال والنفس والنسب وحفظ العقل والعرض، فكل ما يتضمن حفظ هذه الأصول الستة فهو مصلحة، وكل ما يفوت هذه الأصول فهو مفسده، ودفعها مصلحة، ولأجل هذا شرع الله الجهاد لحفظ الدين، والقصاصَ لحفظ النفس، وحدَّ المسكر لحفظ العقل، وحد الزنى لحفظ العرض، وحد السرقة لحفظ المال، وعقد النكاح لحفظ النسب.

أيها المسلمون: لقد ثبت عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت: كان النكاح في الجاهلية على أربعة أنحاء:

● **نكاحُ الناس اليوم**: يخطب الرجل إلى الرجل وليتَه أو ابنتَه، فيُصدِقُها ثم ينكحها.

● **ونكاح الاستبضاع**: كان الرجل يقول لامرأته إذا طَهُرَتْ من حيضها: أرسلي إلى فلان فاستبضعي منه «أي اطلبي منه الجماع» ويعتزلها زوجها، حتى يتبين حملها، فإذا تبين حملها أصابها إذا أحب، وإنما يَفْعَلُ ذلك رغبة في نجابة الولد.

● **ونكاحٌ آخر**: يجتمع الرهطُ على المرأة؛ فيدخلون كلّهم يصيبها، فإذا حملت ووضعت ومر عليها ليال، أرسلت إليهم، فلم يستطع رجل منهم أن يمتنع، حتى يجتمعوا عندها فتقول

لهم: قد عرفتم ما كان من أمركم. وقد وَلَدْتُ، فهو ابنُك يا فلان، تسمي من أحبت باسمه فيُلْحَقُ به ولدها، لا يستطيع أن يمتنع منه الرجل.

● **ونكاح رابع**: يجتمع ناس كثير، فيدخلون على المرأة، لا تمتنع ممن جاءها، وهن البغايا؛ ينصبن على أبوابهن راياتٍ تكون علماً، فمن أرادهن دخل عليهن، فإذا حملت إحداهن ووضعت، جُمعوا لها، ودعوا لها القافة «وهم الذين يشبهون الناس» ثم ألحقوا ولدها بالذي يرون، فالتاط به «أي التصق به وثبت النسب بينهما» ودُعِيَ ابنه لا يمتنع منه الرجل. فلما بُعث محمدٌ ﷺ هدم نكاح الجاهلية كله، إلا نكاح الناس اليوم [رواه البخاري].

أيها المسلمون: النكاحُ عبادة يستكمل بها المسلمُ نصفَ دينه، ويلقى بها ربه على أحسن حالٍ من الطهر والعفاف، وفي كثرة النسل من المصالح الخاصة والعامة، ما يساعدُ الأمة على تكثير سواد أفرادها، وقد قال ﷺ: «**تزوجوا الولود الودود فإني مكاثر بكم الأمم يوم القيامة**» [رواه أبو داود والنسائي وغيرهما]، وقديماً قيل: إنما العزة للكاثر.

ولا تزال هذه حقيقةً قائمةً لم يطرأ عليها ما ينقضها.

أيها الناس: إن في البلاد المسلمة اليوم، مشكلةً من أعضل المشاكل وأعمقها أثراً في حياة الأمة المسلمة، إنها مشكلة الزواج، والتي تتلخص في كلمات، هي أن في المسلمين آلافاً مؤلفة من البنات في سن الزواج، لا يجدن الخاطب، وآلافاً مؤلفةً من الشباب لا يجدون البنات، أو لا يريدون الزواج.

وهذه المشكلة الظاهرة، إن لم يتنبَّه إليها المسلمون، ويفتحوا لها طرق العلاج بالحلال فإنه لن يجد الشباب للوصولِ إلى

حاجاتهم الغريزية إلا سلوك طريق الحرام، في نحو ما ذَكَرَتْ عائشة رضي الله عنها أو يزيد، لأن من النتائج الحتمية الظهور والتي لا ينكرها عاقل مسلم، أن الفساد الخلقي سبب في قلة الزواج، وقلة الزواج سبب في الفساد الخلقي، كما قال القائل:

لـــولا مشيبـــي مـــا جفـــا
لـــولا جفـــاه لـــم أشـــب

إن الوقدة من ضرم الشهوة، في أعصاب الشباب المسلم، هي داءُ الشباب في كل حين، ولطالما أرقت الكثيرين صغاراً وكباراً، ولطالما نفت عن عيون الكثيرين لذيذ العيش، ولطالما صدفت عن دروسه التلميذ، وعن عمله العامل، وعن تجارته التاجر، وكل هذا طبعي معقول، ولكن الذي لا يكون أبداً صبعياً ولا معقولاً، أن يُحِسَّ الفتى والفتاةُ بهذا كله، في سن الشباب، ثم يضطرهما المجتمع بأسلوبه على مختلف المحاور، إلى البقاء على العزوبة، والصدفِ عن الزواج، من حيث يشعر أو لا يشعر، وهذه هي المشكلة وهي مكمن الداء.

ولربما كانت بعض المجتمعات، تقول للشاب بلسان حالها: اختر إحدى ثلاث، كلُّها شر، ولكن إياك إياك أن تفكر في الرابعة التي هي وحدها الخير، وهي الزواج، وهذه الثلاث:

إما الانطواء على النفس وعلى أوهام الشهوة، والتفكيرُ فيها، وتغذيتُها بالروايات الرخيصة، وأحلام اليقظة، ورؤى المنام، حتى ينتهي به الحالُ إلى الهوس، أو انهيار أعصابه، ولسان حاله يقول للمجتمع «ألقاه في اليم مكتوفاً وقال له إياك إياك أن تبتل بالماء».

وإما اللجوءُ إلى طرق سرية خفية، لإبراز غلة الشهوة، والتي

حرمها جمهور أهل العلم عملاً بقوله تعالى: ﴿فَمَنِ ٱبْتَغَىٰ وَرَآءَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْعَادُونَ ۝٧﴾ [سورة المؤمنون، الآية: ٧].

وإما الاغترافُ من حمأة اللذة المحرمة، وسلوكُ سُبُل الضلال، لِتُبْذَلَ فيها الصحةُ والشباب في لذةٍ عارضه، ومتعةٍ عابرة، ثم هو لا يشبع، بل كلما واصل واحدة، زاده الوصالُ نهماً، كشارب الماء المالح لا يزدادُ شُرباً، إلا ازداد عطشاً.

وهذا كله، نتيجةُ ما نُحِسّه اليوم من جمودٍ في حركة الزواج، حتى أصبحت العزوبة الممقوتة أصلاً لدى عدد من الشباب ليس بالقليل، والتي اتبعها بعد ذلك اضطراب الأقيسة الاجتماعية في طريقة اختيار القرينة، عندما يرغب الشباب في الحياة الزوجية، والزواج ينبغي ألا يكون قضاء وطر وإدراك شهوة فقط، ولكن ينبغي أن يكون امتداداً لأمة تحمل رسالة نبيها ﷺ، وبناءً لأجيال تقيمُ الصلاة، وتؤتي الزكاة، وتأمرُ بالمعروف، وتنهى عن المنكر ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَٰنٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ﴾ [سورة الطور، الآية: ٢١].

أيها المسلمون:

لقد توصل كثير من الباحثين في مشكلة الزواج، إلى أسبابٍ كثيرة، كانت سداً منيعاً في طريق من يريدُ الزواج، وهم وإن اختلفوا في عد تلك الأسباب، ما بين مقلٍ منها ومكثرٍ؛ إلا أن أهمها لا يخرج عن **أسبابٍ ثلاثة:**

أولُها: تلكم العادات الشنيعة، التي تُخْرِبُ بيت الأب وبيت الخاطب معاً، وليس فيها نفعٌ لأحد، وإنما هو التفاخرُ والتكاثر، والتسابقُ إلى التبذير والسَرَف، ولو سئل كثير من العزاب اليوم، ما منعكم من الزواج؟ لكان جوابُ الكثير منهم في صوت واحد

«غلاء المهور، غلاء المهور» الذي أدى بالناس إلى الازدواجية في الحياة، ففئام من الناس يعيشون كأنهم في عصر مضى، وفئام من الناس، كأنهم يعيشون في عصر لم يأت بعد، فكيف إذاً يلتقي الزوجان وبينهما عصر مديد، هو يعيش كفافاً وأهل الزوجة يعيشون إسرافاً، هو يريد الزواج وأهلها يريدون الفخر والمباهاة، جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال إني تزوجت امرأة من الأنصار فقال له النبي ﷺ على كم تزوجتها؟ قال: على أربع أواق «يعني مائةً وستين درهماً» فقال له النبي ﷺ على أربع أواق!!!! كأنما تنحتون الفضة من عُرضِ هذا الجبل ما عندنا ما نعطيك... الحديث» [رواه مسلم].

وعندما يصل المجتمع المسلم إلى حد الرشد، فإنه لا يستطيع بطبيعة الحال، أن ينظرَ بعين الرضى، إلى التنافس الصبياني في غلاء المهور، وعشق الأثاث، ومن أبى إلا ركوبَ رأسه في هذا المنحدر، فإن الله يزع بالسلطان ما لا يزع بالقرآن.

وسبب آخر، من أسباب تلك المشكلة، يتمثل في قلة الدين، وتغيب العفاف، الذي أدى ببعض المجتمعات في كثير من البقاع ـ إلا من رحم الله ـ إلى إقرار الاختلاط بين الجنسين، والذي أصبح وسيلة ناجحة لإطلاق عِنان الغرائز، ليعيش الشباب لصوصاً على أعراض الناس، يكتفون باختلاس النظرة، واستجداء اللحظة، وسلوكِ مسالك الغش والتضليل، التي غفل عن خطرها كثير ممن حُرم هدايةَ الله.

والسبب الثالث، من أسباب تلك المشكلة، هو ما يردده بعض أرباب الأفكار اللقيطة، الذين ينفثون سمومهم عبر قنوات متعددة، يقررون من خلالها أن التبكير في الزواج عمل غير

صالح، وضَربٌ من التغرير بالمراهقين، وأنه لا ينبغي أن يغامر الفتى بعملية الزواج قبل التزود الكافي من التجارب.

وفي ذلك قال قائلهم: لا قِبَلَ لي بهذا المعنِّي الذي يسمونه الزواج، فما هو إلا بيتٌ ثُقْلُه على شيئين، على الأرض، وعلى نفسي، وأطفالٌ يلزمونني عمل الأيدي الكثيرة، من حيثُ لا أملك إلا يدين اثنتين، وأتحمل منهم رهقاً شديداً، ومن ثم سيصبحون عالةً على المجتمع، ومن الذي تَعرِضُ عليه الحياةُ سلامَها وأشواقها، في مثل رسالة غرام، ثم يدع ذلك كله ويتزوجها، فكأنه بذلك يسألها غَضَبَها وخِصَامَها، في نحوِ قضيةٍ من قضايا المحاكم، كلُ ورقةٍ فيها تلدُ ورقة.

وطبعي أن يكون لمثل هذا الصدى مريدون ومريدات، يضعون مثل هذه الترهات في مقام القداسة والتعظيم، حتى يقف بهم الأمر لأن يكون الواحدُ منهم خواراً جباناً، لا يستطيع أن يحمل أثقالاً مع أثقاله، ويستوطن العجز والخمول، فلا يكون إلا قاعدَ الهمة، رخو العزيمة.

وكلُ شابٍ تلك حالُه، فهو حادثةٌ ترتدف الحوادثَ وتستلزمها، ولا يأتي السوء إلا بمثله أو بأسوأَ منه، فيشهدُ العَزَبُ على نفسه، أنه مبتلى بالعافية، مستعبدٌ بالحرية، مجنونٌ بالعقل، مغلوبٌ بالقوة، شقيٌ بالسعادة.

وما علم هؤلاء أن رسول الله ﷺ ألجمهم بقوله: «**يامعشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء**» [رواه الجماعة]. قال تعالى: ﴿وَأَنكِحُوا۟ ٱلْأَيَـٰمَىٰ مِنكُمْ وَٱلصَّـٰلِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَآئِكُمْ ۚ إِن يَكُونُوا۟ فُقَرَآءَ يُغْنِهِمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [سورة النور، الآية: ٣٢]، قال أبوبكر رضي الله

عنه: «أطيعوا الله فيما أمركم به من النكاح يُنْجِزْ لكم ما وعدكم به من الغنى.

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم.

الخطبـة الثانيـة

الحمد لله حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه كما يحب ربنا ويرضاه، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

أما بعـد:

فيا أيها الناس: بالنكاح يلتمُّ الشَعَث، وتسكنُ النفس، ويطمئنُّ القلب، ويستريحُ الضمير من تعب التفكير، ويحصلُ الولد، ويعْمُرُ البيت، وتتمُّ به نعمةُ الله على الزوجين، ولن تَكْمُلَ الرجولة حتى يتزوج الشاب، أما الذي لا زوجة له ولا ولد، فرحمتُهُ بالناس مفقودة، وشفقتُهُ عليهم غيرُ موجودة، لا يهمُهُ إلا بطنُه وظهرُه، ولا يجمع من المال إلا ما يكفيه لحياته. هو عالةٌ على أهله في صِغره، وغيرُ مأمولٍ في كبره، إذا طال عمره فغيرُ ملتفَتٍ إليه، وإذا مات فغيرُ مبكيٍ عليه، ومن رغب عن النكاح فقد ترهب، وعنده يقفُ بعضُ نسلِ آدم، ومن جهته تنقطع الأبوةُ والبنوة، فلا يُذكر إلا بعلم علمه، أو مالٍ ترك منه صدقةً جارية.

دخل الأحنفُ بنُ قيس على معاوية رضي الله عنه، ويزيدُ بين يديه، وهو ينظر إليه إعجاباً به فقال: يا أبابحر، ما تقول في الولد؟ فعلم ما أراد فقال: ياأمير المؤمنين هم عمادُ ظهورنا، وثمرُ قلوبنا، وقرةُ أعيننا، بهم نصول على أعدائنا، وهم الخَلَفُ لمن بعدنا. فكن لهم أرضاً ذليلة، وسماءً ظليلة. إن سألوك فأعطهم، وإن استعتبوك فأعتبهم، لا تمنعهم رِفدَك، فيملوا

قربك، ويكرهوا حياتك، ويستبطئوا وفاتك، فقال لله درك يا أبابحر، هم كما وصفت.

هذا وصلوا رحمكم الله على خير البرية وأزكى البشرية جمعاء، محمد بن عبدالله بن عبدالمطلب سيد المرسلين، وإمام الغر المحجلين، اللهم صلِّ وسلم وبارك عليه وعلى آله وأصحابه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

شـــواطيء البكائـــين

الخطبـة الأولى

الحمد لله تبارك وتعالى، يقضي بما شاء، ويفعل ما يريد، وربك يخلق ما يشاء ويختار، أحمده سبحانه، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، يحاسبُ على الفتيلِ والقطمير، وكفى بالله حسيباً، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، خيرُ من سعى وطاف، وأفضلُ من بكى لله وخاف، صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعـد:

فأوصيكم أيها الناسُ ونفسي بتقوى الله عزوجل، وكثرة حمده على آلائه إليكم، ونعمائه عليكم، وبلائه لديكم، فكم خصكم بنعمة، وأزال عنكم نقمة، وتداركم برحمة، أعورتم له فستركم، وتعرضتم لأخذه فأمهلكم، فإن تتولوا يستبدل قوماً غيركم ثم لا يكونوا أمثالكم.

أيها الناس: قال الله عزوجل في محكم التنزيل ﴿ وَفِي ٱلْأَرْضِ ءَايَٰتٌ لِّلْمُوقِنِينَ ﴿٢٠﴾ وَفِىٓ أَنفُسِكُمْ ۚ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٢١﴾ ﴾ [سورة الذاريات، الآيتان: ٢٠، ٢١] وقال تعالى: ﴿ سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ

أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ﴾ [سورة فصلت، الآية: ٥٣].

والآيةُ جِدّ آية، والعظمةُ جِدّ عظمة، ما أودعه الله عز وجل في بني البشر من النعمتين العظيمتين، ألا وهما نعمة الضحك والبكاء، ضحك وبكاء.. أودعهما الله النفسَ الإنسانية، والأمة البشرية ﴿وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ الْمُنتَهَىٰ ﴿٤٢﴾ وَأَنَّهُ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَىٰ ﴿٤٣﴾﴾ [سورة النجم، الآيتان: ٤٢، ٤٣] ضحكٌ.. أودعه الله النفس البشرية، لتعبر به عن فرحها المرغوب، ورضاها به، وأنسها بما يسر، وبكاءٌ.. أودعته النفس، لتعبر به عن الخشية والفرق، والخوف والوجل، ولربما هجم السرور على النفس، فكان من فرط ما قد سرها أبكاها، فهي تبكي في الأفراح والأحزان.

إن الله عزوجل أنشأ للإنسان دواعي الضحك، ودواعي البكاء، وجعلها وفق أسرار أودعها فيه، يضحك لهذا، ويبكي لذاك، وقد يضحك غداً مما أبكاه اليوم، ويبكي اليوم مما أضحكه بالأمس، في غير جنون ولا ذهول، إنما هي حالات جبلية، خلقها الله فيه ﴿وَفِي أَنفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٢١﴾﴾ [سورة الذاريات، الآية: ٢١].

أيها المسلمون، أيها المسلم، أيتها المسلمة، إن الله عزوجل أنعم عليكم بنعمة البكاء لتشكروه عليها، إذ كيف يعيش من لا يبكي، كيف تتفاعل نفسه مع الأحداث والمواقف، بماذا يترجم عن الحزن والأسى، بماذا يعبر عن الخشية والخوف من الله جل وعلا، قال رسول الله ﷺ: **«اللهم إني أعوذ بك من علم لا ينفع ومن نفس لا تشبع ومن عين لا تدمع ومن دعوة لا يستجاب لها»**.

أيها الأحبة:

البكاء قافلة ضخمة، حطت ركائبها في سوق رحْبة، ما ابتاع الناس منها على ثلاثة أضرب:

فضَرْبٌ من الناس اشتروا بكاء العشاق والمشغوفين، أصحاب الهوى والتيم، أهل الصبابة والغرام، الذين هربوا من الرق الذي خلقوا له، وبَلَوا أنفسهم برق الهوى والشيطان، فاشترى هؤلاء القوم هذا الضَرب من البكاء شراءً مفتقراً لشروط الصحة، فابتاعوا بيعاً فاسداً، ثم زادوا السقم علة، والطين بلة، حين أوقفوا هذه الدموع، واحتبسوها، في غير وجهٍ شرعي، فبطل الوقف، وخسر الواقف، وهام الموقوف عليه، فما أعظمها شِقوة، وما أوعرها هوة.

فما في الأرض أشقى من محب
وإن وجد الهوى حلو المذاق
تراه باكياً في كل حين
مخافة فرقة أو لاشتياق
فتسخن عينه عند التلاقي
وتسخن عينه عند الفراق
ويبكي إن نأوا شوقاً إليهم
ويبكي إن دنوا خوف الفراق

أعاذنا الله وإياكم من هذه الحال، ومن حال أهل النار.

وضَرْبٌ من الناس: ابتاعوا بكاء أهل الحزن على مصائبهم ورزاياهم، وعلى هذا الضَرْبِ جُلُّ الناس، فاقتصروا على سلعة، وافقت جبلتهم التي جبلهم الله عليها، فأصبحوا لا لهم ولا عليهم.

وضَرْبٌ ثالث: اشتروا بكاء الخشية من الله عزوجل، تلكم البضاعة التي زهد فيها معظم القوم إلا من رحم الله. آيات تتلى، وأحاديث تُروى، ومواعظ تلقى، ولكن تدخل من اليمنى وتخرج

مع اليسرى، لا يخشع لها قلب ولا تهتز لها نفس، ولا يسيل على أثرها دمع «**اللهم إنا نعوذ بك من قلب لا يخشع ومن عين لا تدمع**».

عباد الله: لقد أثنى الله جل وعلا في كتابه على البكائيين من خشية الله، وفي طاعة الله. الأتقياء الأنقياء، ذوي الحساسية المرهفة، الذين لا تسعفهم الكلمات للتعبير عما يخالج مشاعرهم، من حبٍ لله، وتعظيم له، وخشيةٍ وإجلال، فتفيض عيونهم بالدموع، قربةً إلى الله وزلفى لديه.

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ مِن قَبْلِهِۦٓ إِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا ﴿١٠٧﴾ وَيَقُولُونَ سُبْحَٰنَ رَبِّنَآ إِن كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا ﴿١٠٨﴾ وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا ﴿١٠٩﴾ ﴾ [سورة الإسراء، الآيات: ١٠٧ـ ١٠٩]، وقال تعالى: ﴿ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِن ذُرِّيَّةِ ءَادَمَ وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ وَمِن ذُرِّيَّةِ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْرَٰٓءِيلَ وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَٱجْتَبَيْنَآ إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُ ٱلرَّحْمَٰنِ خَرُّوا۟ سُجَّدًا وَبُكِيًّا ﴿٥٨﴾ ﴾ [سورة مريم، الآية: ٥٨].

وقال تعالى: ﴿ وَإِذَا سَمِعُوا۟ مَآ أُنزِلَ إِلَى ٱلرَّسُولِ تَرَىٰٓ أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا۟ مِنَ ٱلْحَقِّ ﴾ [سورة المائدة، الآية: ٨٣].

وقال تعالى: ﴿ أَفَمِنْ هَٰذَا ٱلْحَدِيثِ تَعْجَبُونَ ﴿٥٩﴾ وَتَضْحَكُونَ وَلَا تَبْكُونَ ﴿٦٠﴾ وَأَنتُمْ سَٰمِدُونَ ﴿٦١﴾ فَٱسْجُدُوا۟ لِلَّهِ وَٱعْبُدُوا۟ ﴿٦٢﴾ ﴾ [سورة النجم، الآيات: ٥٩ـ٦٢].

ثبت عن النبي ﷺ أنه أمر الناس أن ينبعثوا غازين معه، فجاءه عصابة من أصحابه، فقالوا يارسول الله: احملنا، فقال لهم: والله لا أجد ما أحملكم عليه. فتولوا وهم يبكون، وعز عليهم أن يجلسوا عن الجهاد، ولا يجدون نفقةً ولا محملاً، فأنزل الله عزوجل ﴿ لَّيْسَ عَلَى ٱلضُّعَفَآءِ وَلَا عَلَى ٱلْمَرْضَىٰ وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ

مَا يُنفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُوا۟ لِلَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۚ مَا عَلَى ٱلْمُحْسِنِينَ مِن سَبِيلٍ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٩١﴾ وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ إِذَا مَآ أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لَآ أَجِدُ مَآ أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّوا۟ وَّأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمْعِ حَزَنًا أَلَّا يَجِدُوا۟ مَا يُنفِقُونَ ﴿٩٢﴾﴾ [سورة التوبة، الآيتان: ٩١، ٩٢].

عباد الله:

البكاء من خشية الله وصف شريف، ومسعى حميد، به وصف الله أنبياءه، والذين أوتوا العلم من عباده، وقد ذكر رسول الله ﷺ من السبعة لذين يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله «رجلاً ذكر الله خالياً ففاضت عيناه» [متفق عليه]. . ويمتاز البكاء في الخلوة، لأن الخلوة مدعاة إلى قسوة القلب، والجرأة على المعصية، فإذا ما جاهد الإنسان نفسه فيها، واستشعر عظمة الله فاضت عيناه، فاستحق أن يكون تحت ظل عرش الرحمن يوم لا ظل إلا ظله.

قال رسول الله ﷺ: «**عينان لا تَمَسُهُما النار؛ عين بكت من خشية الله، وعين باتت تحرس في سبيل الله**» [رواه الترمذي] صدق رسول الله ﷺ، فلقد قال ذلك بأبي هو وأمي صلوات الله وسلامه عليه، قال ذلك وهو أتقى الناس لله، وأخشى الناس لله، وأكثرُ الناس بكاء من خشية الله.

ثبت في الصحيحين عن ابن مسعود رضي الله عنه، أن النبي ﷺ قال له: اقرأ عليَّ القرآن، فقال: أقرأ عليك القرآن وعليك أُنزِل؟ قال: إني أحب أن أسمعه من غيري، فقرأ من سورة النساء حتى بلغ قول الله ﴿ فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍۭ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ شَهِيدًا ﴿٤١﴾﴾ [سورة النساء، الآية: ٤١] فقال رسول الله ﷺ حسبك فإذا عيناه تذرفان .

وقد ثبت عنه ﷺ أنه كان إذا صلى سمع لصدره أزيزٌ كأزيز

المرجل من البكاء، أي كصوت القِدْر إذا اشتد غليانه [رواه أبو داود وأحمد والنسائي].

وثبت عنه ﷺ أنه بكى على ابنه إبراهيم، حينما رآه يجود بنفسه، فجعلت عيناه تذرفان الدموع ثم قال: «**إن العين تدمع، والقلب يحزن، ولا نقول إلا ما يرضي ربنا، وإنا لفراقك ياإبراهيم لمحزونون**» [رواه البخاري ومسلم].

إن هذه الدموع الزكية التي سالت من عينه ﷺ تمثل إحساساً نبيلاً، ومشاركةً أسيفةً للمحزونين والمكروبين، وهي لا تتعارض أبداً مع كونه ﷺ مثلاً للشجاعة ورباطة الجأش، والرضى بقضاء الله وقدره، ولكنه بكاء المصطفى الكريم في مواطن الرحمة والإشفاق، ومن لا يرحم لا يُرحم ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ۖ تَرَىٰهُمْ﴾ [سورة الفتح، الآية: ٢٩].

عن عقبة بن عامر رضي الله عنه قال: قلت يا رسول الله: ما النجاة؟ ما النجاة؟ قال: «**أمسك عليك لسانك، وليسعك بيتك، وابك على خطيئتك**» [رواه أحمد والنسائي].

أيها المسلمون: هذه حال النبي ﷺ في بكائه من خشية الله، أخذها الصحابة رضوان الله عليهم. فقد روى الحاكم والبزار بسند حسن عن زيد بن أرقم قال: كنا مع أبي بكر رضي الله عنه بعد وفاة النبي ﷺ فاستسقى، فقدم له قدح من عسل مشوبٍ بماء، فلما قربه إلى فيه بكى وبكى، حتى أبكى من حوله، فما استطاعوا أن يسألوه عن سبب بكائه، فسكتوا وما سكت، ثم رَفَعَ القدحَ إلى فيه مرةً أخرى، فلما قربه من فيه بكى، وبكى، حتى أبكى من حوله، ثم سكتوا فسكت بعد ذلك، وبدأ يمسح الدموع من عينيه رضي الله عنه، فقالوا: ما أبكاك يا خليفة رسول الله؟ قال: كنت

مع رسول الله ﷺ في مكان ليس معنا فيه أحد، وهو يقول: إليكِ عني إليكِ عني، فقلت يارسول الله: من تخاطب وليس ههنا أحد؟ قال ﷺ هذه الدنيا تمثلت لي فقلت لها: إليكِ عني، فقالت: إن نجوت مني فلن ينجو مني مَنْ بعدك، فخشيت من هذا.

أيها الأحبة: قام محمد بن المنكدر ذات ليلة فبكى، ثم اجتمع عليه أهله ليستعلموا عن سبب بكائه، فاستعجم لسانه، فدعوا أباحازم، فلما دخل أبوحازم هدأ محمد بن المنكدر بعضَ الشيء، فسأله عن سبب بكائه فقال: تلوت قول الله جل وعلا: ﴿وَبَدَا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُواْ يَحْتَسِبُونَ ﴿٤٧﴾﴾ [سورة الزمر، الآية: ٤٧] فبكى أبوحازم، وعاد محمد بن المنكدر إلى البكاء، فقالوا: أتينا بك لتخفف عنه فزدته بكاء ﴿وَبَدَا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُواْ يَحْتَسِبُونَ ﴿٤٧﴾﴾ [سورة الزمر، الآية: ٤٧].

كان الربيع بن خيثم يبكي بكاء شديداً، فلما رأت أمُه ما يلقاه ولدُها من البكاء والسهر، نادته فقالت: «يابني لعلك قتلت قتيلاً؟ فقال: نعم ياوالدة. قتلت قتيلاً، فقالت: ومن هذا القتيلُ يابني، نتحملُ إلى أهله فيُعْفُوك، والله لو علموا ما تلقى من البكاء والسهر لقد رحموك، فقال الربيع: ياوالدتي هي نفسي، ياوالدتي هي نفسي».

عباد الله:

هذا بكاء السلف، وهذه دموع البكائين تسيل، ولسان حالهم يقول:

نزف البكاء دموع عينك فاستعر
عيناً لغيرك دمعها مدرار

من ذا يعيرك عينه تبكي بها
أرأيت عيناً للدموع تعار

فاتقوا الله عباد الله، واعلموا أنه لابد من القلق والبكاء، إما في زاوية التعبد والطاعة، أو في هاوية الطرد والإبعاد، فإما أن تحرق قلبك بنار الدمع على التقصير، والشوق إلى لقاء العلي القدير، وإلا فاعلم أن نار جهنم أشدُ حراً ﴿فَلْيَضْحَكُوا۟ قَلِيلًا وَلْيَبْكُوا۟ كَثِيرًا جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿٨٢﴾﴾ [سورة التوبة، الآية: ٨٢]، فانظر ياعبدالله إلى البكائين الخاشعين تراهم على شواطيء أنهار الدموع نزول، فلو سرت عن هواك خُطوات، لاحت لك الخيام.

اللهم إنا نعوذ بك من قلب لا يخشع ومن عين لا تدمع.

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعني وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم.

الخطبـة الثانيـة

الحمد لله حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه، كما يحب ربنا ويرضاه، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك لله، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، صلوات ربي وسلامه عليه وعلى آله وأصحابه ومن تبعهم بإحسان.

أما بعـد:

فاتقوا الله عباد الله، واعلموا أن هذا الدين وسطٌ بين الغالي فيه والجافي عنه، ولا يفهم من الحث على البكاء والتباكي خشيةً لله، لا يفهم منه الدعوة إلى الكدر، ولا إلى الرهبنة، ولا إلى ما يقوله أحدهم: «ما ضحكت منذ أربعين سنة» فرسول الله ﷺ إمام الأمة وقائد الملة كان يضحك ويبتسم، ولكنه لا يستجمع ضاحكاً، ولا يُفرِطُ في الضحك، فقد ثبت عنه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال: «**لا تكثروا الضحك فإن كثرة الضحك تميت القلب**» [رواه ابن ماجه والبخاري في الأدب المفرد بسند جيد].

ولا يضحكُ ويقهقه، ويُرْفُس الأرض برجله، ويستلقي على قفاه، إلا الذي قسا قلبه، وغفل عن الموت ونسي ما بعده.

وقد يُغرِقُ البعض في الضحك، حتى إنه لا يلين قلبه ولا تبكي عينه، ولا يتأثر بشيء ولو وعظه لقمان، أو تليت عليه آيات القرآن، يَطْرَبُ لأصوات المظلومين، وأنات المنكوبين، قد نزع الله من قلبه الرحمة، وجرده من الخوف والرجاء، جفت مآقيه عن الدموع، فاعتاض عنها شراراً يقذفه من عينيه، يضحك للمصيبة تنال أخاه، يقهقه سخريةً من كل صاحب سُنَّة، إذا مر بذي صلاح

غمز، وإن ذُكر عنده ذو علم لمز ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ أَجْرَمُوا۟ كَانُوا۟ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يَضْحَكُونَ ﴿٢٩﴾ وَإِذَا مَرُّوا۟ بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ ﴿٣٠﴾ وَإِذَا ٱنقَلَبُوٓا۟ إِلَىٰٓ أَهْلِهِمُ ٱنقَلَبُوا۟ فَكِهِينَ ﴿٣١﴾ وَإِذَا رَأَوْهُمْ قَالُوٓا۟ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ لَضَآلُّونَ ﴿٣٢﴾ وَمَآ أُرْسِلُوا۟ عَلَيْهِمْ حَٰفِظِينَ ﴿٣٣﴾ فَٱلْيَوْمَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنَ ٱلْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ ﴿٣٤﴾ عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ يَنظُرُونَ ﴿٣٥﴾ هَلْ ثُوِّبَ ٱلْكُفَّارُ مَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ ﴿٣٦﴾﴾ [سورة المطففين، الآيات: ٢٩ـ٣٦]، فهؤلاء ضحكوا هنا فبكوا هناك وهؤلاء بكوا هنا وسيضحكون هناك ﴿هَلْ جَزَآءُ ٱلْإِحْسَٰنِ إِلَّا ٱلْإِحْسَٰنُ ﴿٦٠﴾﴾ [سورة الرحمن، الآية: ٦٠].

هذا وصلوا رحمكم الله على خير البرية وأفضل البشرية فقد قال ﷺ: «**من صلى عليَّ صلاة واحدة صلى الله عليه بها عشراً**».

بين الحلم والغضب

الخطبة الأولى

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه، ونستغفره ونتوب إليه ونعوذُ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾ ﴾ [سورة آل عمران، الآية: ١٠٢].

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾ ﴾ [سورة النساء، الآية: ١].

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾ ﴾ [سورة الأحزاب، الآية: ٧٠، ٧١].

أما بعد:

فاتقوا الله أيها المسلمون، اتقوه في السر والعلن، فإن تقوى الله عزوجل سبب الأمن في الدنيا والهداية في الآخرة ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ

وَلَمْ يَلْبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٨٢﴾﴾ [سورة الأنعام، الآية: ٨٢].

عباد الله:

لقد دخل رسولُ الله ﷺ مكة عام الفتح، وقلبُه مفعمٌ بشكر الله على نصره لنبيه، وإنجازِ وعده له، كان ممتطياً ناقته القصوى، وسار بها حتى بلغ الكعبة، فطاف بالبيت سبعاً، ثم صلى خلف المقام، وجلس في المسجد والناسُ من حوله، والعيونُ شاخصةٌ إليه، ينتظرون ما هو فاعلٌ بأهل مكة، الذين آذوه وقاتلوه، وأخرجوه من بلده التي هي أحبُ أرض الله إلى الله.

في تلك اللحظات الحرجة تطلع القوم واشرأبوا إلى معرفةِ صنيعه بأعدائه، وقد تكاثر الناس حوله في المسجد، فخطبهم وتلا عليهم قول الله عزوجل: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ﴾ [سورة سورة الحجرات، الآية: ١٣] ثم سألهم: يامعشر قريش، ماتظنون أني فاعلٌ بكم؟ قالوا: خيراً، أخٌ كريم، وابن أخٍ كريم، قال: فإني أقول لكم ما قال يوسف لأخوته ﴿لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ﴾ [سورة يوسف، الآية: ٩٢] اذهبوا فأنتم الطلقاء.

فاسترد أهلُ مكة أنفاسهم، وبدأت البيوتُ تُفتحُ على مصاريعها لتبايع رسول الله، بأبي هو وأمي صلوات الله وسلامه عليه، الله أكبر، ما أجمل العفو عند المقدرة، ومن أحق بذلك، إن لم يكن رسول الله صلوات الله وسلامه عليه، وصدق الله إذ يقول: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴿٤﴾﴾ [سورة القلم، الآية: ٤].

عباد الله:

لقد برز حلمُ النبي ﷺ جلياً في هذا الموقف، والذي سار عليه

الأنبياءُ من قبله، فهذا هودٌ عليه السلام، يستمع إلى إجابة قومه بعد ما دعاهم إلى توحيد الله عزوجل ﴿ قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦٓ إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِى سَفَاهَةٍ وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٦٦﴾ قَالَ يَٰقَوْمِ لَيْسَ بِى سَفَاهَةٌ وَلَٰكِنِّى رَسُولٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦٧﴾ أُبَلِّغُكُمْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّى وَأَنَا۠ لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ ﴿٦٨﴾ ﴾ [سورة الأعراف، الآيات: ٦٦ـ٦٨].

إن شتائم أولئك الجهال لم يطش «لها حلم» هودٍ عليه السلام، لأن الشُقة بعيدة، بين رجل اصطفاه الله رسولاً، وبين قوم سفهوا أنفسهم، وتهاووا على عبادة الأصنام.

أيها المسلمون: بهذا الموقف، وبغيره من المواقف العظيمة، عالج رسول الله ﷺ محو الجاهلية التي كانت تقوم على نوعين من الجهالة: جهالةٌ مضادة للدين والعلم، وأخرى مضادةٌ للحلم. فأما الأولى، فقد قطع النبي ﷺ ظلامها بأنواع المعرفة والإرشاد، وأما الأخرى فقد كبح الهوى، ومنع الفساد فيها بحلمه وعفوه ﴿ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ﴾ [سورة آل عمران، الآية: ١٥٩] لقد كانت مواقفه ﷺ، ناسخةً للجاهلية الجهلاء، التي كان يعيشها العرب، والتي بلغت من الغلظة والشدة ما صدها عن مكارم الأخلاق، كما صور ذلك بعضهم في قوله:

ألا لا يجهلن أحد علينا
فنجهل فوق جهل الجاهلينا

ولم يكن للجاهلية كأمثال، الآن شعر الحماسة والجهل، والفخر والحمية، والهجاء.

فجاء الإسلام، ليكفكف من هذه النزوات، ويقيم أركان المجتمع على الفضل وحسن التخلق، ولم تتحقق هذه الغاية بعد فضل الله إلا عندما هيمن العلم النافع، والعقلُ الراشد، على

غريزة الجهل والغضب، وكثيرٌ من النصائح التي أسداها رسول الله ﷺ للناس كافة، كانت تتجه إلى هذا الهدف، مما جعل المسلمين يعدون مظاهر الطيشِ والتصدي، والعنفِ والأذى، شروداً من القيود، التي ربط بها الإسلامُ الجماعة المسلمة، لئلا تميد ولا تضطرب، قال رسول الله ﷺ: «**سباب المسلم فسوق وقتاله كفر**» [رواه البخاري ومسلم].

إن من الناس من لا يسكتُ عن الغضب، فهو في ثورة دائمة، وتغيظٍ يطبع على وجهه العبوس، إذا مسه أحد بأذى ارتعش كالمحموم، وأنشأ يُرغى ويُزبد، ويلعن ويطعن، والإسلام بريء من هذه الخلال الكدرة، قال رسول الله ﷺ «**ليس المؤمن بالطعان ولا اللعان ولا الفاحش ولا البذيء**» [رواه الترمذي وقال حديث حسن].

فقد حرم الإسلامُ المهاترات السفيهة، وتبادل السباب بين المتخاصمين، وكم من معارك ضارية تُبتذلُ فيها الأعراض، وتُنتهك فيها الحرمات، وما لهذه الآثام الغليظةِ من علة، إلا تسلطُ الغضب، وضياعُ الأدب، وأوزارُ هذه المعارك العنيفةِ الوضيعة تعود على الموقد الأول لجمرتها، قال رسول الله ﷺ: «**المستبان ما قالا فعلى الباديء منهما، حتى يعتدي المظلوم**» [رواه مسلم].

والمسلك الأمثلُ في ذلك كله، والدالُ على العظمةِ والمروءة، هو أن يبتلع المرءُ غَضَبَه فلا ينفجر، وأن يقبض يده فلا يقتص، وأن يجعل عفوه عن المسيء نوعاً من شكر الله، الذي أقدره على أن يأخذ حقه إذا شاء. قال الأحنف بن قيس: احذروا

رأي الأوغاد، قالوا وما هم، قال الذين يرون الصفح والعفو عاراً.

أيها الناس: إن كمال العلم في الحلم، ولينُ الكلام مفتاحُ القلوب، يستطيع المسلم من خلاله، أن يعالج أمراض النفوس، وهو هادىء النفس، مطمئنُ القلب، لا يستنفره الغضب، ولا يستثيره الحمق، فلو كان الداعي سيءَ الخلق، جافيَ النفس، قاسيَ القلب، لانفض من حوله الناس، وانصرفوا عنه، فحرموا الهداية بأنوار دينهم، فعاشوا وماتوا جهالاً، وذلك هو الشقاء وهو سببه وعلته.

وتتفاوت درجاتُ الناس في الثبات أمام المثيرات، فمنهم من تستخفه التوافه، فيستحمقُ على عجل، ومنهم من تستفزه الشدائد، فيبقى على وقعها الأليم، محتفظاً برجاحة فكره، وسجاحة خُلقه، والرجل الحليم حقاً، هو من إذا حلق في آفاق دنيا الناس، اتسع صدره وامتد حلمه، وعذر الناس من أنفسهم، والتمس المبررات لأغلاطهم، فإذا ما عدا عليه غرٌ يريد تجريحه، نظر إليه من علو، وفعل كما قال الأحنف بن قيس رحمه الله، ما آذاني أحد إلا أخذت في أمره بإحدى ثلاث: إن كان فوقي، عرفت له فضله، وإن كان مثلي تفضلت عليه، وإن كان دوني أكرمت نفسي عنه. وكان مشهوراً بالحلم رحمه الله، وبذلك ساد عشيرته، وقد قيل له: ممن تعلمت الحلم فقال: من قيس بن عاصم، كنا نختلف إليه في الحلم، كما يختلف إلى الفقهاءُ في الفقه، ولقد حضرت عنده يوماً، وقد أتوه برجلٍ قد قتل ابنه، فجاؤا به مكتوفاً فقال: ذعرتم أخي اطلقوه، واحملوا إلى أم ولدي ديته، فإنها ليست من قومنا.

عباد الله:

اعلموا أن الحليم، إما أن يكون عاجزاً جباناً، ليس له شيء ولا عليه شيء، فهذا إن لم يغنم فإنه لا يأثم، وإما أن يكون مخادعاً مكاراً، ظاهره سمت المؤمنين وباطنه حقد المجرمين، يتحلم ظاهراً، ويعُفُّ علناً، ولكنه يغضب باطناً، وينتقم مسرفاً، وهذا حقود لدود، لا يلبث أن يفضحه الله على رؤوس الناس.

وإما أن يكون حليماً، مفطوراً على الخير، مجبولاً عليه، وهذا كأشج عبدالقيس الذي قال له رسول الله ﷺ: «**إن فيك خصلتين يحبهما الله ورسوله، الحلم والأناة، فقال: أشيء تَخَلقْتُ به أم جُبلتُ عليه يارسول الله؟ فقال: لا بل جُبِلتَ عليه، فقال، الحمد لله الذي جبلني على خصلتين يحبهما الله ورسوله**» [رواه مسلم وأحمد وغيره بألفاظ متعددة].

وإما أن يكون ثائر النفس، أزعجه من ظلمه، فيصبرُ محتسباً، ويصفحُ قادراً ويأمره إيمانه بالعرفِ، والعفوِ عن الجاهلين، وهذا هو المثابُ في الدنيا والآخرة، والمشكورُ عند الله وعند خلقه، وهو الموصوفُ بالشدة والقوة، كما في قول الرسول ﷺ: «**ليس الشديد بالصُرعة ولكن الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب**» [رواه البخاري ومسلم].

وهو المقصود أيضاً، في قول النبي ﷺ: «**من كتم غيظاً وهو قادر على أن يُنْفِذَه دعاه الله على رؤوس الخلائق، حتى يخيره من الحور العين، يزوجه منها ما شاء**» [رواه أحمد وغيره بسند صحيح].

أيها الناس: قلة الحلم وكثرة الغضب آفتان اثنتان، إذا استشرتا في مجتمع ما قوضتا بنيانه، وهدمتا أركانه، وقادتا المجتمع إلى

هوة سحيقة، بعد أن كانتا كالسوس ينخر في جسد المجتمع المسلم حتى يؤدي به إلى الهلاك والعياذ بالله، وإلا فما تفسير ضياع المجتمعات المسلمة، واندثار آدابها وأخلاقها، وانتشارِ الشتائم، والفحش بين أفرادها على كافة الأصعدة، مما ساعد على تَقطيع الأواصر والروابط، وإشاعةِ أجواء التباغض والتدابر، والتحاسد وإظهارِ الشماتة على الأمة المسلمة من قِبَل أعدائها، قال رسول الله ﷺ: «**إن الله رفيق يحب الرفق، ويعطي على الرفق ما لا يعطي على العنف، وما لا يعطي على ما سواه**» [رواه مسلم].

وهل الطلاق، وما يكون بين الزوجين من الشقاق، الذي أدى بالزوج إلى كسر ضِلَعِها وضياع أمرها، إلا نتيجة الغضبِ وقلة الحلم؟! ثم بعد ذلك يندمُ ولاة ساعة مندم، ويتأسف على ما مضى، ويرى أنه قد جنى على نفسه بالحرمان، وعلى زوجته بالعقوبة ولا ذنب لها، ويتَّم أولاده وهو لم يزل حياً.

ثم لا تسل بعد ذلك عن محاولات هذا الغِر في الرجوع إلى زوجته، واختلاق الكذب والمعاذير، فيذهب من قاضي إلى قاضي، ومن مفتٍ لآخر، ويستعين على حاجته بكل بر وفاجر، كل ذلك لمحو غلطة ارتكبها دون تفكير أو روية، أو تدرج في التأديب، مما تسبب في هدم لبنة كان بإمكانه معالجتها لو ملك عقله، وأشهر حلمه، وكف غضبه، وما ذنب الولد إذا خرج من بيته هلعاً، مكفهراً وجهه، ضائقاً صدره، ينطلق يمنة ويسره، يبحث عن سبب يزيل به همه، ويجلو به غمه، وسواءٌ عنده تلك الأسباب، كانت من الحلال أم من الحرام، ولربما استبشر به وبأمثاله وحوش الظلام، وذئاب المجتمع فيسير وراء تخبطهم،

ويضيع بضياعهم كل ذلك نتيجة غضبةٍ من أبيه أو أمه، أعقبها سبٌّ وشتمٌ ولطم، وربما طردٌ ولعنٌ، فيبدد بذلك شمل الأسرة، ويجعل البيت ناراً أو بركاناً ثائراً، وإن سمع من جاره شيئاً غضب، ورد أكثر مما قيل له، أو فعل به، فيصبح الجيران أعداء له وخصوماً، يكسب في كل يوم عدواً، ويفقد صديقاً، ويهدم بيتاً، وربما خسر تجارته، أو طُرد من وظيفته، أعاذنا الله وإياكم من الغضب، ومن سوءه وآثاره، ورزقنا وإياكم الحلم والتحلم إنه سميع قريب، أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ﴿۞ وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ ١٣٣ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلۡكَٰظِمِينَ ٱلۡغَيۡظَ وَٱلۡعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ١٣٤﴾ [سورة آل عمران، الآيتان: ١٣٣، ١٣٤].

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم ونفعني وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم.

الخطبـة الثانيـة

الحمد لله على إحسانه والشكر له على توفيقه وامتنانه، وأشهد أن لا إله إلا الله تعظيماً لشأنه، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله الداعي إلى رضوانه، صلوات الله وسلامه عليه وعلى أتباعه وإخوانه.

أما بعـد:

فيا أيها الناس: اتقوا الله، واعلموا أنه يجبُ علينا جميعاً أن نعمل بتعاليم ديننا الحنيف، وأن نأخذ بإرشادات نبينا صلوات الله وسلامه عليه، كما يجب علينا أن نقصر أنفسنا عن الغضب، ولا نتسرعَ فيما يعود علينا بالحسرة والندامة، والمرءُ المسلم مطالب بكتمان غيظه وإطفاء غضبه بما استطاع من تحلم وتصبر، واستعاذةٍ بالله من النفس والهوى والشيطان، وعليه أن يترفق أولاً في أهله، وثانياً برعيته وجيرانه، وعملائه ومواطنيه، فلا يكون عوناً لزوجته على النشوز، ولأبنائه على العقوق، ولجيرانه على الإساءة، ولرعيته على التمرد، وللناس كافة، على هجره، ومجانبته.

ويختلف الغضب في دنيا الناس، إذ يتراوح صعوداً وهبوطاً، باختلاف الأحوال والظروف، ولكنه من خلال الإطار الشرعي لا يخرج عن ثلاث مراتب:

المرتبة الأولى: مرتبة الاعتدال، بأن يغضب ليدافع عن نفسه أو دينه أو عرضه، أو ماله، ولولا ذلك لفسدت الأرض بانتشار الفوضى، وتقويض نظام الاجتماع، قال رسول الله ﷺ: «**من قتل دون ماله فهو شهيد ومن قتل دون عرضه فهو شهيد ومن قتل دون**

نفسه فهو شهيد» الحديث [رواه أحمد وابن حبان].

المرتبة الثانية: أن ينحط الغضب عن الاعتدال، بأن يضعف في الإنسان، أو يُفقد بالكلية، وهذه الحال مذمومة شرعاً، لاسيما إذا تعلقت بحرمات الله، قالت عائشة رضي الله عنها: «ما ضرب رسول الله ﷺ شيئاً قطُ، بيده، ولا امراةً ولا خادماً، إلا أن يجاهد في سبيل الله، وما نيل منه قط، فينتقم من صاحبه، إلا أن يُنتهك شيءٌ من محارم الله تعالى، فينتقمُ لله تعالى» [رواه مسلم].

والمرتبة الثالثة: أن يطغىٰ الغضبُ على العقل والدين، وربما جر صاحبه إلى ارتكاب جرائم كبيرة، وموبقاتٍ كثيرة، ولا يمكن التخلصُ من هذه العقبة، إلا بفعل ما أرشد إليه النبي ﷺ في قوله: «**إذا غضب أحدكم فليسكت**» [رواه أحمد].

واستب رجلان عند النبي ﷺ فاحمر وجه أحدهما غضباً فقال ﷺ: «**إني لأعلم لو قال [أعوذ بالله من الشيطان الرجيم لذهب عنه ما يجد]**» [رواه البخاري ومسلم].

هذا وصلوا رحمكم الله على خير البرية وأفضل البشرية محمد بن عبدالله بن عبدالمطلب صاحب الحوض والشفاعة.

كلكم لادم وادم من تراب

الخطبة الأولى

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا. من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمداً عبدهُ ورسوله.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ﴿١٠٢﴾ ﴾ [سورة آل عمران، الآية: ١٠٢].

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ﴿١﴾ ﴾ [سورة النساء، الآية: ١].

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ﴿٧٠﴾ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾ ﴾ [سورة الأحزاب، الآيتان: ٧٠، ٧١].

أما بعـد:

فإن الناس مازالوا منذ أذن فيهم إبراهيم عليه السلام بالحج، يفدون إلى بيت الله الحرام في كل عام، من أصقاع الأرض كلها، وأرجاءِ المعمورة جميعها، مختلفةً ألسنتهم، مَتباينةً بلدانهم،

متمايزةً ألوانهم، يفدون إليه، وأفئدتهم ترف إلى رؤيته والطواف به، الغني القادر والفقير المعدم، ومئات الألوف من هؤلاء، يتقاطرون من فجاج الأرضِ البعيدة، تلبيةً لدعوة الله، التي أذن بها إبراهيم عليه السلام، منذ سنين عديدة.

أيها المسلمون: إنه ليس من المستغرب أن يذكر المسلم شيئاً من قصة إبراهيم خليل الرحمن وشيخ الأنبياء، مع قومه المجرمين الظالمين، فعن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ قال: «**اقتلوا الوزغ، فإنه كان ينفخ النار على إبراهيم**»، وفي رواية لأحمد: «**إن إبراهيم لما ألقي في النار جعلت الدواب كلها تطفيء عنه إلا الوزغ، فإنه جعل ينفخها عليه**».

سبحانك يارب، أيُّ دين هذا الذي هديتنا إليه، ورزقتنا اتباعه، أيةُ مشاركةٍ تلك المشاركة، التي أوجدها الإسلام بين أفراده!!

منذ مئات السنين، وكلما رأى المسلمون وزغاً سارعوا إلى قتله. لماذا؟ أمن أجل أنه دويبةٌ صغيرة؟ فإن الدواب الصغار كثير، ولم نؤمر بقتلها جميعاً، أم من أجل أنه يلحق بالحشرات الضارة، فإن الحشراتُ الضارة لا تحصى، إذاً من أجل ماذا؟ من أجل أنه كان ينفخ النار على أبينا إبراهيم عليه السلام، ولأجل أن عدو إبراهيم إنما هو عدوٌ لكل مسلم، وسيبقى المسلمون على ذلك حتى يبعث الله الأرض ومن عليها، فلا وُد ولا محبة لأعداء الدين، ولو كانوا حشراتٍ صغيرةً كالأوزاغ.

إذاً، فالمسلمون كالجسد الواحد؛ إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالحمى والسهر، وبذلك يصير الدين الخالصُ أساسَ أخوةٍ وثيقةِ العرى، تؤلفُ بين أتباعه، في مشارق الأرض ومغاربها، وتجعلُ منهم على اختلاف الأمكنة والأزمنة، وحدةً

راسخة الدعامة، شامخة البناء، وهذه الوحدة هي روحُ الإيمان الحي، ولُبابُ المشاعرِ الرقيقة، التي يُكنها المسلم لإخوانه، حتى إنه ليحيا بهم، ويحيا معهم، وكأنهم أغصانٌ انبثقت من دوحة واحدة.

إن الأثرة الغالبة آفةُ الإنسان، وخدشُ فضائله، إذا سيطرت نزعتها على امرىءٍ محقت خيره، وأحيت شره، وحصرته في نطاقٍ ضيقٍ خسيس، لا يعرف إلا نفسه، ولا يهتاجُ بالفرح أو الحزن إلا لما يمسه من خير أو شر، أما الدنيا العريضة، والألوفُ المؤلفةُ من البشر المسلمين، فهو لا يعرفهم إلا في حدود ما يصل إليه عن طريقهم، ليحقق آماله أو يثير مخاوفه.

وقد حارب الإسلامُ هذه الأثرة الظالمة بالأخوة العادلة، فمن حق أخيك عليك أن تكره مضرته، وأن تبادر إلى دفعها، أما أن تكون ميت العاطفة، قليل الاكتراث ـ لأن المصيبة وقعت بعيداً عنك، فالأمر لا يعنيك ـ فهذا تصرفٌ لئيم، وهو مبتوت الصلة بمشاعر الأخوة العامرة، التي تمزج بين نفوس المسلمين، فتجعل الرجل يتأوه للألم ينزل بأخيه.

أيها المسلمون: إن الحجاج إذ يستبدلون بزيهم الوطني زي الحج الموحد، ويصبحون جميعاً بمظهر واحد، لا يتميز شرقيهم عن غربيهم، ولا عربيهم عن عجميعهم، كلهم لبسوا لباساً واحداً وتوجهوا إلى رب واحد، بذكر واحد: لبيك اللهم لبيك، لبيك لا شريك لك لبيك، إن الحمد والنعمة لك والملك لا شريك لك، وتراهم وقد نسوا كل الهتافات الوطنية وخلفوا وراءهم كل الشعارات القومية، ونكسوا كل الرايات العصبية، ورفعوا راية واحدة هي راية لا إله إلا الله، محمد رسول الله، يطوفون حول

بيت واحد، مختلطةً أجناسهم وألوانهم ولغاتهم، يؤدون نسكاً واحداً.

إن الإسلام يوم شرع الحج للناس، أراد فيما أراد من الحكم، أن يكونوا أمةً واحدة، متعاونةً متناصرة، متآلفةً متكاتفة، كمثل الجسد الواحد.

وبهذه الصفة وتلك الجموع يقرر الإسلام أنه ليست هناك دواع معقولة، تحمل الناس على أن يعيشوا أشتاتاً متناكرين، بل إن الدواعي القائمة على الطريق الحق، تمهد للمسلمين مجتمعاً متكافلاً تسوده المحبة، ويمتد به الأمان على ظهر الأرض، والله عزوجل رد أنساب الناس وأجناسهم إلى أبوين اثنين، ليجعل من هذه الرحم، ملتقى تتشابك عنده الصِّلات، وتستوثق العرى. ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْ ﴾ [سورة الحجرات، الآية: ١٣]. إنه التعارفُ لا التفاخُر، والتعاونُ لا التخاذل، فأما اختلاف الألسنة والألوان. واختلافُ الطباع والبلدان، فتنوعٌ لا يقتضي النزاع والشقاق، بل يقتضي التعاون للنهوض بجميع التكاليف، والوفاء بجميع الحاجات.

وليس للون والجنس واللغة والوطن، وسائر المعاني من حسابٍ في ميزان الله، إنما هنالك ميزانٌ واحد، تتحدد به القيم، ويعرف به فضلُ الناس ﴿ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ﴾ [سورة الحجرات، الآية: ١٣]، والكريم حقاً هو الكريم عند الله، فهو يزنكم عن علم وخبرة ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿١٣﴾ ﴾ [سورة الحجرات، الآية: ١٣].

وأخوَّةُ الدين تفرض التناصر بين المسلمين، لا تناصر العصبيات العمياء، بل تناصرُ المؤمنين المصلحين، لإحقاق الحق

وإبطال الباطل، وردع المعتدي وإجارة المهضوم، فلا يجوز ترك مسلمٍ يكافح وحده في معترك، بل لابد من الوقوف بجانبه على أي حال، لإرشاده إن ضل، وحجزه إن تطاول، والدفاع عنه إن هوجم، والقتال معه إذا استبيح، وذلك، معنى التناصر الذي قرره الإسلام، قال رسول الله ﷺ: «**انصر أخاك ظالماً أو مظلوماً**» [رواه البخاري وغيره].

ومما اتخذه الإسلام لصيانة الأخوة العامة، ومحو الفروق المصطنعة، توكيد **التكافؤ** في الدم والتساوي في الحق، وإشعار العامة والخاصة **بأن** التفاخر بالأنساب والألوان والأجناس، أمرٌ باطل، «لأن الكل **من** آدم وآدم من تراب» فما يفضل مسلمٌ صنوه إلا بميزةٍ يحرزها **لنفسه** بكده وجده، ألا وهي التقوى، فمن لا تقوى له، لم ينفعه **أسلافه** ولو كانوا تقاة الدنيا.

أيها المسلمون: لقد كان كل شيء يهون على كفار قريش، إلا تحطيم الفخر بالأنساب، والاغترار بالآباء والأجداد، وما كان يخفى عليهم ما في عقائدهم من سخف، ولم يخف عليهم أن ما يدعوهم إليه محمد ﷺ خير مما هم عليه من عقيدة، ولكنهم كانوا يدفعونها بكل ما يملكون من قوة.. لماذا؟ وما هو السبب؟ لأن ما يدعوهم إليه محمدٌ ﷺ فيه تحطيمٌ لسيادتهم وفوارقهم واعتزازهم بأنسابهم. فقد كانت جمهرة الحجيج تقف بعرفات وتُفيضُ منها، أما قريش.. فكانت تقف بالمزدلفة ومنها تُفيض، فجاء محمد ﷺ وهو من أشراف قريش يقف بعرفات، ويأمر الله قريشاً فيقول: ﴿ثُمَّ أَفِيضُواْ مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ ٱلنَّاسُ﴾ [سورة البقرة، الآية: ١٩٩] تحقيقاً للمساواةِ بين المسلمين.

وكان الرجل من أشراف قريش يأنفُ أن يزوج ابنته أو أخته من

الرجل العربي من عامة الناس، فجاء محمد ﷺ ـ وهو من قريش ـ فزوج ابنة عمه زينب بنت جحش من مولاه زيد، وثبت عنه ﷺ أنه قال: «**يا بني بياضة، أنكحوا أباهند، وأنكحوا إليه**» [رواه أبو داود والحاكم بسند جيد] وكان حجاماً رضي الله تعالى عنه.

وبهذا كله.. يقف الإسلام فريداً بين جميع أنظمة الدنيا، التي عرفها البشر قديماً وحديثاً. ويقف الإسلام. فريداً في مداراته لجميع أسباب النزاع والخصومات في الأرض، وإرخاصه لجميع القيم التي يتكالب عليها الناس، ليرفع لواء ضخماً واحداً، يتسابق الجميع ليقفوا تحته، ألا وهو لواءُ التقوى؛ الذي رفعه الإسلامُ لينقذ البشرية من أخطبوط العصبية للجنس، والعصبية للأرض، والعصبية للقبيلة، بل والعصبية ضد الرق ليقول ﷺ: «**من قتل عبده قتلناه، ومن جدع عبده جدعناه، ومن أخصى عبده أخصيناه**» [رواه أحمد والأربعة]، وينقذ البشرية من عصبية الرجل ضد المرأة، في الوقت الذي كانت الجاهليةُ تئدُ فيه البنات، فيقول الله عزوجل: ﴿وَإِذَا ٱلْمَوْءُۥدَةُ سُئِلَتْ ۝٨ بِأَىِّ ذَنۢبٍ قُتِلَتْ ۝٩﴾ [سورة التكوير، الآيتان: ٨، ٩] ويقول ﴿لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا ٱكْتَسَبُوا۟ وَلِلنِّسَآءِ نَصِيبٌ مِّمَّا ٱكْتَسَبْنَ﴾ [سورة النساء، الآية: ٣٢] قال ﷺ: «**ألا إن كل شيء من أمر الجاهلية. تحت قدميَّ موضوع**» [رواه مسلم وأبو داود وابن ماجة وغيرهم].

أقول قولي هذا واستغفر الله لي ولكم ولسائر المسلمين من كل ذنب فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبـة الثانيـة

الحمد لله على إحسانه، والشكر له على توفيقه وامتنانه، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له تعظيماً لشأنه، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، الداعي إلى رضوانه، صلى الله وبارك عليه وعلى آله وأصحابه.

أما بعـد:

فيأيها المسلمون: إنه في الوقت الذي جاء الإسلام فيه محارباً للعصبية، ومبطلاً لها، لم يترك باباً من أبوابها إلا أغلقه، ولا نافذة من نوافذها إلا طمسها، سوى عصبيةٍ واحدة، ذاتِ صفةٍ محمودة، وطبع مندوب، ألا وهي العصبية للدين والعقيدة الصحيحة، فلا توالي إلا في الدين، ولا تعادي إلا فيه، تحب من أحبه ولو كان أبعد بعيد، وتبغض من أبغضه ولو كان أقرب قريب، لا تغضب إلا لله، ولا تنتصر إلا لله، لله وحده، واعلموا أيها المسلمون، أن من لم يحمل شيئاً من ذلك، فهو ممقوت عند الله، منبوذ بين المسلمين تنفر منه الطباع السليمة، والقلوب المؤمنة، لا يحلو له طعام، ولا يهنأ له شراب، ولا يجد أثر السعادة، ولا يذوق حلاوة الإيمان، فهو نطيحة متردية. نعوذ بالله من ذلك.

ثم اعلموا أيها المسلمون أنكم وإن وفقتم لنزع العصبية الجاهلية من قلوبكم، وطهرتم منها مجتمعكم فلن تسلموا من عصبية كبرى خارجة عن إرادتكم، وهي ليس بأيديكم، ولا يمكن لمسلم ولا مسلمة أن يعيش على هذه البسيطة، إلا وينال من بلائها، ويذوق من مرارتها، إنها عصبية الكفار لكفرهم، تلكم

العصبيةُ التي تغلي في نفوسهم ضد المسلمين، والتي لم يسلم منها أحد حتى رسولُ الله ﷺ، فهذه العصبية باقيةٌ إلى قيام الساعة، لا تنطفيء نارُها، ولا ينام أربابها، وربما تقنعوا بأقنعة كثيرة لتغطيتها، إلا أنها لا تخفى على ذي لُبٍ من المسلمين.

وهي وإن علت تارةً، وانخفضت أخرى، إلا أنها في هذا العصر، قد كشرت عن أنيابها، وشمرت عن سواعدها، فلم تعد تلكم الأقنعة، تجدي، ولم يبق لذلك التلون من سبيل، إذ لم يبق إلا أن أعلنوها صريحةً واضحة، وهذا الإعلان، وتلكم الصراحة، لم تكن بخط اليد، ولا بنطق اللسان فحسب، بل بنطق الدماء، وبكاء الثكالى، وأنين الأيتام إنه الدمُ المسلمُ المهراق.

فاتقوا الله أيها المسلمون، وصلوا على من أمركم الله بالصلاة عليه، فقال عز من قائل عليم ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيْهِ وَسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا ﴿٥٦﴾﴾ [سورة الأحزاب، الآية: ٥٦]،

اللهم انصر دينك وكتابك وسنة نبيك وعبادك المؤمنين.

اللهم فرج هم المهمومين من المسلمين، ونفِّس كرب المكروبين، واقض الدين عن المدينين، واشف مرضانا ومرضى المسلمين. برحمتك يا أرحم الراحمين.

ربنا آتنا في الدنياحسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار.

عباد الله اذكروا الله العظيم يذكركم، واشكروه على نعمه يزدكم ولذكر الله أكبر والله يعلم ما تصنعون.

خطبة الخسوف[١]

الخطبة الأولى

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا. من يهده الله فلا مضل له. ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمداً عبدهُ ورسوله.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ﴿١٠٢﴾ ﴾ [سورة آل عمران، الآية: ١٠٢].

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ﴿١﴾ ﴾ [سورة النساء، الآية: ١].

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ﴿٧٠﴾ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾ ﴾ [سورة الأحزاب، الآيتان: ٧٠، ٧١].

أما بعد:

فقد خسفت الشمس في عهد رسول الله ﷺ فقام رسول الله ﷺ

---

(١) هذه الخطبة ألقيت ارتجالاً وأثبتت هنا بعد أن فرغت من الشريط المسجل.

يصلي، فظن الناس أنها خسفت لموت ابنه إبراهيم.

فلما انصرف من صلاته خطب الناس؛ فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: «**إن الشمس والقمر من آيات الله وإنهما لا ينخسفان لموت أحدٍ ولا لحياته فإذا رأيتموهما فكبروا وادعوا الله وصلوا وتصدقوا، ياأمة محمد إنْ من أحدٍ أغْيَرُ من الله أن يزني عبده أو تزني أمته، ياأمة محمد والله لو تعلمون ما أعلم لبكيتم كثيراً ولضحكتم قليلاً، وقال رأيت في مقامي هذا كل شيء وُعدتم، ولقد رأيت جهنم يحطم بعضها بعضاً، وإني رايتكم تفتنون في القبور كفتنة الدجال.**

عرضت علَّى النار فرأيت امرأة من بني إسرائيل تعذب في هرة لها. ربطتها فلم تطعمها ولم تدعها تأكل من خشاش الأرض.

وقال: رأيت النار فرأيت أكثر أهلها النساء قالوا بم؟ قال بكفرهن، قيل: أيكفرن بالله؟ قال يكفرن العشير، لو أحسنت إلى إحداهن الدهر ثم رأت منك شيئاً قالت ما رأيت منك خيراً قط، ثم قال: فما من شيء توعدونه إلا قد رأيته في صلاتي هذه» [رواه مسلم].

أيها المسلمون: إن هذا الحدث الكوني من خسوف القمر وكسوف الشمس قد اشترك المسلم والكافر في معرفته قبل حدوثه، ولكن ينبغي أن يتميز المسلم عن الكافر بأن يؤدي ما أمر به الرسول ﷺ من الصلاة والفزع والدعاء والذكر والتوبة.

أيها المسلمون: إن هذه الآيات وهذه الابتلاءات جعلها الله أسباباً ليستيقظ المسلمون من غفلتهم، ويحاسبوا أنفسهم، ويلتفتوا إلى واقعهم فيصححوا ما فيه من أخطاء. إن الأمة الإسلامية في هذا الوقت قد بلغت من الذل والمهانة ما الله به

عليم، وتشققت عصاها، فإخواننا في البوسنة والهرسك يشكون اعتداء الصرب، وفي الصومال يشكون الجوع وهناك يشكون الزلازل، ولا يخلو مكان من بلاد المسلمين إلا وفيه مصيبة وفتنة.

مالي وللنجم يرعاني وارعاه
امسى كلانا يعاف الغمض جفناه
أنّىٰ اتجهت إلى الإسلام في بلد
تجده كالطير مقصوصاً جناحاه
كم صرفتنا يد كنا نصرفها
وبات يحكمنا شعب ملكناه

أيها المسلمون: لقد قال الله عزوجل: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِي ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا﴾ [سورة النور، الآية: ٥٥].

وقال: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٨٢﴾﴾ [سورة الأنعام، الآية: ٨٢].

﴿وَلَن يَجْعَلَ ٱللَّهُ لِلْكَٰفِرِينَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا ﴿١٤١﴾﴾ [سورة النساء، الآية: ١٤١].

ولسائل أن يسأل ويقول: إن الله قد وعد عباده المؤمنين بالرفعة والعلية والتمكين، وهو صادق الوعد، ومع ذلك نرى في هذا العصر خلاف ذلك؛ فأهل الإسلام هم أضعف الناس، ودم المسلم هو أرخص الدماء المهراقة.

قتل امريء في غابة جريمة لا تغتفر
وقتل شعب كاملٍ مسألة فيها نظر

فأقول: نعم لقد وعد الله بذلك وهو صادق الوعد ولا يخلف الميعاد. ولكنني أقول إن الوعد الذي وعد به الله إنما هو للمؤمنين الصادقين الذين توفرت فيهم ركائز الإيمان، فإن هؤلاء المؤمنين الذين وعدهم الله عز وجل بالنصرة والغلبة قد بين صفاتهم في كتابه فقال: ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ۝٢ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ۝٣ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ۚ لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ۝٤ ﴾ [سورة الأنفال، الآيات: ٢ـ٤] فهذه خمس صفات ذكرها الله عزوجل.

الصفة الأولى: ﴿ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ ﴾ أي خشعت لله وذلت واستكانت لربها وخالقها.

وأكثر ذكره في الأرض دأباً
لتذكر في السماء إذا ذكرت
وناد إذا سجدت له اعترافاً
بما ناداه ذا النون بن متى

الصفة الثانية: ﴿ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا ﴾ وذلك مصداقاً لقوله: ﴿ وَإِذَا مَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُم مَّن يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَٰذِهِۦٓ إِيمَٰنًا ۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فَزَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ۝١٢٤ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَىٰ رِجْسِهِمْ وَمَاتُوا۟ وَهُمْ كَٰفِرُونَ ۝١٢٥ ﴾ [سورة التوبة، الآيتان: ١٢٤، ١٢٥].

فإذا تلوا آيات الأمر ائتمروا بها، وإذا تلوا آيات النهي انتهوا عنها.

الصفة الثالثة: ﴿ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ۝٢ ﴾ أي يعتمدون ويفوضون أمرهم إلى الله، وأنه لا غالب إلا الله، ولا ناصر إلا

الله، وأن الأمة لو اجتمعت على أن يضروا الإنسان لم يضروه إلا بشيء قد كتبه الله عليه، ولو اجتمعوا على أن ينفعوه لم ينفعوه إلا بشيء قد كتبه الله له.

وإنـــي لأدعـــو الله حتـــى كـــأنمـــا
أرى بجميـــل الظـــن مـــا الله صـــانـــع

الصفة الرابعة: ﴿ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ﴾. أي يؤدونها حق تأديتها بتوفر شروطها وأركانها وواجباتها وعملاً بقوله ﷺ: «**صلوا كما رأيتموني أصلي**» [رواه البخاري].

فقـل لبـلال العـزم مـن قلـب صـادق
أرحنـا بهـا إن كنـت حقـاً مصليـاً
توضأ بماء التوبة اليوم مخلصاً به
تـــرقـــى أبـــواب الجنـــان الثمـــانيـــا

وهم مع ذلك يواظبون عليها، ولا يؤخرونها عن وقتها حتى في أحلك الظروف؛ أمام العدو كما قال تعالى: ﴿وَإِذَا كُنتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ ٱلصَّلَوٰةَ فَلْتَقُمْ طَآئِفَةٌ مِّنْهُم مَّعَكَ وَلْيَأْخُذُوٓاْ أَسْلِحَتَهُمْ . .﴾ [سورة النساء، الآية: ١٠٢].

نحـــن الـــذيـــن إذا دعـــو لصـــلاتهـــم
والنـــار تسقـــي الأرض جـــامـــاً أحمـــراً
جعلوا الوجوه إلى الحجاز فكبروا
فـــي مسمـــع الـــروح الأميـــن فكبـــرا

الصفة الخامسة: ﴿وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ۝٣﴾. عملاً بقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنفِقُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا كَسَبْتُمْ﴾ [سورة البقرة، الآية: ٢٦٧]. وقوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنفِقُواْ مِمَّا رَزَقْنَٰكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ يَوْمٌ لَّا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا شَفَٰعَةٌ﴾ [سورة البقرة،

الآية: ٢٥٤].

وقد عرف ذلك عن الصحابة رضي الله عنهم. فهذا عمر ينفق نصف ماله، وهذا أبوبكر ينفق ماله كله في سبيل الله.

إن الكريم ليخفي عنك عسرته
حتى تراه غنياً وهو مجهود

إذاً أيها الأخوة هذه خمس صفات ذكرها الله عزوجل عن المؤمنين فلتنظروا في حالنا، فإن تحققت فأبشروا بالنصر ويتحقق وعد الله، وإن كان غير ذلك فحذار أن:

نعيب زماننا والعيب فينا
وما لزماننا عيبٌ سوانا

أيها المسلمون: علينا جميعاً في هذا المكان الطاهر أن نتوب إلى الله ونبتهل إليه ونستغفره من ذنوبنا فإن باب التوبة مفتوح، قال عزوجل: ﴿أَلَمْ يَعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِۦ﴾ [سورة التوبة، الآية: ١٠٤].

وقال ﷺ: **«إن الله يقبل توبة العبد ما لم يغرغر»** [رواه أحمد والترمذي وغيرهما].

وتقبل التوبة قبل الغرغرة
كما أتى في الشريعة المطهرة
كذاك لا يكون سد بابها
قبل طلوع الشمس من مغربها

ولكن ياعباد الله اعلموا أن التوبة لها شروط ذكرها أهل العلم، وهي: الندم على ما مضى، والعزم على ألا يعود، والإقلاع عن المعصية. وإن كان بينه وبين مخلوق مظلمة فإنه يؤديها إليه، أو يطلب العفو منه.

شروط توبتهم إن شئت جملتها
ثـلاث رتبـت فـافهـم علـى مهـل
إقـــلاعـــه نـــدم وعـــزمـــه أبـــداً
ألا يعـود لمـا منـه جـري، وقـل:
إن كـان تـوبتـه مـن ظلـم صـاحبـه
لابـد مـن رده الحـق فـي عجـل

أرباب السحر والكهانة

الخطبـة الأولـى

الحمد لله الكريم الوهاب، خالق خلقه من تراب، غافرِ الذنب وقابلِ التوب شديد العقاب، ذي الطول لا إله إلا هو إليه المصير، وأشهد أن لا إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، خيرُ من صلى لربه وأناب، صلى الله عليه وعلى آله والأصحاب، ومن سار على نهجهم واتبع طريقهم إلى يوم الدين.

أما بعـد:

فيا أيها الناس: إن وضع كثير من الناس في هذا العصر وضع عجيب، وضع اختلط فيه العلمُ بالجهل، والحقيقةُ بالخرافة، وهذا الوضع العجيبُ في هذا العالم الفسيح بدا ظاهره جميلاً خلاباً، يخدع السذج والرعاع، ويفتن قلوب الدهماء من الناس، وفي المقابل.. بدا باطنه سيئاً نتناً، يتجافى عنه أولو الألباب، وينفرُ منه ذووا الفطر السليمة، والقلوب المستنيرة.

إن الله جل وعلا قد أكرم أمة الإسلام بنعمتين عظيمتين، لا يمكن أن تستقل إحداهما دون الأخرى، ألا وهما نعمتا الدين

والعقل، نعمةُ الدين الصحيح ونعمة العقل الصريح، فلا دين بلا عقل، إذ لا تكليف حينئذٍ. ولا عقل بلا دين إذ أنها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور، والدين الصحيح قد أكمله الله بخاتم النبيين وسيد المرسلين صلوات ربي وسلامه عليه، فلا نسخ بعد وفاته ولا تبديل، وسيبقى الدين على ذلك إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها وهو خير الوارثين، بيد أن العقل لدى كثير من الناس في هذا العصر، قد كبا كبوة مثيرة، وزل زلة خطيرة، فجمهور من الناس قد أصابتهم لوثات وعلل؛ أزرت بقدراتهم العقلية، مذ أسلموا عقولهم لأيادي الهدم التي لبست قفاز العلم، واستطاعت من وراء هذا القفاز أن تصافح كثيراً من العقول، وأن تتسلل إلى كثير من البيئات والأوساط، دون أن يداخل الناس شك في أمرها، والتي أدت إلى تلوث الحياة الاجتماعية لدى كثير من المسلمين، بسبب تخلفهم، وإبان غفلة من علمائهم وفقهائهم.

وإن مما يؤخذ على كثير من الناس في عصرهم الحاضر، عدم الالتزام بالمنهج الصحيح، فيما يتعلق بأمور الغيب، حيث آمن بعضهم بالخرافة، ورضي آخرون بالكهانة، فباتوا سادرين على باطلهم، لاهين بالسجع والتخمين، يقذفون بالغيب في كل حين، ناسين أن الغيبيات لا مصدر لها إلا الكتابُ والسنة، أما أخبارُ الناسِ فليست مصدر علم غيبي، بل إنها محور أساطير وأوهام، وخليطُ كلام يأتي به مسترقوا السمع من السماء، والإسلام دين يزيل الخرافة من الفكر، والرذيلة من القلب، والشرود من المسيرة، فالإيمان بالغيب ليس إيماناً بالوهم، ولا إيذاناً بالفوضى.

عباد الله:

لقد توصل بعض الباحثين في تاريخ البشرية، والنفس الإنسانية، إلى أن كثيراً من الناس، لهم ولع شديد بمعرفة الغيب، والتطلعُ إلى هذا طبيعةُ بعض البشر، ولذلك تجد كثيراً من الناس يتشوفون إلى الوقوف على ذلك في المنام.

ومن هذا المنطلق لم يقنع البعض من البشر بما أخبرتهم به رسلهم؛ من غيوب ماضية، وغيوب آتية، فذهبوا يتكشفون الغيب الماضي والحاضر، وزعموا بذلك أن لبعض البشر قدرةً وملكةً على معرفة الغيب، فقام في كل عصرٍ وفي كل مصرٍ، أقوام يزعمون أن لديهم القدرة على معرفة الأحداثِ الآتية، والكائنات الغائبة.

لقد جرَّت الحياةُ المادية الجافة، بلاءً عظيماً للبشرية، فقست القلوب، وجفت ينابيعُ الخير في أرواح كثير من الناس في هذا العصر، فبرزت العقدُ والمشكلات النفسية، التي أصبحت سمةً بارزةً في هذا العصر، فأخذ كثير من الذين فقدوا راحة القلب، وطمأنينة النفس، وطعم الإيمان في قلوبهم، أخذوا يلجئون إلى السحرة والمشعوذين؛ يبحثون عندهم عن حل لمشكلات عجزوا هم عن حلها، فكانوا كالمستجير من الرمضاء بالنار، ولسان حالهم يقول: وداوني بالتي كانت هي الداءَ.

وشر البلية ضلال بعد الهدى، وعمى بعد البصيرة، فلقد خلق الله الخلق يميلون بفطرهم إلى التوحيد؛ دين الفطرة، فانحاز الشياطينُ بفريق منهم، فحولوهم عن طريق الهدى، وانحرفوا بهم عن مسلك الرشاد، قال رسول الله ﷺ فيما يرويه عن ربه: «**خلقت عبادي حنفاء فاجتالتهم الشياطين**»، وقال تعالى: ﴿ وَيَوْمَ

﴿يَٰمَعۡشَرَ ٱلۡجِنِّ قَدِ ٱسۡتَكۡثَرۡتُم مِّنَ ٱلۡإِنسِۖ وَقَالَ أَوۡلِيَآؤُهُم مِّنَ ٱلۡإِنسِ رَبَّنَا ٱسۡتَمۡتَعَ بَعۡضُنَا بِبَعۡضٖ وَبَلَغۡنَآ أَجَلَنَا ٱلَّذِيٓ أَجَّلۡتَ لَنَاۚ قَالَ ٱلنَّارُ مَثۡوَىٰكُمۡ خَٰلِدِينَ فِيهَآ إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُۚ﴾ [سورة الأنعام، الآية: ١٢٨]، فهؤلاء الجن أضلوا كثيراً من الإنس بتزيينهم الباطل والضلال لهم، وإن من الباطل الذي زينه الشياطين واستدرجوا الإنس إليه، تعاطي السحر بمختلف صوره وأشكاله، وتصديق الكهنة، والاعتماد على كذب المنجمين والرمالين والدجاجلة والمشعوذين، الذين يزعمون الاطلاع على الغيب والكشف عن المخبأ.

ولا ينبغي أن يغيب عن بالنا جميعاً أن السحر يقوم في بعض صوره، على الاتصال بالجن من شِرار الخلق، وينبغي أن يكون ذلك مسلماً عند كل مسلم قرأ ما جاء في قصة هاروت وماروت، وما جاء من الاستعاذة بالله من السحرة، وشر شرار خلقه ـ من الجن والإنس ـ في المعوذتين.

أيها الناس: إن السحر حقيقة موجودة، ولها تأثير في واقع الناس، ولو لم يكن موجوداً وله حقيقة لما وردت النواهي عنه في الشرع، والوعيد على فاعله، والعقوباتُ الشرعية على متعاطيه، فكم فرَّق السحرة بين زوجٍ وزوجته، وبين صديق وصديقه، وتاجرٍ وتجارته، وموظفٍ ووظيفته. وكل هذا حقيقة لا مكابرة فيها.

أيها المسلمون: لقد عرف من خلال تتبع أحوال السحرة والمسحورين، أن للسحر أنواعاً كثيرة، من حيثُ تأثيرها على المسحور؛ فمنه سحر التفريق الذي قال الله فيه: ﴿فَيَتَعَلَّمُونَ مِنۡهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِۦ بَيۡنَ ٱلۡمَرۡءِ وَزَوۡجِهِۦۚ﴾ [سورة البقرة، الآية: ١٠٢]. ومنه سحرُ المحبة، الذي سماه رسول الله ﷺ بـ

«التولة» حيث قال صلوات الله وسلامه عليه: «**إن الرقي والتمائم والتولة شرك**»[رواه أحمد وأبو داود] والتولة: هو ما يصنعونه ويزعمون أنه يحبب المرأة إلى زوجها، وهو ضرب من السحر، وإنما جعله رسول الله ﷺ من الشرك، لما يراد به من دفع المضار، وجلب المنافع من غير الله تعالى.

ومن السحر أيضاً، سحرُ التخييل، كأن يرى الشيء الثابت متحركاً، والمتحرك ثابتاً، كما قال تعالى عن موسى ﴿يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِن سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَىٰ ﴿٦٦﴾﴾ [سورة طه، الآية: ٦٦].

ومنه سحرُ الخمول، بحيث يحبب إلى المسحور حب الوحدة، والصمت الدائم، والشرود الذهني، وما شابه ذلك من ألوان السحر وضروبه. ومن الأمور المغرضة المبنية على السحر والشعوذة والتدجيل، ما يروجه أدعياءُ الروحية الحديثة، تلكم الدعوة الهدامة التي يزعم أربابها أنهم يحضرون أرواح الموتى بأساليب علمية، ويستفتونهم في مشكلات الغيب ومعضلاته، ويستعينون بهم في علاج المرضى، والإرشادِ على المجرمين، والكشف عن الغيب، ويدَّعون أن الأرواح التي تخاطبهم تعيش في هناء وسعادة رغم أنها كافرة، ليهدموا بذلك عقيدة التوحيد، والبعثِ والجزاء، والإيمان والكفر، والجنة والنار.

وكل ذلك يكون تحت شعارات براقة؛ كالإنسانية والإخاء، والحرية والمساواة، للتمويه على السذج والبسطاء، وعملهم كله منصب على زعزعة الدين من النفوس، وكلامهم صريح في أن الروحية الحديثة دين جديد، يدعوا إلى العالمية، ونبذ كل الأديان، ليستلوا بذلك الإيمان من صدور الناس، ويسلموهم إلى خليط مضطرب من الظنون والأوهام.

وأعمال أولئك الروحيين تدخل في واحد من أقسام ثلاثة؛ أولها: الغش والخداع، وثانيها: التأثيرُ المغناطيسي على الحاضرين، وثالثها: الاتصال بشرار خلق الله من الجن.

وأول من سار في ركاب هذه الفكرة هي الأمة الكافرة، التي اكتنفتها كل صور الإباحية والإلحاد، ولئن نستنكرُ على أمم الكفر ما يسمى مجالس تحضير الأرواح، فإننا لنستغرب من بعض المسلمين عدم مبالاتهم بالأمر ونتائجه، فربما سمح أحدهم لنفسه طمعاً في استكشاف غيب، أو إبراء مريض كما يزعمون، أن يحضر تلك المجالس، وربما وضع الجنُّ له طعماً في كلمة تصدق، أو حاجةٍ تُقضى، فيلقى لها زمامه كله، فإذا هو بعد حين، ناكب عن الصراط المستقيم، والجن لهم قدرة أبعد مدى من قدرة البشر، ولكنهم لا يعلمون الغيب، وما يكون غيباً أحياناً بالنسبة لنا، قد يكون عياناً بالنسبة لهم، لما وهبهم الله من قوة خارقة، كما قال تعالى عن عفريت سليمان: ﴿قَالَ عِفْرِيتٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَن تَقُومَ مِن مَّقَامِكَ وَإِنِّى عَلَيْهِ لَقَوِىٌّ أَمِينٌ ﴿٣٩﴾ قَالَ ٱلَّذِى عِندَهُۥ عِلْمٌ مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ﴾ [سورة النمل، الآيتان: ٣٩ـ٤٠] يعني بذلك عرش ملكة سبأ.

فأنت ترى أيها المسلم أن الحِدأة، ترى من الجو ما لا نراه نحن تحت أقدامنا، ومع ذلك لا يمكن أن يقال إنها تعلم الغيب، وبالتالي فإن ما يدور في مجالس تحضير الأرواح لا يدل على شيء ذي بال، ولا يسوغ أبداً أن يكون ذريعةً لترك ما نعلمُ من شرائع الإسلام.

عباد الله:

أما الكهانة والتنجيم، فحدث عن المحزن المبكي ولا حرج.

المحزن. حينما ترى الترهات، وتسمع الرجم بالغيب من أخلاء الشياطين، والمبكي.. يوم أن ترى الرعاع من المسلمين لا هم لهم إلا أن ينصتوا إلى دجل الدجالين، ومدعي قراءة الكف والفنجان، وإلى السيل المتضارب من تنبؤاتهم عما سيحدث في العالم، خلال يوم جديد، أو أسبوع سيطل، أو شهرٍ أوشك حلوله، أو عامٍ مرتقب، ويمضي الكثيرون في دجلهم، ويحددون بذلك مستقبلَ الأبراج، فسعيدون هم؛ أصحاب برج الجدي. وأغنياء هم؛ أصحاب برج العقرب، أما أصحاب برج الجوزاء فيالتعاسة الحظ، وخيبة الأمل، إلى غير ذلك من سيل الأوهام الجارف.

وإن لنا ياعباد الله، في أحقاب الزمن من ذلك أشكالاً وألواناً، يمثله أدعياء الكهانة والتنجيم، والتخمين والتدجيل، فهذا ابن صياد ـ الكاهن الذي ادعى النبوة ـ لقيه رسول الله ﷺ في الطريق فقال له: «**قد خبأت لك خبئاً**»، قال ابن صياد: هو الدخ، فقال رسول الله ﷺ: «**اخسأ، فلن تعدو قدرك**». [رواه البخاري]. فابن صياد أراد أن يقول هو الدخان، فلم يستطع فقال هو الدخ، وفي رواية عند أحمد أن رسول الله ﷺ قال: «وخبأت له يوم تأتي السماء بدخان مبين» فابن صياد اندهش، فلم يقع عليه من إلقاء الشيطان، إلا بعض لفظ «الدخان» وهو «الدخ».

وذكر شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «أن علياً بن أبي طالب رضي الله عنه، عندما أراد المسير لقتال الخوارج، عرض له منجمٌ فقال له: يا أمير المؤمنين لا تسافر فإن القمر في العقرب، فإنك إن سافرت والقمر في العقرب هزم أصحابك، فقال علي رضي الله عنه: بل نسافر ثقة بالله، وتوكلاً على الله، وتكذيباً لك،

فسافر فبورك له في ذلك السفر، حتى قتل عامة الخوارج، وكان ذلك من أعظم ما سُر به رضي الله عنه.

ومن تلك المفتريات التي دونها التاريخ، وأصبحت وصمة عار على جبين الكهان والمنجمين؛ هو كذبهم حينما ادعوا أن الخليفة المعتصم لا يمكنه فتح مدينة عمورية قبل أن ينضج التين والعنب، وانتشر الخبر بين الناس، فأكذب الله المنجمين وأعز المسلمين، وكان الفتح استجابة لصرخة امرأة مسلمة أذلها الروم، فصاحت وامعتصماه، فبرز أحد الشعراء بقصيدة عصماء، عرَّض فيها لدجل المنجمين وكذبهم، فمما قال:

السيف أصدق أنباء من الكتب
في حده الحد بين الجد واللعب
أين الرواية بل أين النجوم وما
صاغوه من زخرف فيها ومن كذب
وخوفوا الناس من وهياء مظلمةٍ
إذا بدا الكوكب الغربي ذو الذنب
تسعون ألفاً كآساد الشرى نضجت
أعمارهم قبل نضج التين والعنب

وعندما ظهر كذب أدعياء الغيب، لم يكف الناس عن تصديق مثل هذه الخزعبلات، فلايزال يظهر بين الفينة والأخرى مسيلمة آخر، ودجالون كذابون، والله المستعان.

فاتقوا الله **أيها المسلمون**، واعلموا أن التوحيد ينبغي أن يغمر قلوب الناس، ليصبح توحيداً خالصاً، فلا يعتصم الناس إلا بالله، ولا يلجأون إلا إلى الله، فالله وحده هو الذي عنده مفاتح الغيب لا يعلمها إلا هو، ويعلم ما في البر والبحر، وما تسقط من ورقة إلا يعلمها، ولاحبة في

ظلمات الأرض، ولا رطب ولا يابس إلا في كتاب مبين.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم بسم الله الرحمن الرحيم ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ۝١ مِن شَرِّ مَا خَلَقَ ۝٢ وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ۝٣ وَمِن شَرِّ ٱلنَّفَّٰثَٰتِ فِى ٱلْعُقَدِ ۝٤ وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ﴾ [سورة الفلق، الآيات: ١ـ٥].

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم، أقول ما تسمعون، واستغفر الله فاستغفروه، إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده.

أما بعد:

فاتقوا الله أيها المسلمون، واعلموا أن السحر والشعوذة والكهانة انحراف قديم، أضل به الشيطان جبلاً كثيراً من بني الإنسان، وأفسد بذلك فطرتهم، وعبَّدهم لغير الله، فأوبقهم وأهلكهم، والإسلام لا يرضى لأتباعه، أن يلجأوا إلى السحر والسحرة؛ لا في كشف المخبأ، ولا في حل السحر عن المسحور. فالساحر ضال كافر، خارج عن ملة الإسلام، قال تعالى: ﴿وَلَا يُفْلِحُ ٱلسَّاحِرُ حَيْثُ أَتَىٰ ﴿٦٩﴾﴾ [سورة طه، الآية: ٦٩] فقد نفى الله الفلاح بجميع أنواعه عن الساحر، وذلك دليل على كفره، لأن الفلاح لا ينفى بالكلية نفياً عاماً، إلا عمن لا خير فيه، وهو الكافر، وقد عرف باستقراء القرآن أن الغالب فيه، أن لفظة (لا يفلح) يراد بها الكافر، ومن تتبع آيات القرآن وجد ذلك.

وقال تعالى: ﴿وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَآ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ﴾ [سورة البقرة، الآية: ١٠٢]. ووجه ذلك الكفر، هو أن الشياطين خبيثةٌ نفوسُهم، فإذا تقرب صاحب العزائم والأقسام إليهم بما يحبونه من الكفر والشرك، صار ذلك كالرشوة لهم، فيقضون بعض أغراضه، ولهذا فإن كثيراً من السحرة يتقرب إلى الشياطين؛ بالسجود لهم، أو يذبح لهم، أو يستغيث بهم، أو يطأ على المصحف، أو يبول عليه، أو يوقع النجاسة عليه، أو ما شابه ذلك من أنواع الكفر والضلال.

وحدُّ الساحر ضربُهُ بالسيف، كما صح ذلك عن جمع من

الصحابة رضي الله عنهم وثبت في البخاري عن عمر رضي الله عنه أنه قال: «اقتلوا كل ساحر وساحرة» وقتل ثلاثُ سواحر على عهد عمر رضي الله عنه.

وروى البيهقي «أنه كان عند الوليد بن عقبة رجل يلعب، فذبح إنساناً فأبان رأسه ثم أعاده فقال الناس: سبحان الله يحيي الموتى، فجاء جُندَبُ الأزديُّ فقتله، وقال: إن كان صادقاً فليحيي نفسه».

أما الكهانة والعرافة فداء خطير، وشر مستطير، حسم الشرع أمره، فقد ثبت في صحيح مسلم عن النبي ﷺ أنه قال: «**من أتى عرافاً فسأله عن شيء لم يقبل له صلاة أربعين ليلة**» الله أكبر، لم تقبل له صلاة أربعين ليلة لمجرد سؤالٍ سأله، إذاً فكيف تكون حالُ من يسألُ الكاهن فيصدقه بما يقول؟ هذا ما ذكره رسول الله ﷺ في الحديث الآخر بقوله: «**من أتى عرافاً أو كاهناً فصدقه بما يقول، فقد كفر بما أنزل على محمد**» [رواه أحمد وغيره بسند صحيح].

فإذا كانت هذه حال السائل، فكيف بحال المسؤول أيها المسلمون، إنه الكفر البواح، والضلال المبين.

وربما يغتر بعض السذج من الناس فيقولون: إن هؤلاء العرافين والكهان يحدثوننا بأشياء تصدق أحياناً، فكيف نصفهم بالكفر والضلال، فنقول لهم: قد ثبت عن النبي ﷺ أنه سُئل عن الكهان؟ فقال: «**ليسوا بشيء**» فقالوا يارسول الله، إنهم يحدثون أحياناً بالشيء يكون حقاً، فقال رسول الله ﷺ: «**تلك الكلمة من الحق يخطفها الجني فيقرقرها في أذن وليه، كقرقرة الدجاج، فيخلطون معها، أكثر من مائة كذبه**» [رواه البخاري].

﴿هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَىٰ مَن تَنَزَّلُ الشَّيَاطِينُ ﴿٢٢١﴾ تَنَزَّلُ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ ﴿٢٢٢﴾ يُلْقُونَ السَّمْعَ وَأَكْثَرُهُمْ كَاذِبُونَ ﴿٢٢٣﴾﴾ [سورة الشعراء، الآيات: ٢٢١-٢٢٣].

ثم اعلموا أيها المسلمون: أن في عالم الخفاء من الجن شريرين ومفسدين وكفاراً ضالين ﴿وَأَنَّا مِنَّا الْمُسْلِمُونَ وَمِنَّا الْقَاسِطُونَ﴾ [سورة الجن، الآية: ١٤] أي الظالمون الجائرون ﴿فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُولَٰئِكَ تَحَرَّوْا رَشَدًا ﴿١٤﴾ وَأَمَّا الْقَاسِطُونَ فَكَانُوا لِجَهَنَّمَ حَطَبًا ﴿١٥﴾﴾ [سورة الجن، الآيتان: ١٤، ١٥].

وقال تعالى عن أولئك الجن، الذين لا يعلمون الغيب ﴿وَأَنَّا لَا نَدْرِي أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَن فِي الْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا ﴿١٠﴾﴾ [سورة الجن، الآية: ١٠] فمن استغاث بهم وعاذ بهم فقد أرهق نفسه وعرضها للشر والتهلكه ﴿وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ الْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ الْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا ﴿٦﴾﴾ [سورة الجن، الآية: ٦].

فالواجب على ولاة أمور المسلمين في كل مكان، أن يقيموا شرع الله ويحاربوا كل أنواع الدجل، ويوقعوا بأصحابها العقوبة الشرعية إذ لا نجاة من السحرة والأشرار، إلا بسيفٍ شهيرٍ صارمٍ بتار، بحد مرهفٍ، يستأصلُ رقبة كلِ ساحر وساحرة وكاهن وكاهنة.

هذا وصلوا رحمكم الله على خير البرية، وأفضل البشرية، محمد بن عبدالله بن عبدالمطلب صاحب الحوض والشفاعة.

اللهم صل وسلم على عبدك ورسولك محمد، وعلى أهل بيته الطيبين الطاهرين وعن الصحابة والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

اللهم أعز الإسلام والمسلمين، وأذل الشرك والمشركين، ودمر

أعداء الدين، واجعل هذا البلد آمناً مطمئناً وسائر بلاد المسلمين، اللهم من أرادنا وأراد الإسلام والمسلمين بسوء فأشغله بنفسه، واجعل تدبيره تدميره، ياسميع الدعاء، اللهم انصر دينك وكتابك وسنة نبيك وعبادك الصالحين، اللهم فرج هم المهمومين من المسلمين، وفك سحر المسحورين، واقض الدين عن المدينين واشف مرضانا ومرضى المسلمين.

اللهم آمنا في أوطاننا، وأصلح أئمتنا وولاة أمورنا..

اللهم وفق ولي أمرنا لما تحبه وترضاه..

ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة.

عباد الله: إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي، يعظكم لعلكم تذكرون.

فاذكروا الله العظيم يذكركم واشكروه على نعمه يزدكم، ولذكر الله أكبر، والله يعلم ما تصنعون.

معركة المراغمة مع الشيطان

الخطبـة الأولى

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه، ونستغفره ونتوب إليه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا اللهُ وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسولهُ.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ﴿١٠٢﴾ ﴾ [سورة آل عمران، الآية: ١٠٢].

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ﴿١﴾ ﴾ [سورة النساء، الآية: ١].

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ﴿٧٠﴾ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾ ﴾ [سورة الأحزاب، الآيتان: ٧٠، ٧١].

أما بعـد:

فاتقوا الله أيها الناس، وراقبوه في سركم وعلنكم، واعلموا أن تقوى الله عزوجل سببُ الأمن في الدنيا، والنجاةِ في الآخرة ﴿أَلَآ

﴿إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾﴾ [سورة يونس، الآية: ٦٢، ٦٣].

عباد الله:

إن من حكمة الله تعالى وعلمه، أن خلق هذا الكون، علويه وسفليه، وخلق الإنس والجن، فجعل منهم كافراً وجعل منهم مؤمناً ، وهو بصير بما يعملون. أنزل الأبوين آدم وحواء من الجنة، وأنزل معهما الشيطان، الذي أغواهما، فأزلهما عنها وأخرجهما مما كانا فيه من النعيم المقيم، فأنزلهم الله جميعاً إلى عرصات هذه الأرض، لتبدأ مرحلةُ المراغمة بين بني آدم، وبين الشيطان عليه لعائنُ الله، أنزلهم جميعاً إلى الأرض بعد أن بث العداوة والبغضاء بينهم أبداً، فإبليس عدو لآدم وذريته، حيث أخرجهم من الجنة، وآدم وذريته أعداءٌ لإبليس، لأنهم جنسٌ مفضلٌ على جنس الجن، حيث أمر الله بالسجود لآدم، وآدم خُلق من طين، والطين طبيعته الثباتُ والدَّعَه، تودِعُه النواة فتخرجُ نخله، وتودعه الحبة فتخرج سنبله، وبذلك علا جنس الطين على جنس النار، التي طبيعتها الطيشُ والخفةُ والإفساد، ويبطل بذلك زعمُ إبليس في قوله ﴿قَالَ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِى مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ ﴿٧٦﴾﴾ [سورة ص، الآية: ٧٦] وكتبت عليه اللعنةُ إلى يوم الدين.

أيها المسلمون: لقد قال الله عز وجل: ﴿إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّا ۚ إِنَّمَا يَدْعُوا۟ حِزْبَهُۥ لِيَكُونُوا۟ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ﴿٦﴾﴾ [سورة فاطر، الآية: ٦]. بذلك، يبين اللهُ جانبين هامين في هذه الآية، الجانب الأول: عداوة الشيطان، وأنها عداوة حقيقية لا يخالجها شكٌ أو ريبة. كتب الله لها الدوام إلى قيام الساعة، لكنها لا تعدو كونها حقيقةً نظريةً مجردة، إن لم نحن نلتفت إلى الجانب الآخر

المهـم، وهـو الجـانـب العملـيّ التطبيقـي، ألا وهـو قـول الله ﴿**فاتخذوه عدوّاً**﴾ إننا أيها المسلمون لا نخشى على النفوس الكافرة من الشيطان فتلكم نفوسٌ مظلمة، قد ضرب الشيطانُ أطنابه فيها ورتع، فزين لها سوءَ أعمالها، حتى تولته وألفته، ولكن الخوف كل الخوف، والخشية كل الخشية، على أنفس مسلمة، لم تحسِب للشيطان حساباً في واقعها، وباتت غافلةً عنه، غير آبهةٍ بمكره وألاعيبه، وإن كانت معترفةً بقابليتها لألاعيبه وإغوائه لكونها غير معصومة، إلا أنها نفوسٌ اعتقد أهلها أنهم معقمون ضد الشيطان وخداعه، محميون من آثاره وإفساده، بعد أن كـونـوا حـولهـم هـالـةً مـزيفـةً، مـن الاطمئنـان لأحـوالهـم وأوضاعهم، فلم يعرفوا بذلك معروفاً، ولم ينكروا منكراً.

قال بعض الناس: إن من أمكر حيل الشيطان أن يقنعنا بعدم وجوده، ليس عدم وجوده في علم الواقع، بل عدم وجوده داخل أنفسنا، وهذا هو الشلل الأخلاقي بعينه، المصادمُ لنصوص الكتاب والسنة، في مثل قول الله عن إبليس ﴿ثُمَّ لَآتِيَنَّهُم مِّنۢ بَيۡنِ أَيۡدِيهِمۡ وَمِنۡ خَلۡفِهِمۡ وَعَنۡ أَيۡمَٰنِهِمۡ وَعَن شَمَآئِلِهِمۡۖ﴾ [سورة الأعراف، الآية: ١٧]. وفي مثل قوله ﷺ: «**إن الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم**» [رواه البخاري ومسلم].

أيها الناس: لما علم عدو الله إبليس، أن المدار على القلب، والاعتماد عليه، أجلب عليه بالوساوس، وأقبل بوجوه الشهوات إليه، وأمده من أسباب الغي، بما يقطعه عن أسباب التوفيق، ونصب له من المصائد والحبائل، ما لو سلم من الوقوع فيها، لم يسلم من أن يحصل له بها التعويق. فمنذ يبدأ العبد المسلم مرحلة التكليف الشرعي تبدأُ معه مسيرةُ الصراع المتواصل مع

الشيطان؛ معاندةً له، وعصياناً لتزيينه، وإزاحةً لتسلطه وجبروته، حتى يُجليه عن تسعةِ مواضع يحاول الشيطان احتلالها، وتسمى هذه المعركة معركة المراغمة، قد كشف أهل العلم طبيعتها، وبينوا المدارج التي يسلكها المسلم، لنيل النصر فيها على هذا العدو اللدود، الذي يجري منه مجرى الدم، وفي أول مصادمة في هذه المعركة الطويلة الأمد، يحاول الشيطان أن يستغل حداثة الحرب، فيوقعُ في القلب الشبهات الكفرية، فيصرع بذلك أكثر البشر في كل جيل إلا أن صرعاه قلائلُ في اتباع محمد ﷺ، فإذا ظفر بذلك من ابن آدم برد أنينُه، واستراح من تعبه معه، ثم بعد ذلك يصيره من جنده وعسكره، ويستنيبه على أمثاله وأشكاله، فيكون من دعاة إبليس ونوابه ﴿وَإِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰٓ أَوْلِيَآئِهِمْ لِيُجَٰدِلُوكُمْ ۖ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ ﴿١٢١﴾﴾ [سورة الأنعام، الآية: ١٢١].

فإن لم يظفر الشيطان بالمسلم هنالك، دعاه إلى شبهاتٍ من الابتداع، التي هي أحبُ إليه من الفسوق، بل هي رقيةُ الكفر والشرك، حيث إن ضررها متعدٍ، ينخر في جسد الأمة، والمتورطون في ذلك من الأمة كثير.

فإذا أعجز الشيطان من ذلك، وكان العبدُ ممن وهبه الله حب السنة، ومعاداة أهل البدع والضلال، نقله إلى مرحلة طول النفس، ليهجم على المسلم مزيناً له الكبائر من الشهوات، وله في ذلك انتصارات ونشوات، إلا أن هناك سياجاً منيعاً، لم يغفل عنه البعضُ من أمة محمد ﷺ جعلهم في معزل عن كيده وألاعيبه، فلم يطرقوا للكبائر باباً، ولم يقشعوا عنها حجاباً.

ولكن قد تعتريهم صغائرُ الشهوات، التي إذا اجتمعت لربما

أهلكت صاحبها. كيف لا؟ وهي ساحةُ الشيطان الرحبة، التي تتسع صولاته وجولاته فيها، ولا ينجو مسلمٌ منها ولا يكاد، إلا بعون من الله، ومددٍ متواصلٍ يمنعه من الهجوم الغاشم، فأما الغافل، فيخرج طريحاً، مثخناً بالجراح، مضرجاً بلوثة الذنوب، والآثام، وأما المؤمن الموفق، فهو قائم منافح، غير أنها الخدوش والوكزات، التي لا يسلم منها مصارع، قال رسول الله ﷺ: «**إياكم ومحقرات الذنوب، فإنما مثل محقرات الذنوب، كمثل قومٍ نزلوا ببطن وادٍ، فجاء ذا بعودٍ، وذا بعودٍ حتى حملوا ما أنضجوا به خبزهم، وإن محقراتِ الذنوب متى يُؤخذُ بها صاحبها تُهلكْه**» [رواه أحمد].

فإذا خسر الشيطان هذه الجولة، علم أن عليه ألا يصادم المؤمن مجابهةً، بل لابد من تجديد أسلوب المواجهة، إذ يأخذ الشيطان طريقاً قلَّما ينتبه له كثير من الناس، ألا وهو طريق التسويف والتأجيل، الذي يكون نتيجةً للغفلة وطول الأمل، فيالمكر الشيطان، إذ يبدي للإنسان عوائق وموانع، تمنعه من فعل طاعة من الطاعات، ويتمثل ذلك في صورٍ عديدةٍ من العوائق حسب عمل الإنسان، ويبقى جوهرها واحداً، فهو يمثل للتاجر أن استقامته وتوبته ستبرز جليةً في واقع حياته، فور ما ينتهي من هذه الصفقة أو تلك، وأما الأب فيظنها تتحقق بزواج ولده وإطاحة همه، وأما الإبن فهو يعتقدها باجتيازه لدراسته وفراغه منها.

وهكذا تشترك هذه الأمثلة في اتحاد جوهر الحيلة، مع اختلاف مظاهرها وأشكالها، إذ يدل واقعُ الناس على معتقدهم، بأن إنهاء أمر هام من أمور الحياة سيمكنهم من التوجه إلى الإسلام، أو العودة إلى ميدانه والدعوة إليه، والأغربُ من ذلك، أنه بعد أن

يزول هذا المانع أو ذاك، فإننا لا نرى صاحبه قد وصل إلى ما كان يمني به نفسه من وضع جيد، وإنما قد أوهمه الشيطان، وخدره بالأماني المعسولة، ولا أبعد النجعة، إن قلت إن المسلمين اليوم، لم يسلموا من هذه الأحبولة الشيطانية، وصدق الله ﴿يَعِدُهُمْ وَيُمَنِّيهِمْ ۖ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا ﴿١٢٠﴾﴾ [سورة النساء، الآية: ١٢٠] فكم من رجل، انتهت حياته وهو لم يبدأ حياته بعد، وانقضى عمره، وهو لم يُنِبْ إلى الله ولم يتُب.

فإذا نجا العبد المسلم من هذه المرحلة، فسيعلم الشيطان، أن هذا العبد، فيه من صفات الإيمان والفطنة ما يتاح له بها التخلص من مكره، إن لم يتقن الشيطان الطعان فيها فيندس له بأسلوب الناصح؛ يحثه على أن يستكثر من عمل المباحات التي لم يختلف أهل العلم في حلها، لينغمس فيها فيثقل، ويركن إليها فيبرُد، ولذلك كان أسلوب العلماء رحمهم الله في القديم والحديث واضحاً، في التقليل من المباحات الملهية، التي يأنس لها القلب فتُقعِدُهُ عن قربةٍ مستحبة، أو فرصةٍ سانحة، ولذلك قال الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله: إني ادعُ ما لا بأس فيه خشية الوقوع فيما فيه بأس. وقال القاضي الجرجاني رحمه الله مخاطباً نفسه، أَنَهْنِهُها عن بعض ما يشينها مخافة أقوال العدا: فيم أولم؟

فإن أعجزه العبد من هذه المرحلة، وكان حافظاً لوقته، شحيحاً به، مدركاً لقيمة أنفاسه وزفراته، نقله إلى مرحلة الإشتغال بالعمل المفضول عن العمل الفاضل، فيبعثرُ عليه ترتيب قائمة الأولويات، ويعكس له القواعد الشرعية، في تفاضل الأعمال الإيمانية. فيأمُرُه الشيطان بفعل الخير المفضول، ويحضّه عليه، ويُحسِّنه له إذا تضمن ترك ما هو أفضل وأعلى منه، وقل

من الناس من ينتبه لهذا، لأنه لم يصل إلى علمهم أن الشيطان قد يأمر بمائة باب من أبواب الخير؛ إما ليتوصل بها إلى باب أو أبواب من الشر، وإما ليفوت بها خيراً هو أعظم من تلك المائة وأفضل، فيقصي من له علم نافع وفهمُ ثاقب عن جمهور المنتفعين به من المسلمين، ويُشغله بزيادة ركوعٍ وسجودٍ هما جليلان عظيمان، لكن التعليم والدعوة أوجب عليه ـ بعد أداء الفرض ـ من زيادة ركوعٍ أو سجودٍ نفلاً، لكنه متى استمسك بالفاضل الراجح، وأبى تلبية نداء الشيطان فقد راغم الشيطان أبلغ المراغمة.

إلا أن ذلك، لم يك كافياً لحصار الشيطان في زاوية اليأس والقنوط، بل للشيطان محاولاتٌ ومناورات، واقتحامات من ثغرات أخرى، إذ يبدي للعبد طيف خيال، يملي عليه شعوراً وهمياً بكمالٍ زائف، يحس الفرد والمجتمع من خلاله أنه ليس هناك دواع معقولة تقتضي التصحيح، أو تستوجب التحسين. فإذا ما أدى المسلم الفرائض، واكتفى المجتمع بظواهر طفيفة من الإسلام، اطمأن واكتفى، ووصل إلى درجة الشعور بالكمال، ولو لم يقرّ بذلك صراحة إنه الكمال، ولكنه الكمال العقيم، الذي لا نتيجة إيجابية بعده، والذي يبقى في حالة من الركون والأمن المفرط، والغرور بالوضع والحال ليصبح بذلك، ممن يأمن مكر الله ﴿فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٩٩﴾﴾ [سورة الأعراف، الآية: ٩٩].

إن هذه الألعوبة الشيطانية كفيلةٌ بأن تحجر الفرد والمجتمع، وتُجمدهم حول قناعاتٍ خاصة كونوها لأنفسهم، وأمسوا وكأن ما يحملونه فقط هو الصواب، مما يحرمهم من إصلاح أخطائهم من

جهة، ومن الاستفادة من الصواب الذي يأتي به الغير من جهة أخرى. إن الشعور الدائم بالتقصير. هو الشعور الإيجابي المثمر، الذي يدفع للعمل الآنيِّ واليومي، ويمنح القدرة على العمل والاجتهاد والانتاج، وإنَّ تغيُر ما بالنفس من تلك المفاهيم الزائفة من شأنه أن يغير ما بالناس من واقع ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾ [سورة الرعد، الآية: ١١].

كما أن الشعور بالكمال العقيم شعورٌ عاطفي لن ينفي عن كل مسلم مسئوليته عن أي سوء في حاله وسلوكه وحياته؛ دينية كانت أو دنيوية ﴿لَّيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلَآ أَمَانِىِّ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ ۗ مَن يَعْمَلْ سُوٓءًا يُجْزَ بِهِۦ﴾ [سورة النساء، الآية: ١٢٣] فالأمر إذاً ليس بالأماني ولا بالعواطف، إنما هو خاضعٌ لسنة العمل والاجتهاد المنتج.

فإن سلم العبدُ في هذه المرحلة من مراغمة الشيطان، فقد تحقق نصره على الشيطان أو أوشك، وأسره للشيطان قاب قوسين أو أدنى، لولا تلكم الكرةُ الأخيرة، التي لا يمكن للمسلم أن ينفك منها إلا برحمة من الله ورضوان، حيثُ يُسلِّطُ عليه الشيطان حزبه من الجن والإنس، فيرمونه بألوانٍ مُقذعة من الأذى، ويصفونه بأحد ما وضع من ألفاظ مسفَّه، يقصدُ الشيطانُ من ورائها إخماد العبد المسلم وإطفاءه ليشوش عليه قلبه، ويمنع الناس من الانتفاع به، ولكن مما يسلي النفس، ويبعث الهمة، أن هذه المرحلة لا يمكن أن يسلم منها بشرٌ حتى رسول الله ﷺ. فكم رُمي وشُتم، وكم قوتل وحورب بأبى هو وأمي صلوات الله وسلامه عليه، ولذا فإن من نجا من الشيطان فيما مضى من المراحل والمزالق، فهو في هذه أحرى وأولى بإذنٍ من الله، أعاذانا الله وإياكم من نزغات الشيطان ومكره، أعوذ بالله من

الشيطان الرجيم ﴿وَقُل رَّبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ ﴿٩٧﴾ وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَن يَحْضُرُونِ ﴿٩٨﴾﴾ [سورة المؤمنون، الآيتان: ٩٧، ٩٨].

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم ونفعني وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم، أقول ما تسمعون واستغفر الله لي ولكم إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية

الحمد لله حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه، كما يحب ربنا ويرضاه، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى أصحابه أجمعين والتابعين لهم بإحسان.

أما بعد:

فيا أيها الناس، لما اطمأن الشيطانُ لبقائه إلى يوم البعث، أخذ يسردُ خُطّتَه ويُفصحُ عن أهدافه، ﴿قَالَ رَبِّ بِمَآ أَغْوَيْتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٣٩﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٤٠﴾﴾ [سورة الحجر، الآيتان: ٣٩، ٤٠]. . فعُدتُه هي تزيين القبيح وتجميله، ومن ثم الإغراءُ على ارتكابه، ومن هنا. . يقوم بالهجمة الأولى على بني آدم، لحظة ولادتهم لينذرهم بالحرب، فلا صلح ولا هواده، إنما هي حربٌ ضروس.

ولذا فقد ثبت عن النبي ﷺ أنه قال: «**ما من مولود يولد إلا نخسه الشيطان، فيستهل صارخاً من نخسةِ الشيطان، إلا ابن مريم وأمه. ثم قال الراوي: اقرأوا إن شئتم ﴿وَإِنِّيٓ أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴿٣٦﴾﴾ [سورة آل عمران، الآية: ٣٦]**» [متفق عليه].

أيها المسلمون: إن الشيطان الذي يُضل كثيراً من الناس، إنه هو يبريءُ نفسه ممن أضلهم، حينما ينتهي الأمر بيوم الحساب ﴿وَقَالَ ٱلشَّيْطَٰنُ لَمَّا قُضِيَ ٱلْأَمْرُ إِنَّ ٱللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ ٱلْحَقِّ وَوَعَدتُّكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ ۖ وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَٰنٍ إِلَّآ أَن دَعَوْتُكُمْ فَٱسْتَجَبْتُمْ لِي ۖ فَلَا تَلُومُونِي وَلُومُوٓاْ أَنفُسَكُم ۖ مَّآ أَنَا۠ بِمُصْرِخِكُمْ وَمَآ أَنتُم بِمُصْرِخِيَّ ۖ إِنِّي كَفَرْتُ بِمَآ أَشْرَكْتُمُونِ مِن قَبْلُ ۗ إِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٢﴾﴾

[سورة إبراهيم، الآية: ٢٢].

إن البقاء المستمر في طاعة الله وذكره الدائم على كل حال، كفيلٌ بالتخفيف من آثار الشيطان أو القضاء عليها، وإن شئتم فاسمعوا قول الرسول ﷺ لعمر بن الخطاب «**والذي نفسي بيده، ما لقيك الشيطانُ سالكاً فجاً إلا سلك فجاً غير فجك**» [متفق عليه].

فانظروا أيها المسلمون إلى قوة الإيمان؛ كيف تؤَثِّر في الشيطان حتى تصل إلى درجة الخوف والهروب.

سُئل أحد الحكماء عن قول الله عن إبليس ﴿ثُمَّ لَآتِيَنَّهُم مِّنۢ بَيۡنِ أَيۡدِيهِمۡ وَمِنۡ خَلۡفِهِمۡ وَعَنۡ أَيۡمَٰنِهِمۡ وَعَن شَمَآئِلِهِمۡۖ﴾ [سورة الأعراف، الآية: ١٧] فقيل له: ما الحكمة في أن لم يُعطَ إبليسُ اثنان من ابن آدم وأعطي أربعة؟ أعطي من بين يديه ومن خلفه وعن يمينه وعن شماله من الجهات الأربع، ولم يُعط إبليس، أن يأتيه من فوق ولا من تحت؟ فقال: لأن الأربع جهات تدخلها المشاركة في الأعمال، وفوق هو موضعُ نظر الرب جل جلاله إلى قلوب عباده المؤمنين، وتحت هو موضع سجود الساجدين بين يدي رب العالمين.

فاتقوا الله أيها المسلمون، واخلصوا العبادة لربكم، والزموا الجماعة، والتزموا بالكتاب والسنة، واستعينوا بالله على الشيطان، وأكثروا من الطاعات، ومن الاستعاذة بالله من الشيطان الرجيم، في مواضعها، التي أرشد إليها النبي ﷺ تفلحوا، ويتحقق لكم ما ذكره الله في قوله ﴿إِنَّ كَيۡدَ ٱلشَّيۡطَٰنِ كَانَ ضَعِيفًا ٧٦﴾ [سورة النساء، الآية: ٧٦].

اللهم صلِّ على محمد وعلى آل محمد، كما صليت على

إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد، اللهم أعز الإسلام والمسلمين، وأذل الشرك والمشركين، ودمر أعداء الدين، اللهم تب على التائبين، واغفر ذنوب المذنبين، اللهم إننا نعوذ بك من همزات الشياطين ومكرهم، اللهم إن إبليس عبد من عبيدك ناصيته بيدك يرانا من حيث لا نراه، وأنت تراه من حيث لا يراك، اللهم إن أرادنا بكيد فارددده، وإن أرادنا بسوء فاصرفه، ندرأ بك اللهم في نحره، ونعوذ بك من شره، اللهم أصلح أحوال المسلمين في كل مكان، اللهم أصلح أئمتنا وولاة أمورنا واجعل ولايتنا فيمن خافك واتقاك واتبع رضاك يارب العالمين، اللهم وفق ولي أمرنا لما تحبه وترضاه؛ من الأقوال والأعمال يا حي يا قيوم، اللهم أصلح له بطانته ياذا الجلال والإكرام، ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار.

عباد الله: اذكروا الله يذكركم، واشكروه على نعمه يزدكم، ولذكر الله أكبر والله يعلم ما تصنعون.

يوم التقى الجمعان

الخطبـة الأولى

الحمد لله المبديء المعيد، الفعال لما يريد، خلق الخلق بعلمه، وقدر لهم أقداراً، وضرب لهم آجالاً لا يستأخرون عنها ولا يستقدمون، قدر مقادير الخلائق قبل أن يخلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة، وكان عرشه على الماء، علم ما كان وما سيكون ولو كان كيف يكون، وكل شيء يجري بتقديره ومشيئته، ومشيئته تنفذ لا مشيئة العباد، إلا ما شاء لهم. فما شاء كان وما لم يشأ لم يكن، عنده علم الساعة وينزل الغيث ويعلم ما في الأرحام، وما تدري نفس ماذا تكسب غداً، وما تدري نفس بأي أرض تموت، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعـد:

فاتقوا الله أيها المسلمون، وراقبوه في السر والعلن، واعلموا أن تقوى الله عزوجل، هي زادُ كل مسلم في هذه الحياة الدنيا، فمن لا تقوى له لا سعادة له في الدنيا، ولا نجاة له في الآخرة.

أيها الناس: إن كتاب الله عزوجل هو المنبع الثرّ للهدى والحق والخير، وسيرة رسوله صلى الله عليه وسلم، وسيرة أصحابه، هي السجل الخالد للبطولات والأمجاد فيهما يجد المسلم النور الذي يضيء له الطريق، ومنهما يفوز بالقوة التي تحفزه إلى الخير، وتُنقِذُهُ من الزلل، وتمنعُهُ من الانحراف، وتدفعُهُ للتغلب على الصعوبات، التي تقوم بينه وبين بلوغه الجنة، وما فاز من فاز إلا منهما وبهما، ولا خسر وهلك إلا من غفل عنهما وتركهما وراء ظهره.

عباد الله:

إن دنيا الذكريات دنيا سعيدة، يعيش فيها المرء المسلم يحدوه الأمل، وتعلو جبينه السعادةُ في استرجاعها، ويستحثه الشوق إلى تجديد ماضي عهدها، لاسيما في هذا العصر الذي تكتوي فيه الأمة المسلمة، بلهيب الصراعات الدموية التي أفقدتها هويتها، والتي أصيبت على إثرها بوابلٍ من الطعنات، التي ساعدت على نسيان ماضيها تراثاً وأصالةً وفكراً، يتذكر المسلم ذلك، ليذكر بحرارة وعظة، مواقف مشرفة، وأعمالاً خالدة مدى التاريخ، كانت قد سطرت بقرآن يتلى، لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، تنزيل من حكيم حميد.

ما كان حديثاً يفترى، ولا فتوناً يترد ذلكم الحديث، الذي روى به التاريخ أنباء أعظم ثلة ظهرت في دنيا الإيمان والعقيدة.

فإن من أجمل ذكريات الأمة الإسلامية، هو نصر الله لنبيها، وتأييده لدينها، فالأمة المسلمة ما برحت تشرئبُ لمثل ذلك النصر على أعدائها، وما فتئت تعيش سعيدةً، يحدوها الأملُ بعز الإسلام، وإشراق نوره في الوبر والمدر ما بلغ الأجدانِ؛ الليل

والنهار.

أيها المسلمون، في مثل هذا الشهر المبارك، وبعد منتصفه من السنة الثانية للهجرة النبوية، على صاحبها أفضل الصلاة والسلام، تقابل ببدرٍ صفان؛ صفُ إسلام وصفُ كفر، صفُ إيمانٍ وعقيدة وصفُ خذلانٍ وجحود، صفُ أنصار الله ورسوله وصفُ أنصار العزى وهبل، في هذين الصفين يقول الله جلا وعلا: ﴿ ۞ هَٰذَانِ خَصْمَانِ ٱخْتَصَمُوا۟ فِى رَبِّهِمْ ۖ فَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِّن نَّارٍ يُصَبُّ مِن فَوْقِ رُءُوسِهِمُ ٱلْحَمِيمُ ﴿١٩﴾ يُصْهَرُ بِهِۦ مَا فِى بُطُونِهِمْ وَٱلْجُلُودُ ﴿٢٠﴾ وَلَهُم مَّقَٰمِعُ مِنْ حَدِيدٍ ﴿٢١﴾ ﴾ [سورة الحج، الآيات: ١٩ـ٢١].

لقد خرج رسول الله ﷺ في قلةٍ من أصحابه، وضحالةٍ في عددهِ وعُدَّته، يقابل جموع المشركين وصناديدها، في صولتها وكثرة عددها، ووفرة عُدتها، وهو مؤمن أن الغلبة له عليها، نازلها في بدر، وكان قد شق عليه ما رأى من طغيانها وإعلانها العداء لله ورسوله، فتوجه إلى الله بدعائه «**اللهم إني أنشُدُك عهدك ووعدك، اللهم إن تهلك هذه العصابة لا تعبد بعدها في الأرض**» ويرفع يديه إلى السماء، حتى سقط الرداء عن منكبيه، بأبي هو وأمي صلوات الله وسلامه عليه.

فلم يرجع رسول الله ﷺ يديه، إلا والملائكة تنزل مدداً تقاتل في صفوف المسلمين ﴿ إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَٱسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّى مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُرْدِفِينَ ﴿٩﴾ ﴾ [سورة الأنفال، الآية: ٩].

ويمتنُّ الله على عبده وعلى المسلمين بهذا النصر ﴿ وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ ۖ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٢٣﴾ ﴾ [سورة آل عمران، الآية: ١٢٣].

فالمسلمون في مشارق الأرض ومغاربها، يفرحون بهذا النصر

الجميل، ويرفعون أيديهم إلى السماء كما فعل رسول الله ﷺ ضارعين إلى المولى عزوجل، أن ينصرهم على أعدائهم، قائلين في حرقةٍ وألم مما يُصيبُهُم من أعدائهم: «**اللهم إننا ننشُدُك عهدك ووعدك الذي وعدتنا**».

أيها المسلمون: إننا مهما وقفنا من وقفاتٍ صادقةٍ مع هذه المعركة الفاصلة، فإننا لن نوفيها بعض حقها، إذ هي معينٌ لا ينضب، ومعروفٌ لا ينقطع، وحسبنا في هذا المقام، أن نُشيرَ إلى بعض سماتها، والدروس المستقاةِ منها، علَّ الله أن يوفقنا لسلوك مسلك رسول الله ﷺ ومَسلكِ صحابته من بعده.

إن من أبرز سماتِ تلك المعركة، هو تلاشي الفروق العصبية، والعبِّية الجاهلية، في اللون أو الجنس، إذ أصبح الأمرُ فيه أمرَ إسلامٍ وكفر، إسلامٌ من أي لون أو جنس وجد، وكفرٌ من أي بشرةٍ أو إقليمٍ كان، حيث التقى في تلك المعركة الأخ مع أخيه، والقريب مع قريبه، أحدهما ينصر الله ودينه، والآخر ينصر قوميته وفخره.

وقد كانت تلكم الغزوة رابطةً حقةً بين المؤمنين الصادقين، وقد برزت تلكم الرابطة جليةً في تلك الغزوة، حينما قال الفاروق رضي الله عنه لرسول الله ﷺ ـ لما استشار أصحابه في أمر الأسرى ـ قال رضي الله عنه: «أرى أن تمكنني من فلانٍ قريبٍ لي وتمكن علياً وحمزة من أخويهما فنضرب أعناقهم».

وفي تلك الليلة يبيت القوم، ورسولُ الله ﷺ قائم يصلي ويلذُ بالحي القيوم، فيزيدنا هذا معرفةً بشأن الصلاة وأثرها، إذ أنها تزيدُ المؤمن نوراً وبهاءً وفهماً، قال تعالى في الحديث القدسي: «**وما تقرب إلى عبدي بشيء أحبَّ إليَّ مما افترضته عليه، ولايزالُ**

عبدي يتقربُ إليَّ بالنوافل حتى أُحبَه، فإذا أحببته، كنت سمعَهُ الذي يسمعُ به، وبصرَهُ الذي يبصر به ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشي بها، ولئن سألني لأعطينه، ولئن استعاذني لأعيذنه».

إن الصفاء الذي تتركه الصلاةُ في النفس النبيلة، يجعلُ للحق في النفس حساً يميزه عن الباطل، وكلما ابتعد المسلمُ عن الصلاة، كلما فُتح بابُ الكدرِ في هذا الصفاء، فغام وتعكَّر.

ويعترضنا مشهد آخر من مشاهد تلك الغزوة، يتمثل في عظم التوكلِ على الله، والرضا بقضائه وقدره، إذ أراد الرسول ﷺ وأصحابه عيرَ أبي سفيان ﴿ وَإِذْ يَعِدُكُمُ ٱللَّهُ إِحْدَى ٱلطَّآئِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ ٱلشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ وَيُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُحِقَّ ٱلْحَقَّ بِكَلِمَٰتِهِۦ وَيَقْطَعَ دَابِرَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٧﴾ ﴾ [سورة الأنفال، الآية: ٧]. يريدون العير.. والله يريد القتال والجهاد، ذلك أن الإنسان محدودُ النظر، قد يرى ولكن في إطار، ويفكر ولكن لا يخرج عن نطاق، فلا يجدُ إلا التوكل على الله، إذ عسى أن يكره شيئاً وهو خيرٌ له، وعسى أن يحب شيئاً وهو شرٌ له، فرب مشتاقٍ إلى مورد ما، والموت لو يعلم في ذلك المورد. ﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ ۖ وَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٢١٦﴾ ﴾ [سورة البقرة، الآية: ٢١٦].

ولم يَغِبْ في تلك الغزوة موقفُ الذكاءِ والفطنة والرأي من المسلمين، مع الأدب والطاعة، حين نزل الرسولُ ﷺ أدنى ماءٍ من بدر، فقام الحبابُ بنُ المنذِر فقال يارسول الله: أرأيت هذا المنزل. أمنزلاً أنزلكه الله، ليس لنا أن نتقدمه أو نتأخر عنه؟ أم هو الحرب والرأي والمكيدة؟ قال رسول الله ﷺ بل هو الرأيُ

والحربُ والمكيدة، فقال: يارسول الله إن هذا ليس بمنزل، فانهض حتى نأتي أدنى ماءٍ من القوم، فننزله ثم نُفسِدُ ما وراءه من القُلُب؛ فنشربُ ولا يشربون، فقال رسول الله ﷺ: «لقد أشرت بالرأي» الله أكبر ما أعظم هذه الكلمات، التي تفوه بها الحبابُ رضي الله عنه «أمنزلاً أنزلكه الله ليس لنا أن نتقدمه ولا نتأخر عنه».

هذا هو الأساسُ العظيم، الذي قام عليه بناءُ المسلم فيما مضى من الطاعة المطلقة، والانقيادِ لما أمر الله به، وأمرَ به رسولهُ ﷺ، لا تردد ولا تلكؤ، ولا مساومةٌ ولا تسويف، ولكن إذا أمر الله بأمر فليس لنا أن نتقدمه أو نتأخر عنه، مهما أبدى لنا هوانا البليدُ وأعاد. فلا مصلحة، ولا حكمةَ، ولا هوى، بعد أمرِ الله ورسوله، بل الطاعةُ والانقيادُ، بكل حزم وعزم، فهو الرأي والحكمةُ والمصلحةُ جميعاً، ولا يكون ذلك إلا للذين يحكمُ الشرعُ حياتهم، وهم مسلمون لله، مستسلمون لشرعه وأمره، أما الذين يتبعون شهواتهم ورغباتهم، ولا يعنيهم أيرضىٰ اللهُ شيئاً أم يسخطُ عنه، فهم بحاجة إلى تصحيح أصل الإيمان في قلوبهم. ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ﴾ [سورة الأحزاب: الآية: ٣٦].

وفي تلك الغزوة أيها المسلمون، يأبى الشبابُ الطموح المتطلعُ إلى ما عند الله، يأبون إلا أن يصولوا صولتهم، ويجولوا جولتهم من بين صفوف المعركة، ليعلوا بذلك كلمة الله من بين ظلال السيوف، ورهج السنابك، يقول عبدالرحمن بن عوفٍ رضي الله عنه: «بينا أنا واقفٌ في الصف يوم بدر، نظرتُ عن يميني وشمالي، فإذا أنا بين غلامين من الأنصار، حديثةٌ أسنانُهما،

فغمزني أحدهُما فقال: ياعم، هل تعرفُ أباجهل؟ قال: قلت نعم، وماحاجتُك إليه ياابن أخي؟ قال: أُخبِرتُ أنه يسب رسول الله ﷺ، والذي نفسي بيده، لئت رأيتُه، لا يفارقُ سوادي سواده حتى يموتَ الأعجلُ منا، قال: فتعجبت لذلك، فغمزني الآخر، فقال مثلها، قال فلم أنشبْ أن نظرتُ إلى أبي جهل فقلت: ألا تريان؟ هذا صاحبكما الذي تسألان عنه. قال: فابتدراه، فضرباه بسيفيهما حتى قتلاه [رواه البخاري]، الله أكبر، الله أكبر ما أهون الخلق على الله أيها المسلمون، صنديدٌ من صناديد قريش، وعظيمٌ من عظمائها، يأبى اللهُ إلا أن يكون حتفُهُ على يد شابين يافعين. فأين أنتم ياشباب الإسلام من تلك الطموحات؟! ماذا سجلتم لأمتكم؟! وماذا عساكم أن تفعلوا بشبابكم وفراغكم وجدتكم؟! وما مدى صلتكم بتاريخ آبائكم وأجدادكم؟! الذين صنع الله على أيديهم البطولات. عودوا إلى تاريخكم فالعود أحمد، وتجنبوا مكر الشيطان ولو أرغى وأزبد.

عباد الله: إن هذه العبر والعظات قد كانت في مجموعها نتيجة للإنضواء تحت أخوةِ الإسلام الحقة، ورايةِ التوحيد المحضة، والتفاهم بإخلاص في الأمر، والاعتماد على الله واللجوءِ إليه، بعد بذل الأسباب المادية، ومحضِ النصح للقيادة، ابتغاء وجه الله. فاتقوا الله أيها المسلمون، وخذوا من سيرة نبيكم تفلحوا. فدينُ الله وشرعُه وإن غاب عنه شخصُ رسول الله ﷺ فهو باقٍ خالد، وُضعت فيه صفاتُ المتقين، وخُططُ المجاهدين، إلى أن يرث اللهُ الأرض ومن عليها وهو خير الوارثين.

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعني وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم.

أقول ما تسمعون واستغفر الله لي ولكم ولسائر المسلمين فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبـة الثانيـة

الحمد لله على إحسانه، والشكر له على توفيقه وامتنانه، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له تعظيماً لشأنه، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، الداعي إلى رضوانه، صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله وأصحابه وإخوانه.

أما بعـد:

فيا أيها الناس: إن العجبَ كلَّ العجب، أن تتبدلَّ أحكام الجبلة، وتُمحىٰ آثارُ الفطرة إذ كيف تسفل النفس المؤمنة حتى لاتطلبَ رفعة؟ وكيف تَقْنَطَ حتى لا يكون لها أمل؟ أما لو أيقن المسلمون أن لهذا الكون مدبراً عظيمَ القدرة، تخضع كلُ قوة لعظمته، وتدينُ كلُ سطوةٍ لجبروته، وأن هذا القادر العظيم بيده مقاليدُ كلِ شيء يصرف عباده كيف يشاء، لما أمكن مع ذلك أن يتحكم فيهم اليأس، أو تغتال آمالهم غائلةُ القنوط، فماذا يكون حال القانطين المنقطعةِ آمالهم، يحكمون على أنفسهم بالحِطة، ويسجلون عليها العجز عن كل رفعة، فيأتون الدنايا، ويتعاطون الرذائل، ويوطنون أنفسهم على أن يشقوا ليسعد غيرهم، فيكونون كالنمال الحمالة، لا تستفيد مما تحمل شيئاً.

ومن هذا المنطلق نرسل هذه الكلمات التي تحمل في طياتها الحرقة والأسى، إلى المجاهدين في سبيل الله عبر الأثير، والذين تحولت قبلةُ مدافعهم من صدور أعدائهم إلى نحور إخوانهم المسلمين وذويهم، فنقول لهم: اتقوا الله في هذا الشهر المبارك، راجعوا أنفسكم، وحاسبوها، لتكن غزوةُ بدرٍ نبراساً سامياً لكم تنهلون من معينها، وتسلكون مسلك أصحابها، اتقوا الله واحقنوا

دماءكم، حذار من الجور بعد الكور، ومن الذّل بعد العز، ومن الخيانة بعد الأمانة، وحذار من حبوط العمل وخسرانه، ولو كان جهاد مئة عام.

«دخلت العالية ـ امرأة أبي إسحاق السبيعي ـ على عائشة رضي الله عنها، فدخلت معها أمُ ولدِ زيد بن أرقم، فقالت: ياأمَّ المؤمنين: إني بعت غلاماً من زيد بثمانمائة درهمٍ نسيئة، وإني ابتعته منه بستمائةٍ نقداً، فقالت لها عائشة: بئسَ ما اشتريت، وبئس ما شريت، إن جهاده مع رسول الله ﷺ قد بطل إلا أن يتوب» [رواه الدارقطني بسند جيد].

فانظروا أيها المجاهدون في سبيل الله، كيف يبطل جهادُ رجل جاهد مع رسول الله ﷺ وفي سبيل الله، بسبب ربا نسيئة في دراهمٍ معدودة، فكيف إذن بمن يزايد بدماء إخوانه المجاهدين تفاضلاً ونسيئةً، من أجل حظ من حظوظ الدنيا، أوَّه.. عين الربا عين الربا.

فاتقوا الله أيها المجاهدون، وراقبوا ربكم، واعلموا أن المسلمين، لا يسمح لهم إيمانهم بالله وبما جاء به رسولهُ ﷺ، أن يقنطوا من رحمة ربهم في إعادة مجدهم واسترداد سؤددهم، وليس عليهم في استرجاع مكانتهم الأولى، والصعود إلى مقامهم الأول، إلا أن يجمعوا كلمتهم، بعد تمكن الجامعة الإسلامية بينهم ويجددوا سيرة سلفهم. إنهم إن فعلوا ذلك وعلم الله فيهم خيراً فسيداوي جراحهم، ويجمع شملهم، ويلمَّ شعثهم، ويؤتهم خيراً مما أُخذ منهم، ويغفر لهم.

هذا وصلوا رحمكم الله على خير البرية، وأزكى البشرية، محمد بن عبدالله بن عبدالمطلب صاحب الحوض والشفاعة،

اللهم صل وسلم على عبدك ورسولك محمد وعلى آله وصحبه وسلم، اللهم أعز الإسلام والمسلمين، ودمر أعداء الدين، واجعل هذا البلد آمناً مطمئناً وسائر بلاد المسلمين، اللهم انصر من نصر الدين، واخذل من خذل عبادك المؤمنين، اللهم أصلح أئمتنا وولاة أمورنا، واجعل ولايتنا فيمن خافك واتقاك واتبع رضاك ياحي ياقيوم، اللهم وفق ولي أمرنا لما تحب وترضى، وخذ بيده للبر والتقوى اللهم أصلح له بطانته ياذا الجلال والإكرام، اللهم أنت الله، لا إله إلا أنت أنت الغني ونحن الفقراء أنزل علينا الغيث ولا تجعلنا من القانطين، اللهم أغثنا، اللهم أغثنا، اللهم أغثنا، ربنا ظلمنا أنفسنا وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين، ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار.

عباد الله: اذكروا الله العظيم يذكركم واشكروه على نعمه يزدكم وأوفوا بعهد الله إذا عاهدتم ولا تنقضوا الأيمان بعد توكيدها وقد جعلتم الله عليكم كفيلاً، إن الله يعلم ما تفعلون.

كفى بالموت واعظاً

الخطبـة الأولـى

الحمد لله، المحيي المميت، المبديء المعيد، الفعال لما يريد، القاهر فوق عباده وهو الحكيم الخبير. وأشهد ألا إله إلا الله، سبق بالآجال علمُه، ونَفَذَت فيها إرادتُه ﴿ ٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنثَىٰ وَمَا تَغِيضُ ٱلْأَرْحَامُ وَمَا تَزْدَادُ ۖ وَكُلُّ شَىْءٍ عِندَهُۥ بِمِقْدَارٍ ﴿٨﴾ ﴾ [سورة الرعد، الآية: ٨] وأشهد أن محمداً عبدهُ ورسولهُ، الذي كانت حياتُه مثلاً عالياً في مكارم الأخلاق، وجلائل الأعمال، اللهم صل وسلم عليه، وعلى آله الطيبين الطاهرين، وعلى صحابته والتابعين لهم بإحسان.

أما بعـد:

فاتقوا الله أيها المسلمون حق التقوى، واستمسكوا من الإسلام بالعروة الوثقى واعلموا أن أقدامكم على النار لا تقوى، وأن ملك الموت قد تخطاكم إلى غيركم، وسيتخطى غيركم إليكم، فخذوا حذركم، الكيِّسُ من دان نفسه، وعمل لما بعد الموت، والعاجزُ من أتبع نفسه هواها، وتمنى على الله الأماني.

أيها المسلمون: لقد اختلفت أراءُ الناس وتوجهاتُهم، وكَثُرَ

نِقاشُهم حول قيمة الحياة الدنيا، حتى اعتبرها كثيرٌ منهم غايةً لهم. وحكمُ الإسلام هو فصلُ الخطاب، فالحياةُ في نظر الإسلام أهمُ من أن تنسى، ولكنها في الوقت نفسه أتفهُ من أن تكون غايةً ﴿وَٱبْتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلْـَٔاخِرَةَ ۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا ۖ وَأَحْسِن كَمَآ أَحْسَنَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ ۖ﴾ [سورة القصص، الآية: ٧٧].

عباد الله: هنالكم خصلتان ذميمتان، خطيرتان على من لم يحذرهما، تلاحقان الإنسان ملاحقةً شديدة، حتى في الأحوال التي تشيبُ فيها اللحية، وتضعف فيها الهمة، ويدنو فيها من انتهاء العُمر، وزيارة القبر، خافهما رسول الله ﷺ على أمته، وحذرها منهما بإسلوب الإخبار المتضمن للإنذار، ألا وهما الحرصُ وطولُ الأمل؛ الحرصُ على المال، والحرصُ على العمر، والحرصُ على الشرف، الحرص، المفقرُ لأهله، مهما ملكوا من أمرٍ وجمعوا من حطام، والأمل، المتعبُ لهم، والسارحُ بهم في خيالات، يكون الأجل إليهم فيها أقربَ من تحقق الأمل، قال ﷺ: **يهْرمُ ابن آدم وتشِبُ منه اثنتان، الحرصُ على المال، والحرصُ على العمر**» [رواه مسلم والترمذي]، وقال ﷺ: **ما ذئبان جائعان أُرسلا في زريبة غنم، بأفسد لها من حرص المرء على المال والشرف لدينه**» [رواه أحمد والترمذي].

ومدار هذه الإخبارات مخاطبةُ ذوي القلوب الواعية، والنفوسِ المتطلعةِ إلى ما عند الله، أن يبذلوا جهدهم في تحرير عقولهم، وسلِّ نفوسهم من هذه الأدواء الفتاكة، داء الحرص على المال والشرف، الذي يطوق الرقابَ ويسترق الألباب، وقديماً قيل «أذل الحرص أعناق الرجال» وداءُ طولِ الأمل؛ السرابُ المبلقع، الذي طالما قطع الطريق على أهله، وحال بينهم وبين ما يشتهون.

أيها المسلمون: ليلتان اثنتان يجعلُهُما كلُ مسلم في ذاكرته، ليلةٌ في بيته، مع أهله وأطفاله، منعماً سعيداً، في عيش رغيد، وفي صحةٍ وعافية، يضاحك أولاده ويضاحكونه، يلاعبُهم ويلاعبونه والليلة التي تليها، وبينما الإنسانُ يجرُ في ثياب صحته منتفعاً بنعمة العافية، فرحاً بقوته وشبابه، لا يخطر له الضعفُ على قلب، ولا الموتُ على بال، إذ هجم عليه المرض، وجاءه الضعفُ بعد القوة، وحل الهمُ من نفسه محل الفرح، والكدرُ مكان الصفاء، ولم يَعُدْ يؤنسهُ جليس، ولا يريحه حديث، قد سئم ما كان يرغبه في أيام صحته، على بقاءٍ في لبه، وصحةٍ في عقله، يفكر في عمر أفناه، وشبابٍ أضاعه، ويتذكر أموالاً جمعها، ودوراً بناها، وقصوراً شيدها، وضياعاً جد وكد في حيازتها، ويتألمُ لدنيا يفارقها، ويترك ذريةً ضَعافاً يخشى عليهم الضياع من بعده، مع اشتغال نفسه بمرضه وآلامه، وتعلقِ قلبه بما يعجل شفاءه، ولكن ما الحيلةُ إذا استفحل الداء، ولم يجدي الدواء، وحار الطبيب، ويئس الحبيب.

﴿وَجَآءَتْ سَكْرَةُ ٱلْمَوْتِ بِٱلْحَقِّ ذَٰلِكَ مَا كُنتَ مِنْهُ تَحِيدُ ﴿١٩﴾﴾ [سورة ق، الآية: ١٩]. عند ذلك، تغير لونه، وغارت عيناه ومال عنقُه وأنفُه، وذهب حسنُه وجمالُه، وخرس لسانُه، وصار بين أهله وأصدقائه ينظرُ ولا يفعل، ويسمع ولا ينطق، يقلب بصره فيمن حوله، من أهله وأولاده، وأحبابه وجيرانه، ينظرون ما يقاسيه من كَرْبٍ وشده، ولكنهم عن إنقاذه عاجزون، وعلى منعه لا يقدرون، ﴿فَلَوْلَآ إِذَا بَلَغَتِ ٱلْحُلْقُومَ ﴿٨٣﴾ وَأَنتُمْ حِينَئِذٍ تَنظُرُونَ ﴿٨٤﴾ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنكُمْ وَلَٰكِن لَّا تُبْصِرُونَ ﴿٨٥﴾﴾ [سورة الواقعة، الآيات: ٨٣ـ٨٥]. ثم لايزال يعالج سكرات الموت، ويشتدُ به النزع، وقد تتابع

نَفَسُهُ، واختل نبضُه وتعطل سمعه وبصره، حتى إذا جاء الأجل، وفاضت روحه إلى السماء، صار جثةً هامدةٍ وجيفةً بين أهله وعشيرته، قد استوحشوا من جانبه، وتباعدوا من قربه، ومات اسمه الذي كانوا يعرفون، كما مات شخصه الذي كانوا به يأنسون، فلا حول ولا قوة إلا بالله.

أيها المسلمون: إن أكبر واعظٍ هو الموت، الذي قدَّره الله على خلقه، وكتبه على عباده، وانفرد جل شأنه بالبقاءِ والدوام، فما من مخلوق ـ مهما امتد أجلهُ ـ وطال عُمْرُه، إلا وهو نازلٌ به، وخاضعٌ لسلطانه ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ ثُمَّ إِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴿٥٧﴾﴾ [سورة العنكبوت، الآية: ٥٧] ولو جعل اللهُ الخلود لأحد من خلقه لكان ذلك لأنبيائه المطهرين، ورسله المقربين، وكان أولاهم بذلك صفوة أصفيائه ﷺ كيف لا، وقد نعاه إلى نفسه بقوله: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ﴿٣٠﴾﴾ [سورة الزمر، الآية: ٣٠] فالموت، حتمٌ لا محيص عنه، ولا مفرَّ منه، يصل إلينا في بطون الأودية، وعلى رؤوس الجبال، وفوق الهواء، وتحت الماء، فلا ينجو منه ملائكةُ السماء، ولا ملوكُ الأرض، ولا أحدٌ من أنس أو جن أو حيوان، ولو كانوا في بطون البروج، وغياهب الحصون ﴿أَيْنَمَا تَكُونُوا۟ يُدْرِككُّمُ ٱلْمَوْتُ وَلَوْ كُنتُمْ فِى بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍ﴾ [سورة النساء، الآية: ٧٨] ولو نجا أحد من الموت لبسطةٍ في جسمه، وقوةٍ في بدنه، أو وفرةٍ في ماله، وسعةٍ في سلطانه وملكه، لنجا من الموت كثير من الناس، وإلا فأين عادٌ وثمود؟ وفرعونُ ذو الأوتاد؟ أين الأكاسرةُ؟ وأين القياصرة؟ أين الجبابرة والصناديد الأبطال؟ فالموت لا يخشى أحداً، ولا يبقي على أحد، ينتزع الطفل من حضن أمه، ويهجم على الشاب الفتي، والفارس القوي.

أيها الناس: الموت على وضوح شأنه، وظهور آثاره، سرٌ من الأسرار، التي حيرت الألباب، وأذهلت العقول، وتركت الفلاسفة مبهوتين، والأطباء مدهوشين، الموت!! كلمةٌ ترتجُ لها القلوب، وتقشعرُ منها الجلود، ما ذكر في قوم إلا ملكتهم الخشية، وأخذتهم العبرة، وأحسوا بالتفريط وشعروا بالتقصير، فندموا على ما مضى، وأنابوا إلى ربهم، فنسيانُ الموت ضلالٌ مبين، وبلاءٌ عظيم، ما نسيه أحدٌ إلا طغى، وما غفل عنه امرؤٌ إلا غوى، ولا يمكن علاج ذلك ولا التخلص منه إلا أن يتذكر الإنسان قول الله ﴿وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌۢ بِأَىِّ أَرْضٍ تَمُوتُ ۚ﴾ [سورة لقمان، الآية: ٣٤] وقوله ﷺ: «**أكثروا من ذكر هادم اللذات الموت**».

أيها المسلمون: قال رسول الله ﷺ: «**إن العبدَ المؤمن، إذا كان في انقطاع من الدينا وإقبالٍ من الآخرة، نزل إليه ملائكةٌ، من السماء، بيضُ الوجوه، كأن وجوههم الشمس، معهم كفنٌ من أكفان الجنة، وحنوطٌ من حنوطِ الجنة، حتى يجلسوا منه مد البصر، ويجيءُ ملكُ الموتِ حتى يجلس عند رأسه، فيقول: أيتها النفسُ الطيبة، اخرجي إلى مغفرةٍ من الله ورضوان، فتخرج فتسيلُ، كما تسيلُ القطرة من في السقاء، فيأخذها، فإذا أخذها لم يدعوها في يده طرفة عين، حتى يأخذوها، فيجعلوها في ذلك الكفن، وفي ذلك الحنوط، ويخرجُ منه كأطيب نفحةِ مسكٍ وُجدت على وجهِ الأرض، فيصعدون بها، فلا يمرون على ملأ من الملائكة إلا قالوا: ما هذا الروح الطيب؟ فيقولان: فلان ابنُ فلان، بأحسن أسمائه التي كان يسمى بها في الدنيا، حتى ينتهوا بها إلى السماء الدنيا، فيستفتحون له، فيُفتحُ له فيشيعه من كل**

سماء مقربوها، إلى السماء التي تليها، حتى ينتهي بها إلى السماء السابعة، فيقول الله عزوجل: اكتبوا كتاب عبدي في عليين، وأعيدوه إلى الأرض في جسده، فيأتيه ملكان فيُجلسانه فيقولان: من ربك؟ فيقول ربي الله، فيقولان: ما دينك؟ فيقول: ديني الإسلام، فيقولان: ماهذا الرجُل الذي بُعث فيكم؟ فيقول: هو رسول الله ﷺ فيقولان: ما يدريك؟ فيقول: قرأتُ كتاب الله وآمنت به وصدقتُه، فينادي منادٍ من السماء، أن قد صدق عبدي، فأفرشوه من الجنة، وافتحوا له باباً إلى الجنة. قال: فيأتيه من رَوْحِهَا وطيبها، ويُفْسحُ له في قبره مدَّ بصره، قال ويأتيه رجلٌ حسنُ الوجه، حسنُ الثياب، طيبُ الريح، فيقول: أبشر بالذي يسُرك، هذا يومُك الذي كنت توعد. فيقول: من أنت؟ فوجهك الوجهُ الحسنُ يجيء بالخير، فيقول أنا عملك الصالح. فيقول: رب أقم الساعة رب أقم الساعة، حتى أرجع إلى أهلي ومالي، وإن العبد الكافر، إذا كان في انقطاعٍ من الدنيا وإقبالٍ من الآخرة، نزل إليه ملائكة سود الوجوه، معهم المُسوح، فيجلسون منه مدَّ البصر، ثم يجيءُ ملكُ الموت، حتى يجلس عند رأسه: فيقول: أيتها النفسُ الخبيثة، اخرجي إلى سخطٍ من الله وغضب، فتفرَّقُ في جسده، فينتزعها كما ينتزعُ السفودُ من الصوف المبلول، فيأخذها، فإذا أخذها لم يدعوها في يده طرفة عينٍ، حتى يجعلوها في تلك المسوح، وتخرجُ منها، كأنتن جيفةٍ وُجِدت على الأرض، فيصعدون بها، فلا يمرون بها على ملأ من الملائكة إلا قالوا: ما هذه الروح الخبيثة؟ فيقولون، فلان ابنُ فلان، بأقبح أسمائه التي كان يسمى بها في الدنيا حتى ينتهى بها إلى السماءَ الدنيا، فَيَستَفتحُ لها فلا يُفتح له. ثم قرأ رسول الله ﷺ ﴿ لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ

أَبْوَابُ ٱلسَّمَآءِ وَلَا يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ ٱلْجَمَلُ فِى سَمِّ ٱلْخِيَاطِ ﴾ [سورة الأعراف، الآية: ٤٠] فيقول الله عزوجل اكتبوا كتابه في سجين، في الأرض السفلى، ثم تُطرح روحُه طرحاً، ثم قرأ ﴿ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَتَخْطَفُهُ ٱلطَّيْرُ أَوْ تَهْوِى بِهِ ٱلرِّيحُ فِى مَكَانٍ سَحِيقٍ ﴿٣١﴾ ﴾ [سورة الحج، الآية: ٣١] فتعادُ روحُه في جسده، ويأتيه ملكان فيجلسانه فيقولان له: من ربك، من ربك؟ فيقول: هاه هاه لا أدري، فيقولان له: ماهذا الرجلُ الذي بُعث فيكم؟ فيقول هاه هاه لا أدري فينادي منادٍ من السماء: أن كذبَ فأفرشوه من النار، وافتحوا له باباً إلى النار، فيأتيه من حرِّها وسمُومِها، ويُضيقُ عليه قبرهُ حتى تختلف فيه أضلاعه، ويأتيه رجلٌ قبيحُ الوجه، قبيحُ الثياب، منتنُ الريح، فيقول: أبشر بالذي يسوؤك هذا يومك الذي كنت توعد، فيقول: من أنت؟ فوجهك الوجهُ القبيح يجيء بالشر، فيقول: أنا عملُك الخبيث. فيقول: رب لا تقم الساعة» [رواه الإمام أحمد].

أيها المسلون: إن لنا في السلف الصالح أسوةً حسنة، وقدوةً طيبة، فقد كانوا يكثرون من ذكر الموت حتى في أوقات الصفاء، وأيام السرور، وكان ذلك يبعثهم على الجد في طاعة الله، والبعد عن مساخطه.

لما تولى عمرُ بنُ عبدالعزيز، وخطب خُطبة الخلافة، ذهب يتبوأ مقيلا، فأتاه ابنه عبدُالملك فقال: ياأمير المؤمنين، من لك أن تعيش إلى الظهر، قال: ادن مني أي بني، فدنا منه فالتزمه، وقبل بين عينيه وقال: الحمد لله الذي أخرج من صلبي من يُعينُني على ديني، فخرج ولم يقل، وأمر منادياً له أن ينادي، ألا من كانت له مظلمةٌ فليرفعها.

وقال بعض الناس: دخلنا على عطاءٍ السلمي، نعوده في مرضه الذي مات فيه، فقلنا له: كيف حالُك؟ فقال: الموتُ في عنقي، والقبرُ في يدي، والقيامةُ موقفي، وجسرُ جهنّمَ طريقي، ولا أدري ما يُفعل بي، ثم بكا بكاءً شديداً، حتى أغشى عليه، فلما أفاق قال: اللهم ارحمني وارحم وحشتي في القبر، ومصرعي عند الموت، وارحم مقامي بين يديك ياأرحم الراحمين.

ودخل المزنيُ عند الإمام الشافعي، في مرضه الذي مات فيه، فقال له: كيف أصبحت ياأباعبد الله؟ فقال: أصبحتُ عن الدنيا راحلاً، وللإخوان مفارقاً، ولسوءِ عملي ملاقياً، ولكأس المنية شارباً وعلى ربي سبحانه وتعالى وارداً، ولا أدري أروحي صائرةٌ إلى الجنةِ فأهنيها، أو إلى النار فأعزيها.

قال بعض الحكماء: مازالت المنونُ ترمى عن أقواس، حتى طاحت الجسومُ والأنفس، وتبدلت النعمُ بكثرةِ الأبؤس، واستوى في القبور الأذنابُ والأرؤس، وصار الرئيسُ كأنه قطٌّ لم يرؤس، فمن عامل الدنيا خسر، ومن حمل في صف طلبها كُسر، وإنَّ خلاص مُحبها منها عسر، وكلُ عاشقيها قد قيد وأُسر ﴿مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُوا۟ تَبْدِيلًا ﴿٢٣﴾﴾ [سورة الأحزاب، الآية: ٢٣].

فيا تائهاً بوادي الهوى، انزل ساعةً بوادي الفكر، يُخبرك بأن اللذة قصيرة، والعقاب طويل، واعجباً لمن يشتري شهوة ساعةٍ، بالغم والنكد، كانت المعصية ساعةً لا كانت، فكم ذلت بعدها النفس، وكم تصاعد لأجلها النفس، وكم جرى لتذكارها دمع. أعاذنا الله جميعاً من الغفلة، ومن سوء المنقلب في المال والأهل والولد.

عباد الله: أقول ما تسمعون واستغفر الله لي ولكم ولسائر المسلمين من كل ذنب فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده.

وبعـد:

فاتقوا الله عباد الله، واعلموا أن الدنيا، دارُ بلاءٍ وابتلاءٍ، وامتحانٍ واختبار، لذلك قدر اللهُ فيها الموت والحياة، وهي مشحونةٌ بالمتاعب، مملوءةٌ بالمصائب، طافحةٌ بالأحزان والأكدار، يزول نعيمها، ويذلُ عزيزُها، ويشقى سعيدها، ويموت حيُها. مُزجت أفراحُها بأتراح، وحلاوتُها بالمرارة، وراحتُها بالتعب، فلا يدوم لها حال، ولا يطمئن لها بال.

فليت شعري، أي امريءٍ سلم فيها من الشدة والنكبة، أيُ امريءٍ لم تمسسه المصيبةُ والحسرة، من عاش لم يخل من المصيبة، وقلما ينفكُ عن عجيبة.

فكم من ملوكٍ وجبابرة فتحوا البلاد، وسادوا العباد، وأظهروا السطوة والنفوذ، حتى ذُعرت منهم النفوس، ووجلت منهم القلوب، ثم طوتهُم الأرض بعد حين، فافترشوا التراب، والتحفوا الثرى، فأصبحوا خبراً بعد عين، وأثراً بعد ذات.

وكل إنسان، سيسلكُ الطريقَ الذي سلكوه، وسيدركُ الحال الذي أدركوه، ولكنه مأخوذٌ بغمرةٍ من الدنيا عابرة، ستليها ويلات. مستغرقٌ في سبات عميق، ستكشفه سكرات ﴿أَلْهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ ۝١ حَتَّىٰ زُرْتُمُ ٱلْمَقَابِرَ ۝٢ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ۝٣ ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ۝٤﴾ [سورة التكاثر، الآيات: ١ـ٤].

هذا وصلوا رحمكم الله، على خير البرية، وأفضل البشرية، محمد بن عبدالله بن عبدالمطلب صاحب الحوض والشفاعة،

اللهم صل وسلم عليه وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

اللهم أعز الإسلام والمسلمين، وأذل الشرك والمشركين، ودمر أعداء الدين، اللهم فرج هم المهمومين من المسلمين، ونفس كرب المكروبين، وأقض الدين عن المدينين، واشف مرضانا ومرضى المسلمين.

اللهم اجعل القبور بعد فراق الدنيا من خير منازلنا، وافسح بها ضيق ملاحدنا، وثبت على الصراط أقدامنا، وارحم يوم العرض عليك ذل مقامنا، اللهم وفقنا للصالحات قبل الممات، وأرشدنا إلى استدراك الهفوات من قبل الفوات، وألهمنا أخذ العدة للوفاة قبل الموافاة، ونجنا يوم العبور على الصراط حين تنسكب العبرات، اللهم وفق ولي أمرنا.

ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار، سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين.

أدركـوا الحـرأة

الخطبـة الأولى

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه، ونستغفره ونتوب إليه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ﴿١٠٢﴾ ﴾ [سورة آل عمران، الآية: ١٠٢].

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ﴿١﴾ ﴾ [سورة النساء، الآية: ١].

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ﴿٧٠﴾ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾ ﴾ [سورة الأحزاب، الآيتان: ٧٠، ٧١].

أما بعـد:

فاتقوا الله عباد الله، فبتقوى الله عز وجل، يصل العبد إلى منازل الأبرار، وبتقوى الله عز وجل ينجو العبد من المهالك،

ويبتعدُ عن مسالكِ الشر والأشرار.

أيها المسلمون: يحكى أن رجلاً وقف على طرف غصنٍ لشجرة، يعمل هو في قطعه من ناحية الجذع، دون أن ينتبه إلى حتمية السقوط الذي سيصيرُ إليه إذا انقطع الجذع، فإذا مر من ينبهه إلى هذا المصير، الذي انتهى إليه فيما بعد، نهض يعدو خلفه ليقول له، لقد عرفت أمر سقوطي قبل حصوله، فلن أدعك حتى تنبئني بنهايتي متى تحين.

أيها المسلون: إن هذه الصورة الغريبة، من الرجل الساذج القح، تمثل واقع المرأة المسلمة اليوم، في اندفاعها المحموم وراء المجهول، التي لم تجرب قط أن تسأل نفسها عن غايته ومحتواه، وهذا المجهول هو الذي أضاع شخصيتها، وصرفها عن حقيقتها، فجعلها كالكرة، تتخبطها مضارب اللاعبين، فتتهادى في كل اتجاه، وهذا المجهول لا يتاح التخلصُ من ضغطه، إلا للمرأةِ التي تستطيعُ أن تعزل نفسها، ضمن حصانةٍ من الشرع الحكيم.

لقد وصلت المرأة المسلمة إلى مطلع هذا العصر، مصونة الفطرةِ من الانحلال، على الرغم من كل ظروفها السيئة، ولكنها ما أن طلت على مفاسد الغرب حتى اجتالتها شياطينُه فإذا هي تتخبط في مستنقعه، لا تجدُ مستقراً، ولا تهتدي طريقاً.

لقد راعها من الغرب بريق مصانعه، وطرافةُ منتجاته، فرضيت بالسير وراء الهابطات من نسائه، تتبعُ آثارهن في كل زي ومسلك، حتى أصبحت لا ترضى عن ثوبها، إلا بمقدار انطباقه على نماذجهن الواردةِ في أزياء الهابطات وأشباههن.

فإذا رأيت ثوبها طويلاً يستر بعض العورة، فاعلم أنه صورةٌ من

ذلك النموذج الجديد.

أيها المسلمون: إننا لنحس بالأرض تميدُ تحت بيوتنا وأسرنا، ونرى إلى بناتنا وهن يتخبطن في شَرَكِ الفتنة، فنهلع ونعظُ ونذكر، ولكن تذهب تلك المواعظ، وكأنها خرِفٌ يكلم الأشباح، أو يطعن في الرياح!!! أجل، لقد بات وضعُ المرأةِ المسلمة في مهب الأعاصير، فليس من الحكمة أن يُترك زمامه للدعوات الساقطة، تقذف به حيث يشاء أولوا الأهواء.

ففي المجتمع الحديث يحتل حديثُ المرأة حيزاً كبيراً من تفكير الباحثين، ولذلك كان لزاماً على من يتكلمُ في هذا الإطار ألا يصرف النظر عن وضع المرأة في القديم، ليتاح له الإلمامُ بمنزلتها لدى الأمم، ولا جرم!! فإن الناظر في واقع المرأة قبل الإسلام لن يجد ما يسره، إذ يرى نفسه أما تخبطٍ عالمي تجاه المرأة، ويعجبُ كل العجب، من اختلاف البيئات والقبائل في نظرتها للمرأة، حيث تتراوح صعوداً فتتولى زمام الملك، وهبوطاً فيكون الوأدُ مصيرها خشية الفاقة والعار.

قال تعالى عن ملكة سبأ ﴿إِنِّي وَجَدتُّ ٱمْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَىْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ ﴿٢٣﴾﴾ [سورة النمل، الآية: ٢٣] وقال تعالى عن الوجه المضاد لما ذكر ﴿وَإِذَا ٱلْمَوْءُۥدَةُ سُئِلَتْ ﴿٨﴾ بِأَىِّ ذَنۢبٍ قُتِلَتْ ﴿٩﴾﴾ [سورة التكوير، الآيتان: ٨، ٩] لقد كانت المرأة في الجاهلية، زريةً مُهانة في الأسرةِ والمجتمع، طفلةً وشابة، استعبدها الرجال في ذلةٍ وامتهان، إن سَألت لا تُجاب، وإن احتيج إليها فللسقي والاحتطاب، فإن تسامت، فلإبراز غَلةِ الشهوة، في إزورارٍ ونظرات شزراء، ويومِ خروجها للدنيا يومٌ تسود فيه الوجوه، وبشرى البشير بها سخطٌ وإغضاب، وبشراها

هي الدفنُ حيةً في التراب، عقولٌ فارقها رُشدها لطول عهدها بنور السماء، وهُدى الأنبياء، رجالٌ صنعتهم الوثنية، وربتهم الكهانة، فأصبحت فصاحةُ ألسنتهم، وكرمُ أيديهم، وشجاعةُ أبدانهم، بروقاً تومض ولا تضيء، وتُرعدُ ولا تُمطر. ولعل الطابع البارز في حكم العالم القديم على المرأة، هو أنها موضع اللذة، لا وزن لها إلا بمقدار ما تطلبه نزوة الرجل ورغبته، فهذه معركة ذي قار، وهي من أضخم أحداث الجاهلية، نشبت بسبب امرأةٍ أرادها كسرى، وأباها النعمانُ عليه، وقد نالت الجاهليةُ من المرأة أقسى مَنَال، فحرمتها حق الحياة، فسُبيت وبيعت ووئدت.

قال ابن عباس رضي الله عنه: إذا سرك أن تعلم جهل العرب فاقرأ قول الله تعالى: ﴿قَدْ خَسِرَ ٱلَّذِينَ قَتَلُوٓاْ أَوْلَٰدَهُمْ سَفَهَۢا بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ [سورة الأنعام، الآية: ١٤٠] فمن خلال هذه الملامح، ندرك كيف جمحت الجاهلية بالمجتمع العربي، فشذ عن سواء السبيل، وانطلق يَخْبِطُ في مهامِه الحياة ودروبها خبط عشواء. وفي طوايا هذا الظلام ينبعث فجرُ الإسلام، فتسمعُ في الدنيا لأول مرة ﴿وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ﴾ [سورة التوبة، الآية: ٧١] ويسمع قولُه: ﴿وَلَهُنَّ مِثْلُ ٱلَّذِى عَلَيْهِنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ﴾ [سورة البقرة، الآية: ٢٢٨] ويسمع قولهُ ﷺ «**استوصوا بالنساء خيراً**».

وبذلك، يضعُ الإسلام الأسس الكبرى لكيان المرأة الجديد، الذي ما لبث أن آتى ثماره في ظل المدرسة النبوية، فإذا المرأةُ إمام تستفتى في أعظم المسائل، وإذ هي مصلحة تقف في وجه الفاروق رضي الله عنه، لترده إلى الحق فيقول، أصابت امرأةٌ وأخطأ عمر، ولم يكتف الإسلام بكل هذه النعم، التي يُفيضها على المرأة، بل جعل الأم أحق بالإكرام من الأب، قال رجل:

يارسول الله من أبر؟ قال: أمك قال: ثم من؟ قال أمك قال ثم من؟ قال أمك قال ثم من؟ قال أباك [رواه البخاري ومسلم].

وكمااعتنى الإسلام بالمرأة أمًّا، فقد عُني بها كذلك زوجة وابنة وأختاً.

أيها المسلمون: لقد وضع الإسلام للمرأة سياجاً قوياً مانعاً من الضياع، إذا هي أخذت به نجت، وإن هي أضاعته ضلت وهلكت، ذلك هو سياج الحشمة والعفاف، الذي يكون من مقتضاه الحجابُ الشرعي، والقرارُ في البيوت، والبعدُ عن مزاحمة الرجال، فتصبحُ بذلك جوهرةً في صدفة، لا يعرفها إلا الخواص.

فالإسلام يرى في الاختلاط بين الرجل والمرأة خطراً محققاً، فهو يباعد بينهما إلا بالزواج. وأعداء الإسلام يدركون قيمة الحجاب، وأثر قرارِ المرأة في بيتها، في حمايةِ المرأة المسلمة، وصيانة عفتها وطهارتها، لذلك، تراهم يشنون على الحجاب حرباً شعواء، لا هوادة فيها، فيصفونه بالظلم والجور تارة، وبأنه دخيلٌ على حياة المسلمين أخرى، وبأنه يحولُ دون تقدم المجتمع ثالثة، وهم بذلك يزينون للمرأةِ الخروج من بيتها، بسبب وبدون سبب، وما بأعداء الإسلام عطفٌ على المرأة المسلمة، ولا رحمةٌ بها، ما بهم غيرةٌ على الإسلام، ولا حبٌ بالمسلمين، إنما هو لا غير الحقد الدفين، والكيدُ المضمر، والكراهيةُ المكنونة في نفوسهم ﴿هَـٰأَنتُمْ أُولَاءِ تُحِبُّونَهُمْ وَلَا يُحِبُّونَكُمْ﴾ [سورة آل عمران، الآية: ١١٩] لقد ترقت المفاهيمُ السياسيةُ في هذا العالم الفسيح، حتى أصبح كلُ ذي لبٍ وبصيرة يملك من قوةِ الحدس، ما يكشف له اليد الصهيونية، والحقد الدفين، على الأمم والشعوب،

لتدميرها عقدياً واجتماعياً وأخلاقياً، تساوقاً مع مقررات حكمائهم.

أيها المسلون: إن خلل الرماد وميضُ جمر، يستهدف المرأة المسلمة، في ظروفٍ مقصودة، تسلُبُها الثقةَ بنفسها ومقوماتها، إن اليهود قد شنوا الحرب على حجاب المرأة المسلمة من قديم، مُذْ تآمروا على نزع حجاب المرأة، وكشفِ سوءتها في سوق بني قينقاع، أيام رسول الله ﷺ، ومازالت حربهم مشبوبةً مشتعلة، لا يزيدها الزمن إلا اشتعالاً واضطراماً، لأنهم يدركون جيداً أن إفساد المرأة، إفساد للمجتمع المسلم.

ويالللأسف الشديد، فكم من المسلمين من استسلم لإغوائهم، وكم من المسلمين من رضع من أثداء حربهم لحجاب المرأة. فلا ريب أن منهم من قد غُسلت أدمغتهم في دهاليز الكفر، وترعرعوا في كنف الإلحاد، فالتحف فريقٌ منهم الإسلام وتبطن الكفر حمل بين كفيه لساناً مسلماً، وبين جنبيه قلباً كافراً مظلماً، حرِص كل الحرص، على أن ينزع حجاب المرأة المسلمة، ويخدش كرامتها، فلم يجدْ أولئك أعونَ لهم من أن يقدموا لنا تحرير المرأة على طبق إسلامي، ويتولىٰ تزيين هذا الطبق سَدَنَتُه من أرباب الشهوة، وعباد المرأة، ومن الذين كرهوا ما نزل الله.

أيها المسلون: إن بناتنا من أفضل ثمارنا، وخير زروعنا، إنهن الرحاحينُ الناضرةُ في حياتنا. إنهن فلذاتُ أكبادنا، وإن هذه الزروع يُوشكُ أن نُحرمَ منها، ويُوشكُ أن تعصِفَ بها الريح، بعد أن طابت ورجونا خيرها وبرهَا، أتدرون أيُ ريح هذه؟ إنها ريحُ الإثم والجريمة المنتة، ريحُ التبرج والسفور، تنقلها إليهن بعضُ الصحف والمجلات، والروايات الرخيصة، التي تنشرُ الإثم

عارياً، وتتحدثُ عن تحرير المرأة بإسلوبٍ قذرٍ مكشوف.

إنهم ينشدون المرأة أن تئد نفسها وهي حية؛ ينشدون المرأة، أن تئد نفسها ولكن من دون تراب، ينشدون المرأة أن تئد نفسها في عفتها!! أن تئد نفسها في كرامتها!! أن تئد نفسها في طهارتها وبرائتها، فما قيمةُ حياتها إذن؟ ماذا تجني من بقائها حية، إلا العارَ والشنار!!!

أيها المسلون: لو قلت لكم من على هذا المنبر، إن وأدَ هذا العصر أشدُ خطراً من وأد الجاهلية الأولى، أوَكنتم مصدقي؟ إن قلتم نعم، فستسألون لماذا؟ فأقول لكم: إنه قد جاء في مسند الإمام أحمد عن النبي ﷺ أنه قال: «**والموءودة في الجنة**» وأما الموءودة في هذا العصر فكيف تكون كذلك وهي التي وأدت نفسها، فأذهبت عفتها، وباعت حياءها، كيف لا؟! وقد قال ﷺ عن أمثالها: «**بأنهن كاسياتٌ عارياتٌ مائلاتٌ مميلات، رؤوسهن كأسنمة البخت المائلة لا يدخلن الجنة ولا يجدن ريحها**».

أيتها المرأة المسلمة، يافتاة الإسلام، اسمعي وعي، كي لا تخدعي.

إن باب الإصلاح أمامك أنت أيتها المرأة، ومفتاحُه بيدك، فإذا آمنت بوجوده وعملت على دخوله صلحُت الحال، صحيح أن الرجل هو الذي يخطو الخطوة الأولى أحياناً في طريق الإثم، لا تخطوها المرأةُ قبله، ولكن لولا رضاك ما أقدم، ولولا لينُك ما اشتد، أنت فتحت له الباب، وهو الذين دخل. قلتِ للص: تفضل، فلما سرقك اللصُ صرخت أغيثوني أغيثوني، ولو عرفت أن ذلك الرجل ذئبٌ وأنت النعجة، لفررت منه فرار النعجة من الذئب، وإذا كان الذئبُ لا يريد من النعجة إلا لحمها، فالذي

يريده منك الرجل أعزُ عليك من اللحم على النعجة، يريد منك أعز شيء عليك!!! يريد عفافك الذي به تشرفين، وبه تعيشين، تشتركان في لذة ساعة، ثم ينسى هو، وتظلين أنت أبداً تتجرعين غصصها، يمضي خفيفاً يفتش عن مغفلةٍ أخرى يسرقُ منها عرضها، وينوءُ بك أنت ثقلُ الحمل في بطنك، والهم في نفسك والوصمة على جبينك، يغفر له المجتمع كله، ويقول: شابُ ضل ثم تاب، وتبقين أنتِ في حمأة الخزي والعار طوال الحياة، لا يغفر لك المجتمع الظالم أبداً.

ولو أنك إذا لقيت الرجل زويت عنه بصرك، وأريته الحزم والإعراض، لو أنك فعلت هذا لرأيت الجميع عوناً لك عليه، ولما جرؤ بعدها فاجرٌ على ذاتِ سوار، ولجاءك إن كان تائباً مستغفراً يسألُ الصلةَ بالحلال!! جاءك يطلب الزواج.

والفتاةُ مهما بلغت من المنزلة والغنى والشهرة والجاه، لا تجدُ أملها الأكبر إلا في الزواج. فالزواج أقصى أماني المرأة في الدنيا، ولو صارت عضوة البرلمان، وصاحبة السلطان. والفاسقة المستهترة لا يتزوجها أحد، حتى الذي أغواها وأراق عفتها بين قدميه. والرجلُ ـ وإن كان فاسقاً داعراً ـ إذا لم يجد في سوق اللذات نبتاً، ترضى أن تريق كرامتها على قدميه، وأن تكون لعبةً بين يديه، إذا لم يجد المرأة التي تشاركه في الزواج على دين إبليس، وشريعةِ القطط فوق الأسوار، طلب من تكون زوجته على سنة الإسلام.

فيا فتاة الإسلام لا تسمعي كلام أولئك الذين يزينون لك حياة الاختلاط، باسم الحرية والمدنية والتقدمية، فإن عدداً من هؤلاء، لا يَهمُهُ منكِ إلا اللذةُ العارضة والشهوةُ المسعورة.

فهذه نصيحتي إليك، وهذا هو الحقُ فلا تسمعي غيره، واعلمي أن بيدك أنت مفتاح باب الإصلاح، فإذا شئت أصلحت نفسك، وأصلحت بصلاحك الأمة كلها.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَىٰ وَأَقِمْنَ الصَّلَاةَ وَآتِينَ الزَّكَاةَ وَأَطِعْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ [سورة الأحزاب، الآية: ٣٣].

أقول ماتسمعون واستغفر الله لي ولكم ولسائر المسلمين من كل ذنب فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبـة الثانيـة

الحمد لله حمداً طيباً مباركاً فيه، كما يحب ربنا ويرضاه، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، صلى الله وسلم عليه وعلى آله وصحبه أجمعين.

وبعـد:

فيا أيها الناس: إن الحديث عن المرأة لا ينتهي، لأنها نصفُ البشرية، والذي يهمنا أن نؤكده هو أن كل ما نقولُ في حق المرأة، إنما هو من منطلق غيرتنا كمسلمين، على أخواتنا في الإسلام، وحِرصاً على صيانتهن وحمايتهن، ولا ريب أن الواجب يضعُ على كل عاتق نصيبه من المسئولية، فلا يُستثنى من ذلك صغيرٌ ولا كبير، ولا حاكمٌ ولا محكوم.

غير أن الخطر قد بات من الإحكام، بحيثُ لا يصلحُ لدرئه عملياً سوى الكبار، من آباءٍ ومسئولين، فرب حكمة من مسؤول تكون كالسد المنيع في طريق السيول.

وإن واجب الديانة ثم مصلحة الأمة يهيبان بكل مسؤول من أبٍ أو غيره، أن يضغطوا على كابح القاطرة، قبل أن تصير إلى حافة الهاوية، وأين موضعُ هذا الكابح إن لم يكن في التشريع، الذي يفرضُ على المرأة أن تكفَ عن السباق المحموم الذي تمارسه في حلبة التقليد الأعمى؟!

التشريع!!! الذي يقول للمرأةِ: رويدك مهلاً!!! لقد ملأت بتبرُجك دروب الناس ألغاماً، فاحفظي حياءك، والزمي حدود الحشمة.

ثم اعلمي أيتها المرأة المسلمة: أن الله تعالى قد أمر بالحجاب

في قوله ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَآءِ ٱلْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَٰبِيبِهِنَّ﴾ [سورة الأحزاب، الآية: ٥٩].

قال ابن كثير: والجلباب: هو الرداء فوق الخمار، وقال ابن عباس رضي الله عنه: أمر الله نساءَ المؤمنين إذا خرجن من بيوتهن في حاجة أن يغطين وجوههن فوق رؤوسهن بالجلابيب، ويبدين عيناً واحدة.

وبذلك تعلمين أيتها المرأة، أن ما يفعله كثير من النساء اليوم؛ من تغطية الوجه، مع إخراج العينين وما جاورهما من طرفِ الأنف، والحواجب وشيءٍ من الخدين، أن هذا كله خطأٌ واضح، ومسلكٌ مشين، فبالله عليك، ماذا أبقت المرأة من زينة الوجه حينئذٍ؟ بل ربما بفعلهن هذا سترن القبيحَ وأبرزن الحسن، والشارعُ الحكيم أذن في إبراز إحدى العينين، لترى المرأةُ بها الطريق، لا أن يراها أهلُ الطريق.

إن النساء إذا خرجن بلباسٍ يكشف أكثر مما يستر، وقد زججن الحواجب، وكحلن العيون، ووضعن عطوراً تشدُ حاسةَ الشم من بعيد، وكشفن عن أعينهن كشفاً يشدُ حاسة البصرِ لدى الرجال، فتكادُ العيونُ تخرج من محاجرها مشرئبةً، إنهن بذلك يحركن جانب الفجور في النفس، ويُشعلن كوامن الشهوة لدى الرجال، فتتقدُ كالنار المتأججة في الصدر، وتمتدُ بالتالي سرياناً كاللهيب، إلى كل جارحةٍ من جوارح الرجل. أعاذنا الله وإياكم من الفتن، ما ظهر منها وما بطن.

هذا وصلوا رحمكم الله على خير البرية، وأفضل البشرية، محمد بن عبدالله بن عبدالمطلب، صاحب الحوض والشفاعة، اللهم صل وسلم على عبدك ورسولك محمد وارض اللهم عن

أهل بيته الطيبين الطاهرين، وعن صحابته والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

اللهم أعز الإسلام والمسلمين، ودمر أعداء الدين، اللهم من أرادنا وأراد المسلمين بسوء فاشغله في نفسه واجعل كيده في نحره ياسميع الدعاء، اللهم احفظنا في أنفسنا، واحفظنا في أزواجنا واحفظنا في بناتنا وأبنائنا، اللهم أصلح نساء المسلمين وجنبهن التبرج والسفور، ياعزيز ياغفور، اللهم جنبهن منكرات الأخلاق والأسواق والأفراح والأتراح.

اللهم وفق ولي أمرنا لما تحب وترضى، وخذ بناصيته للبر والتقوى، اللهم أصلح له بطانته ياذا الجلال والإكرام.

ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار.

عباد الله: اذكروا الله العظيم يذكركم واشكروه على نعمه يزدكم ولذكر الله أكبر والله يعلم ما تصنعون.

السفر إلى بلاد الكفر

الخطبـة الأولى

الحمد لله الدائم الذي لا يتبدل، والباقي الذي لا يزول ﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْآخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٣﴾﴾ [سورة الحديد، الآية: ٣] وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له، ﴿تُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ وَتُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيْلِ ۖ وَتُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ ۖ وَتَرْزُقُ مَن تَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٢٧﴾﴾ [سورة آل عمران، الآية: ٢٧].

وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، عَبَدهُ في ليله، وجاهدَ له في نهاره، فكان عبداً شكوراً، صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله الطيبين الطاهرين وعلى أصحابه والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعـد:

فيا أيها المسلمون: في هذه الآونة الحاضرة، من تاريخ الدنيا ومرِّ الزمن، يقف المسلمون في مشارق الأرض ومغاربها وقفة الاعتبار والتفكر، لأنهم يودعون من حياتهم عاماً مضى بما لهم وما عليهم، ولا يدرون ما الله قاضٍ فيه، وهم يستقبلون ببزوغ هلالِ هذه السنةِ الهجرية عاماً جديداً، لا يدرون ما الله فاعل فيه

﴿وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا ۖ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ ۚ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿٣٤﴾﴾ [سورة لقمان، الآية: ٣٤].

إن المسلمين وهم بين العام الراحل والعام الحاضر، لابد لهم من نظرة يلقونها على سجلاتهم وصفحات حياتهم، لينظروا ماذا كَسَبُوا وماذا خَسِروا، فيحمدوا الله جل جلاله على ما ربحوه، ويستغفروه مما اقترفوه أو صنعوه، فلنقف بين العامين وقفة المهاجر بقلبه، وإن لم يهاجر بحسه، ولنهاجر إلى الله بقلوبنا، وعقولنا وأعمالنا، ولنلجأ إليه حتى يكون معنا يسمعنا ويرانا.

أيها المسلمون: إذا وجد الحياء في نفس المرء منعه من الكثير، وحال بينه وبين الحقير من الأمور، وأما إذا خلع المرء برقع الحياء، ولم يبق في وجهه للمروءة ماء، أتى السيئات وهو يظن نفسه محسناً، وتجرأ على المنكر الشنيع، وهو يحسبه هيناً.

عباد الله: إن من المعاول الهدامة للحياء وأهله، ومن الأسباب الخطيرة على حياة الأمة المسلمة، هي تلك المشكلة الخطرة، التي يتأهب لها بعض من المسلمين في هذه الأيام.

فقد اعتاد كثير من الناس ـ في حر الصيف اللافح ـ أن يقضوا إجازاتهم في رحلات إلى شواطيء الأنهار، وإلى شواطيء البحار، في بلاد الكفار، أو في بلاد تشبهها، وقد يصطحب أولئك الناس عوائلهم، من نساءٍ ومراهقين ومراهقات، أو يذهبون وحدهم، وبعضهم يصل به الأمر إلى إرسال أولاده أو بناته، إما بدعوى السياحة والنزهة، أو بدعوى أخرى مماثلة، وينفقون في سبيل ذلك كله أموالاً طائلة، من نعم الله عليهم.

ولك أن تتعجب **أيها المسلم**: إن عدداً ضخماً من الذين فقدوا الحياء، وأسرفوا في الاستهتار من أغنياء ومترفين، يضربون أسوأ

الأمثال، فلا يعملون لأوطانهم، ولا يشتركون في النعماء والبأساء مع إخوانهم، بل يفرون من ديارهم إلى ديار الكفر، في رحلات عابثة، كُلُها إسراف وتبذير. وليت هؤلاء رحلوا حين رحلوا، وأنفقوا في سبيل الله من مجاهدين أو معوزين، ولكنهم رحلوا للهوى والشيطان، وأنفقوا ما أنفقوه على اللذة الرخيصة، والشهوةِ الوضيعة، والترف المبيد، إن السائح المسلم يساوي ضعفة من السياح من أي دين آخر، لماذا؟ لأنه ميال للبذخ، ويقيم في أرقى الفنادق، ويأكل في أرهى المطاعم، وينثر المال ذات اليمين وذات الشمال، في كل قطرٍ وفي كل مصر، وهو لذلك صيد ثمين جداً.

وهؤلاء يرون إخوانهم في الدين يحترقون عناءً وشقاءً، ثم يأبون إلا أن يبذروا أموالهم على موائد اللهو والفراغ.

أيها المسلمون: أنا لست في حاجةٍ إلى أن أفصل القول في أحوالِ تلك المصائف التي يقصدونها، ففيها من المعاصي ما الله به عليم، ولكن لك أن تعلم أيها المسلم أنه في تلك البلادِ والمصائفِ تتعرى الأجساد المحرمة، وتشربُ الخمور كالماء، وينتشرُ الزنا كانتشار النار في الهشيم، هذا كُلُه فضلاً عن الجو المادي، الذي تقسو فيه القلوب، فتصبح مشغوفةً بالشهوات والملذات، ناهيك عن الشبهاتِ العقدية والانحرافات، فيأنسُ أولئك المصطافون تلك المناظر، ويعتادونها، وربما يواقعها البعض منهم، ثم ينطلق المراهقون والمراهقات؛ من الصغار والكبار غير مصدقين ما هم فيه من فوضى وإباحية، لاسيما وقد اعتادوا في بلادهم جو المحاصرة، وقطع الشهوات إلى حد ما.

وأعود للذين يُعدون العُدة للسفر إلى تلك البلاد وشواطئها، أو

ينوون إرسال فلذات أكبادهم، ليرموهم في نار المعصية، أعود إليهم لأناديهم بنداء الإخوة والإشفاق، ولأبين لهم العواقب الوخيمة، التي تنتج من جراء تلك الأسفار، سواء كانت عواقب حسية، أو عواقب معنوية، ففي تلك البلاد تُخلعُ الكرامة، ويَنْسلخُ الحياء، فتباشر المعاصي وكأنها شيء مألوف للإنسان، ثم تستمرؤها النفوس الضعيفةُ رويداً رويداً، إلى أن تلغ في حمئها وهي لا تشعر، فإذا أُشربت النفسُ درجة تهيأت للتي تليها، ثم تَلَغ وتقعُ فيها، ثم تتهيأُ للتي بعدها حتى تقع في أكبر الفتن وهي لا تشعر.

وبذلك، يتأكد وضوحُ قوةِ سلطانِ العاداتِ والتقاليدِ على الناس، وأن النفس إذا ألفت شيئاً، لم تكَدْ تتحولُ عنه إلا في صعوبةٍ بالغة، وبطءٍ شديد، من أجل ذلك كانت تلك المخالطةُ ـ إذا تمت ـ عميقة الجذور، صعبة العلاج، بقدْرِ ما هي بطيئةُ التفاعل والتحول، لأنها لا تهجم على النفس دفعةً واحدة، ولكن النفس تتشربها آناً بعد آن، وتسري فيها بطيئةً سريان الغذاء في الأبدان، ثم تأخذ تلك النفوسُ الضعيفة، كلَ ما يساقُ إليها مما يضرُ ولا ينفع، وينتهي بها الأمرُ إلى أن تفقد خصائصها الإسلامية، التي بها قوامها، ثم تموع وتذوب، أو تضمحل وتفنى، بل الغالب على النفوس الضعيفة، أن يكون ميلها في هذا إلى جلب اسوأ ما عند غيرها ممن يخالطها، مما تدعو إليه الشهوات، وما يُغري بالراحة والاسترخاء من ألوان الترف لأنها تستحله، ومن ثم تتوهم أن كل ما عند غيرها من أهل اللهو والترف، خيرٌ مما عندها، ثم لا تسأل بعد ذلك، عن قيام تلك

النفوس الضعيفة بالدعوة إلى الإفساد، من خلال إحياء الرذيلة، والتنكر للفضيلة، وفصل النفوس عن القيم والأخلاق، لتحيى بذلك الدعاوى الوثنية، التي تهدف إلى إباحة الانحلال والفساد، وإعلاء الشهوة، وعبادة الجسد، وفتح الطريق للإنسان ليكشف عن كل نزواته وأهوائه، وليتحرر تحرراً كاملاً من كل ما يتصلُ بالمباديء والمثل، والقيم التي قررها الإسلام.

ناهيك **أيها المسلم**: عما ينتشر بين أولئك في تلك البلاد، من أمراضٍ معدية قذرة، وأوبئةٍ مستعصيةٍ مهلكة، وهي أمراض تنتشر عدواها بإذن الله على من جالس المصاب، أو مس شيئاً من جسمه، ومنها ما لا ينتشرُ بشكلٍ عارض، وإنما ينتقل نتيجةً لسلوك بشري، يمكن للإنسان أن يتوقاه، بالتمسك بالدين والعقيدة، والقيم الأخلاقية النزيهة، والابتعاد عن مواطن الريب، وقد تقرر أن أحد الأسباب الموقعة في تلك الأمراض، هو السفر إلى البلاد الإباحية في الشرق أو الغرب، وماذا في تلك البلاد؟ إنه الكفر والإلحاد، إنه الإباحيةُ والفساد، إنه الأمراضُ المعديةُ الفتاكة، إنه إضاعة المالِ وتبذيرُه، وكلُ هذه مفاسد خطيرة؛ تكفي واحدةٌ منها لقوم يعقلون.

أيها المسلمون: إنه لما كان الإسلامُ هو دين العزةِ ودين القوة، فإنه قد أبى على معتنقيه أن يُستذلوا للكفار، ولذلك جاء المنع الصارخ من الإقامة بين ظهرانيهم، لأن إقامة المسلم بينهم تشعره بالوحدة والضعف، وتربي فيه روح الاستخذاء والاستكانة، وقد تدعوه إلى المحاسنة ثم المتابعة، والإسلام يريد للمسلم أن يمتلأ قوةً وعزة، وأن يكون متبوعاً لا تابعاً، وأن يكون ذا سلطانٍ

ليس فوقه إلا سلطانُ الله، لذلك كله حرم الإسلام على المسلم أن يقيم في بلدٍ لا سلطان للإسلام فيه، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ قَالُوا۟ فِيمَ كُنتُمْ قَالُوا۟ كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ قَالُوٓا۟ أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةً فَتُهَاجِرُوا۟ فِيهَا ۚ فَأُو۟لَٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴿٩٧﴾﴾ [سورة النساء، الآية: ٩٧] وقال ﷺ: «**أنا بريء من مسلم يقيم بين ظهراني المشركين**» [رواه أبو داود والترمذي].

وقد استثنى العلماء من ذلك المجاهد في سبيل الله، والداعيةَ إلى الله، والمسافر للعلاج، أو لدراسة ما ينفع المسلمين أو للتجارة، كلُ ذلك مشروط بأن يكون مظهراً لدينه، عالماً بما أوجب الله عليه، قوي الإيمان بالله، قادراً على إقامة شعائره، وللضرورة حينئذٍ أحكامُها.

عباد الله:

قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴿٦﴾﴾ [سورة التحريم، الآية: ٦] قوا أنفسكم أي انقذوها واحموها، من نار الله الرهيبة، وانقذوا معكم أهليكم، الذين تزعمون أنكم تحبونهم، فكيف إذاً تحبونهم، وأنتم تلقون بهم وبأنفسكم في مجالات خطرة، أغركم أنكم تتقلبون في نعم الله صباح مساء؟! أتظنون أن هذا سيدوم لكم بلا نهاية؟! كلا **أيها المسلمون**، كلُ هذا سيترككم يوماً ما، حتى تعودوا حفاةً عراة، في حفرةٍ مظلمة، يملأُ الترابُ أفواهكم، ويملأها الدودُ كذلك، وتتمنوا ولو لحظةً واحدة أن تعودوا إلى الدنيا، فتنفقوا هذا المال في سبيل الله، وتتوبوا إليه من الريب والشبهات، فضلاً عن

المعاصي والذنوب الواضحات. فاتقوا الله عبادَ الله، وأطيعوا أمره واجتنبوا نهيه واستغفروه من الذنوب والخطايا إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبـة الثانيـة

الحمد لله رب العالمين، أمرنا بالتمسك بهذا الدين، لنكون من المفلحين، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له، مخلصاً له الدين، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله المبعوث رحمة للعالمين، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه ومن تبعهم بإحسان.

أما بعـد:

فاتقوا الله أيها المسلمون، واحذروا من عقابه، يا من تسافرون إلى مواطن الوباء، ومعاطن البلاء، اتقوا الله في أنفسكم وفي أهليكم وفي مجتمعكم، لا تتمرغوا في الأوحال، وتغمسوا أنفسكم في البلاء، ثم تجلبوه إلى بلادكم، كالذباب يقعُ على النجاسة، ثم يحملها برجليه إلى أجسام الأبرياء.

ثم إن هذا لا يعني أن يكون المسلم نشازاً مع أهله، فلا يرفههم، ولا يُدخل السعادةَ في قلوبهم، فقد قال ﷺ: «**خيركم خيركم لأهله، وأنا خيركم لأهلي**» [رواه الترمذي وابن ماجه] فباستطاعة المسلم، أن يرفه أهله، ويسلك بهم السُبل المباحة، من عمرة إلى بيت الله الحرام، أو إلى مسجد رسول الله ﷺ في زيارة، أو إلى ربوع البلاد المسلمة في نزهة بريئة في الوقت الذي تنعىٰ فيه المصائفُ المباحةُ أبناءها، ثم إنه قد يقابل الواحدُ منكم، بغضب الأهل والأولاد، فيؤذونه ويُلحون عليه، ولكن عليه أن يصبر في سبيل الله، ثم في سبيل مصلحتهم ومحبته لهم، واعلموا أن هذا الصبر وذاك الاحتساب، إنما يكون للذين يُحكِّمُ الدين حياتهم، وهم مسلمون لله، مستسلمون لشرعه وأمره، يلتمسون رضاه ولو شق ذلك على نفوسهم ﴿إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوٓاْ إِلَىٰ

﴿ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحۡكُمَ بَيۡنَهُمۡ أَن يَقُولُواْ سَمِعۡنَا وَأَطَعۡنَاۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ٥١﴾ [سورة النور، الآية: ٥١].

﴿وَمَا كَانَ لِمُؤۡمِنٖ وَلَا مُؤۡمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمۡرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلۡخِيَرَةُ مِنۡ أَمۡرِهِمۡۗ وَمَن يَعۡصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ ضَلَّ ضَلَٰلٗا مُّبِينٗا ٣٦﴾ [سورة الأحزاب، الآية: ٣٦]. أما الذين يتبعون شهواتهم ورغباتهم، ولا يعنيهم أيرضى اللهُ شيئاً أم يسخطُ عنه، فلا حديث معهم، لأنهم في حاجة إلى تصحيح أصل الإيمان في قلوبهم.

هذا وصلوا رحمكم الله على من أمركم الله بالصلاة عليه فقال عز من قائل عليم ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا ٥٦﴾ [سورة الأحزاب، الآية: ٥٦].

اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم، وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم في العالمين إنك حميد مجيد.

وارض اللهم عن الخلفاء الأربعة أبي بكر وعمر وعثمان وعلي، وعن سائر الصحابة أولي الرأي والنجابة وعن التابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

اللهم أعز الإسلام والمسلمين، ودمر أعداء الدين، واجعل هذا البلد آمنا مطمئناً وسائر بلاد المسلمين، اللهم انصر دينك وكتابك وسنة نبيك وعبادك المؤمنين، اللهم انصر المجاهدين الذين يجاهدون في سبيلك في كل مكان، اللهم أنزل نصرك على إخواننا المسلمين في البوسنة والهرسك، وأنزل بأسك ورجزك على الظالمين الصرب وأعوانهم، اللهم اشدد وطأتك عليهم،

واجعلها عليهم سنين كسنين يوسف.

اللهم أصلح أئمتنا وولاة أمورنا، واجعل ولايتنا فيمن خافك واتقاك واتبع رضاك يا رب العالمين، اللهم وفق ولي أمرنا لما تحب وترضى وخذ بناصيته للبر والتقوى، اللهم أصلح له بطانته ياذا الجلال والإكرام.

ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار.

عباد الله: اذكروا الله العظيم يذكركم، واشكروه على نعمه يزدكم ولذكر الله أكبر والله يعلم ما تصنعون.

الردة في ثوبها الجديد

الخطبة الأولى

الحمدُ لله هادي العباد، الرقيب على خلقه، يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور، أحمده سبحانه حمدَ عبدٍ خافه ورجاه، وأشكره، والشكرُ واجبٌ على العبد لمولاه، وأشهد ألا إله إلا اللهُ وحده لا شريك له، ولا ند له في جلاله وكماله وعُلاه، وأشهد أن محمداً عبدُه ورسولُه صفوةُ الخلق، وأفضلُ الهداةِ إلى صراط الله، صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وأصحابه ومن سار على طريقه واتبع هداه.

أما بعـد:

فيا عباد الله: قرةُ عين المؤمن وطُمأنينةُ قلبه، تبدو واضحةً في تقواه لربه، فإن تقوى الله هي أساسُ كلِ صلاح، وسِلْوان كل كفاح.

أيها المسلمون: في يومٍ مليءٍ بالحزن والأسى يعلوه الصمت الرهيب، وتغمر الوجوه فيه دموعٌ شفافة، وتخترق جدران صمته همسةٌ رقيقةٌ أسيفه، في يومٍ وقف المسلمون فيه بخشوع، والدنيا من حولهم هاجعةٌ صامتة، تواجه الأمةُ فيه خطباً جليلاً، زعزع

المسلمين وأذهلهم، أو كادَ يطير بألبابهم، وذلك الموقفُ المُهيب لم يقطعه سوى صهيل فرس جاءت تركض، بعد أن خلعت رسنها وقطعت شوارع المدينة، وثباً وراء جثمانِ صاحبها، يقودها عبيرهُ وأريجُه.

وكم كانت المواقفُ عظيمة، والآثارُ المضنيةُ جسيمة، كل ذلك كان حزناً وأسى على فراقِ خير البرية، وأزكى البشرية جمعاء، إنه رسول الله ﷺ ثوى في مرقده، وفاضت روحه بأبي هو وأمي، ومات فوق الأرض التي طهرها من وساوس الوثنية، وأزاح من طريقها كل قوى التقهقر والشرك.

لقد لحِق المصطفى ﷺ بالرفيق الأعلى، ليحمل أصحابهُ من بعده مسئولية الدعوة، ولم يكن الأمر حينها جرعةَ ماء، ولا اقتسام غنيمة. لا وربي. ومع ذلك لم تمض إلا ليلةٌ واحدة، بل لم تمض إلا ساعاتٌ قليلة، والدموع في المآقي، والغصةُ في الحلوق، ولكن المهمة عظيمة، والمسئولية جسيمة، وأمرُ المسلمين لا ينبغي أن يترك لهجمات الرياح، ونزعات العواطف، لم تمض تلك الليلة إلا وقد بُويع فيها لأبي بكر الصديق رضي الله عنه خليفةً للمسلمين.

بعد ذلك عظُمَ الخطب، واشتدت الحال، ونجم النفاق بالمدينة، واشرأبت اليهودية والنصرانية وصار المسلمون كالغنم المطيرة في الليلة الشاتية، وارتد من ارتد من أحياء العرب حول المدينة، وامتنع آخرون من دفع الزكاة، ولم يبق للجمعة مقامٌ في بلدٍ سوى مكة والمدينة.

عند ذلك، وقف المسلمون الصادقون وقفةً إيمانيةً ظاهرة، وصفوا صفاً إسلامياً متراصاً، فلم يخافوا تلك الجموع المرتدة،

ولم ترهبهم تلك القوى المتألبة. لماذا؟ لأنهم صدقوا الله البيعة وأحسنوا الإسلام، لقد كانت الردةُ خطراً عظيماً، هدد مكة والمدينة، ومجتمع المسلمين كله، بل قام المنافقون يودون أن تنقضَ عرى الإسلام من جديد، عروةً عروة.

عند ذلك، أشار بعض المسلمين على الخليفة أن يتركهم وما هم عليه، ويتألفهم حتى يتمكن الإيمان في قلوبهم، ولكن الصديق رضي الله عنه صاحبَ رسول الله ﷺ كان قد فهم الإسلام قولاً وعملاً، وعلم أنه منهجٌ ربانيٌ متكامل، وأن الأمر لم يكن بهذه الصورة التي عرضها عليه أصحابهُ، وأن القضية لم تكن بتلك الموازين، بل إن الأمر أعظم من ذلك، فلم يتمالك الصديق رضي الله عنه حينها، إلا أن يرفع عقيرته قائلاً «لأقاتلن من فرق بين الصلاة والزكاة».

أيها المسلمون: إن أمر الصلاة والزكاة، والحج والصيام والجهاد، وغيرها من شعائر الإسلام وتشريعاته، ليس في حقيقته إلا أنه إخلاصُ العبودية لله وحده، أو أنه اتخاذُ شركاء معه، فالإنسان إما أن يكون مسلماً أو لا يكون ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ﴾ [سورة آل عمران، الآية: ١٩]. أما حينما يأخذ الرجلُ من الإسلام ما يستهويه، ولا يتناقضُ مع مصالحه وشهواته ومطامعه، ثم يأخذُ من الجاهلية ما يستهويه أيضاً، فذلك الضلال والشرك معاً.

إن انتقاص منهج الله في شعيرة، أو أمرٍ من الأمور التي شرعها الله، يعني الاعتقاد بأنه منهجٌ ناقصٌ قاصرٌ، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً، والدينُ الإسلامي منهجٌ متكامل، يقوم أساساً على قاعدة الإيمان بالله وحده، وأن محمداً رسولٌ من عنده، إيماناً

حقيقياً واضحاً يكون من مقتضاه الاستسلام لله سبحانه، ونزعُ كل عبودية لغير الله في كلِ شئون الحياة العامة والخاصة، لهذا كان موقف الصديق واضحاً، مما جعل المسلمين يطمئنون إلى هذا الموقف، وينتبهون إلى حقيقةٍ غابت عنهم قليلاً في غمرة الأحداث المفجعة.

أيها المسلمون: ماذا تعني الردةُ عن الإسلام في عرف أهل العلم؟ إنها إبدالُ دين الإسلام وعقيدته، لإحلال غيرها مكانها، أو هي انكارُ شيءٍ مما جاء به رسول الله ﷺ، وثبت بالضرورة من دين الإسلام، أو هي الإيمان ببعض الكتاب والكفرُ ببعض، وكان المرتدُ في الصدر الأول من الإسلام رجلاً منبوذاً ممقوتاً، لا يخفى على الناس أمرهُ، ولا يكون ارتداده في غالب الأحوال سراً من الأسرار.

وقد ظن كثير من الناس أن ظاهرة الردة قد وئدت إلى غير رجعة، بوأد أبي بكر لها، ولكن الأمر على العكس من ذلك. فإن الردة عن الإسلام قد تُطفؤُ نارها تارة، وتُضرمُ تارة أخرى، وقد تكون كالحرباء؛ تتلون وتتغير بألوانٍ تواكب العصر والحضارة.

وقد برز في هذا العصر لونٌ متميزٌ من ألوان الردة، ولباسٌ جديدٌ من ألبستها، فقد اكتسح جزءاً كبيراً من أجزاء العالم الإسلامي، وغزت هذه الظاهرة عدداً كبيراً من الأسر والبيوتات، إنها ردة.. ولكنها لم تلفت المسلمين، ولم تشغل خاطرهم، لأن صاحبها لا يدخل كنيسة، ولا يتعبدُ في بَيْعَة، هذه الردة هي ما يسمى بالحرية الشخصية، التي يدعى أرباب الفكر المادي الملحد أنهم ربحوها من وراء التحرر من الدين، والتلبس بلباس العلمانية، وهذه الحرية هي العبُّ من الشهوات بلا حساب،

والانطلاق وراء الرغبات الحسية بلا حياء، والتحلل من عرى الفضائل والأخلاق والقيم العليا، بل والتحلل من الدين بالكلية، وتنحية شرع الله عن واقع الحياة، وهذه الحرية المزعومة، ليست كسباً يسعى إليه، ولا غنماً يحرص عليه، إنما هي لا غير خسارة جسيمة على البشرية جمعاء، وهزيمة منكرة للمعاني الإسلامية، التي بها صار المسلم مسلماً. ﴿أَفَغَيْرَ دِينِ ٱللَّهِ يَبْغُونَ وَلَهُۥٓ أَسْلَمَ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ ﴿٨٣﴾﴾ [سورة آل عمران، الآية: ٨٣].

إن القيود التي يفرضها الإسلامُ على المسلم، لا يريد بها عذابه، ولا حرمانه، إنما يريد بها أن يرتفع به من الحيوانية الهابطة، إلى الإنسانية الصاعدة، وبذلك ينتصر المسلمُ على الدعوى التحررية، ويتغلب الإيمان والتقوى، على الشهوة البهيمية السبعية، وكل مجتمع يخرج على هذه القيود، أو يهون من شأنها، فإنه يعرض نفسه للخطر، ويقرب بها من حافة الهاوية ﴿وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ ٱللَّهِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٢٢٩﴾﴾ [سورة البقرة، الآية: ٢٢٩].

أيها المسلمون: إن هذه الظاهرة تُعَدُّ من أخبث وأخطر الظواهر التي تواجه المسلمين في عصرهم الحاضر، حيث يراد لهذه الظاهرة أن تمحو شريعة الله من الأرض، وتقصيها من واقع حياة المسلمين، وتشتت ولاءهم الموحد إلى ولاءات جاهلية متعددة.

ودعاةُ هذه الظاهرة مازال مكرهم مشتهراً، ودعوتهم تسري سريان النار في يابس الحطب، والناسُ مشغولون بالجدل والنقاش، حول ما يثيرونه، ويتوهمون أنها مشكلاتٌ حقيقيةٌ لابد لها من حلول.

وما علم أولئك الناس أن دعاة تلك الظاهرة قد رأوا الناس يدخلون في دين الله أفواجاً، وخافوا بذلك أن تفوتهم حظوظٌ من الدنيا، فتقدموا حاقدين ضامرين الغدر، ناسين أن الله سميع بصير، وأنه سيحفظ لهذه الأمة دينها، وسيهلك عدوها ﴿فَٱللَّهُ خَيۡرٌ حَٰفِظٗاۖ وَهُوَ أَرۡحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ٦٤﴾ [سورة يوسف، الآية: ٦٤].

إن أهل الكفر الذين يغذون تلك الظاهرة قد يتسامحون بشيء من الإسلام، ولكن بالإسلام الذي لا يكافح الاستعمار، وليس هو الإسلام الذي يقاوم الطغيان، لأن الإسلام حين يحكم سينشيءُ الشعوب نشأةً أخرى، وسيعلم الشعوب أن إعداد القوة فريضة، وأن الكفر والاستعمار وباء، فكلاهما عدو وكلاهما اعتداء. إنهم يجوزون أن يستفتى الإسلام في منع الحمل، ويجوزون أن يستفتى في نواقض الوضوء، ولكنهم لا يجوزون أن يستفتى أبد، في أوضاع المسلمين؛ دينيةً كانت أو اجتماعيةً أو اقتصادية، ولا يستفتىٰ أبداً في قتل الأنفس البريئة، وتشريد المجتمعات المسلمة في فلسطين، وفي البوسنة والهرسك، وفي كشمير والصومال وغيرها من بلاد المسلمين، سبحانك يارب، رحماك يارب. أيها المسلمون: ما هذه العنجهية التي يريدون ؟! ما هذا الكبت الذي ينشدون؟!

إن هذه الدعوات المنطلقة عبر الأثير، والتي يتلاطم غبارها ذات اليمين وذات الشمال، والتي تريدُ أن تسقط أجنة المسلمين، أو أن تئدها في مهدها، إنها تريد للإسلام والمسلمين أن يعيشوا في نطاقٍ ضيقٍ خسيس، لا يعرف المسلمون فيه من الإسلام غير اسمه.

إن هذه الدعوة الماكرة، تريد أن تصل إلى قلوب المسلمين

عبر طرقٍ معقدةٍ ملتوية، من أشهرها، الهجوم الشرس على العقيدة الإسلامية، ورميها بأحد ما وضعوا من عبارات مسفَّة، كقولهم، إن الشريعة الإسلامية شريعة بربرية كشريعة الغاب؛ تشوه يد السارق، وترتكب جريمة فظيعة برجم الزاني المحصن وقتل الكافر المرتد، فللفرد أن يدين بما شاء، وأن يتبادل الحب والغرام مع من شاء.

ومنها: إضفاء صبغة البهرجة الكاذبة، والدعاية الرائجة لتلك العلمنة الهدامة، ووصفها بأنها علامة التقدم، ومسايرة روح العصر، الذي سيطرت عليه المعارف، وهي حركةٌ لا تقيد الإنسان بدين، بل يأخذُ ما يريد، ويدعُ ما لا يريد.

ويالالأسف الشديد؛ فقد وقع كثير من المسلمين فريسةً لهذا الغزو الماحق الماكر، وتعلق كثير منهم بتلك البهرجة، وذلك الخواء الروحي.

وبعد هذا فلكل مسلم أن يتساءل: لماذا انتشرت هذه الظاهرة بين المسلمين؟ ولماذا استطاعت أن تغزوهم في عقر دارهم؟ وكيف استطاعت أن تسيطر على العقول والنفوس؟ وما هو الطريق المنجي من تلك الهلكة؟

فالجواب على ذلك كله هو أن العالم الإسلامي قد ضعف ضعفاً شديداً؛ في العقيدة والعلم والدعوة، وبدا عليه الإعياء والشيخوخة. والإسلام لا يعرف الشيخوخة ولا الهرم، إنه جديد كالشمس، وقديم كالشمس، وشابٌ كالشمس، ولكن المسلمين هم الذين شاخوا، وهم الذين هرموا، فلا سعة في العلم، ولا حماسة في الدعوة، ولا عرضاً جميلاً مؤثراً للإسلام ورسالته إلا النادر القليلُ.

ونظراً لما أصاب كثيراً من المسلمين؛ من انحرافٍ وغبشٍ في أذهانهم، فإن من الضروري أن يقوم المسلمون بتجلية تلك التصورات، وكشف هذه الشبهات، وفضح حقيقة اللادينية المزعومة، ومن أنجح الأساليب في ذلك، أن يدرس المسلمون خططهم وأساليبهم في الكيد والدس، عند ذلك ينكشف السترُ عن الذين يستمدون قوتهم من العمل في الظلام، ويجدون أنفسهم وقد غمرتهم الأضواء، وكشفت أوكارهم وسراديبهم، وبذلك يكون فشلهم ساحقاً ماحقاً، بعد افتضاح أمرهم، لأنهم يسبحون ضد تيارٍ قويٍ غلاب، يرعاه الله بقدرته، ويمدُه بمدده الذي لا ينفد، وجنوده التي لا يعلمها إلا هو، ذلك هو تيارُ الإسلام.

وإذا كان الإيمان بالله والكفر بالطاغوت هو معنى «لا إله إلا الله». والطاغوت، هو كلُ ما تجاوز به العبدُ حده؛ من معبودٍ أو متبوعٍ أو مطاع، فطاغوتُ كلِّ قوم من يتحاكمون إليه من دون الله ورسوله، أو يعبدونه من دون الله، أو يتبعونه على غير بصيرة من الله، أو يطيعونه فيما لا يعلمون أنه طاعةٌ لله، وانطلاقاً من هذا المفهوم نستطيعُ أن نرى حكم الإسلام في تلك الظاهرة، التي تعني بداهةً الحكم بغير ما أنزل الله وتحكيم غير شريعة الله، فهذا معنى قيام الحياة على غير الدين، ومن ثم فهو أمر جاهلي، لا مكان له في الإسلام ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٤٤﴾﴾ [سورة المائدة، الآية: ٤٤].

أيها المسلمون: إن الفتنة الكبرى التي ابتلي بها المسلمون في هذا العصر ـ من محاولات الكفر في إبعاد شرع الله عن حكمه في الأرض ـ لم تنجح ولن تنجح، بإذن الله، في القضاء على المسلمين.

ولكن إحياء الأمة الإسلامية من سباتها العميق، والرفع بها إلى مكانها الطبيعي في مقدمة الركب، لتقود البشرية مرة أخرى بأمرٍ من الله، لن يتحقق من خلال جهود أفراد قليلة، أو تجمعاتٍ صغيرة، إن الأمرَ أجلُّ من هذا، والخطر أشدُّ وأدهى.

والإسلام يحتاج إلى أولياء؛ وهم أولياؤه الذين يعملون له وحده، ويواجهون به الكفر والإلحاد.

أولياؤه الذين يعرفون أن الإسلام يجبُ أن يحكم، كي يؤتي ثماره كاملة. أولياؤه الذين لا تخدعهم دغدغةٌ صهيونية، ولا تغريهم ابتسامةٌ صليبية.

إن أهل الإسلام ينبغي ألا يطلبوا باسمه صدقةً ولا نفقة، ولكن يطلبون باسمه عدالةً إسلامية، وشريعةً ربانية، ولا يجعلون من الإسلام أداةً لخدمة الأهواء والأدواء، ولكن يريدون به عدلاً وعزةً وكرامة.

وبذلك كله يأخذ المدُّ الإسلامي طريقه سريعاً، أسرع مما يظن الكثيرون، إنهم يرونه بعيداً، والله يراه قريباً.

﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِي ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْـًٔا وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٥٥﴾ ﴾ [سورة النور، الآية: ٥٥].

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعني وإياكم بما فيه من الأيات والذكر الحكيم.

أقول ما تسمعون، واستغفر الله لي ولكم من كل ذنب فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبـة الثانيـة

الحمد لله رب الأرباب، وهادي العباد، وأشهد ألا إله إلا الله، وحده لا شريك له ولا شبيه ولا أنداد، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، بعثه الله رحمةً للعباد اللهم صل وسلم عليه وعلى آله وصحبه.

أما بعـد:

فيا عباد الله: إن أحسن الحديث كتابُ الله، وخير الهدي هديُ محمد صلى الله عليه وسلم، وشر الأمور ما أُحدث على غير هدىً من الله، أو سنةٍ سنها محمد بن عبدالله صلى الله عليه وسلم، ومن أضل ممن اتبع هواه بغير هدى من الله. وعليكم عباد الله بما كان عليه الصدر الأول، ففي هديهم الرشاد، وفي نهجهم الفلاح والسداد.

وليس في اتباع طريقتهم تأخرٌ ولا رجعية، ومن حاد عن مسلكهم تقاذفته الشبه والأهواء، وارتطم بالفتن وانزلق في المهاوي.

هذا وصلوا على النبي، صاحب الحوض والشفاعة، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا ﴿٥٦﴾﴾ [سورة الأحزاب، الآية: ٥٦].

اللهم صل وسلم على عبدك ورسولك محمد، وعلى آله وصحبه، وارض اللهم عن البررة الاتقياء، أبي بكر وعمر وعثمان وعلي، وعن جميع الصحابة والتابعين لهم بإحسان.

اللهم أعز الإسلام والمسلمين، واحم حوزة الدين، واجعل هذا البلد آمناً مطمئناً وسائر بلاد المسلمين يا رب العالمين.

اللهم آمنا في أوطاننا وأصلح أئمتنا وولاة أمورنا، واجعل ولايتنا فيمن خافك واتقاك واتبع رضاك يا رب العالمين.

اللهم وفق ولي أمرنا لما تحبه وترضاه من الأقوال والأعمال يا حي يا قيوم، اللهم أصلح له بطانته ياذا الجلال والإكرام.

اللهم أبلغ هذا الدين ما بلغ الليل والنهار، ولا تدع بيت مدر ولا وبر، إلا أدخلته هذا الدين بعز عزيز أو بذل ذليل، عزاً تعز به الإسلام، وذلاً تزل به الكفر، ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار.

عباد الله: إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي، يعظكم لعلكم تذكرون. ولذكرالله أكبر والله يعلم ما تصنعون.

ماذا بعد رمضان؟

الخطبة الأولى

الحمد لله الذي لا يزول ولا يتغير، سبحانه جعل في تعاقب الليل والنهار عبرةً لمن يتذكر، أحمده سبحانه وأشكره واستغفره، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له، القائلُ في كتابه المبين ﴿ وَٱعۡبُدۡ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأۡتِيَكَ ٱلۡيَقِينُ ﴿٩٩﴾ ﴾ [سورة الحجرات، الآية: ٩٩].

وأشهد أن سيدنا محمداً عبدهُ ورسولهُ دعا إلى المداومة على الطاعة بفعله وقوله: «**أحبُ الأعمال إلى الله أدومه وإن قل**» صلى الله وبارك عليه وعلى آله وأصحابه وكلِ من تمسك بهديه حتى يلقى الله وسلم تسليماً كثيراً.

أما بعد:

فياعباد الله اتقوا الله وأكثروا من اتباع الحسنة بالحسنة، فوالله ما أجمل الطاعة تعقبها الطاعات، وما أجمل الحسنة تجمع إليها الحسنات! وأكرم بأعمال البر في ترادف الحلقات! إنها الباقيات الصالحات التي ندب الله إليها، ورغب فيها في محكم الآيات، فقال تعالى: ﴿ وَٱلۡبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيۡرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابٗا وَخَيۡرٌ أَمَلٗا ﴿٤٦﴾ ﴾

[سورة الكهف، الآية: ٤٦].

عباد الله:

إذا كان فعل السيئة قبيحاً في نظر الإسلام، فما أشنعه وأقبحه بعد فعل الحسنة فلئن كانت الحسناتُ يذهبن السيئات، فإن السيئات قد يبطلن الأعمال الصالحة.

عباد الله، إن في استدامة أمر الطاعة، وفي امتداد زمانها نعيمَ الصالحين، وأمل المحسنين. وليس للطاعة زمن محدود تنتهي بانتهائه، ولا للعبادة أجل معين، بل هي حق لله على العباد يعمرون به الزمان، ويشغلون به فرص الحياة وسويعات العمر. فالعبد المطيع لله الذي يقطع مرحلة الحياة في عبادة الله، هو من أولياء الله المتقين، الذين وعدهم الله بعظيم الأجر وسابغ الفضل حيث يقول وهو أصدق القائلين: ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى ظِلَٰلٍ وَعُيُونٍ ﴿٤١﴾ وَفَوَٰكِهَ مِمَّا يَشْتَهُونَ ﴿٤٢﴾ كُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ هَنِيٓـًٔۢا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٤٣﴾ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٤٤﴾﴾ [سورة المرسلات، الآيات: ٤١ـ٤٤].

ولقد كان شهر رمضان المبارك، ميداناً لتنافس الصالحين بأعمالهم، ومجالاً لتسابق المحسنين بإحسانهم، وعاملاً لتهذيب النفوس المؤمنة. روضها على الفضيلة، وارتفع بها عن الرذيلة وأخذت فيه دروساً للسمو الروحي، والتكامل النفسي، فجانبت فيه كل قبيح، واكتسبت فيه كل هدىً ورشاد. فيجب أن تستمر النفوس على نهج الهدى والرشاد كما كانت في رمضان، فنهج الهدى لا يتحدد بزمان، وعبادة الرب وطاعتُه يجب أن لا تكون قاصرةً على رمضان.

قال الحسن البصري رحمه الله: إن الله لم يجعل لعمل المؤمن أجلاً دون الموت، ثم قرأ: ﴿وَٱعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ ٱلْيَقِينُ ﴿٩٩﴾﴾

[سورة الحجر، الآية: ٩٩].

عباد الله: كنتم في شهر الخير والبركة؛ تصومون نهاره وتقومون من ليله، وتتقربون إلى ربكم بأنواع القربات طمعاً في ثوابه وخوفاً من عقابه، ثم انتهت تلكم الأيام وكأنها طيف خيالٍ، قد قطعتم بها مرحلة من حياتكم لن تعود إليكم، وإنما يبقى لكم ما أودعتموه فيها من خير أو شر، وهكذا كل أيام العمرِ مراحلُ تقطعونها يوماً بعد يوم، في طريقكم إلى الدار الآخرة، فهي تنقص من أعماركم، وتقربكم من آجالكم.

تمر بنا الأيام تترى وإنما
نساق إلى الآجال والعين تنظر
فلا عائد ذاك الشباب الذي مضى
ولا زائل ذاك الشيب المكدر

عباد الله:

إن انقضى موسم رمضان فبين أيديكم موسم يتكرر في اليوم والليلة، خمس صلوات فرضها الله على عباده، تدعون لحضورها في المساجد لتقفوا بين يدي مولاكم، وتستغفروه وتسألوه من فضله. وبين أيديكم موسم يتكرر كل أسبوع وهو صلاةُ الجمعة، ويومُ الجمعة الذي اختص الله به هذه الأمة، وفيه ساعةُ الإجابة التي لا يوافقها عبدٌ مسلم يسأل الله شيئاً إلا أعطاه إياه. وبين أيديكم مواسم في جوف الليل، وفي وقت الأسحار.

فما بال الكثيرين أخذوا ينصرفون عن صالح الأعمال، فبالأمس المساجدُ مكتظةٌ بالمصلين، والأصوات مدويةٌ بتلاوة الكتاب المبين، بالأمس أنفقت آلاف المئين على ذوي القربى والمساكين.

بالأمس وقد كنا مرغمين الشيطان بكثرة النوافل، أخذ يهتز طرباً من تركنا لها، ويتصارعُ مع الناس في ترك الواجبات ﴿إِنَّمَا يَدْعُواْ حِزْبَهُۥ لِيَكُونُواْ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ۝٦﴾ [سورة فاطر، الآية: ٦].

وإن تلكم لمأساةٌ كبرى وخسارةٌ عظمى، أن يبني الإنسان ثم يهدم، وأن يستبدل الذي هو أدنى بالذي هو خير.

فأين تلكم القلوبُ الخاشعةُ في رمضان، والعيونُ الدامعةُ، والألسنُ التاليةُ، والأيدي المنفقةُ؟ أين تلكم الأرواح المقبلةُ على الله، أين ذلكم الشعورُ الفياضُ في رمضان؟

أفلم تكونوا تعلمون أن رب رمضان هو ربُ شعبان وشوال؟ ألم تعلموا أنه أخبر عن نفسه سبحانه بأنه مع المحسنين في كل زمان؟ ألم تعلموا أنه ينزل كل ليلة إلى سماء الدنيا نزولاً يليق بجلاله حين يبقى ثلث الليل الآخر، فيقول هل من تائب فأتوب عليه، هل من مستغفرٍ فأغفر له، هل من سائلٍ فأعطيه سؤله.

فما هذا الانصراف ياعباد الله؟! ما هذه الرغبة عن الله الذي يحب من عباده المداومة على تقواه؟! فحذار يا من سمت نفوسهم في رمضان إلى درجات الصالحين، وتنعمت بلذة المناجاة وانخرطت في سلك الطائعين، أن تهدموا ما بنيتم وتبددوا ما جمعتم.

حذار يامن كان في رمضان تقياً نقياً رحيماً، أن تحول نفسك شيطاناً رجيماً، حذار من النكوص على الأعقاب والالتفات عن الله، بعد أن أقبلت عليه تائباً من ذلك راغباً في رحمته خائفاً من نقمته، حذار بعد أن كنت في عداد الطائعين وحزب الرحمن، وأُسبل عليك لباسُ العفو والغفران، أن تخلعه بالمعصية، فتكون من حزب الشيطان.

حذار أن توقع نفسك في المعاصي، فإنها شهوة قصيرة عاجلة، تعقبها حسرةٌ دائمةٌ ونار حامية.

عباد الله: إن للقبول والربح هذا الشهر علاماتٍ، وللخسارة والرد علاماتٍ واضحةً يعرفها كل إنسان من نفسه، ففكروا في أنفسكم، من كان حاله في الخير والاستقامة بعد رمضان أحسن من حاله قبله ـ من حسن سلوكه وابتعاده عن المعاصي ـ فهذا دليلٌ على قبول أعماله الصالحة في رمضان ودليل على ربح تجارته في رمضان.

ومن كان بعد رمضان كحاله قبله أو أسوأ؛ مقيم على المعاصي، بعيد عن الطاعة، يرتكب ما حرم الله، ويترك ما أوجب الله، يسمع النداء للصلاة فلا يجيب، ويعصي فلا يتوب، لا يدخل مع المسلمين في بيوت الله، ولا يتلو كتاب الله، ولا يتأثر بالوعد والوعيد، ولا يخاف من التهديد. سماعُه للأغاني والمزامير، ونطقه قولُ الزور، وشرابه الدخان والمخدرات والخمور، وماله من الرشوه والربا وبيع السلع المحرمةِ والكذب في المعاملة والغش والخديعة والفجور، ماذا استفاد هذا من رمضان ومن مواسم المغفرة والرضوان؟ إنه لم يستفد سوى الآثام والخسران، والعقاب والنيران، فياعُظْمَ الخسارة، ويافداحة المصيبة، وياهول العقوبة، نعوذ بالله من العمى بعد البصيرة، ومن الضلالة بعد الهدى.

فاتقوا الله **عباد الله**، وواصلوا السير إلى الله، فمن زرع وتعاهد زرعه بالسقي حصد، ومن زرع الحبوب وما سقاها، تأوه نادماً يوم الحصاد.

اللهم ارزقنا الاستقامة على دينك في رمضان وفي غير رمضان.

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم ونفعني وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم، أقول ما تسمعون واستغفر الله لي ولكم ولسائر المسلمين والمسلمات من كل ذنب فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية

الحمد لله الرافع الخافض، يرفع المتقين بطاعته، ويخفض العصاة بخذلانه، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله. اللهم صل وسلم على عبدك ورسولك محمدٍ وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد:

فاتقوا الله عباد الله، واعلموا أن مقابلة نعمة التوفيق لصيام شهر رمضان بارتكاب المعاصي بعد خروجه من تبديل نعمة الله كفراً، فمن عزم على معاودة المعاصي بعد رمضان فصيامه عليه مردود، وباب الرحمة في وجهه مسدود.

إن هذه الشهور والأعوام والليالي والأيام، كلها مقاديرُ الآجال، ومواقيت الأعمال، ثم تنقضي سريعاً وتمضي جميعاً. والذي أوجدها وابتدعها باقٍ لا يزول، ودائمٌ لا يحول، هو في جميع الأوقات إله واحد ولأعمال عباده رقيبٌ ومشاهد، قيل لبشرٍ الحافي: إن قوماً يتعبدون الله في رمضان فإذا انسلخ تركوا، قال: بئس القومُ لا يعرفون الله إلا في رمضان.

فاتقوا الله **أيها المسلمون**، وألزموا أنفسكم المسلك القويم، الذي سلكتموه في رمضان؛ من اجتناب المعاصي والإكثار من أعمال البر، ومتابعة الإحسان بالإحسان. وإن من متابعة الإحسان صيام ستة أيام من شوال، ندبكم إليها رسول الله ﷺ بقوله: «**من صام رمضان وأتبعه ستاً من شوال كان كصيام الدهر كله**» [رواه مسلم].

ووجه كون صيام الست بعد رمضان كصيام الدهر، هو أن الله

يجزي على الحسنة بعشر أمثالها كما في قوله ﴿مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشْرُ أَمْثَالِهَا﴾ [سورة الأنعام، الآية: ١٦٠] فصيامُ رمضان مضاعفاً بعشرة شهور، وصيامُ الست بستين يوماً، فحصل من ذلكم أجر صيام سنةٍ كاملة.

عباد الله: إن فضل الله عليكم متواصل ومواسم المغفرة لاتزال متتالية لمن وفقه الله لاغتنامها، فإنه لما انقضى شهر رمضان دخلت أشهر الحج إلى بيت الله الحرام، فكما أن من صام رمضان وقامه غفر له ما تقدم من ذنبه فكذلك من حج البيت ولم يرفث ولم يفسق رجع كيوم ولدته أمه. فما يمضي من عمر المؤمن ساعةٌ من الساعات، إلا ولله فيها عليه وظيفةٌ من وظائف الطاعات، فالمؤمن يتقلب بين هذه الوظائف، ويتقرب بها إلى مولاه، فاشكروا الله على هذه النعم، واغتنموها بطاعته ولا تضيعوها بالغفلةِ والإعراض عنه.

هذا وصلوا رحمكم الله على من أمركم الله بالصلاة عليه فقال عز من قائل حكيم: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيْهِ وَسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا ﴿٥٦﴾﴾ [سورة الأحزاب، الآية: ٥٦] اللهم صل وسلم وزد وبارك على عبدك ورسولك محمدٍ؛ صاحب الوجه الأنور والجبين الأزهر، وارض اللهم عن صحابته الطيبين الطاهرين، وعن التابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، اللهم أعز الإسلام والمسلمين، وأذل الشرك والمشركين، ودمر أعداء الدين، واجعل هذا البلد آمناً مطمئناً وسائر بلاد المسلمين.

اللهم أصلح أئمتنا وولاة أمورنا، واجعل ولايتنا فيمن خافك واتقاك واتبع رضاك يارب العالمين، اللهم وفق ولي أمرنا لما تحب وترضى، وخذ بناصيته للبر والتقوى. اللهم أصلح له بطانته

ياذا الجلال والإكرام.

اللهم اجعل مواسم الخيرات لنا مربحاً ومغنماً، وأوقاتِ البركات والنفحات لنا إلى رحمتك طريقاً وسلماً.

ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار.

عباد الله:

إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي يعظكم لعلكم تذكرون. وأوفوا بعهد الله إذا عاهدتم ولا تنقضوا الأيمان بعد توكيدها وقد جعلتم الله عليكم كفيلاً إن الله يعلم ما تفعلون.

البلـد الأميـن

الخطبـة الأولـى

الحمد لله الأول والآخر، والظاهر والباطن، أحمده سبحانه وتعالى وأستغفره وأتوب إليه، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد، يحيي ويميت، وهو حيٌّ دائمٌ لا يموت، بيده الخيرُ وهو على كل شيء قدير. وأشهد أن سيدنا ونبينا محمداً عبدهُ ورسوله الهادي إلى أقوم سبيل، اللهم صل وسلم وبارك عليه وعلى آله وصحبه، ومن سار على نهجه واقتفى أثره إلى يوم الحشر الكبير.

أما بعـد:

فيا أيها المسلمون: أثرٌ خالد، وبناءٌ شامخ، ورمز للحنيفية السمحة، ذلكم هو بيتُ الله العتيق، الذي رفع قواعده إبراهيم خليل الرحمن وابنه إسماعيل، وما برح بيتُ الله العتيق يطاول الزمان وهو شامخُ البنيان، ثابتُ الأركان، في منعةٍ من الله وأمان. يقوم بقيامه ركنٌ من أركان الإسلام، تتعاقبُ الأجيال على حجه، ويتنافس المسلمون في بلوغ رحابه.

ومهما تتبار القرائح، وتتحبرُ الأقلام، متحدثةً عنه، حاديةً

أناشيد عظمته، فستظل جميعاً كأن لم تبرح مكانها، ولم تحرك بالقول لسانها، وإذا كانت صفحاتُ هذه الخُطبة، تريدُ أن تستهل بالحديث عن عظمة هذا البيت، وعن تاريخ بنائه، وعن توالي الأزمنة عليه، فهي لا تطمع في أن توفي الحديث بعض حقه، ولا تزعم أنها ستقدم للإخوة المستمعين كل ما يمت لهذا البيت بصلة، إنما هي ـ لا غير ـ كلماتٌ تشير على استحياء إلى بعض سمات تاريخه وعظمته، التي جعل اللهُ أفئدة الناس تهوي إليه، والتي جذب نحوه، جموعاً لا نظير لها في الدنيا. هذا هو البلد الأمين.

البلد الأمين، يوم أن أهدر كفار قريشٍ دم محمد ﷺ.

البلد الأمين يوم أن أوذي الصحابة رضوان الله عليهم وأُخرجوا منه. البلد الأمين، يوم لم تعرف قريشُ حق الأمانة. البلد الأمين، وما أدراك ما البلدُ الأمين؟! بلدُ الرسالة ومهبط الوحي، بلد التوحيد والعقيدة، بلدٌ شع منه نور الإسلام ليبلغ الآفاق، وليعلن هويته للناس، فهويته الإسلام، وفي رحابه الأمن، وفي جواره الخير والبركة.

أيها المسلمون: لقد جاء إبراهيم عليه السلام بهاجر وبابنها إسماعيل، وهي ترضعه، حتى وضعها عند هذا البيت، عند دوحة فوق الزمزم في أعلى المسجد، وليس بمكة يومئذٍ أحد، وليس بها ماء فوضعهما هنا، ووضع عندهما جراباً فيه تمر وسقاءً فيه ماء، ثم مضىٰ إبراهيم منطلقاً فتبعته أم إسماعيل فقالت: ياإبراهيم، أين تذهبُ وتتركنا بهذا الوادي الذي ليس فيه أنيس ولا شيء؟ قالت له ذلك مراراً، وجعل لا يلتفت إليها، فقالت له: آلله الذي أمرك بهذا؟ قال: نعم، قالت: إذن لا يضيعنا، ثم رجعت،

فانطلق إبراهيم حتى إذا كان عند الثنية حيث لا يرونه، استقبل بوجهه البيت ثم دعا بهؤلاء الدعوات ورفع يديه فقال: ﴿رَّبَّنَآ إِنِّيٓ أَسۡكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيۡرِ ذِي زَرۡعٍ عِندَ بَيۡتِكَ ٱلۡمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱجۡعَلۡ أَفۡـِٔدَةٗ مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهۡوِيٓ إِلَيۡهِمۡ وَٱرۡزُقۡهُم مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمۡ يَشۡكُرُونَ ٣٧﴾ [سورة إبراهيم، الآية: ٣٧].

وجعلت أم إسماعيل ترضعُ ولدها إسماعيل، وتشرب من ذلك الماء، حتى إذا نفذ ما في السقاء عطشت وعطش ابنُها، وجعلت تنظر إليه يتلوى، فانطلقت كراهية أن تنظر إليه، فقامت على الصفا ثم استقبلت الوادي تنظرُ هل ترى أحداً فلم تر أحداً، ثم أتت المروة فقامت عليها ونظرت هل ترى أحداً فلم تر أحداً، ففعلت ذلك سبع مرات، فلما أشرفت على المروة سمعت صوتاً فقالت: صه، ثم تسمعت فسمعت أيضاً، فإذا هي بالملك عند موقع زمزم، فبحث بعقبه حتى ظهر الماء فجعلت تحوضُه بيدها، فشربت وأرضعت ولدها، فقال لها الملك: لا تخافي الضيعة، فإن هذا بيتُ الله يبنيه هذا الغلام وأبوه [رواها البخاري].

الله أكبر ما أعظم التوكل، إنه شعور نفيس، إنه ما يستطيعه إلا امرؤ وثيقُ الصلة بالله، فها هي هاجرُ تتعرض للمحنة، وتنتظر الفرج من رب السماء، فجاء الفرج، وتفجرت زمزم، وصار الرضيع أمةً كبيرة العدد، عظيمة الغناء ومن نسله صاحبُ الرسالة العظمى صلوات الله وسلامه عليه.

فقد أصبحت تلكم الأسرة الصغيرة، نواة الحياة، وأصل العمران في هذا المكان، وجاءت لصحراء الجزيرة العربية بشرف النبوة والرسالة لا غير، فصار البيتُ الحرامُ لهم وعاء، وماء زمزم لهم سقاء، وعناية الله لهم حواء. وحق لمن خضع لأمر الله ذلك

الخضوع، أن يكون أهلاً لذلك التكريم، وأن يقيم بناء البيت الذي تهوى إليه أفئدة أهل الإيمان.

وتمر الأيام، فيأمر الله إبراهيم عليه السلام، أن يرفع قواعد هذا البيت، فيقومُ إبراهيمُ ببناء هذا البيت، يحمل الحجر من على كتف ابنه إسماعيل، وهما يقولان ﴿رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١٢٧﴾ رَبَّنَا وَٱجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٢٨﴾﴾ [سورة البقرة، الآيتان: ١٢٧، ١٢٨] فاستجاب الله دعاء أبي الأنبياء، فهوت القلوب إلى هذا البيت، ورزق الله أهله من الثمرات ما كفاهم وأفاض على من سواهم. وظل هذا البيت العتيق شامخاً على مر الزمن، وعناية الله تحفظ لهذا البيت حرمته، وتحيطه بالإجلال والإكبار على مر الدهور والأجيال، ولاتزال قصةُ الفيل شاهدةً على حرمة هذا البيت وعظمته، ودليلاً على أن من استعز بغير الله ذل، ومن لجأ إلى غير الله ضل.

وعلى الرغم من فضل هذا البيت، وعلو شأنه، إلا أنه أحجارٌ لا تضر ولا تنفع، ولكن بعض المغفلين ممن لا علم عندهم، يظن أن للمسلمين علاقاتٍ ماديةً بأحجار الكعبة، وبالحجر الأسود خاصة، وهذا ظن ما يبوء إلا بالحسرة والخسران، كيف لا؟ وقد قال الفاروق رضي الله عنه «إني أعلم أنك حجرٌ لا تضر ولا تنفع ولولا أني رأيت رسولَ الله يقبلك ما قبلتك».

إن التوحيد الذي يعمر قلوب المسلمين، إنما هو يقين خالص لا يلتفت إلا لله، ولا يتعلق إلا بالله، فالله عزوجل ﴿جَعَلَ ٱللَّهُ ٱلْكَعْبَةَ ٱلْبَيْتَ ٱلْحَرَامَ قِيَـٰمًا﴾ [سورة المائدة، الآية: ٩٧] وما الحجر الأسود إلا موضعُ الابتداء، ونقطةُ التمييز في هذا البناء، وعنده

يكون تجديد العهد مع الله على الإيمان والتصديق «اللهم إيماناً بك ـ لا بالحجر الأسود ـ وتصديقاً بكتابك ـ لا بالخرافة ـ ووفاء بعهدك وهو التوحيد الخالص لا الشرك واتباعاً لسنة نبيك محمد ﷺ محطم الأصنام».

ثم تتوالى الأيام والذكريات إلى أن يأتي محمد ﷺ وهو يرفع الحجر الأسود بيديه الكريمتين، ليضعه موضعه، فيطفيء بذلك الفتنة التي كادت تنشب بين بطون قريش.

أيها المسلمون: لقد كان هذا النهجُ الذي شرعه الله في بيته الحرام سابقاً لكل محاولات البشر في إيجاد منطقة حرام، يلقى فيها السلاح، ويأمنُ فيها المتخاصمون، وتحقنُ فيها الدماء، ويجدُ كلُ أحد فيها مأواه، إلا أن البيت الحرام قد آل إلى قريش، فإذا بها تكفرُ بالله، وإذا بها تجعلُ الناس يكفرون به، كما قد كفروا بالمسجد الحرام فانتهكوا حرمته، وآذوا المسلمين، وفتنوهم عن دينهم طوال دعوة النبي ﷺ في مكة وقبل الهجرة، وأخرجوا أهله منه، وهو الحرم الذي جعله الله مثابةً للناس وأمناً، فلم يأخذوا بحرمته، ولم يحترموا قدسيته.

وفتنةُ الناس عن دينهم، أكبر عند الله من القتل، ﴿وَٱلْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ ٱلْقَتْلِ﴾ [سورة البقرة، الآية: ٢١٧] وقد ارتكب المشركون من كفار قريش هاتين الكبيرتين، فسقطت حجتهم في التحرز بحرمة البيت الحرام، أو حرمة الشهر الحرام، واتضح موقفُ الصحابة رضوان الله عليهم، في دفع أولئك المعتدين على الحرمات من كفار قريش، الذين اتخذوا منها شعاراً حين يريدون، وينتهكون قداستها حين يريدون، ولقد كان ادعاءُ قريشٍ بالشهر الحرام، والتلويحُ بحرمة الشهر، مجرد ستار يحتمون

خلفه، لتشويه موقف صحابة النبي ﷺ وإظهارهم بمظهر المعتدي، وقريش، هم المعتدون ابتداءً، وهم الذين انتهكوا حرمة البيت ابتداءً، ثم بعد ذلك كله يتسترون وراء الشهر الحرام، ويتشبثون باسم البيت الحرام وقداسته، ويرفعون أصواتهم، انظروا ها هو ذا محمدٌ ومن معه، ينتهكون حرمة الشهر الحرام، وقد كذبوا في ذلك ورب الكعبة فقد جاء محمدٌ ﷺ واختار الله مكة، أرضاً مباركة، وأعلنها حرماً آمناً، أي أرضاً منزوعة العنف والأذى، وليست منزوعة السلاح فحسب ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا ءَامِنًا وَيُتَخَطَّفُ ٱلنَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ ۚ أَفَبِٱلْبَٰطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَةِ ٱللَّهِ يَكْفُرُونَ ﴿٦٧﴾ ﴾ [سورة العنكبوت، الآية: ٦٧] فأمن الناس فيه على أرواحهم وممتلكاتهم وأعراضهم، أمنهم حتى من القول البذيء، واللفظ الفاحش ﴿ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِى ٱلْحَجِّ ۗ ﴾ [سورة البقرة، الآية: ١٩٧] وأمن في الحرم الطير والوحش وسائر الحيوانات، فلأجل التوحيد، بني هذا البيت، ولأجل الأمن حرم هذا البيت.

فاتقوا الله **أيها المسلمون**، واحفظوا لهذا البيت حرمته، واحترموا قدسيته، فمن يرد فيه بإلحادٍ بظلم نذقه من عذاب أليم.

واقدروا نعمة الأمن التي هي ماسةٌ بالإنسان، عظيمة الوقع في حسه، متعلقةٌ بحرصه على نفسه، اقدروها من أجل أن تتذكروا قريشاً حينما سكنوا هذا البيت، فاستطالوا بالنعمة ولم يشكروا الله عليها، فسلكوا غير سبيل المؤمنين، فكفروا النعمة، وجعلوا لله أنداداً وصدوا عن سبيل الله.

ولعل أهل هذا الدين، هم وحدهم الذين لا يدركون هذه النعمة اليوم، فغيرُ أهله يدركونها ويخشونها، ويحسبون لها في سياساتهم كل حساب.

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعني وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم، أقول ما تسمعون واستغفر الله لي ولكم، ولسائر المسلمين من كل ذنب فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبـة الثانيـة

الحمد لله حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه كما يحب ربنا ويرضاه، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه ومن تبعهم بإحسان.

أما بعـد:

فيا أيها الأحبة في الله، بالأمس القريب ودعنا فريضة الحج المباركة، تلك الفريضة التي تمحىٰ فيها السيئات، والتي كانت بمثابة غيثٍ ترتوي منه القلوبُ الظامئة، فتفتحُ منه الأزهارُ الندية، فتفوح منها الروائح الشذية، وقليلٌ هم أصحابُ الأذواق الرفيعة والأحاسيس المرهفة، الذين تطمئن قلوبهم، وتزكوا أرواحهم بتلك الشعائر العظيمة، فعلينا أيها الحجاج أن نسأل أنفسنا، تُرى أنكون منهم؟ أم نكون من الذين لا يزيدهم غيثُ الحج إلا جدباً إلى جدبهم، وبؤساً إلى بؤسهم، فهؤلاء هم الأشقياء، مهما بدت للناس سعادتهم، وهم الأذلاء مهما كانت قوتهم، وهم المرضى مهما كانت صحتهم وضخامة أجسامهم.

فيا أيها الحاج البار، ها أنت اليوم قد فرغت من تلك العبادة العظيمة، فعليك اليوم أن تكون قدوةً حسنةً صالحة.

أيها الحاج الكريم، إن المسبحة والسواك وسجادة الصلاة، ليست هي الهدية المطلوبة منك فحسب، بل إن المطلوب منك هديةٌ أعظم من ذلك، وهي أن تكون قدوة حسنة في أخلاقك، قدوةً حسنةً في سلوكك قدوة حسنة لأهلك وأصحابك.

واعلم أيها الحاج، أنك بدأت مع الله حياةً جديدةً، وفتحت صفحةً بيضاء نقية، فاعمل على ألا تكتب عليك فيها إلا عبارة

المدح والثناء، حذار من الرجوع إلى الذنوب فتلوث صحيفتك، وتشوه منظرك أمام ربك، واتق الله قدر استطاعتك فالله غفور رحيم.

هذا وصلوا على نبيكم فقد قال عليه الصلاة والسلام «**إن أولى الناس بي يوم القيامة، أكثرهم علي صلاة**» اللهم صل وسلم على عبدك ورسولك محمد، صاحب الوجه الأنور والجبين الأزهر وارض اللهم عن أهل بيته الطيبين الطاهرين، وعن صحابته والتابعين، وعنا معهم بعفوك وجودك وكرمك ياأرحم الراحمين.

اللهم أعز الإسلام والمسلمين، وأذل الشرك والمشركين، ودمر أعداء الدين.

اللهم انصر من نصر الدين، واخذل من خذل عبادك المؤمنين.

اللهم تقبل من الحجاج حجهم، واجعلهم شاكرين نعمك مثنين بها عليك فاقبلها وأتمها عليهم ياذا الجلال والإكرام.

اللهم وفق ولي أمرنا لما تحبه وترضاه من الأقوال والأعمال يا حي يا قيوم، اللهم أصلح له بطانته ياذا الجلال والإكرام.

ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار.

عباد الله:

اذكروا الله يذكركم واشكروه على نعمه يزدكم ولذكر الله أكبر والله يعلم ما تصنعون.

لسـان الصـدق

الخطبـة الأولى

الحمد لله الذي أمر بالصدق جميع المؤمنين، ورفع ذكر الصادقين بين العالمين، وأهان الكاذبين، ووضع ذكرهم في الأسفلين، أحمده سبحانه، يجزي الصادقين بصدقهم من رحمته وفضله، ويجازي الكاذبين فيعاقبهم إن شاء بحكمته وعدله وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له في حكمه، وأشهد أن محمداً عبدهُ ورسوله، أفضلُ خلقه صلى الله عليه وعلى آله وصحبه، ومن تبعه في هديه، وسلم تسليماً.

أما بعـد:

فاتقوا الله أيها المسلمون، اتقوا الله وكونوا مع الصادقين، اصدقوا مع الله، واصدقوا مع عباد الله، فإن الصدق يهدي إلى البر وإن البر يهدي إلى الجنة، ومايزال الرجل يصدق ويتحرى الصدق حتى يكتب عند الله صديقاً.

صدقُ الحديث، وحفظُ الأمانة، وعفةُ النفس، والقناعةُ بالمقسوم من صفات المؤمنين. والكذبُ والخيانة، والطمعُ الخبيث والخداعُ من علامات المنافقين ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ

قَوْلُهُۥ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيُشْهِدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا فِى قَلْبِهِۦ وَهُوَ أَلَدُّ ٱلْخِصَامِ ﴿٢٠٤﴾ [سورة البقرة، الآية: ٢٠٤] قد اشترى الضلالة بالهدى، والعذاب بالمغفرة والعاجل بالآجل، فهو من المارقين، وبظلمه واقترافه الكذب، قد خرج من المخاطبين بقوله ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَكُونُوا۟ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿١١٩﴾ [سورة التوبة، الآية: ١١٩].

أيها المسلمون، إن كثرة الكذب وقلة الصدق، آفةٌ إذا استشرت في مجتمع ما، قوضت أركان سلامته، وهدمت أساس استقراره، وبدلت اطمئنان أفراده قلقاً، وسعادتهم شقاء، لأن الحياة في مجتمع يمارس أفراده الكذب، حياةٌ نكدة تعيسة بسبب انعدام الثقة بين أفراده، ولنا أن نتصور إنساناً يعيش في مجتمع مليء بالكذبة، فكيف تكون حاله؟

كلُ خبر يسمعه لا يطمئن إلى صدق مخبره فيه، حتى يتأكد بنفسه، وكل سؤال يسأله لا يرتاحُ إلى صدق مجيبه حتى يبلوه، لا يطمئن في التعامل مع أهله وجيرانه، ولا في بيعه وشرائه، ولا في مكتبه وعمله، لأنه لا يثق بصدق الناس في إخبارهم وتعاملهم، فهل يمكن للمسلم في مثل هذا الجو القاتم أن يحيا حياة مثمرة، فضلاً عن أن تكون حياةً سعيدةً هانئة؟

إنَّ تقدم المجتمع المسلم ورفاهيته وسلامته واطمئنان أفراده، كل ذلك مرهون بشيوع الصدق بين أفراده، وانتشار الثقة بينهم، واضمحلال الكذب إلى أقصى حدٍ ممكن، في تعاملاتهم وعباداتهم وإعلامهم ومدارسهم، وفي شئون حياتهم كلها.

أيها المسلمون، لقد حث النبي ﷺ على الصدق، لأنه مقدمة الأخلاق، والداعي إليها وهو علامةٌ على رفعة المتصف به، فبالصدق يصل العبد إلى منازل الأبرار، وبه تحصل النجاة من

جميع الشرور، كما أن البركة مقرونة بالصدق، قال ﷺ: «**البيعان بالخيار ما لم يتفرقا، فإن صدقا وبينا، بورك لهما في بيعهما، وإن كذبا وكتما محقت بركة بيعهما**» [رواه البخاري ومسلم].

ولذا، فإنك لا تجد صادقاً في معاملته، إلا وجدت رزقه رغداً، وقد حاز في ذلك الشرف والسمعة الحسنة، ويتسابق الناس إلى معاملته، فالصادق يطمئن إلى قوله العدو والصديق، الصادق الأمين مؤتمن على الأموال والحقوق والأسرار، ومتى حصل منه كبوة أو عثرة، فصدقه شفيع مقبول، والكاذب لا يؤمن على مثقال ذرة، ولو قلّ صدقُه أحياناً، لم يكن لذلك موقع، ولا حصل به ثقة ولا طمأنينة، ألا ترى قول الله عزوجل في إخوة يوسف عندما قالوا لأبيهم ﴿ يَٰٓأَبَانَآ إِنَّ ٱبۡنَكَ سَرَقَ وَمَا شَهِدۡنَآ إِلَّا بِمَا عَلِمۡنَا وَمَا كُنَّا لِلۡغَيۡبِ حَٰفِظِينَ ﴿٨١﴾ وَسۡـَٔلِ ٱلۡقَرۡيَةَ ٱلَّتِي كُنَّا فِيهَا وَٱلۡعِيرَ ٱلَّتِيٓ أَقۡبَلۡنَا فِيهَاۖ وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ ﴿٨٢﴾ قَالَ بَلۡ سَوَّلَتۡ لَكُمۡ أَنفُسُكُمۡ أَمۡرٗاۖ فَصَبۡرٞ جَمِيلٌۖ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَأۡتِيَنِي بِهِمۡ جَمِيعًاۚ ﴾ [سورة يوسف، الآيات: ٨١ـ٨٣]. فصدقهم هذا أبطله كذبهم الأول حينما قالوا عن يوسف ﴿ فَأَكَلَهُ ٱلذِّئۡبُۖ ﴾.

ناهيك أيها المسلم عمن اعتاد على الكذب وصار عادةً له هل تخاله يصدق ولو مرة؟

قال الأصمعي: قلت لكذاب أصدقت قط، قال: لولا أني أخاف أن أصدق في هذا لقلت لا. فتعجب.

فالصدق أيها الأخوة تبرم به العهود الوثيقة، وتطمئن له القلوب على الحقيقة، فمن صدق في حديثه كان عند الله وعند الناس صادقاً محبوباً، مقرباً موثوقاً، شهادته بر، وحكمه عدل، ومعاملته نفع، ومن صدق في عمله بعد من الرياء والسمعة، صلاته

وزكاته، وصومه وحجه، وعلمه ودعوته، لله وحده لا شريك له، لا يريد بإحسانه غشاً ولا خديعة، ولا يطلب به من أحدٍ من الناس جزاءً ولا شكوراً، يقول الحق ولو كان مراً، لا تأخذه في الصدق مع الله لومة لائم، فصدقه في أقواله وأفعاله، هو مطابقةُ مظهره لمخبره، وتصديق فعله لقوله.

فالعلماء الذين ورثوا الأنبياء في رسالتهم، وفي تبليغ الدين الذي جعله الله أمانةً في أعناقهم، يجب أن يكونوا القدوة الصالحة في تحريهم للصدق، في أقوالهم وأفعالهم، وأن يعملوا بما يحملونه من العلم وينقلونه من الدين، كما قال تعالى، ﴿وَلَٰكِن كُونُوا۟ رَبَّٰنِيِّـۧنَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ ٱلْكِتَٰبَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ ﴿٧٩﴾﴾ [سورة آل عمران، الآية: ٧٩]، وتلك أيها الأخوة، من أبرز مظاهر الصدق في العالم.

والتاجر الذي يعرض السلعة، يؤمل فيها الربح المبارك، يجب عليه أن يتحرى الصدق في قوله وعمله، فلا يروج سلعته بالكذب، والأيمان الفاجرة، فإن ذلك يمحق الله به الكسب، ويُذهبُ به بركة الربح.

والمحترف بأية حرفة، والصانع في أي مجال للصناعة، يجب أن يتحرى الصدق في قوله وعمله، فلا يزعم زعماً لا يصدقه الواقع، وتكذبه الحقيقة.

والموظف المؤتمن على مصالح الأمة، مهما ارتفعت وظيفته، واتسع نفوذه وتشعبت مسئولياته يجب عليه أن يتحرى الصدق، فيما يرفعه إلى ولاة الأمر عن الرعية من تقارير وأحكام، فلا يقرر غير الواقع، ولا يلبس أو يحابي أو يجامل أناساً على حساب الآخرين، وإلا كان غاشاً للناس، مدلساً فيما يرفعه لولاة الأمر

من مصالح العباد وشؤونهم، تعظم مسؤوليته أمام الله، ويؤاخذ على ظلمه للعباد وتقريره خلاف الواقع «**ألا كلكم راعٍ وكلكم مسؤول عن رعيته**» [رواه البخاري ومسلم].

وكذلك من يحترف الصحافة، أو يتصدى لإشاعة الأخبار بأي وسيلة من الوسائل، يجب عليه أن يتحرى الصدق فيما ينقله ويرويه، فلا ينقل كذباً، ولا ينشر باطلاً، فإن الكذب حين يذاع، والباطل حين ينشر، يعظم بين الناس خطره، ويتفاقم ضرره، لذلك كله يضاعف الله عقابه، قال رسول الله ﷺ في حديث طويل مفاده «**رأيت الليلة رجلين أتياني، وقالا: إن الذي رأيته يشق شدقه فكذاب، يكذب الكذبة فتحمل عنه حتى تبلغ الآفاق، فيصنع به هكذا إلى يوم القيامة**» [رواه البخاري ومسلم].

فالصدق ياعباد الله ـ بالإضافة إلى أنه أثر للصلاح، وعامل للفلاح ـ هو ضياء للساري في خضم هذه الحياة الصاخبة، يهديه للتي هي أقوم، حتى يكتب من الصديقين، ومن زمرة البررة الصالحين.

قال ابن القيم رحمه الله: والإيمان أساسه الصدق، والنفاق أساسه الكذب، فلا يجتمع كذب وإيمان إلا وأحدهما محارب للآخر، فقد أخبر سبحانه أنه في يوم القيامة لا ينفع العبد وينجيه من عذابه إلا صدقه قال تعالى: ﴿هَٰذَا يَوْمُ يَنفَعُ ٱلصَّٰدِقِينَ صِدْقُهُمْ﴾ [سورة المائدة، الآية: ١١٩].

أيها المسلمون:

لقد أمر الله رسوله ﷺ، أن يسأله بأن يجعل مدخله ومخرجه على الصدق حيث قال ﴿وَقُل رَّبِّ أَدْخِلْنِى مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِى مُخْرَجَ صِدْقٍ وَٱجْعَل لِّى مِن لَّدُنكَ سُلْطَٰنًا نَّصِيرًا ﴿٨٠﴾﴾ [سورة الإسراء،

الآية: ٨٠] وأخبر عن خليله إبراهيم بقوله: ﴿وَٱجْعَل لِّى لِسَانَ صِدْقٍ فِى ٱلْـَٔاخِرِينَ ﴿٨٤﴾﴾ [سورة الشعراء، الآية: ٨٤]، وبشر عباده بقوله: ﴿وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِندَ رَبِّهِمْ﴾ [سورة يونس، الآية: ٢] وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَنَهَرٍ ﴿٥٤﴾ فِى مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ ﴿٥٥﴾﴾ [سورة القمر، الآيتان: ٥٤، ٥٥].

فهذه خمسة أشياء، مدخلُ الصدقُ، ومخرجُ الصدق، ولسان الصدق، وقدم الصدق، ومقعدُ الصدق، وحقيقة هذه كلها هو الحقُ الثابتُ المتصل بالله، الموصلُ إلى الله، وهو ما كان بالله ولله من الأقوال والأفعال.

وعلى هذا الطريق وهذا النهج القويم، سار سلفنا الصالح رضوان الله عليهم، فضربوا لنا أروع الأمثلة، وبلغوا قمم البطولات، وأناروا بصدقهم دياجر الظلمات، ورسموا لنا معالم الصدق على صحائف من نور.

فهذا أنس بن النضر رضي الله عنه حين قال: أما والله لئن أراني الله مشهداً مع رسول الله ﷺ، ليرين ما أصنع، فشهد أحداً، فاستقبله سعد بن معاذ فقال إلى أين؟ فقال: واهاً لريح الجنة إني أجد ريحها دون أحد، فقاتل حتى قُتل فوجد في جسده بضعٌ وثمانون، ما بين رمية وضربة وطعنة، فنزل قوله عزوجل ﴿مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ﴾ [سورة الأحزاب، الآية: ٢٣].

وهذا كعب بن مالك عندما صدق في تخلفه عن غزوة تبوك وكان من الثلاثة الذين خلفوا حتى إذا ضاقت عليهم الأرض بما رحبت وضاقت عليهم أنفسهم، قال له رسول الله ﷺ أبشر بخير يوم مر عليك منذ ولدتك أمك. قلت أمن عندك، أم من عند الله؟

قال من عند الله قلت يارسول الله إنما نجاني اللهُ بالصدق، وإن من توبتي ألا أحدث إلا صدقاً ما بقيت، فوالله ما تعمدت كذبه منذ قلت ذلك لرسول الله ﷺ إلى يومي هذا، وإني لأرجو الله أن يحفظني فيما بقي.

قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه، عليك بالصدق وإن قتلك، وقال محمود الوراق: الصدق منجاة لأربابه وقربة تدني من الرب، والصادق في عمله يدور مع الشرع حيث دار.

أيها المسلمون: إنكم ترون بأعينكم، كيف تأخر بنا الشوط، وسلب منا المجد، مع كثرتنا العددية على سطح الكرة الأرضية، وماذاك إلا من تهورنا، وقلة صدقنا، وفشو جهلنا.

فما أجدرنا أن يكون الصدق رائداً لنا في جميع أعمالنا وأقوالنا، وليس ذلك على همة المسلم المخلص ببعيد.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ﴿فَلَوْ صَدَقُوا۟ ٱللَّهَ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ ﴿٢١﴾﴾ [سورة محمد، الآية: ٢١].

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم ونفعني وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم.

أقول ما سمعتم وأستغفر الله لي ولكم ولسائر المسلمين من كل ذنب فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية

الحمد لله، وعد الصادقين بالمغفرة والأجر الكريم، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله الصادقُ الأمين، اللهم صل وسلم على عبدك ورسولك محمدٍ وعلى آله وصحبه أجمعين.

وبعد:

فاتقوا الله عباد الله واعلموا أن خير الحديث كلامُ الله، وخير الهدي هديُ محمد صلى الله عليه وسلم، وإياكم ومحدثات الأمور، فإن كل محدثةٍ بدعة وكل بدعةٍ ضلالة، وعليكم بجماعة المسلمين فإن يد الله على الجماعة، من شذ عنهم شذ في النار.

عباد الله: إلى جانب الفضائل والمحامد التي يغرسها الإسلام في النفوس، كوسيلةٍ للصلاح والإصلاح، إلى جانبها نقائص ورذائل حاربها الإسلام، لأنها مزلةٌ للأقدام وعواملُ لهبوط النفس الخلقي، وفي طليعتها الكذب، فهو من أقبح النقائص، وأردى الرذائل قال تعالى منفراً منه ﴿إِنَّمَا يَفْتَرِي الْكَذِبَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْكَاذِبُونَ ﴿١٠٥﴾﴾ [سورة النحل، الآية: ١٠٥] وقَرَنَ الله تعالى الكذب بعبادة الأوثان فقال تعالى: ﴿فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ ﴿٣٠﴾﴾ [سورة الحج، الآية: ٣٠] فهل بعد ذلك سبيل، إلى أن يتخذ المؤمن الكذب مطيةً لسلوكه، أو منهجاً لحياته ورغباته، أو حبلاً يتسلق به إلى مآربه، لذلك نرى الإسلام قد حارب الكذب بكل صنوفه وأشكاله، حرباً شعواء لا هوادة فيها، قيل للنبي ﷺ: أيكون المؤمن جباناً قال نعم، قيل له: أيكون بخيلاً؟ قال نعم، قيل له:

أيكون المؤمن كذاباً؟ قال لا [رواه مالك في الموطأ].

فما أجدر من اعتاد الكذب، بأن ينبذ من المجتمع ويهجر، ويقاطع فلا يعامل، ولا يصاحب ولا يجاور، لقد كذب الشيطان حين قال ﴿أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِى مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ ﴿١٢﴾﴾ [سورة الأعراف، الآية: ١٢] فقال له ربه ﴿قَالَ فَٱخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ ﴿٣٤﴾ وَإِنَّ عَلَيْكَ ٱللَّعْنَةَ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٣٥﴾﴾ [سورة الحجر، الآيتان: ٣٤، ٣٥] وكذب اليهود والنصارى في قولهم ﴿نَحْنُ أَبْنَٰٓؤُا۟ ٱللَّهِ وَأَحِبَّٰٓؤُهُۥ﴾ [سورة المائدة، الآية: ١٨] فأخزاهم الله ورد عليهم ﴿بَلْ أَنتُم بَشَرٌ مِّمَّنْ خَلَقَ﴾ [سورة المائدة، الآية: ١٨].

وتتفاوت درجات الكذب في دنيا الناس بقدر ما يحدثه من خطر وضرر، فأعظم الكذب إثماً القولُ على الله بغير علم، والجرأة على التحريم والتحليل دون نص واضح ﴿وَلَا تَقُولُوا۟ لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ ٱلْكَذِبَ هَٰذَا حَلَٰلٌ وَهَٰذَا حَرَامٌ لِّتَفْتَرُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ ﴿١١٦﴾﴾ [سورة النحل، الآية: ١١٦].

يلي ذلك الكذبُ السافرُ، الذي يتردد صداه، والذي يقرره أربابه، وكأنه حقيقةٌ لا تقبل الشك، فيبلغُ الدنيا، وتُبلبلُ به أفكارُ المجموع، وقد يكون سبباً في إثارة فتن عمياء، أو تأريث نار العداء، لذا جاء النهي الصارخ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِن جَآءَكُمْ فَاسِقٌۢ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوٓا۟ أَن تُصِيبُوا۟ قَوْمًۢا بِجَهَٰلَةٍ فَتُصْبِحُوا۟ عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَٰدِمِينَ ﴿٦﴾﴾ [سورة الحجرات، الآية: ٦] وإن لنا ياعباد الله في أعقاب الزمن، من أمثال ذلك أشكالاً وألواناً، تمثلها نفوس ضعيفة، وأرواح شريرة وأقلام مأجورة، حين يقلب أهلها الحق باطلاً، والحسناتِ إلى سيئات، وحين يختلقون الأكاذيب المضللة والتي تسير تبعاً

للأهواء والأغراض، ولا يعنيها تقريرُ الواقع، عارياً عن الزيف، والإدلاءُ بشهادة الحق، إقراراً للعدل، واستجابةً لأمر الله حيث يقول: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ بِٱلْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُواْ ﴾ [سورة المائدة، الآية: ٨].

يلي الكذب السافر، كذبٌ مشاع بين المجموع، فمن مقلٍ منه ومن مكثر، يشمل جميع الطبقات في مختلف مجالاتهم، لا يتورع عنه إلا من عصمه الله وهداه.

فاتقوا الله عباد الله، وصلوا على نبيكم محمد صلى الله عليه وسلم، فقد قال: «**من صلى عليَّ صلاةً واحدة صلى الله عليه بها عشراً**» اللهم صل وسلم على عبدك ورسولك محمدٍ صاحب الوجه الأنور، والجبين الأزهر، وارض اللهم عن صحابته والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

اللهم أعز الإسلام والمسلمين، ودمر أعداء الدين، واجعل هذا البلد آمناً مطمئناً وسائر بلاد المسلمين، اللهم انصر من نصر الدين، واخذل من خذل عبادك المؤمنين، اللهم ووفق ولي أمرنا لما تحب وترضى وخذ بناصيته للبر والتقوى اللهم اصلح له بطانته ياذا الجلال والإكرام. ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار.

عباد الله: اذكروا الله العظيم يذكركم واشكروه على نعمه يزدكم ولذكر الله أكبر والله يعلم ما تصنعون.

الفهرس

المقدمة	٥
خواطر بين يدي الخطيب	٧
إذا غاب الإحسان	١٨
الصحبة يا رسول الله.. دروس وخواطر من هجرة المصطفى ﷺ	٢٨
داء الشباب	٣٨
شواطىء البكائين	٤٨
بين الحلم والغضب	٥٨
كلكم لآدم وآدم من تراب	٦٨
خطبة الخسوف	٧٦
أرباب السحر والكهانة	٨٣
معركة المراغمة مع الشيطان	٩٦
يوم التقى الجمعان	١٠٨
كفى بالموت واعظاً	١١٨
أدركوا المرأة	١٢٩
السفر إلى بلاد الكفر	١٤١
الردة في ثوبها الجديد	١٥١
ماذا بعد رمضان؟	١٦٢
البلد الأمين	١٧١
لسان الصدق	١٨٠

توزيـــع :

مؤسسة الجريسي للتوزيع والاعلان

الرياض ١١٤٣١ ـ ص . ب : ١٤٠٥

٤٠٢٢٥٦٤ ـ فاكس ٤٠٢٣٠٧٦

سلسلة الرسائل المكية (٤)

وميض من الحرم

خطب ومواعظ من المسجد الحرام

ـ المجموعة الثانية ـ

بقلم
سعود بن إبراهيم بن محمد الشريم
إمام وخطيب المسجد الحرام

دار الوطن
الرياض ـ شارع المعذر ـ ص.ب: ٣٣١٠
☎ ٤٧٩٢٠٤٢ ـ فاكس: ٤٧٦٤٦٥٩

وميض من الحرم

خطب ومواعظ من المسجد الحرام

(٢)

ⓒ دار الوطن للنشر، ١٤١٧هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

الشـــريـم، سـعود بـن إبـراهـيم.
وميض مـن الحـرم. ـ الرياض.
٢٠٨ ص؛ ١٧ × ٢٤ سم
ردمك: ٢- ٠٦٥ - ٢٨ - ٩٩٦٠ (ج٢)
١- الخطب الدينية ٢- الوعظ والإرشاد
أ- العنـــوان
ديوي ٢١٥,١ ١٧/٠٨٥٧

رقم الإيداع: ١٧/٠٨٥٧
ردمك: ٢- ٠٦٥ - ٢٨ - ٩٩٦٠

حقوق الطبع محفوظة

الطبعة الأولى

١٤١٧ هـ ـ ١٩٩٦ م

المقدمة

الحمد لله رب العالمين وأفضل الصلاة والسلام على خاتم النبيين وقائد الغر المحجلين وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان واقتفى أثرهم إلى يوم الدين

أما بعد:

فهذه هي المجموعة الثانية من الخطب التي ألقيتها من على منبر المسجد الحرام، بدا لي أن أخرجها مطبوعة ليستفيد منها الخطيب والمستمع والقارئ، علها أن تكون من العلم النافع الذي لا ينقطع أثره بعد الممات.

وبما أنني سبق وأن وعدت في مقدمة المجموعة الأولى على أن أصدر المجموعة الثانية بالحلقة الثانية من « خواطر بين يدي الخطيب»؛ فها أنذا أنجز -بحمد الله- ما وعدت به لأضع خمسة عشر خاطرًا في مقدمة هذه المجموعة وهي عبارة عن جهد المقل، وإفراز لمسائل كانت تدور بخلدي فترجمتها كتابيًا من خلال هذه المجموعة التي أسأل المولى جل وعلا أن يجعلها سببًا في المثوبة والعلم النافع والعمل الصالح إنه سميع مجيب، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم وهو حسبي ونعم والوكيل.

قاله مقيده

سعود بن إبراهيم الشريم

مكة ١ / ١ ١٤١٧هـ

خواطر بين يدي الخطيب

« الحلقة الثانية »

هذه الخواطر ما هي إلا إشارات مختصرة لمسائل شرعية تخص الخطيب، ربما غفل عنها البعض؛ إما جهلاً منهم، أو تكاسلاً، أو ما علق بأذهان بعض الخطباء من أن الخطبة الشرعية هي ما اعتاده الناس في هذا الزمان دون النظر إلى أصل بعض المسائل المختصة بخطيب الجمعة؛ فلأجل ذا جمعت في هذه الحلقة خمسة عشر خاطرًا، أرى أن عرضها من الفوائد التي لا يستغني عنها الخطيب وإن كان بعضها من مسائل الاجتهاد القابلة للأخذ والرد بين أهل العلم.

كما لا يفوتني أن أنبه إلى أنه لا يلزم أن تكون هذه الخواطر راجحة عندي شرعًا بقدر ما أنني إنما أوردتها للفائدة أولاً وأخيرًا، وبالله التوفيق.

١ ـ اتخاذ العصا للخطيب:

جاء في ذكر العصا للخطيب روايات متعددة؛ منها: ما رواه الشافعي في الأم عن إبراهيم عن ليث بن أبي سلمة عن عطاء مرسلاً « أنه ﷺ كان يعتمد على عنزته اعتمادًا ».

قال الحافظ في التلخيص: وليث ضعيف.

ومنها: ما رواه أبو داود في سننه من حديث الحكم بن حزن الكلفي.. الحديث وفيه: « شهدنا الجمعة معه، فقام متوكئًا على عصى أو قوس... الحديث ».

قال الحافظ في التلخيص: إسناده حسن، وقد صححه ابن السكن وابن خزيمة، وله شاهد من حديث البراء بن عازب عند أبي داود بلفظ:

«أن النبي ﷺ أعطي يوم العيد قوسًا فخطب عليه» .

قال الحافظ في التلخيص: وطوَّله أحمد ورواه الطبراني وصححه ابن السكن. اهـ.

قال سماحة شيخنا العلامة عبد العزيز بن عبد الله بن باز في دروسه على بلوغ المرام في حديث الحكم بن حزن ما نصه: الحديث يدل على شرعية الاتكاء على عصا أو قوس في الخطبة؛ لأن هذا من شأنه ﷺ، ولعل السر في هذا - والله أعلم - أنه أجمع لليدين وأجمع للقلب من الحركة، وأقرب إلى الإقبال على الخطبة.

وقال حفظه الله عن الحديث: إسناده حسن، ورواه أحمد أيضًا، وجاء في الباب آثار أخرى فيها مقال ولكنها تشهد لهذا المعنى. اهـ.

قلت: وما قاله الشيخ حفظه الله تعالى قاله الشيخ العلامة محمد بن إبراهيم مفتي الديار السعودية رحمه الله حيث قال ما نصه: فكونه معتمدًا على قوس أو عصا هو السنة. اهـ.

وقد اختار مشروعية العصا جمع من أهل العلم وبه قال الصنعاني في السبل، والشوكاني في نيل الأوطار.

وذهب ابن القيم إلى خلاف ذلك حيث قال في زاد المعاد ما نصه: ولم يكن يأخذ بيده سيفًا ولا غيره، وإنما كان يعتمد على قوس أو عصا قبل أن يتخذ المنبر... إلخ. إلى أن قال: فإنه لا يحفظ عنه بعد اتخاذ المنبر أنه كان يرقاه بسيف ولا قوس ولا غيره. اهـ.

قلت: ولا أدري ما هو الدليل على ما ذكره ابن القيم من التفريق بين ما كان قبل اتخاذ المنبر وبين ما كان بعده، فربما اطلع على دليل لم أجده حسب البحث القاصر. والله أعلم.

وكان رحمه الله قد أشار في أول كتابه الزاد في فصل هديه ﷺ في الخطبة بما نصه: وكان إذا قام يخطب أخذ عصًا، فتوكأ عليها وهو على المنبر، كذا ذكره عنه أبو داود عن ابن شهاب، وكان الخلفاء الثلاثة بعده يفعلون ذلك. اهـ.

ولم يفصل رحمه الله، كما فصل في الموضع السابق ذكره، والتفصيل متأخر عن كلامه في أول كتابه فيكون هو المعتمد عنده، ويحتمل أن يكون كلامه رحمه الله هناك هو المعتمد على أنه لا فرق بين قبل اتخاذه المنبر أو بعد اتخاذه المنبر بدليل استمرار فعل الخلفاء الثلاثة من بعده. قلت: وقد قال شيخنا العلامة محمد بن صالح العثيمين في دروسه على زاد المستقنع: إنه إذا احتاج: العصى فإنه يشرع له ذلك وإن لم يحتج إليها فلا. والله أعلم.

٢ ـ استحباب قول: [أما بعد] في الخطبة:

ذهب جماعة من المحققين إلى استحباب قول الخطيب بعد الحمد والثناء: «أما بعد»؛ وذلك تأسيًا بالنبي ﷺ وقد أشار إلى ذلك ابن القيم، وبه قال النووي والحافظ ابن حجر والصنعاني والشوكاني وجماعة، وقد عقد البخاري في صحيحه بابًا في استحبابه فقال: باب من قال في الخطبة بعد الثناء: «أما بعد». وذكر فيه جملة من الأحاديث. قال الصنعاني في السبل: وظاهره أنه ﷺ كان يلازمها في جميع خطبه. اهـ.

قال سيبويه: «أما بعد» معناها مهما يكن من شيء بعد. وقال أبو إسحاق الزجاج: إذا كان الرجل في حديث فأراد أن يأتي بغيره قال: أما بعد. وهو مبني على الضم؛ لأنه من الظروف المقطوعة عن الإضافة.

قلت: وقد اختار ابن مالك ما ذهب إليه سيبويه فقال في الخلاصة:

أما كمهما يكن من شيء وفا ... لتلو تلوها وجوبًا ألفًا

وقد اختلف أهل العلم في أول من قالها فقيل: داود عليه السلام، فيما رواه الطبراني عن أبي موسى الأشعري، وفي إسناده ضعف؛ كما قال الحافظ في الفتح.

وقيل: إنه يعقوب عليه السلام، رواه الدارقطني بسند رواه في غرائب مالك كما ذكر ذلك الحافظ ابن حجر. وقيل غير ذلك.

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله: والأول أشبه. اهـ. يعني داود عليه السلام، وعلى هذا جماعة من المفسرين.

٣ ـ افتتاح الخطب:

سار جماعة من الخطباء على صيغة يُنكرها كثير من الفقهاء المحققين، ألا وهي افتتاح خطبة الاستسقاء بالاستغفار، وخطبة العيدين بالتكبير.

وقد رد ابن القيم رحمه الله في الزاد على من فعل مثل ذلك بقوله: وكان لا يخطب خطبة إلا افتتحها بحمد الله. وأما قول كثير من الفقهاء: إنه يفتتح خطبة الاستسقاء بالاستغفار، وخطبة العيدين بالتكبير؛ فليس معهم فيه سنة عن النبي ﷺ البتة، وسنته تقتضي خلافه وهو افتتاح جميع الخطب بـ« الحمد لله » وهو أحد الوجوه الثلاثة لأصحاب أحمد، وهو اختيار شيخنا قدس الله سره. اهـ.

وقال سماحة شيخنا العلامة عبد العزيز بن باز في درسه على بلوغ المرام ما نصه: أما ما يروى عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة مرسلاً « أنه بدأ الخطبة بالتكبير تسع تكبيرات » فليس في الأحاديث الصحيحة ما يدل عليه بل هو مرسل. والأفضل البدء بالحمد لفعل النبي ﷺ. اهـ.

قلت: وهو اختيار العلامة محمد بن إبراهيم مفتي الديار السعودية. ولكن يشرع الإكثار من التكبير في خطبتي العيدين لما روى ابن ماجه في سننه عن سعد « أنه ﷺ كان يكثر التكبير أضعاف الخطبة، ويكثر التكبير في

خطبتي العيدين»، قال ابن القيم في الزاد: وصوبه شيخ الإسلام. اهـ.

٤ ـ السنة القبلية للخطيب وغيره:

اختلف أهل العلم هل للجمعة سنة قبلية أم لا؟ على قولين: أصحهما: وهو الذي دلت عليه السنة، أنه لا سنة لها قبلها، وهذا هو مذهب مالك وأحمد في المشهور عنه، وأحد الوجهين لأصحاب الشافعي؛ لأن النبي ﷺ كان يخرج من بيته فإذا رقي المنبر أخذ بلال في الأذان.

قال ابن القيم: ومن ظن أنهم كانوا إذا فرغ بلال رضي الله عنه من الأذان قاموا كلهم فركعوا ركعتين فهو أجهل الناس بالسنة. اهـ.

قلت: وقد احتج بعض أهل العلم على سنية ركعتين قبل الجمعة للخطيب وغيره بما ذكره البخاري في صحيحه فقال: باب الصلاة قبل الجمعة وبعدها. ثم ساق بسنده عن ابن عمر «أن النبي ﷺ كان يصلي قبل الظهر ركعتين، وبعدها ركعتين، وبعد المغرب ركعتين في بيته، وقبل العشاء ركعتين، وكان لا يصلي بعد الجمعة حتى ينصرف فيصلي ركعتين».

قال ابن القيم: لم يقع ذكر الصلاة قبل الجمعة في هذا الحديث؛ فلعل البخاري أراد إثباتها قياسًا على الظهر. اهـ.

وقال أيضًا عن حديث ابن عمر: وهذا لا حجة فيه، ولم يرد البخاري إثبات السنة قبل الجمعة، وإنما مراده أنه هل ورد في الصلاة قبلها أو بعدها شيء؟ ثم ذكر هذا الحديث. أي إنه لم يرو عنه فعل السنة إلا بعدها ولم يرد قبلها شيء. اهـ.

قلت: ومن الناس كالنووي وغيره من احتج بما رواه أبو داود وابن حبان عن نافع قال: «كان ابن عمر يطيل الصلاة قبل الجمعة ويصلي بعدها ركعتين في بيته، وحدث أن رسول الله ﷺ كان يفعل ذلك».

وقد أجيب عن هذا بأن قوله : إن رسول الله ﷺ كان يفعل ذلك : أي أنه كان يصلي الركعتين بعد الجمعة في بيته لا في المسجد. ولم يرد أن صلاته قبل الجمعة كانت من فعل النبي ﷺ .

قال ابن القيم : وأما إطالة ابن عمر الصلاة قبل الجمعة فإنه تطوع مطلق وهذا هو الأولى لمن جاء إلى الجمعة أن يشتغل بالصلاة حتى يخرج الإمام؛ قال أبو هريرة : قال رسول الله ﷺ : « **من اغتسل يوم الجمعة ثم أتى المسجد فصلى ما قدر له ثم أنصت حتى يفرغ الإمام من خطبته، ثم يصلي معه غفر له ما بينه وبين الجمعة الأخرى وفضل ثلاثة أيام** » [رواه مسلم].

قال الحافظ ابن حجر : ورد في سنة الجمعة التي قبلها أحاديث أخرى ضعيفة.

٥ ـ السنة البعدية للخطيب وغيره، وكم عددها وأين تصلى:

روى الجماعة إلا البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال : « **إذا صلى أحدكم الجمعة فليصل بعدها أربع ركعات**».

وروى الجماعة أيضًا من حديث ابن عمر رضي الله عنهما « أن النبي ﷺ كان يصلي بعد الجمعة ركعتين في بيته».

وروى أبو داود في سننه عن ابن عمر رضي الله عنهما « أنه كان إذا كان بمكة فصلى الجمعة تقدم فصلى ركعتين، ثم تقدم فصلى أربعًا، وإذا كان بالمدينة صلى الجمعة ثم رجع إلى بيته فصلى ركعتين، ولم يصل في المسجد، فقيل له في ذلك، فقال : كان رسول الله ﷺ يفعل ذلك».

قال العراقي : إسناده صحيح. اهـ. وقد سكت عنه أبو داود والمنذري كما حكى ذلك الشوكاني في نيل الأوطار.

قلت : هذه الأحاديث الثلاثة نتج عنها أقوال ثلاثة في السنة البعدية للجمعة :

* **فقال قوم**: إن سنة الجمعة البعدية أربع ركعات منفصلة ، وممن قال بذلك : ابن مسعود والنخعي وأصحاب الرأي ، وكذا الشافعي ومالك وأحمد ، واستدلوا بحديث أبي هريرة السابق .

* **وقال آخرون** : إن سنة الجمعة البعدية ركعتان ، وممن قال بذلك : الشافعي وأحمد ، كما حكاه عنهما الترمذي وفعله عمران بن حصين .

قلت : ولكن رد العراقي على قول الترمذي بأن الشافعي وأحمد لم يريدا بذلك إلا بيان أقل ما يستحب ، وإلا فقد استحبا أكثر من ذلك . اهـ .

ومن قال بهذا القول استدلوا بما رواه الجماعة عن ابن عمر كما سبق ذكره .

* **وقال جماعة** : إن السنة البعدية للجمعة ست ركعات منفصلة ، ودليلهم حديث ابن عمر السابق عند أبي داود . وممن قال بذلك : علي وأبو موسى رضي الله عنهما ، وعطاء ومجاهد وحميد بن عبد الرحمن والثوري ، ونقله ابن قدامة رواية عن أحمد أنه قال : وإن شاء صلى ستًا .

ونقل ابن قاسم في حاشيته على الروض عن شيخ الإسلام ما نصه : وقال الشيخ وغيره : أدنى الكمال ست . اهـ .

مما سبق يفهم أن الجميع سنة ، ولكن بعضه أكمل من بعض ، إلا أن حديث ابن عمر في الست ركعات قد أجاب عنه الحافظ العراقي بقوله : فليس في ذلك علم ولا ظن أنه ﷺ كان يفعل بمكة ذلك ، وإنما أراد رفع فعله بالمدينة فحسب ؛ لأنه لم يصح أنه صلى الجمعة بمكة ، وعلى تقدير وقوعه بمكة منه فليس ذلك في أكثر الأوقات بل نادرًا . اهـ .

قلت : وقول العراقي له وجه قوي من النظر .

وأكثر الخلاف دائر على الأربع والثنتين؛ إذ فيهما القولان، وقد جمع بعض أهل العلم بين القولين : على أن الأربع إذا صلاها في المسجد، والثنتين إذا صلاها في بيته. جمعًا بين الروايات. وممن أفتى بذلك شيخ الإسلام وتلميذه ابن القيم حيث قال في الهدي: قال شيخنا أبو العباس ابن تيمية: إن صلى في المسجد صلى أربعًا، وإذا صلى في بيته صلى ركعتين. قلت : وعلى هذا تدل الأحاديث ، وقد ذكر أبو داود عن ابن عمر أنه كان إذا صلى في المسجد صلى أربعًا، وإذا صلى في بيته صلى ركعتين. اهـ.

قلت: ذكر محقق الهدي أن إسناده قوي.

وقد اختار سماحة شيخنا العلامة عبد العزيز بن باز في دروسه على بلوغ المرام ما نصه: إن أقلها اثنتان وأكثرها أربع ، ولا فرق بين أن يصليها في البيت أو في المسجد، وهذا القول أظهر؛ لأن القول مقدم على الفعل، ولأنه يحتمل أن يكون فعله للتخفيف، أو أن هذا قبل أن يأمر بالأربع؛ فالأولى والأظهر هو هذا القول جمعًا بين الأدلة . اهـ كلامه بتصرف يسير.

٦- رفع الصوت في الخطبة:

كتب بعض المؤلفين كتبًا صدروها بوصايا للخطباء كطريق للخطيب الناجح وقد أفلحوا في بعضها وأخطأوا في البعض الآخر؛ وهو كثير نظرًا لاعتمادهم على كتب غربية في وصف الخطيب الصيت الناجح، ولم يراعوا في ذلك ما كان من هديه ﷺ، فكان مما فيها، استنكار رفع الصوت في الخطبة أو الانفعال فيها وأن ذلك تشنج يثير المستمعين ويذهب بجمال الخطبة وحيويتها.

ولاشك أن هذا خطأ واضح لم يكن لقائله نصيب من سنة المصطفى ﷺ وهديه في خطبته؛ حيث إنه ثبت عنه ﷺ في صحيح مسلم « أنه كان إذا خطب احمرت عيناه، وعلا صوته واشتد غضبه حتى كأنه منذر جيش يقول: « صبحكم ومساكم ...»» الحديث.

وفي لفظ عند مسلم: « يحمد الله ويثني عليه بما هو أهله، ثم يقول على إثر ذلك وقد علا صوته . . . » فذكره.

فيتبين لك أيها القارئ مما سبق ذكره، أن رفع الصوت والحماس في الخطبة كان من هديه ﷺ وهو من الأمور التي لها وقع في قلوب المستمعين، مع ملاحظة أن رفع الصوت وعلوه هنا لا يراد به الصراخ المفزع الذي يذهب بجمال الخطبة ووقعها في نفس المستمع، والله أعلم.

٧ ـ قراءة سورة « ق » وهل تقرأ في كل جمعة أم لا:

ثبت عند مسلم في صحيحه من حديث أم هشام بنت حارثة رضي الله عنها قالت: « ما أخذت ﴿ قٓ وَٱلۡقُرۡءَانِ ٱلۡمَجِيدِ ﴾ [ق: ١]، إلا عن رسول الله ﷺ يقرؤها كل جمعة على المنبر إذا خطب الناس ».

ولقد اتفق أهل العلم على مشروعية قراءة سورة « ق » على المنبر في خطبة الجمعة. بل ولقد ذهب بعضهم إلى أبعد من ذلك حيث قالوا بمشروعيتها في كل جمعة، وممن ذهب إلى ذلك النووي والصنعاني وغيرهما.

قال النووي عن حديث أم هشام: وفيه استحباب قراءة « ق » أو بعضها في كل خطبة.

قلت: ووجه الدلالة على أن المراد عموم الجُمَع. أن لفظة « جمعة » نكرة في سياق الإثبات وهي لا تفيد العموم، ولكنها أفادت العموم في هذا الحديث بدخول لفظة « كل » عليها.

ولكني أقول: إن هذا الحديث هو من العام المخصوص؛ بدليل أنه ثبت عنه ﷺ أنه خطب خطبًا كثيرة ليس فيها ذكر سورة « ق ».

فقد روى أحمد وابن ماجه بإسناد حسن أن رسول الله ﷺ قرأ يوم الجمعة «تبارك، وهو قائم. . .» الحديث.

وروى أبو داود في سننه عن أبي سعيد قال: « قرأ رسول الله ﷺ وهو على المنبر ﴿ص﴾، فلما بلغ السجدة نزل فسجد وسجد الناس معه» قال العراقي: وإسناده صحيح. اهـ نقل ذلك الشوكاني في نيل الأوطار.

وقال الشوكاني بعد ذكر أحاديث كثيرة لا تخلو من مقال في قراءة سورة من القرآن على المنبر ما نصه: والظاهر من أحاديث الباب أن النبي ﷺ كان لا يلازم قراءة سورة أو آية مخصوصة في الخطبة، بل كان يقرأ مرة هذه السورة ومرة هذه، ومرة هذه الآية ومرة هذه. اهـ. والله أعلم.

٨ ـ لفظة ـ سيدنا محمد ـ في الخطبة:

اعتاد بعض الخطباء الإكثار من لفظ: اللهم صلِّ على سيدنا محمد. والحاصل أن لفظة ـ سيدنا ـ لم ترد في الصلاة عليه ﷺ. ولكن لو قال بعضهم: وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله؛ لكان أخف من الأول؛ لأنه ليس من باب الصلاة عليه إنما هو من باب الشهادة والإخبار.

وهذا الأمر الثاني، يعترضه أمران:

الأمر الأول: جوازه على الإطلاق لقوله ﷺ: « **أنا سيد ولد آدم يوم القيامة**» [رواه مسلم].

الأمر الثاني: أن النبي ﷺ قيل له: أنت سيدنا. فقال: « **السيد الله تبارك وتعالى**»[رواه أبو داود بسند جيد] وأقل أحوال هذه المسألة الجواز.

وقد سئل العلامة محمد بن إبراهيم مفتي الديار السعودية رحمه الله، عن الإتيان بها في الصلاة عليه ﷺ فقال ما خلاصته: لا يخفى أن الاقتصار على ما ورد في الأحاديث وما جاء عن سلف هذه الأمة وأئمتها أولى وأفضل وأكمل، لا سيما إذا كان ذلك في نفس الصلاة، فلا ينبغي أن يأتي في الصلاة بألفاظ غير ما ورد. فإن كان خارج الصلاة فهو أيسر، وتركه

أولى على كل حال. ثم قال رحمه الله : ومن قالها فلا ينهى عنها نهيًا مطلقًا، بل يرغب بما هو الأفضل. . . إلخ. اهـ ، والله أعلم.

٩ ـ الأركان الأربعة في الخطبة:

سئل العلامة الشيخ عبد الرحمن بن سعدي رحمه الله عن حكم اشتراط الأركان الأربعة في كل من الخطبتين؛ (ويقصد بالأركان الأربعة : الأول: الحمد والثناء على الله. الثاني: الصلاة على رسول الله ﷺ. الثالث: الوصية بتقوى الله. الرابع: قراءة آية من القرآن).

فأجاب الشيخ رحمه الله: اشتراط الفقهاء الأركان الأربعة في كل من الخطبتين فيه نظر، وإذا أتى في كل خطبة بما يحصل به المقصود من الخطبة الواعظة الملينة للقلوب فقد أتى بالخطبة، ولكن لا شك أن حمد الله، والصلاة على رسول الله ﷺ ، وقراءة شيء من القرآن ؛ من مكملات الخطبة وهي زينة لها. اهـ.

قلت: اعلم أن من قال بالأركان الأربعة هم الشافعية والحنابلة. ومن لم يقل بها هم الحنفية والمالكية. والعلم عند الله تعالى.

١٠ ـ الجمع بين الجمعة والعصر للمطر:

الأصل في هذه المسألة هو الخلاف في الجمع بين الصلاتين لعذر المطر، وحاصل الأقوال في ذلك هو عدم جواز الجمع بين الصلاتين مطلقًا إلا يوم عرفة عند الحنفية.

وعند المالكية يجوز التقديم في المطر لمن يصلي المغرب والعشاء دون غيرهما كالظهر والعصر.

وعند الشافعية جواز الجمع بين الصلاتين؛ سواء بين الظهر والعصر أو

المغرب والعشاء.

وعند الحنابلة روايتان: إحداهما: لا يجوز إلا بين المغرب والعشاء، وحكى ابن قدامة أن أحمد سئل عن الجمع بين الظهر والعصر في المطر، قال: لا، ما سمعت.

وذكر صاحب الإفصاح أنه يجوز الجمع بين الظهر والعصر للمطر وذكر أنها رواية عن أحمد، وقال: إنها هي المذهب.

قلت: وبالنظر إلى علة الجمع وهي رفع المشقة، فإنها دالة على وجودها في الظهر والعصر والمشقة تجلب التيسير، لا سيما وأن لهذه المسألة أصلاً وهو حديث ابن عباس في الصحيحين «صلى رسول الله ﷺ الظهر والعصر والمغرب والعشاء جمعًا من غير خوف ولا سفر» قيل لابن عباس: لم فعل ذلك؟ قال: أراد ألا يحرج أمته. اهـ.

وصح في سنن أبي داود من حديث ابن عباس: «من غير خوف ولا مطر».

والعجيب من هذا: أن مالكًا رحمه الله قال بعد حديث ابن عباس: أرى ذلك في المطر. ومع ذلك فهو لا يرى الجمع للمطر إلا بين العشاءين فقط دون الظهرين. فتنبه.

وخلاصة المسألة: أن الصحيح فيها إن شاء الله تعالى، الذي دلت عليه النصوص، ودل عليه النظر: هو جواز الجمع بين الظهر والعصر للمطر؛ لأن تجويزنا الجمع بينهما بدون مطر ولا سفر ولا خوف كما في الحديث السابق يلزمنا أن نجيزها لواحد من هذه الأعذار. فما موجب التفريق بين الظهرين والعشاءين؟

أما حجة من قصرها على العشاءين بأنه لم يثبت عن النبي ﷺ إلا

ذلك، فإن هذا لا يعني أن حديث ابن عباس لم يدل عليها.

قال شيخ الإسلام عن حديث ابن عباس السابق: وبهذا استدل أحمد على الجمع لهذه الأمور بطريق الأولى؛ فإن هذا الكلام يدل على أن الجمع لهذه الأمور أولى، وهذا من باب التنبيه بالفعل فإنه إذا جمع ليرفع الحرج الحاصل بدون الخوف والمطر والسفر، فالحرج الحاصل بهذه أولى أن يرفع، والجمع لها أولى من الجمع لغيرها.

بقي عندنا حكم الجمعة مع العصر للمطر، وقد جوز ذلك الشافعية كقولهم في الظهر، بخلاف الأئمة الثلاثة. والصواب إن شاء الله هو ما اختاره الشافعية لوجود العلة المقتضية للجمع. ولا يلزم من عدم ذكر الجمعة في حديث ابن عباس أنها غير داخلة، ولا يؤثر فيها على الصحيح خلاف أهل العلم في كونها ظهراً مقصورة أو هي صلاة مستقلة بذاتها، والمعنى العام للجمع بين الصلاتين هو وضع إحداهما في وقت الأخرى وهذا حاصل بالجمعة. ثم إن الذين لم يجوزوا الجمع بين الظهرين للمطر، نلزمهم بوجود المشقة في الظهرين كما هو الحاصل في العشاءين. وينتج عن هذا الإلزام، إلحاق الجمعة بهما في الحكم، والله أعلم.

١١ ـ القنوت للنوازل في الجمعة:

ثبت في الصحيحين من حديث أنس أن النبي ﷺ «كان يقنت في صلاة الفجر والمغرب».

وثبت عند أحمد وأبي داود من حديث ابن عباس «قنت رسول الله ﷺ شهراً متتابعًا في الظهر والعصر والمغرب والعشاء و الصبح».

فهل الجمعة تدخل في هذا أم لا؟ الجواب أنه مبني على مسألة الجمعة هل هي ظهر مقصورة أو صلاة مستقلة بذاتها؟

والأحاديث لم تشر إلى الجمعة، وقد لا يصح قياس هذه المسألة على مسألة الجمع بين الصلاتين؛ فالعلة موجودة في الظهر والجمعة ، ولكن الجمعة تفارق الظهر بكونها فيها خطبة والقنوت إنما هو دعاء.

فلعل الأظهر أنه يكتفى بالدعاء أثناء الخطبة لحصول المقصود. لكن هناك حديث رواه الطبراني في الأوسط عن البراء بن عازب أن النبي ﷺ كان لا يصلي صلاة مكتوبة إلا قنت فيها . اهـ.

ذكره الهيثمي في مجمع الزوائد وقال: رجاله موثوقون. قال ابن القيم في الزاد عن إسناد هذا الحديث ما نصه وهذا الإسناد وإن كان لا تقوم به حجة، فالحديث صحيح من جهة المعنى؛ لأن القنوت هو الدعاء، ومعلوم أن رسول الله ﷺ لم يصل صلاة مكتوبة إلا دعا فيها. اهـ.

قلت: إن ثبت حديث الطبراني هذا فهو حجة في جواز القنوت للنازلة في صلاة الجمعة لدخول الجمعة في كونها صلاة مكتوبة، إذا إن نص الحديث: «**لم يصل صلاة مكتوبة...الحديث**» والله أعلم.

١٢ ـ إذا وافق يوم الجمعة يوم عيد:

ثبت عند ابن ماجه وغيره من حديث أبي هريرة أن النبي ﷺ قال: « **اجتمع لكم في يومكم هذا عيدان فمن شاء أجزأه من الجمعة، وإنا مجمعون**»

وهذه المسألة اختلف فيها أهل العلم على ثلاثة أقوال ، والصحيح منها، وهو الذي اختاره جماعة من المحققين، وهو اختيار شيخ الإسلام رحمه الله: أن من شهد العيد سقطت عنه الجمعة. وقال شيخ الإسلام: لكن على الإمام أن يقيم الجمعة ليشهدها من شاء شهودها ومن لم يشهد العيد.

١٣ ـ سلام الخطيب على المأمومين:

ا ستحب جمهور أهل العلم كابن عباس وابن الزبير وعمر بن عبد العزيز والأوزاعي والشافعي وأحمد وغيرهم أن يسلِّم الخطيب على المأمومين إذا صعد المنبر.

وعند الشافعية يستحب له أن يسلم مرتين: الأولى: عند دخوله المسجد يسلِّم على من هناك، وعلى من عند المنبر إذا انتهى إليه. والثانية إذا وصل أعلا المنبر.

ومنع أبو حنيفة السلام وقال: يكره، وقال مالك: لا يسلِّم وأنكره.

قال أبو جعفر الطحاوي: لم يرو عن النبي ﷺ في ذلك شيء صحيح، وروي فيه أحاديث ضعاف، والقياس يمنع منه؛ لأنه إذا تقدم للإمامة لا يسلِّم، والمؤذن إذا أشرف على الناس لا يسلِّم؛ فكذلك إذا صعد على المنبر.

قلت: ومما روي في السلام على المنبر ما رواه البيهقي عن ابن عمر وجابر أن النبي ﷺ «كان إذا صعد المنبر يوم الجمعة قال: السلام عليكم». قال النووي في المجموع: وإسنادهما ليس بقوي. وضعفه ابن عدي وابن حبان، كما ذكر ذلك الحافظ في التلخيص.

ومن ذلك ما رواه أبو بكر بن أبي شيبة عن الشعبي قال: «كان رسول الله ﷺ إذا صعد المنبر يوم الجمعة استقبل الناس فقال: السلام عليكم ... الحديث» قال الحافظ: وهو مرسل. وفي الباب عن عطاء مرسلاً.

وحاصل المسألة أنه تبين لك أنه لم يصح في ذلك شيء عن النبي ﷺ كما قال أبو جعفر، وعلى فرض الصحة؛ فإن الأحاديث منها ما جاء فيه ذكر السلام مبهمًا، ومنها ما فسر بقوله: «السلام عليكم»؛ دون

ورحمة الله وبركاته، فهل يقتصر على ما ورد، أو يؤخذ بالأكمل كما في الذي صح عنه ﷺ عند أبي داود والترمذي والنسائي من حديث عمران بن حصين قال: جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال السلام عليكم فرد عليه ثم جلس فقال النبي ﷺ «عشر» ثم جاء آخر فقال السلام عليكم ورحمة الله فرد عليه فجلس فقال: «عشرون» ثم جاء آخر فقال السلام عليكم ورحمة الله وبركاته فرد عليه فجلس فقال: «ثلاثون».

وحاصل هذه المسألة أنه يظهر لي أن الأمر في ذلك واسع، وأنه وإن لم يرد بخصوص الجمعة شيء؛ فعموم الأحاديث الدالة على السلام على المسلمين تؤيد ذلك، والله أعلم.

١٤ ـ إقبال الخطيب بوجهه على المأمومين، وعدم التفاته يمينًا وشمالاً:

اعتاد بعض الخطباء على الالتفات يمينًا وشمالاً أثناء الخطبة، أو عند الصلاة على النبي ﷺ. وقد قال القاسمي في كتابه إصلاح المساجد: ولا أصل لذلك؛ بل السنة استقبال الناس بوجهه من أول الخطبة إلى آخرها.

ونقل النووي في المجموع عن صاحب الحاوي وغيره أن هذا الالتفات باطل لا أصل له، واتفق العلماء على كراهة هذا الالتفات، وهو معدود من البدع المنكرة. اهـ.

وإن كان أبو حنيفة يرى أنه يلتفت يمينًا وشمالاً في بعض الخطبة كما في الأذان؛ لكن قال النووي: هذا غريب لا أصل له. اهـ.

وقد ذكر ابن قدامة وغيره أن من سنن الخطبة أن يقصد الخطيب تلقاء وجهه؛ لأن النبي ﷺ كان يفعل ذلك، ولأنه أبلغ في سماع الناس، وأعدل بينهم؛ فإنه لو التفت إلى أحد جانبيه لأعرض عن الجانب الآخر. اهـ. والله أعلم.

١٥ ـ استحباب ذكر الخلفاء الراشدين في الخطبة:

جرت عادة أهل السنة من قديم الزمن على ذكر الخلفاء الأربعة في الخطبة، وظن بعض من لا علم عندهم أن هذا من الأمور المبتدعة، فوافقوا بذلك الشيعة الذين أنكروا ذكرهم وابتدعوا مكانها ذكر الأئمة الاثني عشرية.

وقد رد شيخ الإسلام هذا الزعم الباطل بما خلاصته:

الوجه الأول: أن ذكر الخلفاء على المنبر كان على عهد عمر بن عبد العزيز، بل روي أنه كان على عهد عمر بن الخطاب وحديث ضبة بن محصن رضي الله عنه من أشهر الأحاديث في قصة أبي موسى الأشعري الذي كان يدعو في خطبته لعمر بن الخطاب.

الوجه الثاني: أنه قد قيل إن عمر بن عبد العزيز ذكر الخلفاء الأربعة لما كان بعض بني أمية يسبون عليًا فعوَّض عن ذلك بذكر الخلفاء والترضي عنهم ليمحو تلك السنة الفاسدة.

الوجه الثالث: أن أهل السنة لا يقولون إن ذكر الخلفاء في الخطبة فرض، بل يقولون إن الاقتصار على عليٍّ وحده أو الأئمة الاثني عشر هو البدعة المنكرة، وإن كان ذكر عليٍّ لكونه أمير المؤمنين مستحب، فذكر الأربعة الذين هم الخلفاء الراشدون أولى بالاستحباب.

الوجه الرابع: أن ذكر الخلفاء الراشدين على المنبر يوم الجمعة إنما هو تعويض عن سب من سبهم ويقدح فيهم؛ ليكون ذلك حفظًا للإسلام بإظهار موالاتهم والثناء عليهم، ومنعهم من يريد عوراتهم والطعن عليهم. اهـ.

* * *

التوحيد أولاً لو كانوا يعلمون

الخطبة الأولى

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونستهديه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾

[آل عمران: ١٠٢].

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾

[النساء: ١].

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴾ [الأحزاب: ٧٠، ٧١].

أما بعد :

فأوصيكم أيها الناس ونفسي بتقوى الله عز وجل، فتقوى الله تعالى هي وصيته للأولين والآخرين ﴿ وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ اتَّقُوا اللَّهَ وَإِن تَكْفُرُوا فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ غَنِيًّا حَمِيدًا ﴾ [النساء: ١٣١].

أيها الناس:

من أجل التوحيد بني بيت الله العتيق، الذي رفع قواعده إبراهيم خليل الرحمن وابنه إسماعيل عليهما السلام، وما برح هذا البيت العتيق، يطاول الزمان، وهو شامخ البنيان في منعة من الله وأمان، تتعاقب الأجيال على حجه، ويتنافس المسلمون في بلوغ رحابه، ففي جواره التوحيد، وفي رحابه الأمن والخير والبركة ﴿ وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ أَن لَّا تُشْرِكْ بِي شَيْئًا وَطَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ ﴾ [الحج: ٢٦]، ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَٰذَا الْبَلَدَ آمِنًا وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعْبُدَ الْأَصْنَامَ ﴿٣٥﴾ رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ فَمَن تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [إبراهيم: ٣٥، ٣٦].

لقد أرسل المصطفى ﷺ بنور ساطع وضياء لامع، أضاء به الطريق وأوضح به السبيل، طهر الله به جزيرة العرب من رجس الوثنية، وهيمنة الأصنام، وكان كبير الأصنام هبل، بأعلى مكة، وحوله ثلاثمائة وستون صنمًا، كلها من الحجارة، فطعن فيها المصطفى ﷺ بيده الشريفة، حين دخوله الكعبة يوم الفتح، وهو يردد قول الله: ﴿ وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴾ [الإسراء: ٨١]. وبعض المسلمين كان يردد يا عزى كفرانك لا غفرانك إني رأيت الله قد أهانك.

وفي الحج أيها المسلمون، معان كبيرة من معاني التوحيد، تمثلت في منع

المشركين من دخول المسجد الحرام ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُواْ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَٰذَا ﴾ [التوبة: ٢٨].

وبعث المصطفى ﷺ سنة تسع، من ينادي: «**ألا يطوف بالبيت عريان، وألا يحج بعد العام مشرك**» [متفق عليه].

وتمثل التوحيد في الحج، في رفع الأصوات بالتلبية ونفي الشريك عن الله «لبيك اللهم لبيك. لبيك لا شريك لك لبيك. إن الحمد والنعمة لك والملك. لا شريك لك» وبهذه التلبية، قضى المصطفى ﷺ على تلبية أهل الشرك، التي كانوا يرددونها إبان حجهم ويقولون: «لبيك لا شريك لك إلا شريكًا هو لك تملكه وما ملك» تعالى الله عما يقولون علوًا كبيرًا.

لقد تمثل التوحيد في الحج في ركعتي الطواف، حين يقرأ المسلم في أولاهما بـ «قل يأيها الكافرون»، وفي الأخرى بـ «قل هو الله أحد». كما تمثل التوحيد في الحج أيضًا، في خير الدعاء، وهو دعاء يوم عرفة حينما قال ﷺ: «**خير الدعاء دعاء يوم عرفة، وخير ما قلت أنا والنبيون من قبلي: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير**» [رواه الترمذي].

وتمثل التوحيد في الحج فيما شرعه الله من ذكره وحده، يوم العيد وأيام التشريق ﴿ وَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ فِىٓ أَيَّامٍ مَّعْدُودَٰتٍ ﴾ [البقرة: ٢٠٣]، ﴿ فَإِذَا قَضَيْتُم مَّنَاسِكَكُمْ فَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ كَذِكْرِكُمْ ءَابَآءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا ﴾ [البقرة: ٢٠٠].

أيها الناس: إن التوحيد الخالص، هو لباب الرسالات السماوية كلها، وهو عمود الإسلام، وشعاره الذي لاينفك عنه، وهو الحقيقة التي ينبغي أن نغار عليها، ونصونها من كل شائبة ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ

﴿ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ ﴾ [النحل: ٣٦] .

والطاغوت: هو كل ما تجاوز به العبد حده من معبود أو متبوع أو مطاع، فطاغوت كل قوم، من يتحاكمون إليه من دون الله ورسوله، أو يعبدونه من دون الله، أو يطيعونه فيما لا يعلمون أنه طاعة لله، أو يتبعونه على غير بصيرة من الله ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا۟ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوٓا۟ إِلَى ٱلطَّٰغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوٓا۟ أَن يَكْفُرُوا۟ بِهِۦ ﴾ [النساء: ٦٠] . ﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَوْلِيَآؤُهُمُ ٱلطَّٰغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ ٱلنُّورِ إِلَى ٱلظُّلُمَٰتِ ﴾ [البقرة: ٢٥٧]. ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ يُؤْمِنُونَ بِٱلْجِبْتِ وَٱلطَّٰغُوتِ ﴾ [النساء: ٥١].

عباد الله: على كلمة التوحيد الجليلة، بنى المصطفى ﷺ أمته، وأقام دعوته وشيد صرحها، وأنشأ جيلا يوحد الواحد الأحد، ويبرأ من كل الشركاء المزعومين، فكلمة التوحيد (لا إله إلا الله) هي الحادي الذي لا يمل نداؤه، ولا يتلاشى صداه، وعندما يرددها الموحد، فهو يقصد أمرين عظيمين:

أولهما: إحقاق الحق وإبطال الباطل؛ لأن معنى الكلمة، لا معبود بحق إلا الله، فكل ما خلا الله، فهو باطل، وما هو إلا وهم عقول مختلة، أو خداع حواس معتلة.

وثانيهما: ضبط السلوك البشري، داخل نطاق هذا التوحيد الخالص المنبثق من كلمة التوحيد، المشروطة بشروط سبعة، متمثلة في العلم بمعناها وهو أنه: لا معبود بحق إلا الله، ومتمثلة كذلك، في اليقين المنافي للشك، والإخلاص المنافي للشرك، والصدق المنافي للكذب، والقبول المنافي للرد، والانقياد المنافي للترك، والمحبة المنافية للبغض، وباجتماع ذلك، تتوحد العبادة بكل صورها، بحيث لا تكون إلا لله، فلا استنصار إلا بالله، ولا توكل إلا على الله، ولا رغبة ولا رهبة، ولا خوف ولا رجاء إلا بالله ومن الله، ومن ثم، يشعر الموحد من

أعماق قلبه، أن ما دون الله هباء، فلا تروعه سطوة ساط، ولا تخدعه ثروة غني، ويستحيل عنده أن يُغْلَب الله على أمره، أو أن يقطع شيء دونه، فالتعلق بغير الله عجز، والتطلع إلى سواه ضلال وحمق ﴿وَلِلَّهِ غَيْبُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الْأَمْرُ كُلُّهُ﴾ [هود: ١٢٣].

ومن هنا، يظهر الفرق شاسعًا بين الموحد وبين المشرك، فالموحد عرف خالقه، فعبده حق عبادته، والمشرك مكفوف البصيرة، تائه عن ولي نعمته، نعوذ بالله من الضلال بعد الهدى.

أيها الناس: في القديم وفي الحديث، أولع بعض الناس بتعدد الآلهة وهي المعبودات، وتعدد الآلهة، خرافة هزيلة، لفظها الإسلام بقوة، ونبذها نبذ المسافر فضلة الأكال، وتتبع أوهام الناس فيها وهمًا وهمًا، فكشف الظلمة ودحض الشبهة، ولا عجب، فالتوحيد الخالص، شعار الإسلام الأول، في ميدان الاعتقاد والعمل، به عُرف ومن أجله حورب، وعليه دار جدل طويل بين أهل الحق وأهل الباطل ﴿إِنَّ إِلَٰهَكُمْ لَوَاحِدٌ ۝٤ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَرَبُّ الْمَشَارِقِ﴾ [الصافات: ٤، ٥]. ﴿مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَٰهٍ ۚ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ [المؤمنون: ٩١].

إن التوحيد الخالص: هو أفضل طلبة، وأعظم رغبة، وأشرف نسبة، وأسمى رتبة، هو وسيلة كل نجاح، وشفيع كل فلاح، يُصَيِّرُ الحقير شريفًا، والوضيع غطريفًا، يطوِّل القصير ويقدِّم الأخير، ويُعْلي النازل، ويشهر الخامل، ما شيد ملك عتيد إلا على دعائمه، ولا زال إلا على طواسمه، ما عزت دولة إلا بانتشاره، ولا زالت إلا باندثاره.

وإن معظم الشرور والنكبات، التي أصابت أمة الإسلام، وأشد البلايا التي

حلت بها، كانت بسبب ضعف التوحيد في النفوس، وما تسلط من تسلط من الأعداء، وتعجرف من تعجرف، وغار من غار على حياض المسلمين، واستأصل شأفتهم، واستباح حرماتهم، وأيم نساءهم، ويتم أطفالهم، إلا بسبب ضعف التوحيد، وما هجم التتار على ديار الإسلام، وفعلوا بهم ما فعلوا، إلا بفقد التوحيد، بل لقد بلغ ضعف التوحيد في النفوس مبلغًا عظيمًا إبان الهجوم التتري لبلاد الإسلام، حتى لقد قال بعض المسلمين من الهلع والجزع: يا خائفين من التتر لوذوا بقبر أبي عمر، عوذوا بقبر أبي عمر ينجيكم من الضرر. كبرت كلمة تخرج من أفواههم إن يقولون إلا كذبًا.

أيهـــا الناس: يعيش المسلمون في زمان، هرم خيره، شبابٌ شره، نائم رشاده، صاحٍ فساده، قليلٌ منصفه، كثير متعسفه، أفلت فيه شمس التوحيد ونجمه، ودجا فيه ظلام الشرك وظلمه؛ فتقدم متأخره، وتأخر متقدمه، تلاعبت بأهله الأهواء، ومزقت جماعتهم النحل والآراء، ركب كلٌّ منهم هواه، وكافح عما يحبه ويرضاه؛ فاتخذ بذلك إلهه هواه، قصَّر فئام من الناس مع التوحيد؛ فصادموا المنقول، وخالفوا المعقول، فاخر ضلالُهم بما يبرزون من الضلال، ويبدعون من الزيغ، وصار الشجاع العاقل هو المجاهر بالغرائب والمصائب، والأديب الملهم هو الداعي إلى البدع المضلة، فعظم الويل، واتسع الخرق، واغتلم الداء، وأعوز الدواء.

هم قوم أزياؤهم أزياء الأناسي، وصورهم صور العقلاء، ونفوسهم نفوس العجماوات، وأخلاقهم أخلاق الطير، يتهافتون على الغفلة والحطة، تهافت الفراش على النبراس، ويأرزون إلى النقيصة، أروز الدود إلى الميتة، مع قرم وجعم، واحتدام وضرم، بهؤلاء وأمثالهم، ولدت أم الغباء، وعُقمَت أم الذكاء ﴿ وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا

﴿يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَٰئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَٰئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ﴾ [الأعراف: ١٧٩].

لقد ابتلي كثير من الناس بالجهل بالتوحيد؛ فانحازوا إلى أصحاب القبور، والتجأوا إليهم، وتضرعوا أمام أعتابهم، فقبلوها وتمسحوا بها، واستغاثوا بأهلها في الشدائد والكروب، بل لقد كثر مروجوها والداعون إليها، من قبوريين ومخرفين، الذين يخترعون حكايات سمجة عن القبور وأصحابها، وكرامات مختلقة، لا تمت إلى الصحة بنصيب، والذين ينشدون القصائد الطافحة بالاستغاثات والنداءات، التي لا تصلح إلا لفاطر الأرض والسموات، بل لقد طاف بعض الناس بالقبور كما يطاف بالكعبة المعظمة، وأوقفوا الأموال الطائلة على تلك الأضرحة، حتى إنه لتجتمع في خزائن بعض المقبورين، أموال تعد بالملايين، ولقد أحسن القائل:

أحياؤنا لا يكرمون بدرهم وبألف ألف يكرم الأموات

لقد قصر أناس مع التوحيد؛ فتقاذفتهم الأهواء، واستولت عليهم الفتن والأدواء، فمن مفتون بالتمائم والحروز، يعلقها عليه وعلى عياله، بدعوى أنها تدفع الشر، وتذهب بالعين، وتجلب الخير، والله تعالى يقول: ﴿وَإِن يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ ۖ وَإِن يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [الأنعام: ١٧].

وقد رأى النبي ﷺ رجلاً في يده حلقة من صفر فقال: «**ما هذا؟** قال من الواهنة، فقال: **انزعها فإنها لا تزيدك إلا وهنًا، فإنك لو مت وهي عليك ما أفلحت أبدًا**» رواه أحمد بسند لا بأس به.

ولأحمد أيضًا، عن النبي ﷺ أنه قال: « **من تعلق تميمة فلا أتم الله له** »

وفي رواية: « **من تعلق تميمة فقد أشرك** » .

وإن من المسلمين من قد افتتن بالمشعوذين، والدجاجلة الأفاكين، الذين يأكلون أموال الناس بالباطل، بدعوى أنهم يكاشفونهم بأمور الغيب، فيما يسمى مجالس تحضير الأرواح، أو قراءة الكف والفنجان، ليكاشفوا الناس على حد زعمهم، عما سيحدث في العالم، خلال يوم جديد، أو أسبوع سيُطل، أو شهر أوشك حلوله، أو عام مرتقب ﴿ **قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلْغَيْبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ** ﴾ [النمل: ٦٥]. قال رسول الله ﷺ: «**من أتى عرافًا أو كاهنًا فصدقه بما يقول فقد كفر بما أنزل على محمد** ﷺ » رواه الأربعة والحاكم.

وإن من الناس يا عباد الله، من هو مفتون بمستقبل الأبراج، فيمضي عاصب العينين، فاقد البصيرة، خلف قراء الأبراج، الذين يدعون السعادة كامنة، في أصحاب برج الجدي، والغنى مستقر في أصحاب برج العقرب، أما أصحاب برج الجوزاء فيا لتعاسة الحظ وخيبة الأمل، إلى غير ذلك، من سيل الأوهام الجارف، والخزعبلات المقيتة ﴿ **أَمْ لَهُمْ سُلَّمٌ يَسْتَمِعُونَ فِيهِ فَلْيَأْتِ مُسْتَمِعُهُم بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ** ﴾ [الطور: ٣٨]، ﴿ **أَمْ عِندَهُمُ ٱلْغَيْبُ فَهُمْ يَكْتُبُونَ ﴿٤١﴾ أَمْ يُرِيدُونَ كَيْدًا فَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ هُمُ ٱلْمَكِيدُونَ ﴿٤٢﴾ أَمْ لَهُمْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ** ﴾ [الطور: ٤١ - ٤٣].

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم . . .

* * *

الخطبة الثانية

الحمد لله حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه، كما يحب ربنا ويرضى، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، ﷺ وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد:

فاتقوا الله معشر المسلمين، واعلموا أن التوحيد هو حق الله على العبيد، وهو إفراد الله بالعبادة، والعبادة: اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه، من الأقوال والأفعال الظاهرة والباطنة.

والتوحيد هو دين الرسل، من أولهم وهو نوح عليه السلام، إلى آخرهم وخاتمهم وهو محمد ﷺ، فمن أنكره، أو قصر في معرفته، فهو مزور كبير، ومبطل جريء.

فيا ويح من تعلق بغير الله أو عبد معه غيره ورضي به، مما هو تراب فوق تراب، يا ويحه ماذا دهاه؟

إن أسلافه الأماجد، لم يقنعوا بهذا العالم كله مطلباً وغاية، حتى عقدوا من أسيافهم، وصالح أعمالهم درجات، يمتطون بها ثَبَجَ الهواء، ويشقون بها حواجز المادة الجافة؛ ليتصلوا بخالقهم ورازقهم. فما هذا المتعلق والرضا بالتراب؟!

لقد كان المشرك الدنس، يتلقى لا إله إلا الله، فتتمشى فيه، فتعقم جسمه ونفسه، وتطهرها من معاني الشهوة والفسوق، فيروح ويغدو، كأنه ملك في أثواب إنسان، فما المتعلق بغير الله ومساءلة الأطلال الفانية؟ ﴿أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ

﴿وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُورًا يَمْشِى بِهِۦ فِى ٱلنَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُۥ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلْكَٰفِرِينَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [الأنعام: ١٢٢].

لقد كان الموحد يتلو قول الله: ﴿أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُۥ ۖ وَيُخَوِّفُونَكَ بِٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦ ۚ﴾ [الزمر: ٣٦]؛ فيحمل سيفه المثلم، ورمحه المحطم، فيسايف الأبطال المغاوير، فيقذف نفسه في غمرات الجهاد، يطعن ويضرب، وصدره يعي هذه الآية، فما المتعلق بغير الله، وخشية التراب؟

لقد كان الموحد يقرأ قول الله: ﴿وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا۟ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا﴾ [الجن: ١٨]. فتحول هذه الآية، بينه وبين الخلق جميعًا، وتسد عليه طريق الرغبة فيما عند العباد، فترى المصائب تمر به جميعًا، فلا يدل مخلوقًا على مكان ألمه، ولا يكشف لغير الله عن موضع علته، ولا تسمع منه أُذُنٌ مخلوقة، قولة (آه)، حتى لقد كان تسقط من أحدهم عصاه، فلا يقول لأحد: «ناولنيها». كيف لا، وقد بايعهم المصطفى ﷺ على ألا يسألوا الناس شيئًا كما في صحيح مسلم، فما هذا المتعلق بغير الله، ودعوة الأموات والشكوى إلى الرميم والعظام النخرة.

ويح من تعلق بغير الله أو رجا غيره! شرب المؤمنون صفواً، وشرب هو كدراً ودعوا هم ربًا واحداً، ودعا هو ألف رب ﴿ءَأَرْبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ﴾ [يوسف: ٣٩].

رفع المؤمنون أبصارهم إلى رب السماء، ونكس هو طرفه إلى الثرى، وأين الثرى من السماء، وأين عابد الأموات من عابد الحي الذي لا يموت، ﴿هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا ۚ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الزمر: ٢٩].

هذا، وصلوا رحمكم الله على خير البرية وأفضل البشرية.

* * *

الحج والأمن

الخطبة الأولى

الحمد لله سبحانه، أنعم على العباد بدينه ودعوته، وأكرمهم بتوضيح الطريق إلى مرضاته ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣].

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له دعوة الحق ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ [آل عمران: ٨٥].

سبحانه يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي، يسبح له الليل إذا عسعس، والصبح إذا تنفس، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، قائد المجاهدين، وإمام المتقين، قضى دهره لله عابدًا، وأفنى فيه مجاهدًا، فصلوات الله وسلامه عليه، وعلى آله وأصحابه الأتقياء البررة، وعلى التابعين لهم بإحسان.

أما بعد:

فأوصيكم أيها الناس ونفسي بتقوى الله عز وجل، وكثرة حمده على آلائه إليكم، ونعمائه عليكم، وبلائه لديكم، فكم خصكم بنعمة، وأزال عنكم نقمه، وتداركم برحمة، أعورتم له فستركم، وتعرضتم لأخذه فأمهلكم، فإن تتولوا يستبدل قومًا غيركم ثم لا يكونوا أمثالكم.

أيهـــا الناس: الحج إلى بيت الله الحرام، هو ملتقى المسلمين الأكبر، ومثابتهم العظمى. وزمان الحج ومكانه، هو الموعد المضروب لاجتماع المؤمنين الوافدين من المشارق والمغارب، يذكرون الله، ويدحرون الشيطان، يجهرون فيه بالعج، ويتقربون إلى الله بالثج.

الحج حكم وعظات، ينهل المسلم منها حيث شاء، فمن حكمة التوحيد إلى حكمة الوحدة والأخوة، إلى حكمة التدبر والتفكر.

وفي الحج أيها المسلمون: تتجلى حكمة الأمن والأمان، من خلال النهج الذي شرعه الله في بيته الحرام، في إيجاد منطقة حرام، يلقى فيها السلاح، وتحقن فيها الدماء، ويجد كل أحد فيها مأواه ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا ءَامِنًا وَيُتَخَطَّفُ ٱلنَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ ﴾ [العنكبوت: ٦٧]. ﴿ وَإِذْ جَعَلْنَا ٱلْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا ﴾ [البقرة: ١٢٥].

لقد أمن الناس في الحرم، على أرواحهم وممتلكاتهم وأعراضهم، أمنهم، حتى من القول البذيء، واللفظ الفاحش ﴿ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِى ٱلْحَجِّ ﴾ [البقرة: ١٩٧]. وأمن في الحرم، الطير والوحش وسائر الحيوانات، فلأجل التوحيد بني بيت الله، ولأجل الأمن حرم بيت الله.

فليقدر الحجاج لهذا البيت حرمته، وليحترموا قدسيته، وليقدروا نعمة الأمن، التي هي ماسة بالإنسان، عظيمة الوقع في حسه، متعلقة بحرصه على نفسه ﴿ وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ نُّذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾ [الحج: ٢٥].

روى سعيد بن منصور، وابن أبي شيبة عن مجاهد أنه قال: «كان لعبد الله ابن عمر فسطاطان: أحدهما في الحل، والآخر في الحرم، فإذا أراد أن يصلي، صلى في الفسطاط الذي في الحرم، وإذا أراد أن يعاتب أهله عاتبهم في الذي في الحل».

وروى الحاكم وصححه عن ابن عباس قال: «أقبل تُبَّع يريد الكعبة، حتى كان بكراع الغميم، فبعث الله عليه ريحًا لا يكاد القاعد منها يقوم، فإذا

قام سقط وصُرع، فدعا تبع أحباره وقال لهم: ما هذا الذي بعث علي، قالوا تؤمننا، قال أؤمنكم، قالوا: فإنك تريد بيتًا منعه الله ممن أراده، قال: فما يُذهب هذا البلاء عني؟ قالوا: تتجرد في ثوبيك ثم تقول: « لبيك اللهم لبيك لبيَك لا شريك لك لبيك » ثم تدخل فتطوف، فلا تُهيِّج أحدًا من أهله، قال: فإن أنا أجمعت على هذا ذهب عني الريح، وذهب عني العذاب؟ قالوا: نعم، فتجرد لله تعالى ثم لبى فأدبرت الريح كقطع الليل المظلم» .

﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَٰبِ ٱلْفِيلِ ۝١ أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِى تَضْلِيلٍ ۝٢ وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ ۝٣ تَرْمِيهِم بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ ۝٤ فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ ﴾ [الفيل: ١ - ٥].

عباد الله: في ظل الأمن والأمان والإيمان، تحلو العبادة، ويصير النوم سباتًا، والطعام هنيئًا، والشراب مريئًا.

الأمن والأمان، عماد كل جهد تنموي، وهدف مرتقب لكل المجتمعات، فالمجتمع إذا آمن أمن، وإذا أمن نما، فأمن وإيمان ونماء، فلا أمن بلا إيمان، ولا نمو بغير ضمانات ضد الهدم ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴾ [الأنعام: ٨٢].

وأظلم الظلم، هو الشرك بالله، فهو أم الكوارث وأبوها، وتكفير العلماء والولاة ظئر الفوضى، ولا غرو؛ إذ يحرم من الرضاع ما يحرم من النسب.

إن حادث التفجير الجُمَاديِّ، حكاية لم تزين بخيال، ولم يزد فيها بخبر، إنما هي حكاية خبث الشيطان وألاعيبه بالأغرار من البشر، فَنَهَا حذقه، وأغواؤه، وأثرها غلظته وشره، ومعانيها بلاؤه ومحنته. ونعوذ بالله من همزات الشياطين ونعوذ به أن يحضرونا.

إن المزايدة على أمن هذه البلاد، أو التكفير لعلمائها وولاتها ودعاتها، مدعاة للسخرية والفوضى، المفرزين للممارسات الشاذة، المرفوضة بداهة، وغير المأذون بالقيام بها شرعًا، أو القبول لها تحت أيِّ مبرر كان.

بل هي من نسج الأعداء، وإن استعملوا في تنفيذها لهم أبناء الإسلام، وإغرارهم لزعزعة كيان الأمة، بإفساد دينها وسلب أمنها ومقدراتها.

وشباب أهل هذه البلاد، نهلوا تربية إسلامية غير معوجة، وأفكارهم وأطروحاتهم مبنية على ركائز العقيدة الصحيحة، وهم في ذلك ثمرة علمائها، وشعب حكامها.

وإن ما قام به أمثال هؤلاء إنما هو نشاز ممقوت، لا يمثل السواد الأعظم، الذي يعلم مسؤولياته تجاه دينه وعلمائه وولاته، والذين حرصوا ألا يكونوا أبواقًا ينفخ من خلالها المغرضون، ومطايا يمتطيها الحاقدون، ضد هذه البلاد وعقيدتها.

إن المرء المسلم، في فسحة من دينه، عن أن يزج بنفسه في مهاوي الرذيلة، ومزعزع الأمن ومخلخله، إنما هو في الدرجة الأولى، يزعزع أمن نفسه ووالديه وإخوانه، وزوجه وأبنائه، قبل أن يزعزع أمن غيره من الناس. فضلاً عن أن يكون بذلك، قد حسر عن رقبته لحد مرهف، تقيم ظباه أخدعي كل مائل شاذ، وهذا دواء الداء، من كل جاهل مأفون: ﴿ أَفَمَن زُيِّنَ لَهُۥ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ فَرَءَاهُ حَسَنًا فَإِنَّ ٱللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَٰتٍ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴾ [فاطر: ٨] ﴿ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ ٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [القصص: ٥٠].

إنه متى امتد شذوذ المرء ليشمل الآخرين، ويمس أمن أهله ومجتمعه، فإنه لا محالة يعرض نفسه لحتفه، بالغًا ما بلغ من العنفوان والشجاعة.

وكان يجير الناس من سيف مالك ... فأصبح يبغي نفسه من يجيرها

وكان كعنز السوء قامت بظلفها ... إلى مدية تحت التراب تثيرها

أما يفكر مزعزع الأمن، في والده ووالدته، حينما تأخذهما الحسرات كل مأخذ وهما اللذان رباه صغيراً، أما يفكر مزعزع الأمن، في زوجه وأولاده الذين يخشى عليهم الضياع من بعده والأسى من فقده ﴿ وَلْيَخْشَ ٱلَّذِينَ لَوْ تَرَكُوا۟

﴿مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَٰفًا خَافُوا۟ عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَلْيَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا﴾ [النساء: ٩].

أما يفكر مزعزع الأمن، كيف يحل عليه الضعف محل القوة، والهم من نفسه محل الفرح، والكدر مكان الصفاء، حيث لم يعد يؤنسه جليس، ولا يريحه حديث، يخاف من الهمس، ويجزع من اللمس، متلفت لا يصل، قد سئم ما كان يرغبه أيام عنفوانه وحرية نفسه. ولكن ما الحيلة إذا استفحل الداء، ولم يجد الدواء، وما العمل إذا تحول المرء إلى السعار والصيال. لقد أصبح تركه حرًا لا يزيده إلا ضراوة، ولا يزيد المجتمع به إلا شقاوة، ولا مكان للرحمة حينئذ لمثيري الفوضى ومهدري الحقوق، في كل أنواع الجرائم بلا استثناء. وترك كل مفسد كائنًا من كان، إنما هو فتح لأبواب العذاب على المجتمع كله، وإغراء بالظلم، وإسقاط للقيم، ومن لا يرحم لا يرحم.

عباد الله:

الرغبة في تكفير الناس، وانتقاص أقدارهم بلا مبرر شرعي، مرض نفسي بالغ الخبث، وفتنة عمياء لا لعًا لها، تجعل المصابين بها غرباء على مجتمعهم، أو عقبات أمامه، أو غبشاً في مرآته، ملتاثين بحجاب أغلف يغشى قلوبهم وعقولهم.

وإن الذي لا يحسن التنقيب في جنبات نفسه؛ لاكتشاف عللها، لا يصلح أن يكون عضواً فعالاً في المجتمع، فضلاً عن أن يكون مسؤولا أو مربيًا، والذي يحرص على اتهام الناس بالفسق والكفر، والإغفاء عن الجهود، مع شماتة في الأعراض إنما هو امرؤ مريض الفؤاد، سمج المزاج. ولكن لا يبلغ الأعداء من جاهل، ما يبلغ الجاهل من نفسه.

مزعزع الأمن، ومفسد الدين، ومكفر العلماء والولاة، إنما يهيلون التراب على تراث المسلمين كله، وهم بذلك، يقطعون شرايين الحياة عن الأجيال الحاضرة والآمال المرتقبة، وهم يخدمون بذلك، عن وعي أو غباء، الغارة الاستعمارية على دار الإسلام، من خلال عمل أخرق، يزيد السقم

علَّة، والطين بلَّة، ويطيح بالمسلمين، ويوصد أمامهم أبواب الحياة الآمنة.

من أجل ذلك كله، نهيب بالشباب المسلم، أن يكون يقظًا واعيًا، حذرًا أشد الحذر من الوقوع في متاهات الهوى، ومزالق الشيطان، في أي وجه كانت الجريمة.

والمواطن هو رجل الأمن، ورجل الأمن ما هو إلا مواطن صرف، ونهيب بالعلماء والموجهين، أن يضبطوا أمتهم بتوجيهاتهم وتربياتهم، فلا يعطوا العدو فرصة للوثوب من خلالها. وليحذر الجميع، ممن بسط لسانه أو يده فينا، ولا يقول كلمة أبدًا في أعدائنا. سبحان الله! ما أخرسه هنا، وما أنطقه هناك. فما أفلح من أفسد، وما فاز من خرج، ولا نجح من كفَّر «**وإن يد الله على الجماعة ومن شذ عنهم شذ في النار**» أخرجه الترمذي.

ويتعين على أهل الإسلام أن تكون مواقفهم حازمة في وجه كل من يستهدف عقيدتها وأمنها، لا فرق في ذلك بين شريف ووضيع، أو غني وفقير، أو صغير وكبير، بعيدًا عن جو العاطفة؛ لينتبه من غفل، ويصلح من ضل.

اللهم إنا نسألك العفو والعافية، والمعافاة الدائمة في الدين والدنيا والآخرة، اللهم إنا نسألك الأمن في الأوطان، والأمن في الأموال والأنفس والأهلين، إنك سميع قريب مجيب الدعوات.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ﴿ أَوَلَا يَرَوْنَ أَنَّهُمْ يُفْتَنُونَ فِي كُلِّ عَامٍ مَّرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ ثُمَّ لَا يَتُوبُونَ ﴾ [التوبة: ١٢٦].

عباد الله. أقول ما تسمعون، وأستغفر الله لي ولكم.

* * *

الخطبة الثانية

الحمد لله على إحسانه، والشكر له على توفيقه وامتنانه، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له تعظيمًا لشأنه، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله الداعي إلى رضوانه، ﷺ وبارك عليه، وعلى آله وصحبه وإخوانه.

أما بعد:

فاتقوا الله حجاج بيت الله، واعلموا أن يومكم هذا هو اليوم الثامن من ذي الحجة، يشرع فيه للحاج أن يحرم بالحج إن كان متمتعًا، ومن كان مفردًا أو قارنًا فهو باق على إحرامه من قبل.

ويستحب للحاج أن يتوجه في هذا اليوم إلى منًى قبل الزوال؛ فيصلي بها الظهر والعصر والمغرب والعشاء والفجر، قصرًا من دون جمع، فإذا صلى الفجر وطلعت الشمس توجه إلى عرفة وهو يلبي أو يكبر، فإذا زالت الشمس صلى بها الظهر والعصر جمعًا وقصرًا، بأذان وإقامتين، ثم يقف بها، وعرفة كلها موقف إلا بطن عرنة، فيكثر فيها من التهليل والتسبيح، ويوم عرفة يوم من مفاخر الإسلام، يوم الحشود الغفيرة، يوم البكاء والخشوع، يوم الخوف من الله، والرجاء لما عنده، والفرار إليه ﴿فَفِرُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۖ إِنِّي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٞ مُّبِينٞ﴾ [الذاريات: ٥٠].

وينبغي للحاج في ذلك اليوم أن يكثر من التهليل بكلمة التوحيد فقد قال ﷺ: «**خير الدعاء دعاء يوم عرفة، وخير ما قلت أنا والنبيون من قبلي: لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير**» رواه الترمذي.

يوم عرفة يوم العتق من النار، والعفو عن السيئات، والمغفرة للذنوب. قال رسول الله ﷺ: «**إن الله يباهي ملائكته عشية عرفة بأهل عرفة فيقول: انظروا إلى عبادي أتوني شعثًا غبرًا**» رواه أحمد والطبراني ورجال أحمد موثقون.

يقف مئات الألوف، بمئات اللغات في صعيد واحد، يدعون ربًا واحدًا، يتبعون نبيًا واحدًا، كل منهم يناجي ربه ومولاه بلغات مختلفة، لا تشغله لغة عن لغة، يسمع دعوة هذا، ويغفر زلة ذاك، ويرى دمعة هذا، ويسمع أنين ذاك، فسبحان محصيهم عددًا، وسبحان معطيهم بدءًا ! .

ولا يشرع الصعود على جبل عرفة؛ لأن النبي ﷺ لم يفعله ولم يفعله أصحابه من بعده، فإذا غربت الشمس، أفاض الحاج من عرفات إلى مزدلفة بسكينة ووقار، ثم يصلي بها المغرب والعشاء جمعًا وقصرًا بأذان وإقامتين، ثم يبقى بها حتى طلوع الفجر، إلا الظعن والظعفة، فلهم أن ينصرفوا منها بعد منتصف الليل.

فإذا صلى الفجر بالمزدلفة وقف عند المشعر الحرام، والمزدلفة كلها موقف، فيدعو الله طويلا حتى يسفر، ثم يسير إلى منىً فيرمي جمرة العقبة، وهي أقرب الجمرات إلى مكة، يرميها بسبع حصيات، يكبر مع كل حصاة، ثم ينحر هديه إن كان متمتعًا أو قارنًا، ثم يحلق ويحل من إحرامه فيباح له كل شيء حرم عليه حال الإحرام إلا النساء.

ويبقى في حق القارن والمفرد طواف الإفاضة وسعي الحج إن لم يكن سعى مع طواف القدوم. وأما المتمتع ففي حقه طواف وسعي.

وبعد الطواف يحل للحاج كل شيء حتى النساء. ولا يضر الحاج ما قدم أو أخر، من أفعال يوم النحر لأن رسول الله ﷺ ما سئل عن شيء قدم أو أخر في ذلك اليوم إلا قال: « **افعل ولا حرج** » متفق عليه. ثم يبيت الحاج بمنىً أيام التشريق وجوبًا، لفعل النبي ﷺ ولقول: « **خذوا عني مناسككم** » متفق عليه، فيرمي الجمرات، في اليوم الحادي عشر، والثاني عشر، والثالث عشر إن لم يتعجل، كل جمرة بسبع حصيات، يبدأ بالجمرة الصغرى ثم الوسطى ثم

الكبرى. ولا يرم إلا بعد الزوال وجوبًا.

ومن أراد أن يتعجل فليرم بعد الزوال من يوم الثاني عشر، ثم يخرج من منىً إلى مكة، فيطوف طواف الوداع. ومن السنة أن يعجل المرء إلى أهله عند انقضاء حاجته لقوله ﷺ: « **فإذا قضى نهمته فليعجل إلى أهله** » متفق عليه.

﴿ وَاذْكُرُوا اللَّهَ فِي أَيَّامٍ مَعْدُودَاتٍ فَمَنْ تَعَجَّلَ فِي يَوْمَيْنِ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ وَمَنْ تَأَخَّرَ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ لِمَنِ اتَّقَىٰ وَاتَّقُوا اللَّهَ ﴾ [البقرة: ٢٠٣].

تقبل الله من الحجاج حجهم، وغفر لهم ذنوبهم، ووفق كل من ساهم في تيسير ذلك، وشكر الجهود وبارك فيها، وكتب الأجر والمثوبة للعاكف فيه والباد.

هذا، وصلوا رحمكم الله على خير البرية وأفضل البشرية.

* * *

أنبثق الوليد (رمضان)

الخطبة الأولى

الحمد لله الذي جعل شهر رمضان من أفضل شهور العام، منَّ علينا بإدراك شهر الصيام والقيام، فضل أيامه على سائر الأيام، وعمر نهاره بالصيام، ونور ليله بالقيام.

أحمده وأشكره على الإحسان والإنعام، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، إلهٌ تفرد بالكمال والتمام، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، أفضل من صلى وصام، وأتقى من تهجد وقام، صلى الله عليه وعلى أصحابه ، صلاة دائمة تتعاقب بتعاقب الضياء والظلام، وسلم تسليمًا كثيراً.

أما بعد:

فيا أيها الناس، إن عظم رمضان وجماله، وبهاء الشهر العظيم وروعته، بدا ظاهراً جليًا فيما يلتزمه المسلمون في شهرهم هذا من مظاهر الطاعة في كل اتجاهاتها ، طاعة فيها كل معاني السمو الروحي، التي تكبح جماح النفس عن

نزواتها، وتحد من هفواتها وشطحاتها. تتغلب فيه الروح على البدن والجسد، وتكون النفس المؤمنة، أكثر استعداداً لقبول نفحات خالقها جل وعلا.

عباد الله: قبل ليال، انبثق في كبد السماء، هلال رمضان الوليد، انبثق ذلك الوليد؛ ليعلم المسلمون في مشارق الأرض ومغاربها، أن خالقهم قد آذنهم بشهر، له في مجتمعهم تأثير، وفي نفوسهم تأديب، وفي مشاعرهم إيقاظ، وكأنه لهم موسم ربيع، انبثق ذلك الوليد!! بعد أن ظلوا أحد عشر شهراً، وهم سائرون في مسالك الحياة، ينالون منها، وتنال منهم. انبثق ذلك الوليد، فتساءل الناس في دهشة وذهول، ما أسرع ما عادت الأيام، ورجعت الذكريات.

إن الزمن، يجري بسرعة عجيبة، فهو دائب الحركة ليلاً ونهاراً، يتساءل الناس من كان بلغ العشرين من عمره، أو الثلاثين، أو أكثر أو أقل يتساءل عن تلك الأيام التي عاشها، والليالي التي قضاها، فلا ينفك، يراها ماضيًا تركه خلفه، لن يعود له مرة أخرى.

يشعر الناس جميعًا بذلك صغيرهم وكبيرهم لاسيما عند لقاء ربهم حفاة عراة غرلاً ﴿ قَٰلَ كَمۡ لَبِثۡتُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ عَدَدَ سِنِينَ ﴿١١٢﴾ قَالُواْ لَبِثۡنَا يَوۡمًا أَوۡ بَعۡضَ يَوۡمٖ فَسۡـَٔلِ ٱلۡعَآدِّينَ ﴾ [المؤمنون: ١١٢، ١١٣].

على هذه البسيطة، يشب الطفل، ويشيخ الشاب، ومع ذلك ينظر المرء إلى عمره، فلا يجد إلا ماضيًا لا يدري ما أوله وآخره، ولكن المرء الذي لا يدري ما كان، يجب أن يعلم، أن الله سجل عليه كل ما كان ﴿ هَٰذَا كِتَٰبُنَا يَنطِقُ عَلَيۡكُم بِٱلۡحَقِّۚ إِنَّا كُنَّا نَسۡتَنسِخُ مَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ﴾ [الجاثية: ٢٩].

أيها المسلمون: تعارف كثير من الناس، على أن يتخذوا من رمضان، شهراً للتراخي والكسل، والتخفف من الجد في العمل، مع أن رمضان في

تاريخ الإسلام، شهر جد واجتهاد، بل هو شهر بطولات وأمجاد؛ بطولات وأمجاد، بكل ألوانها وأنماطها، بطولة الصراع في الميدان، بين الكفر والإسلام، وبطولة اليقين والإيمان، وبطولة التأبي على الشهوات، وبطولة الترفع عن خسيس الملذات. ولرمضان من كل هذه البطولات، حظه الوافر، في الماضي والحاضر، من تاريخ الأمة الإسلامية.

رمضان، شهر مبارك يلمح فيه المسلم عدة خصال، فهو شهر القرآن إنزالاً ومدارسة، شهر القرآن يوم يلقى جبريل عليه السلام، رسول الله ﷺ فيدارسه القرآن، شهر القرآن، وما أدراك ما شهر القرآن، إن الإنسان بلا قرآن، كالحياة بلا ماء ولا هواء، بل إن الإفلاس، متحقق في حسه ونفسه، ذلك أن القرآن، هو الدواء والشفاء ﴿ وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا خَسَارًا ﴾ [الإسراء: ٨٢]. ﴿ قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ هُدًى وَشِفَآءٌ وَٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى ﴾ [فصلت: ٤٤].

شفاء القلوب وشفاء الأبدان، فكلما ضاقت أمام المرء مسالك الحياة وشعابها، وافتقد الرائد عند الحيرة، والنور عند الظلمة، وجد القرآن خير جليس، لا يمل حديثه، وترداده يزداد به تجملاً وبهاءً، وجد في القرآن الملجأ والمعتصم ﴿ إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ﴾ [الإسراء: ٩].

كان بعض السلف، يختم في رمضان، في كل ثلاث ليال، وبعضهم في سبع، وبعضهم في عشر. وكان للشافعي رحمه الله، ستون ختمة يقرؤها في غير الصلاة، وكذا عن أبي حنيفة رحمه الله، وكان مالك رحمه الله، إذا دخل رمضان، أقبل على تلاوة القرآن، وترك قراءة الحديث، وإنما ورد النهي عن النبي ﷺ عن قراءة القرآن في أقل من ثلاث، على المداومة على ذلك، فأما في الأوقات المفضلة كشهر

رمضان، فيستحب الإكثار فيها من تلاوة القرآن، وهذا قول الإمام أحمد وإسحاق بن راهويه، وغيرهما من الأئمة.

هذا الشهر المبارك، شهر القرآن، يشد الناس إلى الدين، يذكرهم بحق الله، تشم رائحة الدين في كل مجلس تجلس فيه، يحس بإقبال الناس على كتاب الله، يقرؤونه، ويسمعونه، ويتدبرون آياته، إنه يرفع في نفوس الناس درجة الاستعداد، لتغيير ما في النفس، حتى يغير الله ما بهم ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ ﴾ [الرعد: ١١].

يشعرهم القرآن بضرورة هذا الدين لهم، كضرورة الماء والهواء، وإن كل أمة تهمل أمر دينها وتعطل كلمة الله في مجتمعها، فإنما تهمل أعظم طاقاتها، وتعطل أسباب فلاحها في الدنيا والآخرة، وكل أمة يُفْقد التدين في مجتمعها، تضطرب أمورها، ويموج بعضها في بعض، ويقلب الله عزها ذلاً، وأمنها خوفاً، وإحكامها فوضى.

وشهر رمضان: شهر الجود وسعة العطاء: ففي الصحيحين من حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال: «كان النبي ﷺ أجود الناس، وكان أجود ما يكون في رمضان، حين يلقاه جبريل فيدارسه القرآن، وكان جبريل يلقاه في كل ليلة من رمضان، فيدارسه القرآن، فلرسول الله ﷺ حين يلقاه جبريل، أجود بالخير من الريح المرسلة»

فرسول الله ﷺ أجود بني آدم على الإطلاق، وكان جوده بجميع أنواع الجود، من بذل العلم والمال، وبذل نفسه لله تعالى في إظهار دينه، وهداية عباده، وإيصال النفع إليهم بكل طريق، من إطعام جائعهم، ووعظ جاهلهم، وقضاء حوائجهم، وتحمل أثقالهم.

ومن هنا نعلم أن هذا الشهر المبارك، عونٌ للمسلم على الجود، فسكون النفس، وخفتها في المأكل والمشرب، وكثرة المدارسة للقرآن، الذي يحث على المكارم والجود، كل ذلك له تأثير في الواقع.

فالجمع بين الصيام والصدقة، موجب من موجبات الجنة قال رسول الله ﷺ: «**إن في الجنة غرفًا، يرى ظهورها من بطونها، وبطونها من ظهورها**» قالوا: لمن هي يا رسول الله؟ قال: «**لمن طيب الكلام، وأطعم الطعام، وأدام الصيام، وصلى بالليل والناس نيام**» رواه أحمد والترمذي والحاكم وصححه.

فيا أيها الأغنياء في كل قطر، ويا أيها الأثرياء في كل مصر، إن كان الله تعالى، قد تفضل عليكم ورزقكم من الطيبات، وأغناكم عن الحاجة، وصان وجوهكم عن مذلة السؤال، فقد وجب عليكم أن تشكروه على ما منحكم ﴿ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ ﴾ [إبراهيم: ٧]. اتقوا الله في البؤساء، الذين أصابتهم الشدائد، والفقراء المحتاجين، من أرباب العيال.

فمن القسوة، أن تمنعوا المعونة، وتقبضوا أيديكم شحًا وبخلاً، أمن الرحمة أن تكونوا في رغد من العيش، وسعة من الرزق، ومن أبقت عليهم صروف الحياة، في شدة من الضيق، وألم من الإعسار؟ أمن المروءة أن تتمتعوا بملابس الزينة، وأخوكم المسلم، يحرقه حر الصيف، ويقرصه برد الشتاء.

إن الغني الذي لا يحس بأن عليه للفقراء حقوقًا وواجبات، لقاسى القلب، خال من الشفقة، بعيد من رحمة الله ﴿ إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ ﴾ [الأعراف: ٥٦]. «**الراحمون يرحمهم الرحمن، ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء**» أخرجه أبو داود والترمذي وقال: حسن صحيح.

إن من الأغنياء، من لا يئن لمتألم، ولا يتوجع لمستصرخ، ولا يحن

لبائس، تجرد من العاطفة وحنان الإخاء، يقع أمامه من الحوادث، ما يؤلم القلب ويدمي العين، فلا يتأثر ولا يلين، بل تجده كالصخرة الصماء، وما علم أولئك، أن مالك الملك، وخالق الخلق، قادر على أن ينزع عن الغني لباس الغنى، ويعطي البائس الفقير ما يرضيه من متاع الحياة ﴿ قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِى ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [آل عمران: ٢٦].

فاتقوا الله أيها الأغنياء، واصنعوا المعروف في أهله ما استطعتم، وافعلوا الخير لعلكم تفلحون، واعلموا أن ما يضيعه البعض منكم في الكماليات لكثير، ولقد ينفق في لحظة قصيرة ما يكفي البائس الفقير زمنًا طويلاً، فأدخلوا السرور على المساكين بالبر والإحسان، لعل الله أن يرحم الجميع، ويكشف ما بهم من ضيق وشدة، وذل وبلاء.

عباد الله:

كما أن شهر رمضان، شهر جود وإنفاق، فهو كذلك شهر قيام لله تبارك وتعالى. قال رسول الله ﷺ: «**من قام رمضان إيماناً واحتسابًا غفر له ما تقدم من ذنبه**» متفق عليه.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُزَّمِّلُ ۝١ قُمِ ٱلَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا ۝٢ نِّصْفَهُۥٓ أَوِ ٱنقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا ۝٣ أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ ٱلْقُرْءَانَ تَرْتِيلًا ۝٤ إِنَّا سَنُلْقِى عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا ۝٥ إِنَّ نَاشِئَةَ ٱلَّيْلِ هِىَ أَشَدُّ وَطْـًٔا وَأَقْوَمُ قِيلًا ﴾ [المزمل: ١ - ٦].

وناشئة الليل هي أوقاته وساعاته. والمقصود، أن قيام الليل هو أشد مواطأة بين القلب واللسان، وأجمع على التلاوة من قيام النهار؛ لأنه وقت انتشار الناس، ولغط الأصوات، وأوقات المعاش.

وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه، قد أمر أبي بن كعب، وتميمًا الداري أن يقوما بالناس في شهر رمضان، فكان القارىء يقرأ بالمائتين في

ركعة، حتى كانوا يعتمدون على العصي من طول القيام، وما كانوا ينصرفون إلا عند الفجر، وهذا كله عن رغبة منهم، وحرص وعزيمة.

ومن أم قومًا يستثقلون الإطالة، فليخفف القراءة على ما يحتمله الناس. فقد قال أحمد بن حنبل رحمه الله لبعض أصحابه، وكان يصلي بهم في رمضان: «هؤلاء قوم ضعفى، اقرأ خمسًا، وستًا، وسبعًا» يعني من الآيات.

قال رسول الله ﷺ: «**من قام بعشر آيات لم يكتب من الغافلين، ومن قام بمائة آية كتب من القانتين، ومن قام بألف آية كتب من المقنطرين**» والمعنى: يكتب له قنطار من الأجر. رواه أبو داود بإسناد حسن.

أيها المسلمون: هذا شهر رمضان: أتى ليكون فترة تأديبية تهذيبية، تعلم المرء كيف يهدأ، وكيف يخفف من جماح رغباته، وإسراف شهواته، فها هي المفطرات تكون من حوله، وليس عليه من رقيب أو حسيب، سوى خالقه ومولاه، المطلع على الضمائر والسرائر، قال رسول الله ﷺ: «**قال الله عز وجل: كل عمل ابن آدم له كفارة والصوم لي وأنا أجزي به**» رواه البخاري.

فاتقوا الله أيها المسلمون: وأروا الله من أنفسكم في هذا الشهر المبارك، فإن لله نفحات، من حرمها حرم خيرًا كثيرًا.

اللهم اجعل مواسم الخيرات لنا مربحًا ومغنمًا، وأوقات البركات والنفحات لنا إلى رحمتك طريقًا وسلمًا.

أقو ل قولي هذا، وأستغفر الله لي ولكم ولسائر المسلمين من كل ذنب، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية

الحمد لله حمدًا كثيرًا طيبًا مباركًا فيه، كما يحب ربنا ويرضى، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، صلى الله وبارك عليه وعلى آله وصحبه، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد:

فاتقوا الله أيها المسلمون: واعلموا كما أن لشهر رمضان حوافز ومرغبات، فإن هناك مزعجات ومنغصات، بدت جلية ظاهرة، سببها قصور بعض الناس، الذين يستثقلون هذا الشهر المبارك، ويستعظمون مشقته، فهو كالضيف الثقيل عندهم، يرتقبون خروجه بفارغ الصبر، ويتطلعون إلى انقضائه مشرئبين، اعتادوا على التوسع في الملذات والشهوات من المآكل والمشارب، يأكلون الأرطال، ويشربون الأسطال، وينامون النهار ولو طال، أغرقهم طوفان السعار المادي، فجعلهم يطلبون ولا يعطون، ويشتهون ولا يصبرون، ويحسنون الجمع ولا يعرفون القسمة، حتى حطم فيهم روح المغالبة والمقاومة، تراهم ذئابًا في الليل، جيفًا في النهار، فلا عجب!! ألا يجد هؤلاء من اللذة والراحة، بهذا الشهر المبارك، ما يجده المؤمنون الصادقون.

ومنغص آخر من منغصات الناس في رمضان، تلكم الحركة النشطة، التي تبثها قنوات الأقمار المرئية، التي تنشر الإثم عاريًا، وتحلق الدين قبل أن تحلق العفاف والحياء، جعلوا من رمضان موسم طرب وسهر، تبث فيه الأفلام الرخيصة، والدعايات المضللة، وإن كان للإسلام نصيب في تلك

القنوات، فهو إسلام مشوه الصورة، تُرَى معه القبلات واستجداء اللحظات، صارت وباءً كاملاً، فاحتلت كل مكان، وجذبت إليها الرشيد والسفيه، والقويم والفاسد، وبذلك تخسر الأمة في كل لحظة مواطنًا صالحًا، يضل ضلالة، يغش بها ويخدع، ويسرق ويحتال، تمتعًا بهذا الترف المرئي، والداء المستشري، فلا حول ولا قوة إلا بالله.

ومنغص ثالث من تلك المنغصات، المرأة المسلمة؛ ما دورها في رمضان؟ أيكون شغلها الشاغل، التفنن في المأكل والمشرب؟ ماذا أدت لخالقها في هذا الشهر؟ كيف يطيب لها إن تسامت إلى الخير، أن تختلي بأجنبي دون محرم، كيف يطيب لها أن تخرج إلى المسجد مع سائقها متعطرة متبرجة، قد اصطحبت أطفالها في سذاجة وبلادة، وكأن المصلي هي وحدها؟ آذت وآنت، فما صلت ولا صامت، تحملت الوزر من حيث أرادت الأجر، ربما اعتمرت فطافت وسعت، ثم قصرت فحلت إحرامها، خرجت إلى الأسواق كاشفة الوجه أو العينين، أثارت كوامن الشهوة بعينيها، فعلت بألباب الرجال كما تفعل الخمرة بالعقول، فهي خراجة ولاجة، زرعت بتبرجها دروب الناس ألغامًا، طافت بالأسواق، وسعت بين الغادي والرائح، ثم قصرت عن طاعة الله فحلت حياءها، فقارنوا - رحمكم الله - بين هاتين العمرتين!!!!!

هذا، وصلوا رحمكم الله على خير البرية وأفضل البشرية محمد بن عبد الله بن عبد المطلب صاحب الحوض والشفاعة...

* * *

المدافعة بين الإسلام والكفر

الخطبة الأولى

الحمد لله، شرع الجهاد لحماية حوزة الإسلام، جعله رفعة للمسلمين، وهو للإسلام ذروة سنام، أحمده سبحانه، جعل النصر لحزبه، فأعظم بتأييد الملك العلام، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن سيدنا محمدًا عبده ورسوله، سيد الأنام، صلى الله وسلم وبارك عليه، وعلى آله وأصحابه الأئمة الأعلام، وعلى من تبعهم وسار على نهجهم ما زهرت النجوم، وتوالت الأيام، وسلم تسليمًا كثيرًا.

أما بعد:

فاتقوا الله أيها المسلمون، واعلموا أن أحسن الحديث كلام الله، وخير الهدي، هدي محمد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار، وعليكم بجماعة المسلمين؛ فإن يد الله على الجماعة ومن شذ عنهم شذ في النار.

أيها الناس:

قبل نبوة المصطفى ﷺ بعشرات السنين، كان الناس في هذه البسيطة،

على فترة من الرسل، منقطعين عن المدد الروحي من السماء الذي كانت تعان به الأرض وأهلها، على اجتياز ظلمات المادة، وفسق المادة، وجفاف المادة، فخبَّط الناس في مهامه الحياة ودروبها خبط عشواء، في ظلمات ثلاث، ظلمة العقائد، وظلمة القوانين البشرية، وظلمة الأنفس.

ظلمة العقائد؛ لا يجد فيها الحاذق بصيص نور يهتدي به إلى هداية، أو يخلص به من ضلالة؛ فاستبد الأحبار والرهبان بقلوب الناس وعواطفهم.

وظلمة قوانين، لا يجد فيها عاقل ما يعين على عدالة، أو ما يخرج من مظلمة؛ فاستبد العظماء بأموال الناس وظهورهم، فالظلم عندهم، من شيم النفوس، فإن تجد ذا عفَّة منهم، فلعلة لا يظلم.

وظلمة أنفس، لا يجد فيها المتأمل مكانًا لرحمة، أو نورًا يضيء ظلمة، إلا من رحم الله.

فما زالت الإنسانية، تتخبط في هذه الظلمات الثلاث، وتنحدر إلى هاوية سحيقة، حتى تمخضت عن أمم كان من قسوتها وفظاعتها أن تقتل بنيها شر قتلة، مخافة أن يشاركوهم في مأكلهم أو ملبسهم، قال ابن عباس رضي الله عنه: إذا سرك أن تعلم جهل العرب، فاقرأ قول الله: ﴿قَدْ خَسِرَ ٱلَّذِينَ قَتَلُوٓاْ أَوْلَٰدَهُمْ سَفَهَۢا بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ [الأنعام: ١٤٠].

وكان من عقلها ودينها أن تصنع معبوديها بأيديها، ومن مجدها التي تتغنى به الحذق في انتزاع الأرواح، والمهارة في إيتام الأطفال، وإرمال النساء، وإثكال الأمهات والآباء، حتى لقد صدق قول الله فيهم: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ كَٱلْأَنْعَٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَٰفِلُونَ﴾ [الأعراف: ١٧٩].

بعد هذا التخبط المقيت، يبعث الله الرسول الأمي ﴿نُورٌ وَكِتَٰبٌ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ يَهْدِى بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِهِۦ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [المائدة: ١٥، ١٦].

نطاقه في الأرض؛ فهزم كل ما أمامه من الظلمات الثلاث: ظلمة القوانين، وظلمة العقائد، وظلمة الأنفس. وما استطاعت ظلمة من هذه الظلمات الثلاث، أن تثاقفه أو تواقفه، حتى صار لهذا الدين أنصار وقادة يحملونه في إحدى اليدين، وفي الأخرى يحملون الحديد ذا البأس الشديد، يذودون عنه الإيذاء والاعتداء، ويخلون له الطريق إلى القلوب والعقول، فما أجمل الحق، يعرضه القوي في لين، وما أجمل القوة، تنصر الحق في شجاعة.

حمل هذا الدين رجال وقادة، علمهم نبيهم ﷺ ألا يخاف العبد إلا ربه، وألا يذل، إلا لمن ذل له كل شيء وخلق كل شيء، ولمن بيده أسباب الخوف وأسباب الأمن وحده ﴿ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾ [آل عمران: ١٧٥]، وعلمهم نبيهم، ألا يتأخر عن الموت من طلب الحياة وأحبها، فإنَّ من رغب في الموت، ذلت له ناصية الحياة، ومن رغب في الحياة ذلت ناصيته هو للموت. قال أبو بكر رضي الله عنه: «احرص على الموت توهب لك الحياة».

كانوا يُقْدمون على الموت، إقدام من ليست حياته ملكًا له، فأخذوا بنواصي الأكاسرة، وهامات القياصرة، وذروا التراب على وجوه الطغاة، الذين طالما جرعوا الإنسان جرع الذل والهوان، وأذاقوه غصص الخسف والاستبداد.

عباد الله: قال الله تعالى: ﴿ وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَاءَ ﴾ [آل عمران: ١٤٠].

وقال تعالى: ﴿ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ الْأَرْضُ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴾ [البقرة: ٢٥١].

المدافعة بين الإسلام والكفر، ضرورية لحياة الشعوب وبقائها، وكل

المدافعة بين الإسلام والكفر، ضرورية لحياة الشعوب وبقائها، وكل شعب فقد هذا الدواء على مر التاريخ فقد الحياة ولا محالة، فأكلته شعوب الكفر، وطحنه تنازع البقاء، وذهب أقسامًا، بين أشتات المطامع والأهواء.

أيها الأحبة في الله:

يخطئ كثيرًا، من يظن أن هزائم المسلمين في عصرهم الحاضر، كانت بدعًا في تأريخهم الطويل، كلا؛ فالأمر ليس كذلك؛ بل إن أمر المسلمين قد يعلو تارة، ويهبط أخرى، بمقدار قربهم من ربهم وإحيائهم لسنة الجهاد في سبيل الله. قال رسول الله ﷺ: «**من لم يغز أو يجهز غازيًا، أو يَخْلُفَ غازيًا في أهله بخير، أصابه الله بقارعة قبل يوم القيامة**» رواه أبو داود وابن ماجه بسند جيد. والقارعة: هي الداهية.

لذا، فقد هبط أمر المسلمين في قرون مضت، حتى اغتصب الحجر الأسود بضع سنين، فما عاد إلى موضعه: إلا بعد لؤى وشدائد.

ولكن هذا التاريخ الذي هبط، سرعان ما علا وارتفع، وهكذا أصبح تاريخ المسلمين، يتأرجح بين مد وجزر، في صورة حقيقية لا ينكرها إلا غر مكابر.

أيها المسلمون:

إن الناظر في واقع العالم اليوم، إن كان ذا لب وبصيرة، فإنه لن يتمالك من قوة الفهم، إلا أن يقول: ما أشبه الليلة بالبارحة، وما أشبه اليوم بالأمس. فها هو التاريخ يعيد نفسه، تتغير مراكز القوى، وتنقلب معايير النفوذ والاتساع، حتى أصبحت متمركزة في معسكرات الكفر، بحيث لا تُفَسَّر إلا بالقوة التي كان يمارسها الجاهليون ضد الإسلام، وإن كان دور أهل الكفر الذين سيطروا على المسلمين في قرون مضت لا

يتجاوز سيوفًا ضربوا بها هام المسلمين ففلقوها، واحتزوا الرقاب فقطعوها، وضربوا منهم كل بنان، حتى يقول الكافر للمسلم: قف مكانك حتى آتي بسيفي لأقتلك، فيقف المسكين مكانه لا يحرك ساكنًا، حتى يأتي ذلك الرجل فيقتله - إن كان ذلك، هو أسلوب أهل الكفر في ذلك الحين؛ فإن أسلوبهم في هذا العصر، ينطلق من محاور متعددة، أورثت لدى المسلمين جبنًا وخورًا، فلا حول ولا قوة إلا بالله، وانطلقوا يغزونهم في عدة ميادين، تمثلت في إذكاء التخلف العلمي، والتخلف الاقتصادي والصحفي، والتحدي الثقافي، في مجال الدراسات الإسلامية، والدراسات التاريخية والأدبية واللغوية، والتحديات الاجتماعية والإعلامية وإثارة الحروب الأهلية، والنعرات الطائفية، إنها حرب شعواء، لا هوادة فيها.

إن أهل الكفر، هم أبعد الناس عن العدالة، وأنأى الناس عن الرحمة، وإن زعموا العدل في محاكمهم الدولية، أو مجالسهم ومقرراتهم الدستورية، لقد صار غبياً عندهم من يحاول أن ينال حقه باسم العدالة أو الرحمة الدولية، أو القوانين الخاصة أو العامة أو باسم المدنية والإنسانية، وصار المغبون حقًا، هو ذلك الضعيف المهزول، الجاثي على ركبتيه المهزولتين، أمام تلك القوى الكافرة الظالمة، يستجديها حقه، ويسألها إنصافه ويطلب إليها بمدمعه، لا بمدفعه، أن يمسح الدم عن أظافره الدامية، ويطهر فمه من لحوم الضعفاء الأبرياء، وينادیه باسم المدنية، وباسم الحقوق الإنسانية، فصار لا يوجد العدل إلا حيث يوجد الجور، ولا يوجد السلم إلا حيث توجد الحرب، وصارت القوى الكافرة الظالمة، لا تذكر العدالة ولا الحقوق الإنسانية إلا إذا تحدثوا إلى الأقوياء الباطشين أمثالهم، أما الضعيف العاجز عن المدافعة، فما له عندهم إلا التمدين، زعموا، ومعناه:

والتطبيع، وسائر ما للبؤس والشقاء من مظاهر ومعان.

كل ذلك أيها المسلمون مصداق لقول المصطفى ﷺ: «**يوشك أن تتداعى عليكم الأمم كما تتداعى الأكلة إلى قصعتها**، قيل: أومن قلة نحن يا رسول الله؟ قال: **لا أنتم يومئذ كثير ولكنكم غثاء كغثاء السيل**» أخرجه أبو داود وأحمد، وهو صحيح.

هجمت عليهم الدنيا فتنافسوها؛ فقلبت موازين الحياة عندهم، نسوا قول الله: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ﴾ [الأنفال: ٦٠]، ونسوا قول الله تعالى: ﴿فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ﴾ [آل عمران: ١٧٥]، وقول الله عز وجل: ﴿إِن يَنصُرْكُمُ اللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ وَإِن يَخْذُلْكُمْ فَمَن ذَا الَّذِي يَنصُرُكُم مِّن بَعْدِهِ﴾ [آل عمران: ١٦٠].

ونسوا قول المصطفى ﷺ: «**إذا تبايعتم بالعينة، وأخذتم أذناب البقر، ورضيتم بالزرع، وتركتم الجهاد، سلط الله عليكم ذلاً، لا ينزعه حتى ترجعوا إلى دينكم**» رواه أبو داود، وأحمد بنحوه، وهو صحيح.

انقلبت موازين الحياة عندهم، فأخْرجت سُنَّةُ المدافعة من النفوس، ظنوا أن الشجاع المقاتل يقتل دون الجبان المسالم، المقر للخسف في دينه وملته وأرضه، حسبوا أن الجبناء أطول آجالاً من الشجعان فقالوا:

يقرب حب الموت آجالنا لنا ... وتكرهُهُ آجالُهم فتطول

ولأجل هذا، كان من يحرصون على الحياة، يهرعون إلى السلم والمسالمة. والحقيقة الواضحة أيها المسلمون على العكس من ذلك، فإنه لا يقتل غالبًا إلا الجبان، ولا يقع في الحرب إلا الهارب إلى السلم، ولا ينال الشر إلا أهل الدعة واللين والخوف.

عباد الله:

إن الإرهاصات المتتابعة، التي أذكاها أهل الكفر والشرك لم تذهب سدى، فنحن نرى بين الفينة والأخرى، نفوسًا ضعيفة، وأقلامًا مأجورة. ترعرعت في

كنف الكفر، فأخذت تبث دعايات مضللة، مفادها هدم ركن ركين، وأصل أصيل من أصول الإسلام، ألا وهو ركن الولاء والبراء، الولاء للمؤمنين، والبراء من الكافرين. الولاء والبراء، الذي هو من لوازم كلمة التوحيد « لا إله إلا الله محمد رسول الله». ذلك اللازم المؤكد في قول الله تعالى: ﴿ لَّا يَتَّخِذِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۖ ﴾ [آل عمران: ٢٨].

وفي مثل قوله: ﴿ لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓا۟ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ ۚ ﴾ [المجادلة: ٢٢].

وفي مثل قول المصطفى ﷺ، لجرير بن عبد الله البجلي لما بايعه على الإسلام قال له: « **أن تنصح لكل مسلم، وتبرأ من الكافر**» رواه أحمد بسند حسن.

قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ ﴾ [النحل: ٣٦].

قال العالم المجدد، شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله: فأما صفة الكفر بالطاغوت، فأن تعتقد بطلان عبادة غير الله، وتتركها، وتبغضها، وتكفر أهلها، وتعاديهم.

وذكر رحمه الله من نواقض الإسلام: من لم يكفر المشركين أو يشك في كفرهم، أو يصحح مذهبهم كفر. وقال رحمه الله: ومظاهرة المشركين، ومعاونتهم على المسلمين كفر والدليل قوله تعالى: ﴿ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [المائدة: ٥١]. قال رسول الله ﷺ: «**والذي نفس محمد بيده، لا يسمع بي أحد من هذه الأمة، يهودي ولا نصراني ثم يموت، ولم يؤمن بالذي أرسلت به، إلا كان من أصحاب النار**» رواه مسلم.

أيها الناس:

هذا الركن الركين والحصن الحصين، مالت نفوس ضعيفة، اجتالتها

الشياطين عن فطرة التوحيد. مالت بهم إلى نبذه من واقع حياتهم، فيما يسمونه بالعالمية، أو زمالة الأديان أو التطبيع بين الكفر والإسلام، ومعنى تلك المسميات كلها، هو توسيع دائرة الولاء؛ بحيث يدخل فيها كل الأقوام والأديان والأوطان، حتى يصبح المسلم وهو لا يشعر بالفارق بينه وبين غيره من الكفار في بقاع الأرض، وقد يطغى على هذا المبدأ، ألفاظ براقة خادعة، كالحرية والإخاء، والعدل والمساواة، وبذلك يُطْمس الولاء والبراء، وتُشْعر ذروة سنام الإسلام، وهي الجهاد في سبيل الله، وقد ذم الله هذا الصنيع وحذر منه بقوله: ﴿ وَلَا تَقْعُدُوا بِكُلِّ صِرَاطٍ تُوعِدُونَ وَتَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِهِ وَتَبْغُونَهَا عِوَجًا ﴾ [الأعراف: ٨٦].

فاتقوا الله أيها المسلمون، وعودوا إلى دينكم عوداً حميداً، اتقوا الله والتفتوا إلى واقعكم، انظروا إلى دماء الأبرياء من بني ملتكم، تصرخ ولا مغيث، إن ضعف المسلمين واستكانتهم جعلت من دم المسلم عملة رائجة في سوق سوداء، لا تخضع لنظام، ولا يحميها قرار.

أيها المسلمون:

استمعوا إلى نصح ربكم في قوله: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا بِطَانَةً مِّن دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا وَدُّوا مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١١٨﴾ هَا أَنتُمْ أُولَاءِ تُحِبُّونَهُمْ وَلَا يُحِبُّونَكُمْ وَتُؤْمِنُونَ بِالْكِتَابِ كُلِّهِ وَإِذَا لَقُوكُمْ قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا عَضُّوا عَلَيْكُمُ الْأَنَامِلَ مِنَ الْغَيْظِ قُلْ مُوتُوا بِغَيْظِكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿١١٩﴾ إِن تَمْسَسْكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِن تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُوا بِهَا وَإِن تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴾ [آل عمران: ١١٨ - ١٢٠].

بارك الله لي ولكم . . .

* * *

الخطبة الثانية

الحمد لله حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه، كما يحب ربنا ويرضى، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وصحبه، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد:

فاتقوا الله أيها المسلمون، ثم اعلموا أن معركة الإسلام مع الكفر، ليست وليدة اليوم، وإنما هي فصول يقصها القرآن وترويها السنة، في أدوار مختلفة، ولن يخلو زمان أو مكان من تلك المعركة الضارية، غير أن النور الذي حمله رسول الله ﷺ ليضيء للدنيا، لن ينطفىء أبداً، بل هو باق خالد، في أيدي المسلمين، يحملونه إلى البشرية ليضيء الدنيا مرة أخرى بأمر من الله، ويوحد الكلمة، ويجمع الشتات، وإن للمسلمين في وعد ربهم، ما يَشُد عزائمهم للثبات على دينهم ﴿ وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ [الروم: ٤٧].

قال رسول الله ﷺ: «**لا تزال طائفة من أمتي على الحق ظاهرين، لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم حتى يأتي أمر الله وهم على ذلك**» رواه البخاري.

وقال تعالى: ﴿ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ ﴾ [التوبة: ٣٣].

قال ابن جرير رحمه الله: أي ليعليَ الإسلام على الملل كلها، ولو كره المشركون بالله ظهوره عليها.

وقال ابن كثير رحمه الله: أي يظهره على سائر الأديان كما ثبت في صحيح مسلم أن رسول الله ﷺ قال: « **إن الله زوى لي الأرض، فرأيت مشارقها ومغاربها، وإن ملك أمتي سيبلغ ما زوي لي منها** ».

إن شعوبًا لا تعرف إلا الله، لن يغلبها من لا يعرف الله، وإن من لا يعرف إلا الحق، لن يغلبه من لا يعرف إلا الباطل. فجند الله هم الغالبون بالحجة واللسان، كما أنهم الغالبون بالسيف والسنان.

غير أن الأمر قد بات من الخطورة، بحيث يوجب البحث عن الأسباب المفضية إلى ضعف المسلمين، وخسائرهم الفادحة!!

ولننظر إلى مصدرها، هل هو غش ثقافي، أو عوج خلقي، أو خلل سياسي واجتماعي؟ وما الذي أفقد الأمة كيانها ثم جعلها تتلقى الضربات وتصرع أمامها.

فاتقوا الله أيها المسلمون، وانظروا إلى نصوص الشرع برضىً وطواعية، مصحوبين بالاستسلام لله ولشرعه، وليعلم الذين يُقْصون شرع الله من واقع حياتهم، أو يخرجون جانبًا من جوانب الإسلام، في سياسة أو حكم أو اقتصاد أو ما شابه ذلك.

ليعلموا أن ركب الإسلام سائر بإذن الله، وأن الله سيُبْلغُ هذا الدين ما بلغ الليل والنهار، ولن يدع الله بيت مدر ولا وبر إلا أدخله هذا الدين بعز عزيز أو بذل ذليل، عزاً يعزّ به الإسلام، وذلاً يذل به الكفر.

فالأولى بالمقصرين من أهل الإسلام، والمعادين له من أهل الكفر والشرك، أن يستسلموا لشرع الله بعودة صادقة إلى الله، وإخلاء الطريق للشعوب المسلمة لتسعد بشرع الله.

ليت الذي لم يكن بالحق مقتنعًا يخلي الطريق ولا يؤذي من اقتنعا

هذا وصلوا رحمكم الله على خير البرية وأفضل البشرية.

* * *

آفة العصر (المسكرات والمخدرات)

الخطبة الأولى

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه، ونستغفره ونتوب إليه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾.

[آل عمران: ١٠٢].

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾ [النساء: ١].

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴾

[الأحزاب: ٧٠، ٧١].

أما بعد:

فاتقوا الله أيها الناس، اتقوا ربكم وراقبوه في السر والعلن، فبتقوى الله عز وجل، تصلح الأمور، وتتلاشى الشرور، ويصلح للناس أمر الدنيا والآخرة.

عباد الله:

لقد كرم الله عز وجل، بني الإنسان على كثير من مخلوقاته ﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴾ [الإسراء: ٧٠].

كرم الله عز وجل، بني آدم بخلال كثيرة، امتاز بها عن غيره من المخلوقات، من جماد وحيوان، ونبات وجان؛ كرمه بالعقل، وزينه بالفهم، ووجهه بالتدبر والتفكر، فكان العقل من أكبر نعم الله على الإنسان، به يميز بين الخير والشر، والضار والنافع، به يسْعَدُ في حياته، وبه يدبر أموره وشئونه، به يتمتع ويهنأ، به ترتقي الأمم وتتقدم الحياة، وينتظم المجتمع الإنساني العام، وبالعقل يكون مناط التكليف.

العقل، جوهرة ثمينة، يحوطها العقلاء بالرعاية والحماية؛ اعترافًا بفضلها، وخوفًا من ضياعها وفقدانها.

بالعقل يَشْرُفُ العقلاء، فيستعملون عقولهم فيما خلقت له، كما قال تعالى: ﴿ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ [الحديد: ١٧]. وقال تعالى: ﴿ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ [المائدة: ١٠٠]. وقال تعالى: ﴿ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلنُّهَىٰ ﴾ [طه: ١٢٨]. وقال تعالى: ﴿ هَلْ فِى ذَٰلِكَ قَسَمٌ لِّذِى حِجْرٍ ﴾ [الفجر: ٥].

وإذا ما فقد الإنسان عقله، لم يُفَرَّقْ بينه وبين سائر الحيوانات والجمادات، بل لربما فاقه الحيوان الأعجم، بعلة الانتفاع. ومن فقد عقله،

لا نفع فيه ولا ينتفع به، بل هو عالة على أهله ومجتمعه.

هذا العقل الثمين، الذي هو مناط التكليف، يوجد في بني الإنسان، من لا يعتني بأمره، ولا يحيطه بسياج الحفظ والحماية، بل هناك من يضعه تحت قدميه، ويتبع شهوته، وتعمى بصيرته، كل هذا يبدو ظاهرًا جليًا، في مثل كاسة خمر، أو جُرْعة مخدر، أو استنشاق مسكر وشرب مفتر، تفقد الإنسان عقله؛ فينسلخ من عالم الإنسانية، ويتقمص شخصية الإجرام والفتك والفاحشة؛ فَتُشَلُّ الحياة، ويُهْدم صرح الأمة، وينسى السكران ربه، ويظلم نَفسه، ويَهيمُ على وجهه، ويَقْتُل إرادته، ويمزق حياءه، أيتَم أطفاله، وأرمل زوجتَه وأزَرى بأهله لما فقد عقله، فعربد ولهى ولغى. وبذلك كله، يطرح ضرورة من الضروريات الخمس، التي أجمعت الشرائع السماوية على وجوب حفظها، ألا وهي ضرورة العقل.

إنها واجبة الحفظ والرعاية؛ لأن في حفظها قوام مصلحة البشرية؛ ففاقد العقل بالسكر، يسيء إلى نفسه ومجتمعه، ويوقع مجتمعه وبني ملته في وهدة الذل والدمار؛ فيخل بالأمن، ويروع المجتمع، ويعيد أساطير الثمالى الأولين، ومجالس الشراب عند العرب الجاهليين.

عباد الله:

فقدان العقل بالسكر، عادة قبيحة، كانت تلازم أهل الجاهلية، عند معاقرتهم الخمرة، يقضون الليالي الساهرة، مع الأصحاب والخلان على احتسائها.

وهم مع ذلك يعدونها وسيلة من وسائل الفخر والكرم.

لقد أغرِمَ الجاهليون بالخمرة، حاضرة وبادية، وافتخر الشعراء

بمعاقرتها، وبذل المال في سبائها.

أقبل الجاهليون على الخمرة؛ من أجل قتل الفراغ، ونسيان الفقر، فأكثر شعراؤهم القول في الخمور، على حين فترة من الرسل، فَصُدِّرت الخمرة في مطلع معلقة هي من أشهر معلقات العرب السبع، والتي قيل: إنها عُلقت على أستار الكعبة، أنشد فيها عمرو بن كلثوم:

ألا هُبي بصحنك فأصبحينا ولا تبقي خمور الأندرينا

تناقل العرب والشعراء تلك المعلقة، وكأنها قرآن يتلى؛ فأخذت بمجامع الناس، وأيام العرب، حتى قال قائلهم:

ألهى بني تغلب عن كل مكرمة قصيدة قالها عمرو بن كلثوم

إذن، كانت الخمرة في الجاهلية من دواعي فخر العربي وكرمه، وكان تقديمها للضيوف وجمع الفتيان لشربها مفخرةً أي مفخرة.

ثم يأتي رسول الله ﷺ معلنًا لأمته قوله: « **ألا إن كل شيء من أمر الجاهلية، تحت قدمي موضوع** » أخرجه مسلم.

أيها الناس:

إن أمة لا تحافظ على عقول بنيها لأمة ضائعة، ماذا فعل السكر بأهل الجاهلية، هل أعاد لهم مجدًا تليدًا، أو وطنًا سليبًا، هل أخرجوا الناس من ظلما ت الجهل والتيه، إلى نور الهدى والاستقامة، أيفلح قوم استفحل السكر والخمر في ديارهم جهارًا ونهارًا؟ لا، وكلا وألف لا.

ثبت في الصحيحين عن النبي ﷺ في حادث الإسراء أنه قال: « **وأُتيت بإناءين: في أحدهما لبن، وفي الآخر خمر، قيل لي: خذ أيهما شئت، فأخذت اللبن، فشربت، فقيل لي: هُديتَ الفطرة، أو أصبت الفطرة، أما إنك لو أخذت**

الخمر، غوت أمتك» وفي بعض روايات ابن جرير رحمه الله، أن جبريل قال: **« أما إنها ستحرم على أمتك، ولو شربت منها لم يتبعك من أمتك إلا القليل»** .

الله أكبر! إن قول جبريل عليه السلام يؤكد أن الأمة المسلمة الحقة، لا يمكن أن تتبع شاربَ خمر، حتى ولو كان رسول الله ﷺ وحاشاه عن ذلك، بأبي هو وأمي، صلوات الله وسلامه عليه

إذن، لا يجتمع في الأمة لبن وخمر، بمعنى أنه لا تجتمع فطرة وخمر، فإما فطرة صالحة بلا خمر، وإما خمر وتيه بلا فطرة. قال رسول الله ﷺ: **«لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن، ولا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن، ولا يشرب الخمر حين يشربها وهو مؤمن »** رواه البخاري ومسلم.

عباد الله:

إن الخمور التي كانت من مفاخر الجاهلية، ومن تقاليدهم المألوفة، جاء الإسلام بإلغائها، وخلص الجماعة المسلمة من رواسب الخمرة، بعد أن رسخ دعائم التوحيد والعقيدة في نفوسهم، وأخرجهم من عبادة العباد، وعبادة الشهوة والجسد، إلى عبادة الله وحده. وأخرج كثيراً من الصحابة رضي الله عنهم من منادمة الخمرة، فصقلهم الإسلام صقلاً هجروا بسببه كل عادة تغضب الله ورسوله.

فها هو حسان بن ثابت رضي الله عنه يقول عن الخمر في الجاهلية:

ونشربها فتتركنا ملوكًا وأسدًا ما ينهها اللقاء

فلما خالط الإسلام قلبه، صار شعره أشد على نحور المشركين من وقع النبل، كما قال ذلك رسول الله ﷺ. أخرجه النسائي والترمذي وقال: حسن صحيح.

وهذا أبو محجن الثقفي رضي الله عنه، الذي اشتهر بالخمرة في جاهليته، وهو الذي ينسب إليه قوله:

إذا ما مت فادفني إلى جنب كرمة تروي عظامي في الممات عروقها
ولا تدفنني بالفلاة فإنني أخاف إذا ما مت ألا أذوقها

فلما تمكن حب الله ورسوله من قلبه أبلى بلاءً حسنًا في القادسية، وقال له سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه لا حبستك في الخمر بعدها أبدًا، فقال أبو محجن: وأنا والله لا أشربها بعد اليوم أبدًا، فنعم الإسلام هاديًا ومؤدبًا.

أيها الناس:

إن رذيلة المخدرات والمسكرات، آفة خبيثة، لم تفش في عصر من العصور، كما فشت في عصرنا الحاضر، ولم تصب المجتمعات بحمى السكر، التي شنها أعداء الإسلام على جميع بلاد المسلمين، بهدف تخديرهم، وإهدار طاقاتهم، وشل جهودهم، وتغييب عقولهم علنًا، كما أصيبت في هذا العصر.

لقد قام أعداء الإسلام، بزج كميات رهيبة من جميع أصناف المخدرات، إلى بلاد المسلمين حسدًا من عند أنفسهم، يريدون للأمة المسلمة أن تتورط بهذه السموم، فلا تخرج منها إلا بعد لأيٍ وشدائد، وتعب مضنٍ، وتوبة صادقة.

وقع جمع من الناس في براثنها، ورضعوا من أثداء المخدرات والمسكرات؛ فنقضوا بناء المجتمعات ونثَّروا أعضاءها، وبددوها شذر مذر، نفخت روح الحضارة العصرية في بعضهم نفخة كاذبة، وخيلت إليهم أنهم خلق وجيل، مغاير لما مر من الأجيال في التاريخ كله، زعم المتفننون منهم، أنهم خلق، لا تنطبق عليهم سنة، ولا يخضعون لسابقة، رأوا أنهم في عصر الذرة، وعصر المعلومات، فقالوا للناس أجمع: أما

علمتم أن الدنيا دخان وكأس سكر وغانية؟!

أمة الإسلام:

كم من الآلاف في أمتنا، يعكفون على المسكرات والمخدرات، يهلكون أنفسهم عن طريق هذه الكيوف السامة القتالة، فأخذوا يزهقون أرواحهم، ويحفرون قبورهم بأيديهم حتى صاروا أشباحًا بلا أرواح، وأجسامًا بلا عقول.

أيها المسلمون:

إن للمسكرات والمخدرات مضارًا كثيرة أثبتها الطب العصري، وأكدتها تجارب المجتمعات، وذكروا فيها أكثر من مائة وعشرين مضرة، دينية ودنيوية.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «إن الحشيشة حرام، يُحَدُّ متناولها كما يحد شارب الخمر، وهي أخبث من الخمر، من جهة أنها تفسد العقل والمزاج، حتى يصير في الرجل تخنث ودياثة، وغير ذلك من الفساد، وأنها تصد عن ذكر الله». اهـ كلامه رحمه الله.

ومن أعظم مضار المسكرات والمخدرات، أنها تفسد العقل والمزاج، وما قيمة المرء إذا فسد عقله ومزاجه، يتعاطى المسكرات والمخدرات، فيرتكب من الآثام والخطايا، ما تضج منه الأرجاء، وما يندم عليه حين يصحو، ولات ساعة مندم، ولقد روى القرطبي رحمه الله في تفسيره، أن أحد السكارى جعل يبول، ويأخُذُ بولَه بيديه ليغسل به وجهه وهو يقول: اللهم اجعلني من التوابين، واجعلني من المتطهرين.

قال الضحاك بن مزاحم رحمه الله لرجل: ما تصنع بالخمر؟ قال: يهضم طعامي. قال: أما إنه يهضم من دينك وعقلك أكثر.

وقال الحسن البصري رحمه الله: لو كان العقل يُشْتَرى، لتغالى الناس في ثمنه، فالعجب ممن يشتري بماله ما يفسده!

أيها الناس:

في بلاد المسلمين، كثرت حوادث المخدرات، من مروجين ومدمنين، وكثرت الجرائم بتعاطيها، وأصبحت مكافحة المخدرات قضية تشغل الحكومات المختلفة. وكل هذا يتم في غياب وازع الإيمان.

فاتقوا الله أيها المسلمون، واتقوا المسكرات والمخدرات، واتقوا الخمر فإنها أم الخبائث.

أخرج النسائي وابن حبان في صحيحه، أن عثمان رضي الله عنه قام خطيبًا فقال:

« أيها الناس، اتقوا الخمر؛ فإنها أم الخبائث، وإن رجلا ممن كان قبلكم من العباد، كان يختلف إلى المسجد، فلقيته امرأة سوء، فأمرت جاريتها فأدخلته المنزل. فأغلقت الباب، وعندها باطية من خمر، وعندها صبي، فقالت له: لا تفارقني حتى تشرب كأسًا من هذا الخمر، أو تواقعني، أو تقتل الصبي، وإلا صحتُ، يعني صرخت، وقلت: دخل عليَّ في بيتي، فمن الذي يصدقك؟ فضعف الرجل عند ذلك وقال: أما الفاحشة، فلا آتيها، وأما النفس، فلا أقتلها، فشرب كأسًا من الخمر. فقال: زيديني فزادته، فوالله ما برح، حتى واقع المرأة وقتل الصبي.

قال عثمان رضي الله عنه: فاجتنبوها، فإنها أم الخبائث، وإنه والله لا يجتمع الإيمان والخمر في قلب رجل، إلا يوشك أحدهما أن يذهب بالآخر».

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ وَٱلْأَنصَابُ وَٱلْأَزْلَٰمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ فَٱجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٩٠﴾ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ فِى ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَعَنِ ٱلصَّلَوٰةِ ۖ فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ ﴾ [المائدة: ٩٠، ٩١].

الخطبة الثانية

الحمد لله حمدًا كثيرًا طيبًا مباركًا فيه كما يحب ربنا ويرضى، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، ﷺ وبارك عليه وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد:

فاتقوا الله أيها المسلمون، واعلموا أن الإسلام تدرج في الخمر، حتى ختمها الله بالتحريم، ثم قال عز وجل ﴿ فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ ﴾ [المائدة: ٩١]؛ فقال الصحابة رضوان الله عليهم: « انتهينا انتهينا».

ويشمل تحريم الخمر، جميع أنواع المسكرات؛ لقوله ﷺ: « **كل مسكر خمر، وكل مسكر حرام**» رواه مسلم.

وشارب الخمر، مستحق للعقوبة الدنيوية وهو أن يُجْلَدَ ثمانين جلدة، ويُحَد شاربها وإن لم يَسْكُر سواء أشرب الكثير أم القليل، بإجماع الصحابة رضوان الله عليهم.

وإذا تكرر من الشارب الشرب، وهو يُعَاقَب ولا يرتدع، فقد قال شيخ الإسلام ابن تيمية: « يقتل في الرابعة عند الحاجة إليه، إذا لم ينته الناس بدون القتل»

وهذا عين الفقه؛ لأن الصائل على الأموال، إذا لم يندفع إلا بالقتل قتل، فما بالكم بالصائل على أخلاق المجتمع وصلاحه وفلاحه.

وشارب الخمر فاسق، لا يُسَلَّم عليه، ولا يعاد إذا مرض، ولا تجاب دعوته، قال البخاري رحمه الله في الأدب المفرد: «باب لا يسلم على شارب الخمر» وساق بإسناده إلى عبد الله بن عمرو بن العاص أنه قال: « لا تسلموا

على شُرَّاب الخمر ».

وقال أيضًا: « لا تعودوا شُرَّابَ الخمر إذا مرضوا».

وأما العقوبة الأخروية، فقد روى أبو داود وابن ماجه والترمذي، عن ابن عمر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: « **لعن الله الخمر، وشاربها، وساقيها، ومبتاعها، وبائعها، وعاصرها ومعتصرها، وحاملها، والمحمولة إليه**» وهو حديث حسن.

وقال ﷺ: « **من شرب الخمر في الدنيا، ثم لم يتب منها، حُرِمَهَا في الآخرة** » رواه مسلم.

وقال ﷺ: «**مدمن الخمر إن مات، لقي الله كعابد وثن**»رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح.

وقال ﷺ: «**كل مسكر حرام، إن على الله عز وجل عهدًا لمن يشرب المسكر أن يسقيه من طينة الخبال**، قالوا: يا رسول الله، وما طينة الخبال؟ قال: **عَرَقُ أهل النار**، أو: **عُصَارة أهل النار**» رواه مسلم.

فاتقوا الله أيها المسلمون، وصلوا رحمكم الله على خير البرية وأفضل البشرية.

* * *

اتبعوا ولا تبتدعوا

الخطبة الأولى

الحمد لله حمد الشاكرين، أحمده سبحانه وأشكره، وأتوب إليه وأستغفره، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبد الله ورسوله، خيرة خلقه، وخاتم رسله، دعا إلى الله على بصيرة؛ فاستجاب لدعوته الراشدون، وتخلف عنها الحمقى والمخذولون، كان قدوة صالحة، وأسوة حسنة؛ فأكمل الله به الدين، وأتم به النعمة، ورضي لنا الإسلام دينًا، لم يدع شيئًا يقرب إلى الله إلا دعا إليه، ولا شيئًا يبعد عنه إلا حذر منه، فصلوات ربي وسلامه عليه وعلى آله الأتقياء البررة، الذين استجابوا له، وأحيوا سنته، ومهدوا لمن بعدهم منهاجه وشرعته.

أما بعد:

فاعلموا أيها الناس. أن الدين الإسلامي كغيره من الشرائع السماوية، التي أرسل الله الرسل من أجلها، دين مبني على الاتباع والاقتداء والتأسي. ولا يصير الدين دينًاإلا إذا كان الخضوع فيه للحق سبحانه؛ حيث إنه لا يفهم دين بلا خضوع ولا اتباع.

وإن خير هدي ينتهجه المفلحون، وخير طريق يسلكه الصالحون، هو هدي رسول الله ﷺ، والطريق الذي رسمه للأمة في كل اتجاه، فلا هدي أحسن من هديه، ولا طريق أقوم من طريقه، وهيهات هيهات، أن يأتي الخلف في أعقاب الزمن، بخير مما كان عليه السلف الصالح في عصور النور.

ومن غربة الدين، أن تلتصق به المحدثات، والمسلم الحصيف، يتجه نحو المعين الصافي، يشرب منه فيرتوي، ويقصد مصدر النور، يقتبس من إشعاعه فيهتدي، وإن النور لا يتم، إلا بهدى الله وكتاب الله وحكم الله ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴾ [المائدة: ٥٠]. ﴿ صِبْغَةَ ٱللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ صِبْغَةً وَنَحْنُ لَهُ عَٰبِدُونَ ﴾ [البقرة: ١٣٨].

أيها الناس:

إن عصر المسلمين الحاضر، يعد عصر تجدد وانتقال، كما كانت عصور المسلمين الأولى، إبان اختلاطهم بالحضارات الفلسفية، والثقافات الإغريقية، حين أخذوا من أهلها وأعطوهم؛ فاختلط الناس بالغازين، وبأفكارهم الأجنبية عنهم؛ فجنحوا إلى شرعة الغير، إذا وافقت أهواءهم، وأشرأبت لها شهواتهم ورغباتهم.

وتمثل ذلك جليًا في أخذ أهل تلك العصور من المسلمين بما وضعه قادة الغزاة التتر، فيما أسموه بالياسق، الذي قال عنه ابن كثير رحمه الله: وفيه: « أن من زنى قتل محصنًا أو غير محصن وكذلك من لاط قتل، ومن تعمد الكذب قتل، ومن بال في الماء الواقف قتل، ومن انغمس فيه قتل، ومن أطعم أسيرًا أو سقاه بغير إذن أهله قتل » إلى غير ذلك من البدع الكفرية والترهات البشرية، المخالفة لمنهج الله وشرعته.

في عصور الانتقال، تتعدد مسالك الحياة، وتتزاحم المذاهب الدخيلة، والدعوات الدعية، ومكان السنة بين هذه الدعوات والمذاهب، أنها دعوة كمال، فكلما تردد الإنسان بين طريقين، دعته السنة إلى خيرهما، وإن تردد العقل بين حق وباطل، دعته السنة إلى الحق، وبهذا يعلم، أن دعوة السنة، كانت لأصعب الطريقين، وأشق الأمرين بالنسبة لأهواء البشر، وسبب ذلك، هو أن الانحدار مع الهوى سهل يسير، ولكن الصعود إلى العلو صعب وشاق، وإن الماء ينزل وحده حتى يستقر في قرارة الوادي، ولكنه لا يصعد إلى العلو، إلا بالجهد والمضخات.

إن إبليس عليه لعائن الله، قد احتال بفنون الحيل على الخلق، وأمال أكثرهم عن العلم، الذي هو مصباح السالك، فتركهم يتخبطون في ظلمات الجهل، ودخل عليهم في دينهم، من رهبانية ابتدعوها ما كتبها الله عليهم، جمعت لهم الإعراض عن علم الشريعة، مع سوء الفهم للمقصود منها فحدثت منهم بدع قبيحة، وألزمهم إبليس زاوية التعبد، وأظهر لهم من الخزعبلات والطقوس ما أوجب إقبال العوام عليهم فجعل إلههم هواهم.

عباد الله:

إن البدع المحدثة، فيها ـ مع سوء الظن بصاحب الرسالة، تشويه لجمال الدين، وطمس لمعالم السنن، وحيلولة بين الناس وبين دينهم الصحيح، والحكم الفصل في ذلك، هو الوقوف عند السنن، ورد الأمور إلى حكم الله وحكم رسوله ﷺ ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [الأنعام: ١٥٣].

وكل سبيل غير صراط الله، عليه شيطان يدعو إليه فيحببهم في البدعة، ويبعدهم عن السنة وهي مرحلة من مراحل الشيطان، التي يتدرج بها مع

المسلم؛ حيث يدعوه إلى شبهات من الابتداع، زيادة ونقصًا في الاعتقاد والعمل، والمتورطون في ذلك من الأمة كثير، وللشيطان في ذلك جولات وانتصارات، إما بأن يعتقد العبد خلاف الحق الذي أرسل الله به رسوله، وأنزل به كتابه، وإما بالتعبد بما لم يأذن به الله، من الأوضاع والرسوم المحدثة في الدين، التي لا يقبل الله منها شيئًا.

قال ابن القيم رحمه الله: وهاتان البدعتان، في الغالب متلازمتان، قلَّ أن تنفك إحداهما عن الأخرى كما قال بعضهم: تزوجت بدعة الأقوال ببدعة الأعمال؛ فاشتغل الزوجان بالعرس، فلم يفجأهم، إلا وأولاد الزنا يعيثون في بلاد الإسلام، تضج منهم العباد والبلاد إلى الله تعالى.

قال سفيان الثوري رحمه الله: البدعة، أحب إلى إبليس من المعصية؛ لأن المعصية يرجع منها، والبدعة لا يرجع منها.

أيها الناس:

قال رسول الله ﷺ: «**من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد**» رواه البخاري ومسلم، وفي رواية لمسلم: «**من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد**».

هذا الحديث أصل عظيم من أصول الإسلام، وهو كالميزان للأعمال في ظاهرها، فكل عمل لا يكون عليه أمر الله ورسوله، فهو مردود على عامله، وكل من أحدث في الدين ما لم يأذن به الله ورسوله، فليس من الدين في شيء. قال النووي رحمه الله: هذا الحديث، مما ينبغي حفظه، واستعماله في إبطال المنكرات، وإشاعة الاستدلال به كذلك.

وأهل السنة والجماعة، الفرقة الناجية والطائفة المنصورة، استقر كتاب الله، وسنة رسوله ﷺ في سويداء قلوبهم، فمراد الله ومراد رسوله ﷺ عندهم، قد خلدا بهذين الوحيين، فلا تعقيب لأحد بعد الله ورسوله، ولا

يزالون منذ فتحت للفهم عقولهم، ووجه شطر العلم طلبهم، ينظرون في عقلياته وشرعياته، وأصوله وفروعه، إلى أن من عليهم الرب الكريم، فشرح لهم من معاني الشريعة، ما لم يكن في غيرهم، وألقى في نفوسهم أن الدين قد كَمُل، وأن السعادة فيما وضع، والطِّلْبَةَ فيما شرع، وما سوى ذلك فضلال وبهتان. وأن العاقد عليهما بكلتا يَديه، مستمسك بالعروة الوثقى التي لا انفصام لها، وما سواها فأوهام وخيالات، تندرس بها رسوم السنة، حتى تَمُدَّ البدع أعناقها، فيشكل مرماها على جمهور المصلحين.

وكل خير في اتباع من سلف وكل شر في ابتداع من خلف

قال حذيفة بن اليمان رضي الله عنه: « كل عبادة لا يتعبدها أصحاب محمد ﷺ فلا تعبدوها؛ فإن الأول لم يدع للآخر مقالاً ». وقال مالك بن أنس: « من ابتدع في الإسلام بدعة يراها حسنة فقد زعم أن محمداً خان الرسالة؛ لأن الله يقول: ﴿ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ﴾ [المائدة: ٣]. فما لم يكن يومئذ دينًا، فلا يكون اليوم دينًا».

وصدق رسول الله ﷺ إذ يقول: «**ما من نبي بعثه الله عز وجل إلا كان حقًا عليه أن يدل أمته على خير ما يعلمه لهم، وأن يحذر أمته من شر ما يعلمه لهم**» رواه مسلم.

أيها المسلمون:

قال رسول الله ﷺ: «**إنه من يعش منكم فسيرى اختلافًا كثيرًا، فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين، عضوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور، فإن كل بدعة ضلالة**» رواه أبو داود والترمذي.

والبدعة: هي ما أحدث في الدين مما لا أصل له في الشريعة يدل عليه، وهي تؤخذ في الغالب؛ تقليداً لشيخ معظم، أو والد محترم، أو مجتمع تُقدس عاداتُه، أو أفكار تستحسن، أو مبادئ تستورد، وما وفد على الأمم الممزقة الحائرة، من دخَل وابتداع، كان نتاج التقليد الأعمى، والإنقياد الأرعن، الذي أدخل عليهم ما شاء الله أن يدخل، من البدع والأهواء.

والبدع سريعة الانتشار، تنجم كقرون المعزى، تستلفت أنظار الدهماء، فيعمى دونها الذين لا يبصرون، ويصم عنها الذين هم عن السمع معزولون، فتعود صغار البدع عندهم كبيرة، بعد أن كان أولها صغيراً يشبه الحق، فاغتر بذلك من دخل فيها، ثم لم يستطع الخروج منها فعظمت، وصارت ديناً يدان بها، فخالف أصحابها الصراط المستقيم.

ولما كثرت البدع وعم ضررها، ودام الإكباب على العمل بها، والسكوت من أهل العلم والفقه عن الإنكار لها، صارت وكأنها سنن مقررات، وشرائع محررات؛ فاختلط المشروع بغيره، والتبس بعضها ببعض إلا على من عصم الله، مع أن الداخل في هذا الأمر اليوم، فاقد المساعد إلا ما شاء الله، ينحو منحى عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه؛ حيث يقول: «ألا وإني أعالج أمراً لا يعين عليه إلا الله، قد فني عليه الكبير، وكبر عليه الصغير، وَفَصُح عليه الأعجمي، وهاجر عليه الأعرابي، حتى حسبوه ديناً لا يرون الحق غيره».

فرحم الله الخليفة ابن عبد العزيز؛ إذ التنبيه على البدع، أمر لا سبيل إلى إهماله، ولا يسع أحداً ممن له منَّة، إلا أن يأخذ بالحزم والعزم المشوبين بالحكمة والموعظة الحسنة، في بثه بعد تحصيله، وإن كره المخالف، فكراهيته لا حجة فيها على الحق ألا يرفع منارُه، وألا تكشفَ وتجلى أنواره.

قال سيد التابعين أويس القرني رحمه الله : « إن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، لم يدعا للمؤمن صديقًا؛ نأمرهم بالمعروف، فيشتمون أعراضنا، ويجدون على ذلك أعوانًا من الفاسقين، حتى والله رموني بالعظام، وأيم الله، لن أدع أن أقوم فيهم بحقه».

وقال الأوزاعي رحمه الله : «إن السلف رحمهم الله تشتد ألسنتهم على أهل البدع، وتشمئز قلوبهم منهم، ويحذرون الناس بدعتهم، ولو كانوا مستترين ببدعتهم دون الناس، ما كان لأحد أن يهتك سترًا عليهم، ولا يظهرَ منهم عورة، الله أولى بالأخذ بها، وبالتوبة عليها، فأما إذا جاهروا، فنشر العلم حياة، والبلاغ عن رسول الله ﷺ رحمة، يعتصم بها على مصر ملحد».

وقال ابن مسعود رضي الله عنه : « إن عند كل بدعة كيد بها الإسلام، دليلاً من أوليائه يَذُبُّ عنه، وينطق بعلامتها، فاغتنموا حضور تلك المواطن، وتوكلوا على الله، وكفى بالله وكيلاً».

فالبدعة إذًا أيهاالمسلمون، طوفان مغرق، والسنة الصحيحةسفينة نوح، من ركبها فقد نجا، ومن تركها غرق، ولا عاصم اليوم من أمر الله إلا من رحم.

فاتقوا الله أيها المسلمون، واحذروا البدع، صغيرها وكبيرها، واعلموا أن من ابتدع بدعة في الإسلام فله وزرها، ووزر من عمل بها إلى يوم القيامة ﴿ لِيَحْمِلُوٓاْ أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ وَمِنْ أَوْزَارِ ٱلَّذِينَ يُضِلُّونَهُم بِغَيْرِ عِلْمٍ ﴾ [النحل: ٢٥]. قال رسول الله ﷺ : **«من سن سنة سيئة كان عليه وزرها ووزر من عمل بها إلى يوم القيامة لا ينقص من أوزارهم شيئًا »** رواه مسلم.

وقال ﷺ : **«ما من نفس تقتل ظلمًا إلا كان على ابن آدم كفل منها؛ لأنه**

أول من سن القتل» رواه مسلم.

فليتق امرؤ ربه، ولينظر قبل الإحداث، في أي مزلة يضع قدمه؟ وهو لا يدري ما الذي يوضع له في ميزان سيئاته، مما ليس في حسابه ولا شَعَرَ أنه عمله.

اللهم إنا نعوذ بك من منكرات الأقوال والأعمال والأهواء والأدواء.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [آل عمران: ٣١].

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم. . . .

* * *

الخطبة الثانية

الحمد لله حمدًا كثيرًا طيبًا مباركًا فيه، كما يحب ربنا ويرضى، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، صلوات ربي وسلامه عليه وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد:

فاتقوا الله عباد الله، واعلموا أن البدع شأنها خطير، وشرها مستطير، ما فشت في قوم إلا كانت نذير شؤم وخطر، فكل ما أحْدثَ مما لا أصل له في الشريعة يدل عليه، أو عُمل على غير مراد الله ورسوله ﷺ فهو رد، كائنًا ما كان، في العبادات، أو المعاملات، أو السياسات، أو الاقتصاد، أو الحكم أو الثقافة، أو غير ذلك.

وقد حذر السلف الصالح، من الصحابة والتابعين ومن بعدهم، أشد التحذير منها، ومن مرتكبيها، وقد أوصى الخليفة الراشد، عمر بن عبد العزيز أحد ولاته فقال: «أوصيك بتقوى الله والاقتصاد في أمره، واتباع سنة نبيه ﷺ وتَرْك ما أحْدَثَ المحدثون، بعدما جرت به سنته وكفوا مؤنته، فعليك بلزوم السنة، فإنها لك بإذن الله عصمة، ثم اعلم أنه لم يبتدع الناس بدعة، إلا قد مضى قبلها، ما هو دليل عليها أو عبرة منها، فإن السنة إنما سنها، من قد علم ما في خلافها من الخطأ والزلل، والحمق والتملق، فارض لنفسك ما رضي به القوم لأنفسهم، فقد قصر قوم دونهم

فجفوا، وطَمَحَ عنهم أقوام فضلوا، وإنهم بين ذلك لعلى هدى مستقيم».

ثم اعلموا أيها المسلمون: أنه ما ظهرت بدعة وفشت، إلا وأماتت معها سنة من السنن؛ لأن الأصل في البدعة، أنها لم تظهر إلا بعد تَرْك سنة؛ فكانت البدعة كالعلامة الدالة على ترك طريق السنة.

قال ابن عباس رضي الله عنهما: «ما أتى على الناس عام إلا أحدثوا فيه بدعة، وأماتوا فيه سنة حتى تحيا البدعة وتموت السنن».

وروى الإمام أحمد، عن غُضَيف بن الحارث أنه قال: بعث إليَّ عبدُ الملك ابنُ مروان. فقال: يا أبا سليمان، إنا قد جمعنا الناس على أمرين، فقلت: وما هما؟ قال: رفع الأيدي على المنابر يوم الجمعة، والقصص بعد العصر والصبح. فقلت: أما إنها أمثل بدعتكم عندي، ولست بمجيبكم إلى شيء منها. قال: لم؟ قال: لأنه ما أحدث قوم بدعة، إلا رفع مثلها من السنة، فَتَمَسُّكٌ بسنة، خير من إحداث بدعة.

ثم اعلموا أيها المسلمون:

أن فئامًا من الناس، ينشطون للعبادة في شهر رجب، وتتوق أنفسهم لها، كأنما تنحدر من صبب، واستمعوا حفظكم الله، إلى كلام الحافظ ابن رجب عن شهر رجب، فقد أتى بما به يقضي العجب، فقال رحمه الله في لطائفه: «وقد روي أنه كان في شهر رجب حوادث عظيمة، ولم يصح شيء من ذلك. وأما الصلاة فلم يصحَّ في شهر رجب صلاةٌ مخصوصةٌ تختص به، لا عن النبي ﷺ ولا عن أصحابه. والأحاديث المروية في فضل صلاة الرغائب، في أول ليلة جمعة من شهر رجب، كذب وباطل لا تصح. وأما الاعتمار، فقد أنكرتَ عائشةُ رضي الله عنها أن يكون النبي ﷺ اعتمر في شهر رجب؛ بل هو كغيره من الشهور. وأما الصيام، فلم يصح في فضل

صوم رجب بخصوصه، شيء عن النبي ﷺ ولا عن أصحابه.

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «وقد أحدث الناس في هذا الشهر عبادات لم يشرعها الله ولا رسوله، ومن ذلك تعظيمُ أول خميس منه، وليلة أولِ جمعة منه فإن ذلك إنما حدث في الإسلام بعد المائةَ الرابعة، ولا يجوز تعظيمَ هذا اليوم؛ لأنه مثل غيره من الأيام».

هذا، وصلوا رحمكم الله على خير البرية وأفضل البشرية.

* * *

ولذكر الله أكبر

الخطبة الأولى

الحمد لله ذاكر من ذكره، يتولى الصالحين ويثيب الذاكرين، ويزيد من شكره، أحمده سبحانه وأشكره، وأتوب إليه وأستغفره، فما خاب من ذكره، وما انقطع من شكره. وأشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، وأشهد أن سيدنا محمداً عبده وسوله سيد الذاكرين، وقدوة الشاكرين، صل الله وسلم وبارك عليه، وعلى آله وصحبه الأتقياء البررة. . .

أما بعد:

فأوصيكم أيها الناس ونفسي بتقوى الله عز وجل، اتقوه في السر والعلن، اتقوه واعبدوه، واسجدوا له وافعلوا الخير لعلكم تفلحون.

أيها الناس:

إن قلوب البشر طُرًا، كغيرها من الكائنات الحية، التي لا غنى لها عن أي مادة من المواد التي بها قوام الحياة والنماء، ويتفق العقلاء جميعًا، أن القلوب قد تصدأ كما يصدأ الحديد، وأنها تظمأ كما يظمأ الزرع، وتجف كما يجف الضرع؛ ولذا، فهي تحتاج إلى تجلية وري، يزيلان عنها الأصداء

والظمأ، والمرء في هذه الحياة، محاط بالأعداء من كل جانب؛ نفسه الأمارة بالسوء، تورده موارد الهلكة، وكذا هواه وشيطانه، فهو بحاجة ماسة، إلى ما يحرزه ويؤمنه، ويسكن مخاوفه، ويطمئن قلبه. وإن من أكثر ما يزيل تلك الأدواء، ويحرز من الأعداء، ذكر الله والإكثار منه لخالقها ومعبودها؛ فهو جلاء القلوب وصِقالها، ودواؤها إذا غشيها اعتلالها.

قال ابن القيم رحمه الله: سمعت شيخ الإسلام ابن تيمية قدس الله روحه يقول: الذكر للقلب مثل الماء للسمك، فكيف يكون السمك إذا فارق الماء؟

عباد الله:

العلاقة بين العبد وبين ربه، ليست محصورة في ساعة مناجاة في الصباح، أو في المساء فحسب، ثم ينطلق المرء بعدها، في أرجاء الدنيا غافلاً لاهيًا، يفعل ما يريد دون قيد ولا محكم؛ كلا هذا تدين مغشوش، العلاقة الحقة، أن يذكر المرء ربه حيثما كان، وأن يكون هذا الذكر مقيداً مسالكه بالأوامر والنواهي، ومشعراً الإنسان بضعفه البشري، ومعينًا له على اللجوء إلى خالقه في كل ما يعتريه.

لقد حث الدين الحنيف، على أن يتصل المسلم بربه، ليحيا ضميره، وتزكوَ نفسه، ويتطهر قلبه، ويستمد منه العون والتوفيق؛ ولأجل هذا، جاء في محكم التنزيل والسنة النبوية المطهرة، ما يدعو إلى الإكثار من ذكر الله عز وجل على كل حال؛ فقال عز وجل: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ﴿٤١﴾ وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾ [الأحزاب: ٤١، ٤٢].

وقال سبحانه: ﴿وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ

لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴾ [الأحزاب: ٣٥]. وقال جل شأنه: ﴿ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ [الأنفال: ٤٥]. وقال تعالى: ﴿ فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ ﴾ [البقرة: ١٥٢]، وقال سبحانه: ﴿ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ ﴾ [العنكبوت: ٤٥].

وقال ﷺ: «**كلمتان حبيبتان إلى الرحمن خفيفتان على اللسان، ثقيلتان في الميزان: سبحان الله وبحمده، سبحان الله العظيم**» متفق عليه.

وقال ﷺ: «**ألا أنبئكم بخير أعمالكم وأزكاها عند مليككم وأرفعها في درجاتكم وخير لكم من إعطاء الذهب والورق، وخير لكم من أن تلقوا عدوكم فتضربوا أعناقهم ويضربوا أعناقكم؟** قالوا: وذلك ما هو يا رسول الله، قال: **ذكر الله عز وجل**» رواه أحمد.

وقال ﷺ: «**من قال: سبحان الله وبحمده غرست له نخلة في الجنة**» رواه الترمذي وحسنه الحاكم وصححه.

عباد الله:

ذكر الله تعالى، منزلة من منازل هذه الدار، يتزود منها الأتقياء، ويتَّجرون فيها، وإليها دائماً يترددون، الذكر قوتُ القلوب الذي متى فارقها صارت الأجساد لها قبوراً، وعمارة الديار التي إذا تعطلت عنه صارت دوراً بوراً، وهو السلاح الذي يقاتل به قطاع الطريق، والماء الذي يطفأ به لهب الحريق.

بالذكر أيها المسلمون، تُسْتَدفَعُ الآفات، وتُسْتكشَفُ الكربات، وتهون به على المُصَاب الملمات، زين الله به ألسنة الذاكرين، كما زين بالنور أبصار الناظرين.

فاللسان الغافل، كالعين العمياء، والأذن الصماء، واليد الشلاء. الذاكر الله، لا تدنيه مشاعر الرغبة والرهبة من غير الله، ولا تقلقه أعداد القلة

والكثرة، وتستوي عنده الخلوة والجلوة، ولا تستخفه مآرب الحياة ودروبها.

ذكر الله عز وجل، باب مفتوح بين العبد وبين ربه، ما لم يغلقه العبد بغفلته.

قال الحسن البصري رحمه الله: تفقدوا الحلاوة في ثلاثة أشياء: في الصلاة، وفي الذكر، وقراءة القرآن، فإن وجدتم، وإلا فاعلموا أن الباب مغلق.

إن الذنوب كبائرها وصغائرها لا يمكن أن يرتكبها بنوآدم، إلا في حال الغفلة والنسيان لذكر الله عز وجل؛ لأن ذكر الله تعالى، سبب للحياة الكاملة التي يتعذر معها أن يرمي صاحبها بنفسه في أتون الجحيم، أو غضب وسُخط الرب العظيم، وعلى الضد من ذلك، التارك للذكر، الناسي له، فهو ميت، لا يبالي الشيطان أن يلقيه في أي مزبلة شاء.

قال تعالى: ﴿وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ الرَّحْمَٰنِ نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ﴾ [الزخرف: ٣٦]. وقال تعالى: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَىٰ﴾ [طه: ١٢٤].

قال ابن عباس رضي الله عنهما: الشيطان جاثم على قلب ابن آدم، فإذا سها وغفل وسوس، فإذا ذكر الله خنس.

وكان رجل رديف النبي ﷺ على دابة، فعثرت الدابة بهما، فقال الرجل: تعس الشيطان؛ فقال له النبي ﷺ «**لا تقل: تعس الشيطان؛ فإنه عند ذلك يتعاظم حتى يكون مثل البيت، ولكن قل: بسم الله. فإنه يصغر عند ذلك حتى يكون مثل الذباب**» رواه أحمد وأبو داود وهو صحيح.

وحكى ابن القيم رحمه الله عن بعض السلف، أنهم قالوا: إذا تمكن الذكر من القلب، فإن دنا منه الشيطان صرعه الإنسي، كما يُصْرَع الإنسان

إذا دنا منه الشيطان، فيجتمع عليه الشياطين، فيقولون: ما لهذا؟ فيقال: قد مسه الإنسي.

الإكثار من ذكر الله، براءة من النفاق، وفكاك من أسر الهوى، وجسر يصل به العبد إلى مرضاة ربه، وما أعده له من النعيم المقيم، بل هو سلاح مقدَّم، من أسلحة الحروب الحسية التي لا تثلم، فقد ثبت عن النبي ﷺ في فتح القسطنطينية: «**فإذا جاءوها نزلوا،فلم يقاتلوا بسلاح ولم يرموا بسهم، قالوا: لا إله إلا الله والله أكبر؛فيسقط أحد جانبيها، ثم يقولوا الثانية: لا إله إلا الله والله أكبر فيسقط جانبها الآخر، ثم يقولوا الثالثة: لا إله إلا الله والله أكبر فيفرَّج لهم فيدخلوها فيغنموا**.... الحديث» رواه مسلم في صحيحه.

أيها الناس:

ذكر الله تعالى أشرف ما يخطر بالبال، وأطهر ما يمر بالفم، وتنطق به الشفتان، وأسمى ما يتألق به العقل المسلم الواعي، والناس بعامة قد يقلقون في حياتهم أو يشعرون بالعجز أمام ضوائق أحاطت بهم من كل جانب، وهم أضعف من أن يرفعوها إذا نزلت، أو يدفعوها إذا أوشكت، ومع ذلك فإن ذكر الله عز وجل، يُحْيي في نفوسهم استشعار عظمة الله، وأنه على كل شيء قدير، وأن شيئًا لَن يفلت من قهره وقوته، وأنه يكشف ما بالمُعَنَّى إذا ألم به العناء، حينها يشعر الذاكر بالسعادة وبالطمأنينة يغمران قلبه وجوارحه ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ ٱللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ ﴾ [الرعد: ٢٨].

أيها المسلم الكريم:

لا تخش غمًا، ولا تشكُ همًا، ولا يُصبك قلق، ما دام قرينك هو ذكر الله. يقول جل وعلا في الحديث القدسي: « **أنا عند ظن عبدي بي، وأنا معه إذا ذكرني، فإن ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي، وإن ذكرني في**

ملأٍ ذكرته في ملأ خير منهم » رواه البخاري ومسلم.

واشتكى علي وفاطمة رضي الله عنهما إلى رسول الله ﷺ، ما تواجهه من الطحن والعمل المجهد، فسألته خادمًا، فقال رسول الله ﷺ: «**ألا أدلك على ما هو خير لك من خادم، إذا أويتما إلى فراشكما، فسبحا الله ثلاثًا وثلاثين، واحمداه ثلاثًا وثلاثين. وكبراه أربعًا وثلاثين؛فتلك مائة على اللسان وألف في الميزان**».

فقال علي رضي الله عنه: ما تركتها بعدما سمعتها من النبي ﷺ، فقال رجل: ولا ليلة صفين؟ قال: ولا ليلة صفين. رواه أحمد وليلة صفين: ليلة حرب ضروس دارت بينه وبين خصومه رضي الله عنهم أجمعين.

عباد الله:

لو كلف كل واحد منا نفسه، في أن يحرك جفنيه، ليرى يمنة ويسرة، مشاهد متكررة، من صرعى الغفلة وقلة الذكر، أفلا ينظر إلى ظلمة البيوتات الخاوية من ذكر الله تعالى، أولا ينظر إلى المرضى والمنكسرين، أوكلهم الله إلى أنفسهم لما نسوه، فلم يجبروا عظمًا كسره الله، وازدادوا مرضًا إلى مرضهم، أولا ينظر إلى المسحورين والمسحورات، وقد تسللت إليهم أيدي السحرة والمشعوذين، والدجاجلة الأفاكين، فانتشلوا منهم الهناء والصفاء، واقتلعوا أطناب الحياة الهادئة، فخر عليهم سقف السعادة من فوقهم.

أو لا يتفكر الواحد منكم في أولئك المبتلين بمس الجان ومردة الشياطين يتوجعون، ويتقلبون تقلب الأسير على الرمضاء، تتخبطهم الشياطين من المس فلا يقر لهم قرار، ولا يهدأ لهم بال، أرأيتم عباد الله، لو كلف كل واحد منكم نفسه بهذا، أفلا يسائل نفسه أين هؤلاء البؤساء من

ذكر الله عز وجل؟! أين هم جميعًا من تلك الحصون المكينة، والحروز الأمينة، التي تعتقهم من عبودية الغفلة والأمراض الفتاكة؟!! أما علم هؤلاء جميعًا، أن لدخول المنزل ذكرًا وللخروج منه؟! أما علموا أن للنوم ذكرًا وللاستيقاظ منه؟! أوما علموا أن للصباح من كل يوم ذكرًا، وللمساء منه؟! بل حتى في مواقعة الزوج أهله، بل وفي دخول الخلاء - أعزكم الله - والخروج منه؟ بل وفي كل شيء ذكر لنا منه الرسول ﷺ أمرًا، علمه من علمه وجهله من جهله.

والواقع أيها الناس، أنه إنما خذل من خذل من أمثال هؤلاء الغافلين، لأنهم على عجزهم وضعفهم، ظنوا أنفسهم شيئًا مستقلاً، لا سباق لهم في ميدان ذكر الله، بينما نجد آخرين عمالقة في قوتهم، وهم مع ذلك، يرون أنفسهم صفرًا من دون ذكر الله تعالى، فكانت النتيجة أن طرح الله البركة واليمن على من ذكروه، فنجوا وأفلحوا، ورفع رضوانه وتأييده عمن اعتز بنفسه، فتركه مكشوف السوأة عريان العورة.

وفي حضارتنا المعاصرة، كثر المثقفون، وشاعت المعارف الذكية، ومع ذلك كله، فإن اضطراب الأعصاب وانتشار الكآبة داء عام. ما الأمر وما السبب في ذلك؟ إنه خواء القلوب من ذكر الله، إنها لا تذكر الله كي تتعلق به وتركن إليه، بل كيف تذكر، من تتجاهله؟!!

إن الحضارة الحديثة، والحياة المادية الجافة، مقطوعة الصلة بالله إلا من رحم الله، والإنسان مهما قوي فهو ضعيف، ومهما علم فعلمه قاصر وحاجته إلى ربه أشد من حاجته إلى الماء والهواء، وذكر الله في النوازل عزاء للمسلم ورجاء ﴿ أَلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ ٱللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ ﴾ [الرعد: ٢٨]. ولو تنبه المسلمون لهذا، والتزموا الأوراد والأذكار، لما تجرأ بعد ذلك ساحر، ولا احتار مسحور، ولا قلت بركة، ولا تكدر صفو، ولا تنغص هناء.

عباد الله:

هناك من الناس من يذكرون الله، ولكنهم لا يفقهون معنى الذكر. فتصبح قلوبهم بعيدة عن استشعار جلال الله، وقدره حق قدره، وذكر الله عز وجل، كلام تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم، ثم تلين جلودهم وقلوبهم إلى ذكر الله، غير أن الناس مما ألفوا منه، وما جهلوا من معناه، لا يرددونه إلا كما يرددون كلامًا تقليديًا، وإلا فهل فكر أحد في كلمة «الله أكبر» التي هي رأس التكبير وعماده، وهي أول ما كلف به الرسول ﷺ حين أمر بالإنذار ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ ۝١ قُمْ فَأَنذِرْ ۝٢ وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ ﴾ [المدثر: ١ - ٣].

إنها كلمة عظيمة، تحيي موات الأرض الهامدة، لصوتها هدير كهدير البحر المتلاطم، أو هي أشد وقعًا.

إنها كلمة، ينبغي أن تدوي في أذن كل سارق وناهب؛ لترتجف يده، ويهتز كيانه. وكذا تدوي، في أذن كل من يهم بإثم أو معصية، ليقشعر ويرتدع، وينبغي أن تدوي في أذن كل ظالم معتد متكبر، ليتذكر إن كان من أهل الذكرى، أن هناك إلهًا أقوى منه، وأكبر من حيلته واستخفافه ومكره، أخذه أقوى من أخذ البشر ومكرهم وخديعتهم، فالله أكبر، الله أكبر كبيرًا.

فاتقوا الله أيها المسلمون، واذكروا الله كثيرًا لعلكم تفلحون، واتق الله أيها المسلم الغافل، فإن كنت بعد هذا، قد أحسست أنك ممن قد فقد قلبه بسبب غفلته، فلا تيأس من وجوده بذكر الله، فقد يجمع الله الشتيتين بعدما يظنان كل الظن ألا تلاقيا.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَٰلُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴾ [المنافقون: ٩].

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم...

* * *

الخطبة الثانية

الحمد لله على إحسانه، والشكر له على توفيقه وامتنانه، وأشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له تعظيمًا لشانه، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله الداعي إلى رضوانه، صلوات ربي وسلامه عليه وعلى آله وصحبه وإخوانه.

أما بعد:

فاتقوا الله معشر المسلمين، واعلموا وفقكم الله، أن لسائل أن يسأل: ما بال ذكر الله سبحانه، مع خفته على اللسان وقلة التعب منه، صار أنفع وأفضل، من جملة العبادات مع المشقات المتكررة فيها؟

فالجواب: هو أن الله سبحانه جعل لسائر العبادات مقداراً، وجعل لها أوقاتًا محدودة، ولم يجعل لذكر الله مقداراً ولا وقتًا، وأمر بالإكثار منه بغير مقدار، ولأن رؤوس الذكر هي الباقيات الصالحات؛ لما ثبت عن النبي ﷺ أنه قال: «**خذوا جنتكم**.قلنا: يا رسول الله، من عدو قد حضر؟ قال: **لا، جُنَّتكم من النار، قولوا: سبحان الله ،والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر. فإنهن يأتين يوم القيامة منُجَبَّات ومَقدِّمات وهن الباقيات الصالحات**» رواه الحاكم وصححه.

ثم ليعلم كل مسلم صادق، أن المؤثر النافع، هو الذكر باللسان على الدوام، مع حضور القلب؛ لأن اللسان ترجمان القلب، والقلب خزانة مستحفظة الخواطر والأسرار، ومن شأن الصدر، أن ينشرح بما فيه من ذكر،

ويلذَّ إلقاءه على اللسان، ولا يكتفي بمخاطبة نفسه به في خلواته حتى يفضي به بلسانه، متأولا قول الله عز وجل: ﴿ وَٱذْكُر رَّبَّكَ فِى نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ ٱلْجَهْرِ مِنَ ٱلْقَوْلِ بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْـَٔاصَالِ وَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْغَـٰفِلِينَ ﴾ [الأعراف: ٢٠٥].

فأما الذكر باللسان، والقلب لاه، فهو قليل الجدوى، قال رسول الله ﷺ: «**اعلموا أن الله لا يقبل الدعاء من قلب لاه**» رواه الحاكم والترمذي وحسنه. وكذا حضور القلب في لحظة بالذكر، والذهول عنه لحظات كثيرة، هو كذلك قليل الجدوى؛ لأن القلبَ لا يخلو من الالتفات إلى شهوات الدنيا، ومن المعلوم بداهة أن المتلفت لا يصل سريعًا؛ ولذا فإن حضور القلب على الدوام أوفي أكثر الأوقات هو المقدم على غيره من العبادات؛ بل به تشرف سائر العبادات وهو غاية ثمرة العبادات العملية.

ولذا فإن رسول الله ﷺ حذر من أن تنفض المجالس دون أن يذكر الله عز وجل فيها بقوله: «**ما من قوم يقومون من مجلس لا يذكرون الله تعالى فيه إلا قاموا عن مثل جيفة حمار وكان لهم حسرة**»رواه أبو داود والحاكم.

فهذا رسول الله ﷺ يمقت مجالس الغافلين، وينهى عن كل تجمع خلا من ذكر الله، وأن المجالس التي يُنْسَى فيها ذكر الله، وتنفض عن لغظ طويل، حول مطالب العيش، وشهوات الخلق، في تهويش وتشويش، وهمز ولمز؛ هي مجالس نتنة، لا شيء فيها يستحق الخلود، إنما يخلد ما اتصل بالآخر سبحانه وتعالى، ولذا فقد قال صلوات الله وسلامه عليه: «**من جلس في مَجلس فكثر فيه لغطه فقال قبل أن يقوم من مجلسه ذلك: سبحانك اللهم ربنا وبحمدك، أشهد أن لا إله إلا أنت، أستغفرك وأتوب إليك. إلا كفر الله له ما كان في مجلسه ذلك**» رواه الترمذي وابن ماجه.

هذا، وصلوا رحمكم الله على خير البرية وأفضل البشرية.

* * *

ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء

الخطبة الأولى

الحمد لله ، الذي أعلى كرامة بني الإنسان، وجعلهم خلفاءه في الأرض، كتب على نفسه الرحمة وأزال عن الناس بدينه الغمة، أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، أبدع الكون بقدرته، وملك الخلق بربوبيته، خلت الطرق كلها إلا طريقه، وفسدت المشارب طرًا إلا رحيقه، وأشهد أن محمدًا عبد الله ورسوله ﷺ ، وصفيه وخليله، نشر الرحمة والتراحم بين الناس، فما أمر حتى أقنع، وما بنى حتى جمع، فكان سيد الرحماء، وإمام الحكماء، تركنا على المحجة البيضاء، ليلها كنهارها لا يزيغ عنها إلا هالك، فصلوات الله وسلامه عليه، وعلى آله الأخيار البررة، وصحابته والتابعين لهم بإحسان:

أما بعد:

فيا عباد الله، قرة عين المؤمن وطمأنينة قلبه تبدو واضحة جلية في تقواه لربه؛ فإن تقوى الله هي أساس كل صلاح، وسلوان كل كفاح،

﴿ وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ اتَّقُوا اللَّهَ ﴾ [النساء: ١٣١].

أيها المسلمون:

الأخلاق المثلى عماد الأمم وقوام الشعوب، وهي باقية ما بقيت أخلاقهم، هذه حقيقة مسلمة، لا ينازع فيها إلا مريض لم ينقه، أو مغرض لا يفقه، كما أن من المسلم أيضًا، أن تدهور الأخلاق ناجم عن نوس الوازع الديني في النفوس، الوازع الديني الزاجر، والمنجي من النهابر، الوازع الديني الذي يمتلك عنان النفس، ويسيطر عليها فيكبح جماحها، ويهتن دمعها، ويغسلها بالنقاخ، الذي يبرد الفؤاد.

وإن من أعظم الأخلاق المندوبة، والسجايا المطلوبة، خلق الرحمة والتراحم بين المسلمين. ولا غرو؛ إذ هو مفتاح القبول لدى القلوب، ولا جرم، أن فقدان الرحمة بين الناس، فقدان للحياة الهانئة، وإحلال للجاهلية الجهلاء، والأثرة العمياء.

ولقد نالت الجاهلية من الرحمة أقسى منال، حتى وكأنما وأدتها في مهدها، ولقد كشف الله في كتابه عن فئام من الناس والأمم، ممن فقدوا الرحمة، وكأنما قدَّت قلوبهم من صخر صلد، تمثلت هذه الغلظة والقسوة، في أصحاب الأخدود، الذين أضرموا النيران، وخدوا الأخاديد في أفواه السكك، وجنبات الطريق، وكان ذلك حينما آمن الناس بما جاء به الغلام المؤمن، فكان من لم يرجع عن دينه يقحم في النار، فتنهش جسده نهشًا، حتى لا يرى إلا فحمة أو رمادًا، ولقد جاءت امرأة ومعها صبي لها، فتقاعست أن تقع في النار، فقال لها الغلام: « يا أماه، اصبري فإنك على الحق » القصة رواها مسلم في صحيحه.

﴿ قُتِلَ أَصْحَابُ الْأُخْدُودِ ﴿٤﴾ النَّارِ ذَاتِ الْوَقُودِ ﴿٥﴾ إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ ﴿٦﴾ وَهُمْ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ ﴿٧﴾ وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلَّا أَنْ يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ ﴾ [الفجر: ٤-٨].

لقد كشف الله في كتابه عمن فقد الرحمة وانقض عليها، فلم يرع حق أم ولا رضيع، ولم يدع صغيراً ولا كبيراً في عافية: ﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَائِفَةً مِنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ ﴾ [القصص: ٤].

﴿ وَفِرْعَوْنَ ذِي الْأَوْتَادِ ﴿١٠﴾ الَّذِينَ طَغَوْا فِي الْبِلَادِ ﴿١١﴾ فَأَكْثَرُوا فِيهَا الْفَسَادَ ﴿١٢﴾ فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ ﴿١٣﴾ إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ ﴾ [الفجر: ١٠-١٤].

قال أبو رافع: أوتد فرعون لامرأته أربعة أوتاد، ثم جعل على ظهرها رحًا عظيمة حتى ماتت. ﴿ إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا خَاطِئِينَ ﴾ [القصص: ٨]. ﴿ وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ لَا يُنْصَرُونَ ﴾.

[القصص: ٤١].

لقد كشف الله في كتابه العزيز، عن ممارسات شاذة، ممن فقدوا الرحمة أو أماتوها، وعن مكائد خبث، تقود يهود بني إسرائيل، الذين هم أكثر البشر قسوة وفظاعة، وقلوبهم كالحجارة الصماء، بل هي أشد قسوة منها ﴿ ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَٰلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً ﴾ [البقرة: ٧٤]، فكشف الله خبثهم، وبين أنهم قتلة ومردة، من قديم الزمان: ﴿ وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَادَّارَأْتُمْ فِيهَا وَاللَّهُ مُخْرِجٌ مَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ ﴾ [البقرة: ٧٢]. وبما فعله يهود؛ يحكم الله عليهم باللعنة، والحرمان من الرحمة ﴿ فَبِمَا نَقْضِهِمْ مِيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ وَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَىٰ خَائِنَةٍ مِنْهُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ ﴾ [المائدة: ١٣].

عباد الله:

إن الله جل وعلا حينما بعث رسله جعل تمكين الأخلاق الفاضلة في النفوس أصلاً من أصول رسالاتهم ، وأساسًا من أسس دعواتهم ، وخاتم الأنبياء والمرسلين ﷺ هو من قال فيه ربه: ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ [القلم: ٤]، ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ ﴾ [آل عمران: ١٥٩]، ﴿ لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ [التوبة: ١٢٨].

وقال ﷺ : «**إنما بعثت لأتمم محاسن الأخلاق**» رواه أحمد والبخاري في الأدب والحاكم وصححه .

لقد تجلت رحمة المصطفى ﷺ، في جوانب كثيرة من حياته، حتى لقد أصبحت سمة بارزة. لا يحول دونها ريبة أو قتر، في كل شأن من شئونه، فهو عطوف رحيم أرسله إلى البشرية رحمن رحيم، وأنشز لحمه وبل عروقه، إملاج حليمة السعدية له، فكان له من اسمها الحلم والسعادة. أخرج مسلم في صحيحه: أن رسول ﷺ تلا قول الله: ﴿ رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ فَمَن تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [إبراهيم: ٣٦]. وتلا قول عيسى عليه السلام: ﴿ إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ [المائدة: ١١٨]، فرفع رسول الله ﷺ يديه وقال: «**اللهم أمتي أمتي وبكى**، فقال الله عز وجل: **يا جبريل اذهب إلى محمد ـ وربك أعلم ـ فسله ما يبكيك** فأتاه جبريل عليه السلام فسأله، فأخبره ﷺ بما قال ـ وهو أعلم ـ فقال الله: **يا جبريل اذهب إلى محمد فقل: إنا سنرضيك في أمتك ولا نسوؤك** » .الله أكبر ما أعظم المصطفى ﷺ، وما أرحمه بأبي هو وأمي.

لقد تجلت رحمة المصطفى بأمته، حتى بلغت تعليم الجاهل، وتوجيه

الغافل، ومناغاة العيال والصبيان، أقسمت بنت من بناته ﷺ ليأتينها لأجل ابن لها قبض، فقام ومعه سعد بن عبادة ومعاذ بن جبل وأبي بن كعب وزيد بن ثابت ورجال، فرفع إلى رسول الله ﷺ الصبي، ونفسه تتقعقع، ففاضت عيناه فقال سعد: يا رسول الله ما هذا؟ قال: « **هذه رحمة، جعلها الله في قلوب عباده، وإنما يرحم الله من عباده الرحماء** » رواه البخاري.

إن رحمة المصطفى ﷺ لم تقف عند هذا الحد فحسب، بل لقد حوت رحمته طبقات المجتمع كلها، أرامل وأيتام، نساء ومساكين، صغاراً وكباراً، ولم يقتصر ذلك على فعله، بل عداه بقوله: « **الراحمون يرحمهم الرحمان، ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء** » رواه أبو داود والترمذي.

وقال ﷺ: «**من لا يرحم الناس لا يرحمه الله** »رواه مسلم. وقال في التحذير من الإشقاق على الناس، ونزع الرحمة عنهم، والنغرة عليهم: « **اللهم من ولي من أمر المسلمين شيئًا فشق عليهم فاشقق عليه، ومن ولي من أمر المسلمين شيئًا فرفق بهم فارفق به** »رواه مسلم.

لقد تجلت رحمة المصطفى ﷺ بالخلق، فتعدت نطاق البشرية إلى نطاق الحيوانات العجماوات، فلقد دخل ﷺ حائطاً لرجل من الأنصار فإذا فيه جمل، فلما رأي النبي ﷺ حن الجمل وذرفت عيناه؛ فأتاه رسول الله ﷺ فمسح ذفراه فسكت، فقال: « **من رب هذا الجمل؟ لمن هذا الجمل؟** » فجاءه فتى من الأنصار فقال: لي يا رسول الله فقال له: « **أفلا تتقي الله في هذه البهيمة التي ملكك الله إياها، فإنه شكى إلي أنك تجيعه وتؤذيه** » رواه أبو داود.

فيا لله العجب! حتى البهائم ألهمت أن الرسول ﷺ رحمة مهداة، وأنه نبي المرحمة. فأين أنتم عباد الله من قصة هذا الجمل، أين أنتم من إيذاء تلك البهائم، ناهيكم عن إيذاء البشر والاستخفاف بهم، أين أنت يا راعي الغنم ؟ أين أنت يا سائق الإبل؟ أين أنت يا راعي الأسرة ؟ أين أنت يا راعي المدرسة؟وأنت يا راعي الوظيفة؟ اتقوا الله جميعًا فيمن استرعاكم ولئن كان المصطفى ﷺ قد مات، فلا تصل البهيمة بالشكوى إليه، أو البشر بطلب النصرة منه، فإن ربه حي لا يموت، يراكم ويسمعكم ، ولكن يؤخركم إلى أجل لا ريب فيه ﴿ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴾ [البقرة: ٢٨١].

أيها المسلمون:

بتجلى خلق الرحمة في ذات المصطفى ﷺ عالج محو الجاهلية، وقطع ظلامها، بأنوار الرحمة والعطف، فكفكف من نزوات الجاهلية، وقسوة قلوبها، وأقام أركان المجتمع، على دعائم الرحمة والشفقة وحسن التخلق، واستنشاق النفنف من محاسن الشريعة. وإن كمال العلم في الرحمة، ولين الكلام مفتاح القلوب، يستطيع المسلم من خلاله، أن يعالج أمراض النفوس، وهو مطمئن القلب، رخي البال، وإلا انفض الناس من حوله ، فعاشوا جهالاً وماتوا جهالاً، وذلك هو الشقاء، وهو سببه وعلته.

عباد الله:

في طوايا الظلام، تدرس الأخلاق كما يدرس وشيُ الثوب، بله ما كان في الصالحين المخلصين. لقد طغى طوفان المادة الجافة، فأغرق جسوم الرحمة إلا ما انملص منه. ولقد بدت نواعير الحياة عند البعض: « إن لم تكن ذئبًا أكلتك الذئاب، وإن لم تجهل يجهل عليك، وإن لم تتغدى بزيد

تعشى بك» بل لقد صور العالم لدى البعض، أنه دنيا فسيحة، يحدها من الشرق الرغيف، ومن الغرب الدينار، ومن الشمال الجاه، ومن الجنوب الشيطان.

لقد رجعت بعض النفوس مُنداَّة الجسم بعرق القسوة والغلظة، وإذا تندت الجسوم، وجب نزع المبلول، وإلا فهي العلة ما منها بد، وهي ناغلة النفوس.

ما أشدَّه مضضًا، ما تعانيه الأمة الإسلامية اليوم، إن أمرها ليذهب فرطًا، وإن الغفلة قد بلغت من الناس مبلغ من يظن أنه حي في الحياة، فلا تجد إلا قلبًا أيَّر وصدرًا وَحَرَا، ولسانًا ولقًا ينصنص. إلا من عصم ربي وقليل ما هم.

لقد مضى عهد السلف الصالح، فسخفت الحياة من بعدهم، وصاروا ككتب قد انطوت على حقائقها، وختمت كما وضعت، لا يستطيع أحد، أن يخرج للناس من حقيقتهم نصف حقيقة، ولا شبه حقيقة، ولا تزويرًا على حقيقة، إنما هي لا غير، الحقائق كلها قد اكتنفوها. ولقد أثبتوا بتجلي الرحمة في قلوبهم، بأنه ليس في نفوسهم وطباعهم إلا الإخلاص، وإن كان حرمانًا لا المذَقَ، وإلا المروءة، وإن كانت مشقة، وإلا محبة الصادقين وإن كانت ألمًا، وإلا الجد وإن كان عناء، وإلا القناعة وإن كانت فقرًا.

إن من النجاة الفكرَ في البلاء، والتنطسَ في الأمور، وإذا نُبهت العزيمة تغلغل أثرها في البدن كله، فيكون علاجًا يحدث به النشاط، ويرهف منه الطبع، وتجم عليه النفس، وإن هذا لهو الدواء إذا استشرى الداء، وهو النصر حين تخذل القوة.

إن النفس، ينبغي أن تُعْنَتَ بعد كل كمال فيما هو أكمل منه، وبعد المهاه فيما هو الأحسن، وأن تستحثَّ من كل هجعة راحة بفجر نصب جديد.

ولو أدرك المسلم أن أول حق للمسلمين عليه، أن يحمل في نفسه معنى الناس، لا معنى نفسه، لعلم أن من فاق الناس بنفسه الكبيرة دون تميُّس، كانت عظمته في أن يفوق نفسه الكبيرة.

إن الناس أحرار، متى حكمتهم معاني الرحمة والشفقة، والتواد والتعاطف، تحت ظل الإسلام الوارف، قال ﷺ: « **مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعي له سائر الجسد بالسهر والحمى** » رواه مسلم.

وبذلك كله، يتصل ما بين العظيم والسوقة، وما بين الغني والفقير، اتصال الرحمة في كل شيء، أما ربط الرحمة والتراحم بالدينار والدرهم، في مقابل استبعاد تلك المعاني الحيوية، التي ينبغي أن تسود المجتمع، فهو المائج بالحياة بعضها في بعض، وهو الذي يقلب الموازين، ويجعل الصحيح والفاسد، في ملك الإنسان لا في عمله، وتكون المنفعة الذاتية، هي الآمر الناهي، فيرى كل إنسان كأنما دينارُه ودرهمه، أكبر قيمة من دينار الآخر ودرهمه، فإذا أعطى نقص فغش، وإذا استنضَّ، زاد فسرق، ويتعامل الناس في التعاطف والتراحم، على أساس من المعدة لا من الروح، وتكون يقظة التاجر، من غفلة الشاري.

فإذا عظَّمت الأمة الدينار والدرهم، فإنما تمزمز النفاق والطمع والقسوة، وإنما هيبة الإسلام في الرحمة بالنفس لا بالمال، وفي بذل الحياة، لا في المعك فيها، وفي أخلاق الروح لا في أخلاق اليد، وفي وضع حدود الفضائل بين الناس، لا في وضع حدود الدراهم، وفي جعل أول الثروة

الرحمة والشفقة، لا الذهب والفضة، هذا هو الإسلام الذي غلب الأمم؛ لأنه قبل ذلك غلب المطيطاء والقسوة والجشع.

والسلف الصالح، خير من ترجم معاني الرحمة إبان عيشهم، فها هو الصديق أبو الصديقة، خليفة رسول الله ﷺ، وثاني اثنين إذ هما في الغار، الذي جبل نفسه على الرحمة والتراحم، منذ نعومة أظفاره، وما سمي بالعتيق، إلا لكثرة ما يعتق من العبيد رحمة بهم، وإنقاذًا لهم من سطوة غلاظ الأكباد وشرار الخلق، كان رضي الله عنه يتعهد امرأة عمياء في المدينة، يقضي لها أشغالها سرًا، إبان خلافته للمسلمين، كما أنه كان يحلب للحي أغنامهم، فلما بويع بالخلافة، قالت جارية منهم: الآن لا يحلب لنا منائح دارنا. فسمعها فقال: بلى لأحلبنها لكم، وإني لأرجو ألا يغيرني ما دخلت فيه.

ولقد بلغت الرحمة مجلاة أوج صورها، في الخليفة الفاروق رضي الله عنه، الذي بلغ من القسوة والغلظة في جاهليته أعظمها، فلما ذاق طعم الإيمان، انقلبت نفسه رأسًا على عقب، وكأنه لم يكن قط قاسي النفس، غليظ القلب، فلما ولي الخلافة، خطب الناس مطمئنًا لهم قائلاً:

«اعلموا أن تلك الشدة قد أضعفت، ولكنها إنما تكون على أهل الظلم والتعدي على المسلمين، فأما أهل السلامة والدين والقصد فأنا ألين لهم من بعضهم لبعض، ولست أدع أحدًا يظلم أحدًا، أو يعتدي عليه، حتى أضع خده وأضع قدمي على الخد الآخر حتى يذعن للحق، وإني بعد شدتي تلك، أضع خدي على الأرض لأهل العفاف وأهل الكفاف»، فرحم الله عمر الفاروق رضي الله عنه وعن الصحابة أجمعين.

فاتقوا الله معاشر المسلمين، واعلموا أن المرء المسلم، مطالب بالرحمة

والتراحم، بما استطاع من تحلم وتصبر، وعليه أن يترفق أولاً في أهله، وثانيًا في رعيته وجيرانه، ومواطنيه وموظفيه، فلا يكون عونًا لزوجته على النشوز، ولا لأبنائه على العقوق، ولا لجيرانه على الإساءة، ولا لرعيته على التمرد، ولا للناس كافة، على هجره ومباغضته.

واعملوا بمثل قول المصطفى ﷺ: « **إن من إجلال الله تعالى، إكرام ذي الشيبة المسلم، وحامل القرآن، غير الغالي فيه والجافي عنه، وإكرام ذي السلطان المقسط** » رواه أبو داود، وحذار من الوقوع فيما حذر منه المصطفى ﷺ بقوله: « **ليس منا من لم يرحم صغيرنا ويعرف شرف كبيرنا**» رواه أبو داود.

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم ونفعني وإياكم.

* * *

الخطبة الثانية

الحمد لله على إحسانه، والشكر له على توفيقه وامتنانه، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له تعظيمًا لشأنه، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، الداعي إلى رضوانه ، فصلوات الله وسلامه عليه، وعلى آله وأتباعه وإخوانه.

أما بعد ؛ فيا أيها الناس:

لقد تجلت رحمة الله تعالى بالبشرية في شهر الله المحرم، بأن نجى الله كليمه موسى من كيد فرعون وجنوده، فنبذه الله في اليم وهو مليم، وكان ذلك في اليوم العاشر من شهر الله المحرم، وهو يوم له فضيلة عظيمة، وحرمة قديمة، شرع المصطفى ﷺ صيامه. وقد صامه موسى عليه السلام شكرًا لله عز وجل، وصامه نبينا ﷺ وأمر بصيامه.

ففي الصحيحين عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قدم النبي ﷺ المدينة، فوجد اليهود صيامًا يوم عاشوراء، فقال لهم رسول الله ﷺ : «**ما هذا اليوم الذي تصومونه؟**» قالوا: هذا يوم عظيم أنجى الله فيه موسى وقومه، وأغرق فرعون وقومه، فصامه موسى شكرًا فنحن نصومه، فقال رسول الله ﷺ : « **فنحن أحق وأولى بموسى منكم**، فصامه وأمر بصيامه » وقال عنه ﷺ : « **أحتسب على الله أن يكفر السنة التي قبله** » رواه مسلم .

وتأصيلاً لقاعدة عظيمة من قواعد الإسلام، وهي مخالفة اليهود والنصارى المشركين، وقطعًا لمادة التشبه بهم من كل طريق، عزم

المصطفى ﷺ في آخر عمره على ألا يصومه مفردًا مخالفةً لأهل الكتاب فقال : « **فإذا كان العام المقبل إن شاء الله صمنا اليوم التاسع**، فلم يأت العام المقبل حتى توفي رسول الله ﷺ » رواه مسلم .

فيستحب لكم أيها المسلمون صيام هذا اليوم ، اقتداءً بالنبي ﷺ ، وكل خير في اتباع ما جاء به ، وكل شر في ابتداع ما لم يأت به .

هذا وصلوا رحمكم الله على خير البرية وأفضل البشرية .

* * *

حاسبوا أنفسكم

الخطبة الأولى

الحمد لله، الواصل الحمد بالنعم، والنعم بالشكر، نحمده على آلائه كما نحمده على بلائه، ونستعينه على نفوسنا البطاء عما أمرت به، السراع إلى ما نهيت عنه، ونستغفره مما أحاط به علمه وأحصاه كتابه، علم غير قاصر، وكتاب غير مغادر، خلق الإنسان وبصره بما في الحياة من خير وشر ﴿إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا﴾ [الإنسان: ٣].

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، خلق كل شيء فقدره تقديرًا، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، أرسله شاهدًا ومبشرًا ونذيرًا، وداعيًا إلى الله بإذنه وسراجًا منيرًا، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وسلم تسليمًا كثيرًا.

أما بعد:

فأوصيكم أيها الناس ونفسي بتقوى الله عز وجل؛ فإن تقوى الله دار حصن عزيز، تمنع أهلها وتحرز من لجأ إليها، وبها تقطع حُمة الخطايا، فهي النجاة غدًا، والمنجاة أبدًا.

أيها الناس:

إن للأمم مع نفوسها غفوة تعقبها غفوات، وللأفراد المنفردين كما للأمم والشعوب، سواءً بسواء، وإذا كانت غفوة الفرد تعد بالساعات، فإن غفوة الأمم تعد بالسنين؛ لأن السنة في حياة الأمة تقوم مقام اليوم أو بعضه في حياة فرد من الأفراد.

وحينما تتعرض الأمم للنكبات تزلزلها وتبلبلها، يكون من المتحتم على أفرادها ومجتمعاتها، أن يعودوا إلى أنفسهم؛ ليتبينوا مواضع أقدامهم، ويبصروا مواقع خطواتهم؛ لأنهم يصبحون حينئذ، في أشد الحاجة إلى عملية تجديد، أو بناء جديد؛ حتى تعود نفوسهم لبنات صالحة، لإقامة صرح الأمة المشيد، ولذلك يقول الحق جل وعلا: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾ [الرعد: ١١]. ويقول جل شأنه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ﴾ [المائدة: ١٠٥]. ويقول المصطفى ﷺ: «**عليك بخاصة نفسك**» أخرجه الأربعة إلا النسائي وحسنه الترمذي.

عباد الله:

إن الفساد في الدنيا، إنما يكون ظاهراً جليًا، حينما لا يتوقع المجتمع حسابًا؛ لا يتوقع حسابًا من رب قاهر، أو من ولي حاكم، أو من مجتمع محكوم، أو من نفس لوَّامة. وحينما لا يتوقع المجتمع حسابًا على تصرفاتهم، فإنهم ينطلقون في حركاتهم كما يحبون، ويموجون كما يشتهون، وكما تهوى أنفسهم، فيتقلبون على الحياة ودروبها، بلازمام ولا خطام، فيتشبهون بأهل النار من حيث يشعرون أو لا يشعرون ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا۟ لَا يَرْجُونَ حِسَابًا ﴿٢٧﴾ وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا كِذَّابًا﴾ [النبأ: ٢٧، ٢٨]. فهؤلاء لم يكونوا مؤمنين بالمحاسب، ولا مؤمنين بالمحاسَب.

لو أن الأمم والمجتمعات، يخبطون في الدنيا خبط عشواء، ويتصرفون على

ما يحلو لهم دون معقب أو حسيب، لجاز ـ على تفريط وحمق ـ أن يبعثروا حياتهم، كما يبعثر السفيه ماله، فكيف والله حفظة يدونون مثقال الذرة؟ ﴿ وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ فَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَٰوَيْلَتَنَا مَالِ هَٰذَا ٱلْكِتَٰبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحْصَىٰهَا ﴾ [الكهف: ٤٩]. والذي ينبغي على الناس بعامة، أن يكونوا على وعي وبصيرة، بمقدار ما يفعلون من خطأ وصواب.

والحق أن هذا الانطلاق، في مهامه الحياة، أفرادًا وجماعات، دون اكتراث بما كان وما يكون، أو الاكتفاء بنظرة خاطفة لبعض الأعمال البارزة أو الأعراض المخوِّفة؛ الحق أن ذلك نذير شؤم والعياذ بالله، وقد عده الله في كتابه الكريم من الأوصاف التي يعرف بها المنافقون الذين لا كياسة لديهم، ولا يقين لهم ﴿ أَوَلَا يَرَوْنَ أَنَّهُمْ يُفْتَنُونَ فِى كُلِّ عَامٍ مَّرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ ثُمَّ لَا يَتُوبُونَ وَلَا هُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴾ [التوبة: ١٢٦].

إن العقول السوية، والفطر السليمة، لن تخرج عن إطارها، إذا اعتبرت النفس الصالحة، هي البرنامج الوحيد لكل إصلاح، وأن ترويضها للاستقامة، وتذليلها للطاعة، هو الضمان الحي، لكل حضارة ورفعة، وإن النفس إذا اختلت وزلت، أثارت الفوضى في أحكم النظم، والبلبلة في كنف الهدوء، واستطاعت النفاذ من ذلك إلى أغراضها الدنيئة، ومطامعها المريبة والنفس الكريمة، تُرقع الفتوق في الأحوال المختلفة، ويشرق نُبْلها من داخلها، فتحسن التصرف والمسير وسط الأنواء والأعاصير.

إن القاضي المسلم النزيه، يكمل بعدله وتقواه نقص المتداعين الغششة. والقاضي الجائر، يستطيع الميل بالنصوص المستقيمة، وليِّ أعناقها لتحقيق رغباته، وإشباع شهواته، وقائد القاضين كليهما، هي النفس ﴿ وَنَفْسٍ

﴿وَمَا سَوَّىٰهَا ۝٧ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا ۝٨ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ۝٩ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا﴾ [الشمس: ٧ - ١٠].

أيها الناس:

إن أعجب الأشياء مجاهدة النفس ومحاسبتها؛ لأنها تحتاج إلى صناعة عجيبة، وقدرة رهيبة، فإن أقوامًا أطلقوها فيما تحب؛ فأوقعتهم فيما كرهوا وإن آخرين بالغوا في خلافها حتى ظلموها ومنعوها حقها، وأثر ظلمهم لها في تصرفاتهم وتعبداتهم. ومن الناس من أفرد نفسه في خلوة وعزلة، أثمرت الوحشة من الناس، وآلت إلى ترك فرائض أو فضل من عيادة مريض أو بر والدة، وإنما الحازمُ المُحْكم، من تعلم منه نفسه الجد وحفظ الأصول، فالمحقق المنصف، هو من يعطيها حقها ويستوفي منها ما عليها. وإن في الحركة بركة، ومحاسبة النفس حياة، والغفوة عنها لون من ألوان القتل صبراً.

عباد الله:

لقد قال الله جل وعلا: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ ۖ وَاتَّقُوا اللَّهَ ۚ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ [الحشر: ١٨].

إن العبد المسلم، لن يبلغ درجة التقوى حتى يحاسب نفسه على ما قدمت يداه، وعلى ما يعقد عليه العزم من شؤونه في جميع الأمور، فينيب إلى الله مما اجترح من السيئات؛ ملتمسًا عفو الله ورضاه، طامعًا في واسع رحمته وعظيم فضله.

ومحاسبة النفس المؤمنة، سمة للمؤمن الصالح« **الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت، والعاجز من أتبع نفسه هواها وتمنى على الله الأماني** ».

والذنوب واردة على كل مسلم، ولكن لا بد لها من توبة، ولا توبة

دون محاسبة، قال رسول الله ﷺ: « **كل ابن آدم خطاء وخير الخطائين التوابون**» رواه الترمذي. يتوب العبد بعد أن يحاسب نفسه، ويحاسب نفسه لينجو من حساب الآخرة، فإن الشهود كثير، ولا يملك العبد في الاحتيال من فتيل ولا نقير ولا قطمير ﴿ وَقَالُوا لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدتُّمْ عَلَيْنَا قَالُوا أَنطَقَنَا اللَّهُ الَّذِي أَنطَقَ كُلَّ شَيْءٍ ﴾ [فصلت: ٢١].

﴿ يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا ﴾ [الزلزلة: ٤]. قال الصحابة رضي الله عنهم: يا رسول الله، وما أخبارها؟ قال: «**أن تشهد على كل عبد أو أمة بما عمل على ظهرها، تقول: عملت كذا وكذا، في يوم كذا وكذا**» رواه أحمد وغيره. فنضَّر الله الخليفة الراشد ورضي عنه ذا الكلمة الراشدة، الراسمة طريق النجاح «حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا، وزنوها قبل أن توزنوا، وتأهبوا للعرض الأكبر على الله ﴿ يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَىٰ مِنكُمْ خَافِيَةٌ ﴾ [الحاقة: ١٨]».

إن ارتفاع النفس ونضوجها، لا يتكون فجأة، ولا يولد قويًا ناضجًا دون ما سبب، بل يتكون على مكث، وَيَنْضُجُ على مراحل، وإن ترويض النفس على الكمال والخير، وفطامها عن الضلال والشر، يحتاج إلى طول رقابة، وكرات حساب، وإن عمارة دار جديدة على أنقاض دار خربة لا يتم طفرة، بارتجال واستعجال، فكيف ببناء النفس وإنشائها المنشأ السوي.

وإذا كانت النفس الرديئة دائمة الإلحاح على صاحبها، تحاول العوج بسلوكه بين الحين والحين، فلن يكفكف شرها علاج مؤقت، وإنما تحتاج إلى عامل لا يقل قوة عنها، يعيد التوازن على عجل إذا اختل، ألا وهو عامل المحاسبة.

إنه لا أشد حمقًا، ولا أغرق غفلة، ممن يعلم أنه يحصى عليه مثاقيل الذر، وسيواجه بما عمله من خير أو شر، ويظل في سباته العميق لاهيًا،

غير مستعتب لنفسه ولا محاسب لها، يمسي على تقصير ويصبح على تقصير، سوء يتلوه سوء، كذب وزور، غيبة ونميمة، حسد وتشفي، دجل وفجور، فجور في السلوك، وفجور في التطاول بالسوء، على من سوى نفسه وأهله.

قال أحد السلف رحمه الله: «من حاسب نفسه قبل أن يحاسب، خف في القيامة حسابه، وحضر عند السؤال جوابه، وحسن منقلبه ومآبه ومن لم يحاسب نفسه، دامت خسارته، وطالت في عرصات القيامة وقفاته، وقادته إلى الخزي والمقت سيئاته».

أيها المسلم رعاك الله: إن قهرتْك النفسُ بغلبتها، فَصُلْ عليها بسوط العزيمة، فإنها إن عرفت جدك أستأسرت لك، الدنيا والشيطان خارجان عنك، والنفس عدو مباطن لك، ومن أدب الجهاد ﴿قَٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ يَلُونَكُم﴾ [التوبة: ١٢٣]. إن مالت إلى الشهوات فألجمها بلجام التقوى، فإن رفعت نفسها بعين العُجب، فذكرها خساسة أصلها، فإنك والله ما لم تجد مرارة الدواء في حلقك، لم تقدر على ذرة من العافية في بدنك، النفس مثل كلب السوء، متى شبع نام، وإن جاع بصبص إليك بذنبه. والمعلوم المشاهد، أنه متى قوي عزم المجاهدة للنفس لانت له بلا حرب، ولما قويت مجاهدة النبي ﷺ تعدت إلى كل من تعدَّى، فأسلم قرينه صلوات الله وسلامه عليه، والفاروق رضي الله عنه يشيد به المصطفى ﷺ «**إيه يا ابن الخطاب، والله ما رآك الشيطان في فج، إلا سلك فجًا غير فجك**» متفق عليه.

فيا أيها المسلم: بدل اهتمامك لك، باهتمامك بك، واسرق منك لك، فالعمر قليل، تظلم إلى ربك منك، واستنصر خالقك عليك، يأمرك بالجد، وأنت على الضد أبدًا تفر من الزحف، وما ارتقيت درج مجاهدة النفس ومحاسبتها، أتروم حينها الحصاد وأنت لم تبذر بعد. فإن

النفس لن تُرْضَى إذا لم ترض؛ لأنها سبع عقور، وإنما يراد الصيد لا العضوض.

﴿ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ ﴿٤٠﴾ فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَىٰ ﴾

[النازعات: ٤٠، ٤١].

إن النفس إذا كانت تهوى وتشتهي، والمرء ينهاها ويزجرها، كان نهيه إياها عبادة لله تعالى يثاب عليها. قال ﷺ: «**المجاهد من جاهد نفسه**» الترمذي وقال: حسن صحيح. والمرء إلى جهاد نفسه، أحوج منه إلى جهاد الكفار، فإن هذا فرض كفاية، وجهاد النفس فرض عين، ومن جاهد النفس، لا يكون محموداً فيه إلا إذا غَلَب، بخلاف جهاد الكفار فإنه كما قال تعالى: ﴿ وَمَن يُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيُقْتَلْ أَوْ يَغْلِبْ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾

[النساء: ٧٤].

وأما المجاهد نفسه، فإذا غلب كان مذمومًا ملومًا، ولهذا قال المصطفى ﷺ: «**ليس الشديد بالصرعة إنما الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب**» رواه البخاري ومسلم.

فما أحرانا معاشر المسلمين، بالمحاسبة مع أنفسنا، ما أحرى وأحق أن يقف المسلم مع نفسه بذلك، مذكراً لها عما أسلفته بحق وصدق، معاتباً لها: ويحك أيتها النفس، ما دورك وما أشد غفلتك ووسنتك، ما موقفك من فرائض الإسلام وشعائر الدين وقضاياه، وما يتطلبه من جد وتضحيات؟!!

قال مالك بن دينار: رحم الله عبداً قال لنفسه: ألست صاحبة كذا، ألست صاحبة كذا؟ ثم ذمها، ثم خطمها، ثم ألزمها كتاب الله تعالى فكان

له قائداً.

فاتقوا الله عباد الله ، واعلموا أن محاسبة النفس ميدان جهاد لا يحتاج إلى جيوش ولا مجنزرات، ولكنه يحتاج إلى جيش الهمة والعزيمة، ولابد لنا معشر المسلمين من معركة مع أنفسنا؛ لنصلح بعد ذلك، للمعركة مع أعدائنا ولنتذكر قول ربنا: ﴿ يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِن سُوٓءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُۥٓ أَمَدًۢا بَعِيدًا ۗ وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ ۗ وَٱللَّهُ رَءُوفٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴾ [آل عمران: ٣٠].

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم. . . .

* * *

الخطبة الثانية

الحمد لله حمدًا كثيرًا طيبًا مباركًا فيه، كما يحب ربنا ويرضى، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، صلوات ربي وسلامه عليه وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد:

فاتقوا الله أيها المسلمون، واعلموا أن النفوس ثلاث: نفس أمَّارة بالسوء، ونفس لوَّامة، ونفس مطمئنة. ولا شك أن أشر هذه النفوس، هي الأمارة بالسوء، الداعية إلى الضلال، المحرضة صاحبها على الانحراف، والاعتساف. والإنسان الغافل الضال، حينما تدركه رحمة خالقه، ينازع نفسه بعد طول شقاء، ويقاومها لينقلها من منبت السوء إلى منبت الخير، ويوقظ فيها صوت الضمير، فإذا هي نفس لوامة، تتفكر وتتدبر، وتعتبر فتنزجر، ثم تبلغ القمة والعلو، فإذا هي نفس مطمئنة، لا تزلزلها الأهوال، ولا الشدائد الثقال، فليت كل واحد منا يسائل ذاته: أين نفسي بين تلك النفوس الثلاث؟ وفي أي طريق تسير؟ أفي المقدَّمِ أم في المؤخَّر؟ أفي العلو أم في السفل؟ هل ساءلت نفسك أيها المرء فحاسبتها قبل أن تحاسب، هَلْ تَفَكَّرت فيها تَفَكُّر مُحَقق، هل نظرت إلى خطايا لو عوقبت ببعضها لهلكت سريعًا، ولو كُشف للناس بعضها لاستحييت من قبحها وشناعتها، أف ثم أف لنفس مريضة، إن نوظرت شمخت، وإن نوصحت

تعجرفت، وإن لاحت الدنيا طارت إليها طيران الرخم، وسقطت عليها سقوط الغراب على الجيف.

أين أنت أيها المسلم من ذلك المثل الرائع، الذي ضربه لمحاسبة النفس أبو الدرداء رضي الله عنه حيث جلس يبكي، وقد رأى دولة الأكاسرة تهوى على أقدام المسلمين، وأجاب من قال له: يا أبا الدرداء تبكي في يوم أعز الله فيه الإسلام وأهله فقال أبو الدرداء: «ويحك يا هذا، ما أهون الخلق على الله إذا أضاعوا أمره، بينما هي أمة قاهرة ظاهرة؛ تركوا أمر الله فصاروا إلى ما ترى».

وقد حُمِّل ابن سيرين رحمه الله دينًا، فسئل فقال: إني لأعرف الذنب، الذي حمل به علي الدين ما هو؛ قلت لرجل منذ أربعين سنة: يا مفلس!!.

الله أكبر أيها المسلمون. قلت ذنوبهم فعرفوا من أين يؤتون، وكثرت ذنوبنا فليس ندري من أين نؤتى. والجزاء من جنس العمل.

اللهم اعصمنا من شر الفتن، وعافنا من جميع البلايا والمحن، وأصلح منا ما ظهر وما بطن، ونق قلوبنا من الغل والحقد والحسد، ولا تجعل علينا تبعة لأحد من خلقك يا أرحم الراحمين.

هذا وصلوا رحمكم الله على خير البرية وأفضل البشرية.

* * *

هادم البيوت (الطلاق)

الخطبة الأولى

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونتوب إليه ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾ [آل عمران: ١٠٢]. ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾ [النساء: ١]. ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوْلًا سَدِيدًا ۝٧٠ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴾

[الأحزاب: ٧٠، ٧١].

أما بعد:

فيا أيها الذين آمنوا اتقوا الله، اتقوه حق التقوى، واستمسكوا من الإسلام بالعروة الوثقى واحذروا المعاصي، فإن أقدامكم على النار لا تقوى، واعلموا أن ملك الموت قد تخطاكم إلى غيركم وسيتخطى غيركم

إليكم فخذوا حذركم الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت، والعاجز من أتبع نفسه هواها، وتمنى على الله الأماني.

عباد الله:

يحكي واقع كثير من الناس اليوم، صوراً شتى من اللامبالاة، بقيم الألفاظ ودلالات الكلام وثمراته، ترى الكلمة تخرج من فم المرء، لا يلقي لها بالاً، ربما أهوت به في مسالك الضياع والرذيلة، استحقر بعضهم حجم الكلمات، واستنكف عن معانيها، وما علم أولئك، أن النار بالعيدان تذكى، وأن الحرب مبدأها كلام.

أيها الناس:

أيستغرب أحدكم لو قيل له: إن كلمة من الكلمات تكون معولاً صلبًا، يُهدَم به صرحُ أسَرَ وبيوتات؟ أيستغرب أحدكم لو قيل له: إن كلمة من الكلمات تنقل صاحبها من سعادة وهناء، إلى محنة وشقاء؟ أيستغرب أحدكم لو قيل له: إن كلمة من الكلمات تحرك أفرادًا وجماعات، وتنشئ تزلفًا وشفاعات، لرأب ما صدَّعت وجمع ما فرقت؟ أتدرون أي كلمة هذه؟

إنها كلمة أبكت عيونًا، وأجهشت قلوبًا، وروعت أفئدة، إنها كلمة صغيرة الحجم، لكنها جليلة الخطب، إنها كلمة ترعد الفرائص بوقعها، وتقلب الفرح ترحًا والبسمة غصة، إنها كلمة الطلاق، إنها كلمة الطلاق، وما أدراك ما الطلاق! كلمة الوداع والفراق، والنزاع والشقاق، فلله كم هدمت من بيوت للمسلمين، وكم قطعت من أواصر للأرحام والمحبين، يا لها من ساعة رهيبة، ولحظة أسيفة، يوم تسمع المرأة طلاقها، فتكفكف دموعها، وتودع زوجها، يا لها من لحظة تجف فيها المآقي، حين تقف

المرأة على باب دارها، لتلقي النظرات الأخيرة، نظرات الوداع على عش الزوجية، المليء بالأيام والذكريات، يا لها من لحظة عصيبة، حين تقتلع السعادة أطنابها، من رحاب ذلك البيت المسلم المبارك.

عباد الله:

العشرة الزوجية ضرب خاص من المحبة في النفس، ليس له في أنواعه ضريب، فهو الذي يسكن به الزوجان، وهو الذي يلتقي به بشران، فيكون كل منهما متممًا لوجود الآخر، ينتجان بالتقائهما بشرًا مثلهما ﴿ وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا وَجَعَلَ لَكُم مِّنْ أَزْوَٰجِكُم بَنِينَ وَحَفَدَةً ﴾ [النحل: ٧٢].

إن اختلال العشرة بين الزوجين، يذكي نار الفرقة، وكثرة الخصام تضرم أوارها، ولو أحب الأزواج أنفسهم حبًا صادقًا، وسكن بعضهم إلى بعض، لوادَّ كل منهما الآخر، ووادَّ لأجله أهله وعشيرته؛ لأن المودة بين الزوجين سبب من أسباب سعادة العشيرة، وسعادة العشيرة سعادة للأمة المؤلفة من العشائر، المؤلفة من الأزواج، فهذا التآلف والتأليف، هو الذي يتكون منه مزاج الأمة، فما يكون عليه من اعتدال وكمال، يكون كمالاً في بنية الأمة واعتدالاً، وقرة عين لمجموعها، وما يطرأ عليه من فساد واعتلال، يكون مرضًا للأمة، يوردها موارد الهلكة، فمن لا خير فيه لأهله لا خير فيه لأمته، قال رسول الله ﷺ: « **خيركم خيركم لأهله، وأنا خيركم لأهلي**»أخرجه الترمذي بإسناد صحيح.

عباد الله:

لقد قال المصطفى ﷺ في الحديث المشهور: « **فاظفر بذات الدين تربت يداك**» متفق عليه.

هذه هي الزوجة التي يحث الشارع على تحصيلها والرضا بها، ويدعو

على من أراد غيرها، وزهد فيها ورغب عنها، ومن المعلوم بداهة؛ أنه لا يرغب الظفر بذات الدين، إلا من كان قلبه معلقًا بالدين، وكانت نفسه من النفوس الزكية، ومن هذه حاله، فلا غرو أن يرزق المودة بينه وبين زوجه؛ لأنها من ثمرات المشاكلة في السجايا والصفات الفاضلة، وعلى العكس من ذلك، المشاكلة في الصفات الرديئة، والسجايا الدنيئة، فهي لا تثمر محبة، ولا تورث تودداً.

قال رسول الله ﷺ : « **خير متاع الدنيا المرأة الصالحة** »رواه مسلم.

إنه متى كان الدين بين كل زوج وزوجته، فمهما اختلفا وتدابرا، وتعقدت نفساهما، فإن كل عقدة من العقد لا تجيء إلا ومعها طريقة حلها ولن يشاد الدين أحد إلا غلبه، وهو اليسر والمساهلة، والرحمة والمغفرة، وهو العهد والوفاء، وهو اتساع الذات، وارتفاعها فوق ما تكون به منحطة أو وضيعة.

ومن كانت هذه حاله، فلن يستنكف أن يكون ممتثلاً لما خوطب به من قول المصطفى ﷺ : « **لو كنت آمراً أحداً أن يسجد لأحد لأمرت الزوجة أن تسجد لزوجها** » أخرجه الترمذي وهو صحيح. وقوله ﷺ : « **استوصوا بالنساء خيراً**» متفق عليه.

وثمرة الدين في المرأة يظهر في مثل قول عائشة رضي الله عنها « يا معشر النساء لو تعلمن بحق أزواجكن عليكن، لجعلت المرأة منكن تمسح الغبار عن قدمي زوجها بحر وجهها».

فما أجهل الرجل يسيء معاشرة امرأته، وما أحمق المرأة تسيء معاملة بعلها.

أيها الناس:

الطلاق!! كلمة، لا ينازع أحد في جدواها، وحاجة الزوجين إليها، حينما يتعذر العيش تحت ظل واحد، وإذا بلغ النفور بينهما مبلغًا، يصعب معه التودد، فالواجب أن يتفرقا بالمعروف والإحسان، كما اجتمعا بهذا القصد ﴿ وَإِن يَتَفَرَّقَا يُغْنِ ٱللَّهُ كُلًّا مِّن سَعَتِهِۦ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ وَٰسِعًا حَكِيمًا ﴾ [النساء: ١٣٠].

إن الله عز وجل لم يخلق الزوجين بطباع واحدة، والزوجان اللذان يظنان، أنهما مخلوق واحد، يعيشان في أوهام؛ إذ كيف يريد منها زوجها أن تفكر برأسه، وكيف تريد هي منه، أن يحس بقلبها ﴿ وَلَهُنَّ مِثْلُ ٱلَّذِى عَلَيْهِنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ۚ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ ﴾ [البقرة: ٢٢٨].

إن النسيم لا يهب عليلاً داخل البيت على الدوام، فقد يتعكر الجو، وقد تثور الزوابع، وإن ارتقاب الراحة الكاملة نوع وَهْم، ومن العقل توطين النفس على قبول بعض المضايقات، وترك التعليق المرير عليها. ﴿ فَإِن كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَيَجْعَلَ ٱللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا ﴾ [النساء: ١٩]. وقال رسول الله ﷺ: « **لا يفرك مؤمن مؤمنة إن كره منها خلقًا رضي منها آخر**» رواه مسلم.

ومن يتتبع جاهدًا كل عثرة يجدها ولا يسلم له الدهر صاحب

بيد أن بيوتات كثيرة فقدت روح التدين، فهي تتنفس في جو من الشراسة والنكد، واكتنفتها أزمات عقلية وخلقية واجتماعية، فقد تطلق المرأة اليوم، في رطل لحم، علق الرجل به طلاقها إن قامت بشرائه، فيخبط هؤلاء خبط العشراء، ويتصرفون تصرف الحمقى؛ فيقعون في الإثم والحيف.

عباد الله:

لقد كثر الطلاق اليوم، لما فُقِدَتْ قوامة الرجل في بعض المجتمعات، إبان غفلة وتقهقر عن مصدر التلقي من كتاب وسنة، وركن فئام من الناس إلى مصادر مريضة، قلبت مفاهيم العشرة، وأفسدت الحياة الزوجية، من حيث يشعرون أو لا يشعرون، وتولى كبر تلك المفاهيم الإعلام بشتى صوره، من خلال مشاهدات متكررة يُقَعَّد فيها مفاهيم خاطئة، ومبادئ مقلوبة في العشرة الزوجية، حتى وضع بعض الزوجات تاريخهن.

ولرب منظر يشهده ألف امرأة بمرة واحدة، فإذا استقر في وعيهن، وطافت به الخواطر والأفكار، سلبهن القرار والوقار، فمثلنَّه ألف مرة، بألف طريقة، في ألف حادثة، فلا تعجبوا حينئذ إذا استأسد الحمل، واستنوق الجمل، والعجب كل العجب، أنه في ثنايا المناقشة يقرر الإعلاميون أن دور الإعلام مع المرأة، إنما هو كالتلقيح بمصل بعض الأدواء المعدية، والتسليم بميكروبها، بزعم أنها تكسب صاحبها مناعة، تقيه من أن يُعدي بوبائها.

وحقيقة الأمر أنهم بالذي وضعوا زادت العقد، وإن ما يذكره الإعلاميون، هو التعرض لعدوى الوباء في عنفوان شدته. وصدق من قال.

وكانت دوائي وهي دائي بعينه كما يتداوى شارب الخمر بالخمر

والواقع أيها المسلمون: أن داخل البيت المسلم يتأثر بخارجه، وتيارات الميوعة والجهالة إذا عصفت في الخارج، تسللت إلى الداخل، فلم ينج من بلائها إلا من عصم الله.

الحياة الزوجية، حياة اجتماعية، ولابد لكل اجتماع من رئيس يُرجع إليه عند الاختلاف في الرأي والرغبة. والرجل أحق بالرياسة؛ لأنه أعلم بالمصلحة، وأقدر على التنفيذ، بما أودع الله فيه من ذلك، وإن ما تتلقنه المرأة من الأجواء المحيطة بها، على منازعة الرجل قوامته، لمن الانحراف

الصرف، والضلال المبين.

وإن قوامة الرجل في بيته لا تعني منحه حق الاستبداد والقهر، فعقد الزوجية، ليس عقد استرقاق، ولا عقد ارتفاق لجسد المرأة، إنه أزكى من ذلك وأجل.

وكل من الزوجين بشر تام، له عقل يتفكر به، وقلب يحب به ويكره، فوجب الحق للمرأة حتى مع قوامة الرجل ﴿ وَلَهُنَّ مِثْلُ ٱلَّذِى عَلَيْهِنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ﴾ [البقرة: ٢٢٨]. كما أن قوامة الرجل، لا تعني استغناءه عن زوجه، فالله عز وجل يقول: ﴿هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ﴾ [البقرة: ١٨٧].

عباد الله:

لقد كثر الطلاق اليوم، لما صار المطلّق أحد رجلين: إما رجل أعمل سلطته وأهمل عاطفته؛ فكان في بيته سيدًا، ولكنه لم يذق طعم المحبة والسعادة، ولا عرف الصفاء والهناء. وإما رجل تبع عاطفته فأطاعها، وأهمل سلطته فأضاعها، فعاش في داره عبدًا رقيقًا.

لقد كثر الطلاق اليوم لما كثر الحسدة والواشون، فنكَّسُوا الطباع، وعكسوا الأوضاع، وصيروا أسباب المودة والالتئام، عللاً للتباغض والانقسام. ولربما كان لأهل الزوجين مواقف ظاهرة، بدت سببًا مباشرًا في كثير من الخلافات، فقد يتدخل الأب، وقد تتدخل الأم أو الأخ، أو الأخت، فيحار الزوج من يقدم؛ والديه، اللذين عرفاه وليدًا، وربياه صغيرًا، أم زوجه التي هجرت أهلها، وفارقت عشها من أجله، إن هذه لمرتقات صعبة، أهونها أصعب الصعاب، وأحلاها، أمر من المر.

إن مثل هذه التدخلات في الحياة الزوجية، لهي مكمن الخطر لدى كثير من الأسر، فما بال أولئك يهجمون على البيوت فيأتونها من ظهورها، ويمزقون ستارها، ويهتكون حجابها، وينتزعون الخرائد من أكنافها،

والفرائد من أصدافها، ويوقعون العداوة والبغضاء بين الأزواج، ماذا يكون أثر هؤلاء في البيوت التي تتكون منها الأمة، وفي الأمة المكونة من البيوتات !!! إنه لا يغيب عن فهم عاقل، أن شرهم مستطير، وأن ما يفعلونه، فتنة في الأرض وفساد كبير.

عباد الله:

إن العلاقات الزوجية، عميقة الجذور، بعيدة الآماد، فرحم الله رجلاً محمود السيرة، طيب السريرة، سهلاً رفيقًا، لينًا رؤوفًا، رحيمًا بأهله، لا يكلف زوجته من الأمر شططًا، وبارك الله في امرأة لا تطلب من زوجها غلطًا، ولا تحدث عنده لغطًا، قال رسول الله ﷺ: «**إن شر الناس عند الله منزلة يوم القيامة الرجل يفضي إلى امرأته وتفضي إليه ثم ينشرها**» رواه أبو داود.

وقال ﷺ: «**إذا صلت المرأة خمسها، وحصنت فرجها، وأطاعت بعلها، دخلت من أي أبواب الجنة شاءت**» رواه ابن حبان.

وبهذا كله، يفهم الرجل أن أفضل ما يستصحبه في حياته، ويستعين على واجباته، الزوجة اللطيفة العشرة، القويمة الخلق، وهي التي تسره إذا نظر، وتطيعه إذا أمر، ولا تخالفه في نفسها ولا مالها بما يكره، إن هذه الزوجة، هي دعامة البيت السعيد، وركنه العتيد.

﴿فَٱلصَّٰلِحَٰتُ قَٰنِتَٰتٌ حَٰفِظَٰتٌ لِّلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ ٱللَّهُ﴾ [النساء: ٣٤].

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم.

* * *

الخطبة الثانية

الحمد لله حمدًا كثيرًا طيبًا مباركًا فيه كما يحب ربنا ويرضى، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، وصفيه وخليله صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وصحبه و من تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد:

فيا أيها الناس: إن أحدنا لتمر عليه فترات، لا يرضى فيها عن نفسه، ولكنه يتحملها ويتعلل بما يحضره من المعاذير، وإذا كان الأمر كذلك، فليكن هذا هو الشأن بين الزوجين، يلتمس كل منهما لقرينه المعاذير، فإن المؤمن يطلب المعاذير، والمنافق يطلب الزلات؛ ولابد من غض الطرف عن الهفوات والزلات، حتى تستقيم العشرة.

فمن ذا الذي ما ساء قط ومن له الحسنى فقط

ولا شيء يخفف أثقال الحياة، وأوزار المتاعب، عن كاهل الزوجين، كمثل أحدهما للآخر، ولا شيء يعزي الإنسان عن مصابه في نفسه وغيره مثل المرأة للرجل، والرجل للمرأة؛ فيشعر المصاب منهما بأن له نفسًا أخرى، تمده بالقوة، وتشاطره مصيبته.

فهذه أم المؤمنين خديجة رضي الله عنها زوج النبي ﷺ، كانت له في المحنة قلبًا مع قلبه العظيم، وكانت لنفسه ﷺ كقول: (نعم)، فكأنها لم تنطق قط (لا)، إلا في الشهادتين، وما زالت رضي الله عنها، تعطيه من معاني التأييد والتهوين، كأنما تلد له المسرات من عواطفها، كما تلد الذرية

من أحشائها؛ بمالها تواسيه، وبكلامها تسليه «كلا والله لا يخزيك الله أبدًا، إنك تصل الرحم، وتصدق الحديث، وتحمل الكل، وتقري الضيف، وتكسب المعدوم، وتعين على نوائب الحق».

وحدث أنس بن مالك رضي الله عنه، عن أمه أم سليم، بنت ملحان الأنصارية رضي الله عنهما قال: «مرض أخ لي من أبي طلحة، يدعى أبا عمير، فبينما أبو طلحة في المسجد، مات الصبي، فهيأت أم سليم أمره، وقالت: لا تخبروا أبا طلحة بموت ابنه، فرجع من المسجد، وقد تطيبت له وتصنعت، فقال: ما فعل ابني؟ قالت: هو أسكن مما كان، وقدمت له عشاءه، فتعشى هو وأصحابه، ثم أتما ليلتهما على أتم وأوفق ما يكون، فلما كان آخر الليل قالت: يا أبا طلحة، ألم تر إلى آل فلان، استعاروا عارية فتمتعوا بها، فلما طلبت إليهم شق عليهم، قال أبو طلحة: ما أنصفوا. قالت: فإن ابنك فلانًا، كان عارية من الله فقبضه إليه، فاسترجع وحمد الله وقال: والله لا أدعك تغلبيني على الصبر. حتى إذا أصبح، غدا على رسول الله ﷺ فلما رآه قال: **بارك الله لكما في ليلتكما**» متفق عليه.

الله أكبر، بمثل هذا فلتكن العشرة أيها الأزواج، بمثل هذا فلتكن الحياة الهانئة السعيدة، في النفس والولد والمال.

ثم اعلموا رحمكم الله أن لكلا الزوجين حقًا على الآخر؛ فحق على الزوج أن ينفق عليها، ولا يكلفها من الأمر مالا تطيق، وأن يسكنها في بيت يصلح لمثلها، وأن يعلمها، ويؤدبها، ويغار عليها، ويصونها، وألا يتخونها، ولا يلتمس عثراتها، وأن يعاشرها بالمعروف، قال رسول الله ﷺ: «**استوصوا بالنساء خيرًا**» متفق عليه.

وسئل ﷺ: ما حق امرأة أحدنا عليه؟ قال: «**تطعمها إذا طعمت،**

وتكسوها إذا اكتسيت، ولا تضرب الوجه ولا تقبح، ولا تهجر إلا في البيت » أبو داود .

ومن حق الزوج على زوجته، أن تطيعه في المعروف، وأن تتابعه في مسكنه، وألا تصوم تطوعًا إلا بإذنه، وألا تأذن لأحد في بيته **إلا بإذنه**، وألا تخرج بغير إذنه، وأن تشكر له نعمته عليها ولا تكفرها، وأن تدبر منزله وتهيأ أسباب المعيشة به، وأن تحفظه في دينه وعرضه. قال رسول الله ﷺ : « **أيما امرأة ماتت وزوجها عنها راض دخلت الجنة**» رواه الترمذي والحاكم .

هذا ، وصلوا رحمكم اللهّ على خير البرية وأفضل البشرية .

* * *

لم يبق في القوس منزع
(عن المشردين المستضعفين في البوسنة والهرسك)

الخطبة الأولى

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره ونتوب إليه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾ [آل عمران: ١٠٢].

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾ [النساء: ١].

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوْلًا سَدِيدًا ۝٧٠ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴾ [الأحزاب: ٧٠، ٧١].

أما بعد:

فأوصيكم أيها الناس ونفسي بتقوى الله عز وجل، اتقوه في السر

والعلن؛ فإن تقوى الله سبحانه، هي وصية الله للأولين والآخرين ﴿وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ اتَّقُوا اللَّهَ﴾ [النساء: ١٣١].

أيها الناس:

لقد ظل العالم الإسلامي بأسره، مئات الأعوام، وهو متجانس متماسك، يشد بعضه أزر بعض، ويأرز إلى عقيدته الجامعة كلما هدد كيانه خطر، أو ادلهم عليه خطب. ومنذ فقدان الأندلس، وقع تغير رهيب في حياته، وأخذت أرضه تنقص من أطرافها، فَفُقِدَتْ أقطارٌ وأمم، وَانْتُهِكَت محارم ومقدسات، ودارت رحى الحرب على المسلمين؛ حتى تداعت عليهم الأمم والشعوب، وتحقق فيهم قول المصطفى ﷺ: «**يوشك أن تتداعى عليكم الأمم كما تتداعى الأكلة إلى قصعتها، قالوا: أمن قلة نحن يومئذ يا رسول الله؟ قال: بل أنتم يومئذ كثير، ولكنكم غثاء كغثاء السيل، وليَنزعن الله من صدور عدوكم المهابة منكم، وليقذفن في قلوبكم الوهن. قالوا: وما الوهن؟ قال: حب الدنيا وكراهية الموت**».

أخرجه أحمد وأبوداود فصدق رسول الله ﷺ بأبي هو وأمي.

فهذا هو الوهن، وهو سر الضعف الأصيل، أن يعيش الناس عبيداً لدنياهم، عشاقًا لأوضاعها الرتيبة، تحركهم شهواتها وتموج بهم كالخاتم في الإصبع، وتسيرهم الرغائب المادية كالثور في الساقية، يتحرك في مدار محدود، فاقد الهدف، معصوب العينين، وهذا هو الوهن، حين يكره المسلمون الموت، ويؤثرون حياة ذليلة على موت كريم، يؤثرون حياة يموتون فيها كل يوم موتات، على موت يحيون بعده حياة سرمدية.

شعوبك في شرق البلاد وغربها كأصحاب كهف في عميق سبات

بأيمانهم نوران ذكرٌ وسنة فما بالهم في حالك الظلمات

أيها المسلمون:

إن السؤال الذي يفرض نفسه على واقع المسلمين هو: لماذا ولأي شيء لم نبحث عن أسباب تلك الهزائم والخسائر الفادحة، في الأموال والأهلين والأوطان؟ هل أذكاها عوج خلقي؟ أو خلل سياسي واقتصادي، أو غش ثقافي، أو انحراف عقدي، أو إلى مزيج متفاوت النسب من هذه العلل جميعًا؟ ما هي المعاصي الخلقية والسياسية والثقافية التي ارتكبها أهل الإسلام، فأصابهم ما أصابهم؟

يجب على كل منصف أن يبين ويوضح، وإن من المتحتم على أصحاب الألسن، وحملة الأقلام، ألا يقترفوا خيانات قاتلة، في حق دينهم وأمتهم بتجاهل تلك القضايا، وليعلموا أنهم بتجاهلهم، يؤخرون يوم النصر ولا يقدمونه. وإن اللجة التي تحمل بعض أولئك على تجاهل واقعهم في تلك القضايا، تقودهم ومجتمعهم إلى الغرق، ولا عاصم من أمر الله إلا من رحم. فهل يرتفع شعار الإسلام، وترفرف رايته، في تحليل القضايا الإسلامية، أم تبقى تحت الرايات العمية؟ لنبلغ بها القاع والعياذ بالله.

أيها الناس:

المؤمن الصادق لا يمل كثرة الحديث عن البوسنة والهرسك؛ لأنها اليوم نقطة الارتكاز في ميدان الجهاد الإسلامي، وقضيتها حديث القضايا الإسلامية وساحتها محطة امتحان وكشف لقوة المسلمين وغيرتهم على دينهم وأوطانهم وحرماتهم وقصة البوسنة والهرسك الدامية، يختلط فيها الشجو بالرضا، والتهنئة بالتعزية رضًا وتهنئة، حينما يستحضر المسلم مرأى أولئك الأبطال الذين وقفوا في وجه الصليبية الحاقدة، فسارعوا إلى ملاقاة

ربهم، ودماؤهم على ثيابهم، وأبدانهم لم ترفع، لتبقى وسامًا فوق صدورهم، يلقون به ربهم يوم القيامة.

وشجو وتعزية، حينما يقع ما يقع، على مرأى من أهل القبلة ومسمع، فلا يُحيرون جوابًا، ولا يُحيون ألبابًا إلا من رحمه الله، تقع أمامهم الحوادث، وتدلهم الخطوب، فلا يأنون لمتألم، ولا يتوجعون لمستصرخ، ولا يحنون لبائس، والمشاهد من أمثال هؤلاء، قساة القلوب غلاظ الأكباد، حكموا على أنفسهم بالذلة، وعلى مجتمعاتهم بالحطة، والمثقفون من هؤلاء، يندبون، ويلطمون، ويتلقون المواساة والعزاء.

والغرب الكافر الحاقد، يخفض جناح الذل من رحمته وعدله المزعوم، على دعم وتحصين، منظمات عالمية لمحبي الكلاب، وأصدقاء الحيوانات الأليفة، فتفتح الصوالين للكلاب، ليقوم أخصائيون بقص شعرها، وتزيينها وتعطيرها، فهي على الضد تمامًا من صوالينهم الدموية التي يقصون فيها شعور البشر، ويحلقون أديانهم، ويزينونهم بالأشلاء، ويعطرونهم بالدماء، فليت مخبرًا منصفًا يخبرنا، أو يسائل الغرب الحاقد: أتكون الكلاب المكلبة، أهم وأعظم في قلوب عُبَّاد الصليب، من قطر إسلامي ضخم، تعدو عليه حثالة لئيمة، فتقتل شيوخه، وترمل نساءه، وتبيح حياءهن في فجور، وتتاجر بأعراضهن في توقح، وتتخذ من عفتهن إناءً تلغ فيه الكلاب بلا استحياء؟ ولكن من يدري لعل هناك نسبًا وصهرًا، جمع بين الغرب الكافر وبين الكلاب، فهم يُعْنون بشئونها عناية منقطعة النظير، في حين أنهم لا يقيمون وزنًا للملايين من البشر. سبحانك يا رب، رحماك يا رب.

أيها المسلمون:

لقد أقام الإسلام مجتمعات المسلمين، على أركان ثابتة، ودعائم راسخة، ومن أهم هذه الدعائم أن يتحقق بين أبناء المجتمعات المسلمة روح الإخاء والتضامن، فيأخذ القوي بيد الضعيف، ويشد المقتدر من أزر العاجز!! ويمكن لكل مسلم منصف، أن يحكم على المجتمعات بالخير والصلاح إذا رأى الضعفاء من بني ملته، تتسلل إليهم المحن، وتتوالى عليهم الأفراح حثيثة، ويرى مع ذلك الأيادي الإغاثية تحميهم عن أن يضيعوا وسط الزحام، أو تسحقهم الأقدام، أو تصبح أعراضهم نهبًا مقسمًا بين الخونة واللئام من سفلة الناس وشياطين البشر، إذا رأى المسلم ذلك جليًا في المجتمعات المسلمة، فليشهد لها بالخير والصلاح، وإن لم ير ذلك، فإن على قلوبهم العفاء.

إنه لمن الواجب على المسلمين بعامة، أن يبحثوا في كل مظنة ضعف، عن سبب قوة. ولو أخلص المسلمون المجاهدون، في تلمس ذلك وتطلبه، لصار الضعف قوة؛ لأن الضعف قد ينطوي على قوة مستورة يؤيدها الله بعنايته ورعايته، فإذا قوة الضعف تهد الجبال، وتحير الألباب ﴿ وَلِلَّهِ جُنُودُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴾ [الفتح: ٧].

سمع معاوية رضي الله عنه أن رجلاً من أعدائه، شرب عسلاً فيه سم فمات، فقال رضي الله عنه: إن لله جنودًا، منها العسل.

إن الحديث عن القوة النابعة من الضعف ليس دعوة إلى الرضا بالضعف، أو السكوت عليه، بل هو دعوة إلى استشعار القوة حتى في حالة الضعف، ودعوة إلى التدثر بالرجاء والأمل، وحسن الظن بالله، حتى في مواطن الشدة واليأس، ودعوة إلى بذل الجهود في كل حالة، وعلى أي

وضع كان، ودعوة إلى اليقين بأن الله قادر على أن يجعل من الضعف قوة، مادام الإنسان يجاهد قدر استطاعته .

وإني لأدعو الله حتى كأنما أرى بجميل الظن ماالله صانع

وبذلك ينتزع المسلمون من ضعفهم قوة تحيل قوة عدوهم ضعفًا، وينصرهم الله نصرًا مبينًا ﴿ لَا يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فِى ٱلْبِلَـٰدِ ﴿١٩٦﴾ مَتَـٰعٌ قَلِيلٌ ثُمَّ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۚ وَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ ﴾ [آل عمران: ١٩٦، ١٩٧].

عباد الله:

ألم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم، وتلين أفئدتهم، أفقُدَّت من حجر؟ ألا يكلف المرء نفسه تحريك جفنيه، وفتح عينيه ليرى صرعى البؤس والتشريد، وضحايا الظلم والعدوان والفاقة، ماثلين أمامه في غير ما سبيل، ألا يرى ذلك، فتأخذه بهم رحمة الإنسان؟

كيف يستطيع أن يهنأ، صاحب الترفُّه بطعامه وشرابه، بل كيف يدلل صبيانه وبناته، وكيف يضاحك عياله ويمازح أهله، وهويرى في البوسنة والهرسك صبية مثل عياله برءاء ما جنوا ذنبًا، أطهار ما كسبت أيديهم إثمًا، يبكون من الحيف، ويتلمضون من الجوع، أفلا يكون للمسلم السهم الراجح، والقدح المعلى في العطف على إخوانه في الدين، وفي كفكفت دموعهم، والمسح على رؤوسهم؟

أولا ينظر المرء إلى إخوانه، تحت سيطرة الصرب الحاقدين؟ أولا ينظر المسلم، إلى سقوفهم، وقد وكفت، وإلى الجدران وقد نزَّت، وإلى الغرف وقد اسَّاقطت، وإلى الجبال وقد سالت حُمَمًا من القنابل والشظايا، وإلى الأودية وقد امتلأت جثثًا وهامًا وغدت أباطح، وإلى اختباء المضطهدين في

البيوت، وما تكاد تمنع عنهم برداً ولا بللاً، أولا ينظر المسلم إلى من خرج من ساكنيها فراراً منها، حين لم تعدو دوراً ولا منازل، وإنما صارت جيفًا وأشلاء يقف البوسني أمامها مشدوهًا ولسان حاله يقول:

سقوف بيوتي صرن أرضًا أدوسها وحيطان داري رُكَّعٌ وسجود

إن القرآن الكريم يعطي الإنسان درسًا لا يجحده؛ لأنه مأخوذ من صميم الحياة، ولباب الواقع المتكرر، يقول تعالى: ﴿وَلْيَخْشَ الَّذِينَ لَوْ تَرَكُوا مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَافًا خَافُوا عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا اللَّهَ وَلْيَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا﴾ [النساء: ٩].

إن القرآن هنا، يمس شغاف القلوب، ويهز أوتارها هزًا، ويدفع الناس دفعًا، إلى تصور ذريتهم الضعيفة المكسورة الجناح، تنهشهم أفاعي البشر، وتفتك بهم ذئاب الكفر، فقد تدور عليهم رحى الأيام، والأيام قُلَّب، فيصبحون لا حول لهم ولا قوة، يطمع فيهم الطامع، وما من نصير لهم أو مدافع، والجزاء من جنس العمل.

أيها المسلمون:

عندما يستشري الشر، ويطغى الفساد، لا مندوحة للمسلم عن أن يدرأ الشر ويقمع طغيان الفساد بكل وسيلة، وإن من تلك الوسائل المتاحة المال المسلم، شريان الحياة.

إن المال الإسلامي طاقة مهدرة، تحركها بنوك الغرب ومصارفه، مليارات الأموال، قابعة في تلك البنوك، ماذا يفعل بها المسلمون؟ الشعب البوسني يستغيث ولا مجيب، أكلتهم صروف الحرب المدمرة، ولا من يغيث، والبعثات التبشيرية النصرانية، متخصصة في سرقة العقائد من أولئك العراة المفزوعين، وإننا لنتساءل أين المسلمون؟ أين المسلمون؟،

حكومات وشعوبًا.

ومن رعى غنمًا في أرض مسبعة ونام عنها تولى رعيها الأسد

جاء الذئب فرعى الغنم؛ لأنها ليس لها حارس، ليس لها راع، ما السبب، وما الأمر؟ أمة غافلة، والغرب الحاقد، لا يحمي المغفلين.

لقد دقت ساعة الخطر، وبلغ الشر مداه، فلم يبق في القوس منزع، ولم يعد للصبر مجال، على أمل تسوية سلمية، فتاريخ الغرب سلسلة إجرام، حملات صليبية لا تعرف السلم ولا الموادعة؛ فالبدار البدار يا عباد الله، بالجهاد في سبيل الله بأموالكم لتجهيز المضطهدين الذائدين عن حياض الإسلام في أوطانهم، وإن كتاب الله ليدل دلالة واضحة، على أن الإنفاق والبذل في سبيل الله، ولإعلاء كلمة الله، في طليعة أعمال البر التي وعد الله عليها بالجزاء العظيم ﴿ مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِى كُلِّ سُنۢبُلَةٍ مِّا۟ئَةُ حَبَّةٍ وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴾ [البقرة: ٢٦١].

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم...

* * *

الخطبة الثانية

الحمد لله حمدًا كثيرًا طيبًا مباركًا فيه، كما يحب ربنا ويرضى، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، صلوات ربي وسلامه عليه، وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد:

فاتقوا الله عباد الله، واعلموا أننا بحمد الله، نعيش منجاة من القتال وأهواله، والحروب وبلاياها، وما لنا عدو يحاربنا، وما عدونا إلا من يحارب إخواننا في الملة والدين، وارتضوا لهم أن يجوعوا ويَعْرَوْا، فأرهقوهم نهارًا، وأوحشوهم ليلاً.

والذي ينبغي على المسلمين بعامة، أن يقفوا مع إخوانهم المستضعفين، ويكونوا لهم سندًا وعضدًا، وأن يقيموا العزم في وجه التهاون، والشدة في وجه التراخي، والقدرة في وجه العجز، وبهذا كله يصبحون شركاء متعاونين، متأولين قول المصطفى ﷺ: « **انصر أخاك ظالمًا أو مظلومًا** » أخرجه البخاري من حديث أنس.

وإن الواجب على الأمة المسلمة ألا تعظم الدينار والدنيا لئلا تستعبدها المعاني المنحرفة، في النظرة للمال والحياة، فيكنز الغني مالاً، ويكنز الفقير عداوة، وليعلم الجميع، أن العزة في الإسلام بإنفاق المال لا بإمساكه، وفي

بذل الحياة لا في الحرص عليها، وفي اعتبار الغني ما يعمل بماله، لا ما يجمع منه، هذا هو الإسلام الذي غلب الأمم؛ لأنه قبل ذلك، غلب النفوس والشهوات.

وفي ظل هذه الظروف الحالكة، يقيض الله نفوسًا سوية في أقطار شتى، تشد من أزر المنكوبين، ففي مهبط الوحي ومنبع الرسالة على مستوى المؤسسات، والهيئات الإغاثية، يشرف عليها ولاة الأمر في هذه البلاد، وفقهم الله للهدى والسداد، تعد بارقة أمل، وومضة تفاؤل، بأن في الأمة خيرًا، ينبغي أن يذكى، على كافة الأصعدة إعلامًا وصحافة، وهيئات ومؤسسات. ولن تذهب تلك الجهود سدى إذا حسن العمل، وخَلُص القصد، فعليك أيها المسلم أن تساهم بما تستطيع لتكفل يتيمًا، أو تجير ثكلى، وتؤوي شيخًا، وتكتنف شابًا، وتستر شابة، وتؤنس مستوحشًا، ولا تحقرن من المعروف شيئًا، ولو كان قليلاً، فإن القليل بالقليل يكثر. قال رسول الله ﷺ: « **سبق درهم مائة ألف درهم** » رواه النسائي.

وإننا لنعلم أن في الموسرين محسنين، وفي التجار منصفين، ولكن في الموسرين من يريد الإحسان ولكنه لا يذكّر، ومن المضطهدين من يريد الإحسان فيشق أن يعثر. فإذا تكاتفت الجهود، وتصافحت الأكف، بورك في العمل، وبلغ كل شيء مبلغه.

قال تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ ۚ﴾ [المائدة: ٢]. وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَنفِقُوا۟ مِمَّا رَزَقْنَٰكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ يَوْمٌ لَّا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا شَفَٰعَةٌ﴾ [البقرة: ٢٥٤]، وقال تعالى: ﴿وَأَنفِقُوا۟ مِمَّا جَعَلَكُم مُّسْتَخْلَفِينَ فِيهِ﴾ [الحديد: ٧]. وقال رسول الله ﷺ: « **أيكم مال وارثه أحب من ماله**؛ قالوا: يا رسول الله ما منا أحد إلا ماله أحب إليه،

قال: **فإن ماله ما قدم، ومال وارثه ما أخر**» البخاري.

وقال ﷺ: « **يقول العبد مالي مالي، وإنما له من ماله ثلاث: ما أكل فأفنى، أو لبس فأبلى، أو أعطي فاقتنى، ما سوى ذلك فذاهب وتاركه للناس** » رواه مسلم.

فيا أيها الأغنياء، شمروا عن سواعد الإنفاق، فإن النعم لا تدوم، وإن مع اليوم غدًا، وإن بعد الحياة موتًا، وإن بعد الموت لحسابًا، وإنما أموالكم عوان وأمانات عندكم، استودعكم الله إياها، ابتلاءً وامتحانًا لينظر كيف تعملون.

وما المال والأهلون إلا ودائع ولابد يومًا أن ترد الودائع

وما المرء إلا كالشهاب وضوؤه يحول رمادًا بعد إذ هو ساطع

هذا، وصلوا رحمكم الله على خير البرية وأزكى البشرية محمد بن عبد الله بن عبد المطلب صاحب الحوض والشفاعة . . .

* * *

المؤمن وليد وقته
(في الحفاظ بالوقت)

الخطبة الأولى

الحمد لله رب الأرباب، ومسبب الأسباب، وخالق خلقه من تراب، أظهر آثار قدرته في كل مكان، وأبدى أنوار هدايته في كل أوان ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ خِلْفَةً لِّمَنْ أَرَادَ أَن يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا﴾ [الفرقان: ٦٢]. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، رب المشرق والمغرب لا إله إلا هو، وأشهد أن محمداً عبده وسوله، أخلص لربه قلبه وخفض له وقته، فمنحه الله رضاه وحبه، فصلوات الله وسلامه عليه، وعلى آله وأصحابه وأتباعه، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد:

فأوصيكم أيها الناس ونفسي بتقوى الله عز وجل، اتقوا الله واعبدوه، واسجدوا له وافعلوا الخير لعلكم تفلحون.

عباد الله:

إن العمر الذي يملكه الإنسان، نعمة كبرى يحمد الله عليها، والحياة

أمامه، فرصة للنجاح، ولذلك امتن الله بالشروق والغروب على عباده فقال: ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ لِتَسْكُنُوا۟ فِيهِ وَٱلنَّهَارَ مُبْصِرًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴾ [غافر: ٦١]. أقسم سبحانه بالزمن في غير ما آية من كتابه فقال تعالى: ﴿ وَٱلَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰ ۝١ وَٱلنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّىٰ ﴾[الليل: ١، ٢]. وقال سبحانه: ﴿ وَٱلَّيْلِ إِذَا عَسْعَسَ ۝١٧ وَٱلصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ ﴾ [التكوير: ١٧، ١٨]. وقال عز وجل: ﴿ وَٱلْفَجْرِ ۝١ وَلَيَالٍ عَشْرٍ ﴾ [الفجر: ١، ٢]. وقال عز من قائل حكيم: ﴿ وَٱلْعَصْرِ ۝١ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ ۝٢ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ ﴾ [العصر: ١ - ٣]. أقسم الله بالزمن، لما فيه من الأعاجيب، ولأن الزمن جملة أصول النعم، وفرصة سانحة أمام الإنسان يوصف بالحمق إن ضيعها.

أقسم الله بالزمن، فعلم من ذلك أن حياة الإنسان أنفاس تتردد وتتعدد، وآمال تضيع إن لم تتحدد، ودقات قلب المرء في صدره، تشعره في كل لحظة بأن الحياة دقائق وثوان، تمر به متوالية متتابعة؛ ولذلك قيل: المؤمن وليد وقته؛ لأنه يسير في حياته على خطى ونظام، يستغل من خلالها كل مقدار من وقته دون تسويف أو إبطاء، ودون تخليط أو اضطراب، يلوح له في الأفق طيف حكيم يقول له: لكل وقت آداب، فمن لزم آداب الأوقات بلغ مبلغ الرجال. ويقول له: الوقت كالسيف إن لم تقطعه قطعك، بل الوقت هو الحياة.. المسلم الحق يغالي بالوقت مغالاة شديدة؛ لأن الوقت عمره، فإذا سمح بضياعه، وترك العوادي تنهبه فهو ينتحر بهذا المسلك الطائش.

يعبر الماديون فيقولون: الوقت من ذهب. وخابوا وخسروا، لأن كل نظرة من نظراتهم للدنيا، توحي إليهم أن الحياة مادة، فهم لا معيار عندهم

إلا معيار المادة، فلها يحيون، وبها يعيشون، وعليها يوالون ويعادون، ومن هنا اعترض اليهود على أن بعث الله فيهم من يقودهم، ويقيم فيهم شرع الله، ممن عمر وقته بطاعة الله، والدعوة إليه، والعمل فيما يرضيه ﴿قَالُوٓاْ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُ ٱلْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِٱلْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِّنَ ٱلْمَالِ قَالَ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُۥ بَسْطَةً فِى ٱلْعِلْمِ وَٱلْجِسْمِ﴾ [البقرة: ٢٤٧]، بسطة في العلم، وبسطة في الجسم، يفسرهما قول المصطفى ﷺ: «**نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس، الصحة والفراغ**» أخرجه البخاري؛ لأن الناس إذا توافرت لهم الصحة وامتد أمامهم حبل الفراغ، ولم يحسنوا استخدام ذلك في العمل المبرور والسعي المشكور فقد باءوا بالفشل الذريع، والخسران المبين.

قال رسول الله ﷺ: « **اغتنم خمسًا قبل خمس: حياتك قبل موتك، وصحتك قبل سقمك، وفراغك قبل شغلك، وشبابك قبل هرمك، وغناك قبل فقرك**» أخرجه الحاكم والبيهقي. هذا الحديث المنبعث من مشكاة النبوة، يمثل أيام الإنسان، بأنها حبل ممدود، لا يدري متى ينقطع، فهو عرضة للضياع، وأوان للانقطاع، فلربما ضاعت الفرصة، وانقلبت البسمة غصة، ومن ثم، كان لزامًا على المؤمن، ألا يلتفت إلى الماضي، لينفجع عليه فيقنط، أو يحزن عليه فيكسل، ولا يتلهف على المستقبل، يريد أن يعرفه قبل أوانه، بل يرى حاضره فرصة سانحة، ينتهزها وينجزها، ومتى سيطرت هذه النزعة المندوبة، على المرء المسلم جعلته سلطانًا ولو كان في زي المملوكين، وجعلته يحس أنه ليس بينه وبين عظماء الدنيا، إلا يوم واحد، أما أمس فلا يجدون لذته، ولا يجد هو شدته. وأما الغد فإنه وإياهم منه على خطر، فما هو إلا اليوم، فما عسى أن يكون؟ فما مضى

فات، والمؤمل غيب، وما له إلا الساعة التي هو فيها، ولن يستطيع رد الأمس، في اليوم الجديد.

والمفرط، بين يديه عقبة كؤود ﴿ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يُقْسِمُ ٱلْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُوا۟ غَيْرَ سَاعَةٍ كَذَٰلِكَ كَانُوا۟ يُؤْفَكُونَ ﴾ [الروم: ٥٥]. ﴿ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبَثُوٓا۟ إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَىٰهَا ﴾ [النازعات: ٤٦].

عباد الله: إن الشباب حياة، والحياة شباب، الشباب للذكور والإناث، واحة فريدة في صحراء الحياة، وهو الربيع في سنة العمر. ولست أعني الشباب الغض الناعم، الذي ترق عنده الحياة، فتسحره بالنظرات المغرية، وتجمع له لذائذ الدنيا، في لحظة مسكرة أو شبهة عارضة، الشباب الذي يعيش للهوى وأحلام اليقظة، فيبدأ تاريخ حياته بالحاء فلا يلبث أن ينتهي بالباء ديدن حياته، يقوم على هذين الحرفين، كلا؛ ليس الشباب كذلك، إنما أعني الشباب الحي العامل، الذي وضع له غاية في العيش أبعد من مجرد العيش، فهو في جهاد مع وقته ونفسه، والهوى والشيطان، فإذا مات قلبه، وأضاع وقته وجهده، فهو شيخ، ولو كان في العشرين من عمره، وكل من كان له قلب، وبرزت معالم عبادته، فهو شاب ولو شابت لحيته وابيض رأسه؛ لأنه بدا من فعله استحضار قول المصطفى ﷺ: « **أعذر الله عز وجل إلى امريء أخر عمره حتى بلغة ستين سنة** » البخاري. أي: أزال عذره، ولم يبق له موضعًا للاعتذار، إذ أمهله مدة مديدة من العمر.

أيها المسلمون:

إن للشباب مرحلة من أخطر المراحل في حياة الناس؛ لأنها مرحلة قوة بين ضعفين، ضعف الطفولة، وضعف الشيخوخة، ولما كان الشباب من العمر وسيسأل الإنسان عن عمره؛ فإن رسول الله ﷺ خص الشباب في

قوله: « **لا تزول قدما عبد يوم القيامة حتى يسأل عن خمس**، وذكر منها : **وعن شبابه فيما أبلاه** »الترمذي.

إن بقاء الشباب في الإجازات العامة دون استغلال ولا إشغال ينشئ مشاكل متوالية على الأسرة والمجتمع، بحيث لا يؤيهم إلا الطرق والممرات، فيزعجون، ويوقظون ويضايقون، وتكون لهم الطرق مدارس شيطانية تعلمهم كل بذيء من القول وقبيح من الفعل . . .

إن إحساس الشباب بالفراغ مع كمال الصحة أمر طبعي معقول ولكن الذي لا يكون أبدًا طبيعيًا ولا معقولاً. أن يحس الشاب والشابة بهذا كله، ثم يضطرهما المجتمع بأسلوبه على مختلف المحاور، إلى أن يملأوا فراغهم، باللهو فيما يسخط الله ورسوله، يملأون فراغهم بلهو صارخ وأفلام رخيصة، ودعايات مضللة إلا من رحم الله، يبذلون الصحة والفراغ، في لذة عارضة، ومتعة عابرة، ولربما ملأ بعضهم فراغه، بالسفر إلى بلاد الكفار، ليتلقفهم أهل الكفر بقضهم وقضيضهم، فيفقدوهم خصائصهم الإسلامية، التي بها قوامهم، ومن ثم يميلون إلى جلب أسوأ ما عند غيرهم ممن يخالطونه في بلاد الكفار، أو في بلاد تشبهها، ويتوهمون أن كل ما عند غيرهم من أهل اللهو والغفلة، خير مما عندهم. قال رسول الله ﷺ : « **أنا بريء من مسلم بين ظهراني المشركين** » أبو داود والترمذي.

إن مستقبل المسلمين، يجب أن يصنع في بلادهم، وعلى أرضهم بكدحهم وأخلاقهم، بإشغال أوقاتهم في كل ما من شأنه، خدمة الإسلام والمسلمين، وعلى المسلمين جميعًا، أن يكفوا عن أخلاق التسول بكل صنوفه في طاقاتهم، ومقدراتهم وأخلاقهم وسياساتهم، والأمم التي تبني مستقبلها على التسول، أمم ضائعة، في تيه العقل الشحاذ، فهي لا تصلح

للحياة.

إن على المجتمعات الإسلامية، أن توجد للشباب في عطلهم، أعمالاً تقوم أخلاقهم، وترفع من ثقافتهم، وتحد من عبثهم وضياع أوقاتهم سدى، وتنتشلهم من أحضان البطالة، التي تولد آلاف الرذائل، وتكتنف جراثيم التلاشي والفناء، وعلى المجتمعات المسلمة، أن تقنع الشباب من واقع فعلها، أن العمل رسالة الأحياء، وأن العاطلين موتى، وأنهم أحرى الناس، أن يحشروا مفلسين لا حصاد لهم إلا البوار والخسران.

إن على المجتمعات المسلمة، أن تضع سياسات محكمة، للإنشاء الدائم، والبناء المستمر المستقى من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، وسيرة السلف الصالح، وأن تتحكم في أوقات الفراغ، لا بالإفادة منها بعد أن توجد فحسب، ولكن بإيجاد الجهد، الذي يستنفد كل طاقة، ويوجه هذا وذاك، إلى ما ينفعه في معاشه ومعاده، حتى لا يبقى مجال، يشعر الشباب بعده أنهم لا عمل لهم.

إن الشباب المسلم أحوج أهل الأرض إلى مربين أمناء، يدركون استغلال قوته في الخير، وتهذيب غرائزه فيما أباح الله، بلا تمرد ولا انزلاق.

عباد الله:

إن شرائع الإسلام تدور على جهاد النفس وجهاد الناس، وكلا الجهادين يستغرق العمر كله لحظة لحظة، ولقد كان شَغْلُ الوقت كله، بكلا الجهادين أمرًا معروفًا في سيرة المصطفى ﷺ، فما استراح من مناهضة الكفر في فج من فجاج الأرض، إلا تحول بعده إلى فج آخر، يعمره بالإيمان والتقوى، وسار الصحابة من بعده رضوان الله عليهم، فلم يدعوا مجالاً للقعود، فملأوا بقاع الأرض بأضواء الإيمان.

والذي حدث بعد ذلك، أن ترك المسلمون هذه الواجبات، فراغ بعضهم على بعض، وعاثت بينهم الفتن، ثم خلفت خلوف، ضيعت الأوقات، في التهويش والتحريش، في العلن تارة، وفي السر تارات، بالغيبة والنميمة، والمعارك الكلامية، والاتهامات الرخيصة، التي لا صحيح فيها، إلا أنها غير صحيحة؛ فأدت بهم إلى بطر الحق، وغمط الناس، وشارك أولئك أعداءهم، من حيث يشعرون أولا يشعرون، ويزداد الأمر علة، والطين بلة، إذا وقعت تلك المآسي ممن ينتسب إلى العلم والدعوة على حين غفلة عن قول الله تعالى: ﴿ وَقُل لِّعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنزَغُ بَيْنَهُمْ ﴾[الإسراء: ٥٣]. وقوله: ﴿ لَّا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ ۚ ﴾[النساء: ١١٤].

فاتقوا الله أيها المسلمون، واعلموا أن الوقت، وحيٌّ التقضي، أبي الجانب، بطيء الرجوع؛ فلا تضيعوا منه لحظة في غير قربة. والويل ثم الويل، لمن تلمَّح الشهوات، وعمره في إدبار، والموت في إقبال، كيف يبقى على حالته، من يعمل الدهر في إحالته، بل كيف تطيب الدنيا، لمن لا يأمن الموت ساعة، ولا يتم له سرور يوم؟!

إن في الماضي للمقيم عبرة، وليس المرء من غده على ثقة، بالأمس يقول: أريد أن أكون، واليوم يقول: أنا قد كنت، والواردات سريعة الزوال، تمر أسرع من السحاب، وينقضي الوقت بما فيه، فلا يعود على الإنسان منه، إلا أثره وحكمه.

فاتق الله أيها المسلم، واعلم أن العمر إذا مر لا يعود، والزمن يسير بالمقيم، فاختر لنفسك من وقتك، فإنه عائد عليك لا محالة، ولهذا يقال للسعداء: ﴿ كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ ﴾ [الحاقة: ٢٤].

ويقال للأشقياء: ﴿ذَٰلِكُم بِمَا كُنتُمْ تَفْرَحُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَبِمَا كُنتُمْ تَمْرَحُونَ﴾ [غافر: ٧٥]. فاشتر نفسك أيها المسلم، ما دامت السوق قائمة، والثمن موجودًا، ولا تسمعن حديث التسويف، فما لغد من حادث بكفيل.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ۝٥٦ مَا أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦، ٥٧].

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعني وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم، أقول ما تسمعون وأستغفر الله فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

* * *

الخطبة الثانية

الحمد لله حمدًا كثيرًا طيبًا مباركًا فيه، أحمده سبحانه وأشكره، وأتوب إليه وأستغفره وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، وصفيه وخليله صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان.

أما بعد:

فاتقوا الله أيها المسلمون، واعلموا أن الفراغ في الأمة، يدمر ألوف الكفايات والمواهب ويخفيها وراء ركام هائل من الاستهانة والاستكانة، ويتبع هذا الإهدار الشنيع لقيمة الوقت والعمل، مصائب لا حصر لها، في الأحوال الدينية، والسياسية، والاقتصادية والاجتماعية، فلا جرم، أن شعوبًا بأسرها، تسقط في هوة سحيقة، لأنها تستخف بالأوقات فلا عمل لها، استهلكها الفراغ، وأسلمها للفناء، وانتشرت في ربوعها آثام الفراغ والبطالة.

والواجب على المسلمين أن يتعظوا بالزمن، ويتتبعوا آيات الله في الآفاق، ويتدبروا أحوال الأمم، كيف تقوم وكيف تنهار، وكيف تتقلب بين ازدهار وانحدار.

واعلموا عباد الله: أن جهود الأعداء في محاولة صرف المسلمين، عن استثمار أوقاتهم، وتوفير فرص اللهو والعبث، وتهيئة وسائله كثيرة جدًا، وعالمنا اليوم ليس عالم غزو الفضاء فحسب، بل هو غزو للأفكار رهيب، تستخدم فيه الوسائل الحديثة وتنفق في سبيله الأموال الطائلة عبر قنواته

المختلفة.

ولن يصلح أمر هذه الأمة، إلا بما صلح به أولها، وذلك بالسير على ما سار عليه السلف الصالح، في الاهتمام بالأوقات، وتقديرها حق قدرها.

قال ابن مسعود رضي الله عنه: ما ندمت على شيء، ندمي على يوم غربت فيه شمسه، نقص فيه أجلي، ولم يزد فيه عملي.

وقال الحسن البصري: أدركت أقوامًا، كانوا على أوقاتهم، أشد: حرصًا على دراهمكم ودنانيركم. وكان الخليل بن أحمد الفراهيدي يقول: أثقل الساعات علي: ساعة آكل فيها.

ونقل عن ابن جرير الطبري المفسر المشهور، أنه قال لأصحابه: أتنشطون لتفسير القرآن؟ قالوا: كم يكون قدره؟ قال: ثلاثون ألف ورقة. فقالوا: هذا مما تفنى الأعمار قبل تمامه. فقال: إنا لله!!! ماتت الهمم. فاختصره في نحو ثلاثة آلاف ورقة.

قال ابن الجوزي رحمه الله: رأيت عموم الخلائق يدفعون الزمن دفعًا عجيبًا؛ إن طال الليل فبشيء لا ينفع، وإن طال النهار فبالنوم، وهم في أطراف النهار على دجلة أو في الأسواق.

ولقد شاهدت خلقًا كثيرًا، لا يعرفون معنى الحياة، فمنهم من يخلو بلعب الشطرنج، ومنهم من يُقَطِّع الزمان بكثرة الحوادث، من السلاطين والغلاء والرخص إلى غير ذلك. فعلمت أن الله تعالى لم يُطْلِع على شرف العمر ومعرفة قدر أوقات العافية، إلا من وفقه وألهمه اغتنام ذلك ﴿وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾ [فصلت: ٣٥].

هذا وصلوا رحمكم الله على خير البرية وأفضل البشرية محمد بن عبد الله بن عبد المطلب .

* * *

القدر سر الله في خلقه

الخطبة الأولى

الحمد لله المبدىء المعيد، الفعال لما يريد، خلق الخلق بعلمه، وقدر لهم أقداراً، وضرب لهم آجالاً، لا يستأخرون عنها ولا يستقدمون، قدر مقادير الخلائق، قبل أن يخلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة، وكان عرشه على الماء، علم ما كان، وما سيكون، ولو كان كيف يكون، وكل شيء يجري بتقديره ومشيئته، ومشيئتُه تنفذ لا مشيئة العباد إلا ما شاء لهم، فما شاء كان، وما لم يشأ لم يكن، عنده علم الساعة، وينزل الغيث، ويعلم ما في الأرحام، وما تدري نفس ماذا تكسب غداً، وما تدري نفس بأي أرض تموت، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وصفيه وخليله، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً.

أما بعد:

فأوصيكم ونفسي بتقوى الله عز وجل، فهي عماد المؤمن في الدنيا، وأنيسه في قبره، ودليله في الأخرى يوم يلقى الله، إلى جنات النعيم.

أيها الناس:

لقد خلق الله السموات والأرض، وبنى الأجسام والعوالم، بناءً متقنًا، دالاً على حكمته وكمال علمه وقدرته، لا يعزب عنه مثقال ذرة في السموات ولا في الأرض، ولا أصغر من ذلك ولا أكبر، خلق كل شيء فأحسن خلقه، وقدر كل شيء تقديرًا، خلق الثقلين الجن والإنس، فجعل منهم كافرًا وجعل منهم مؤمنًا، قدر مقادير الخلائق فلم يبق ولم يذر، وأجرى مقاديره حتى على غرز الإبر، أعجز العقول والأفهام عن إدراكه، أو الإحاطة به علمًا، تجلت عظمة الله في القضاء والقدر، وعجزت العقول المسلمة، عن تعليله؛ فبقيت مبهوتة، عالمة قصورها عن درك جميع الأمور، فأذعنت مقرة بالعجز، مؤمنة بأن الكل من عند الله، وأن الله قد أحاط بكل شيء علمًا ﴿ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا ﴾ [آل عمران: ٧]. سلموا لله في أفعاله، وعلموا أنه حكيم ومالك، وأنه لا يُقَدّرُ عبثًا، فإن خفيت عليهم حكمة فعله، نسبوا الجهل إلى نفوسهم وسلموا للحكيم المالك.

وإن أقوامًا نظروا إلى قضاء الله وقدره بمجرد عقولهم، فرأوها لو صدرت من مخلوق، نسبت إلى ضد الحكمة؛ فنسبوا الخالق إلى ذلك، تعالى الله عما يقولون علوًا كبيرًا. وهذا هو الكفر المحض، والجنون البارد.

وأول من فعل ذلك، إبليس عليه لعائن الله، فإنه قد رأى ربه فَضَّل جنس الطين، على جنس النار، فأبى واستكبر وقال: ﴿ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِى مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ ﴾ [الأعراف: ١٢].

واعترض أبو جهل على الخالق وحكمته، حينما قال في نبوة محمد ﷺ: « تنازعنا نحن وبنو عبد مناف الشرف، أطعموا فأطعمنا، وحملوا فحملنا، وأعطوا فأعطينا حتى إذا تجاثينا على الركب، وكنا كفرسي رهان، قالوا:

منا نبي، يأتيه الوحي من السماء فمتى ندرك مثل هذه؟ والله لا نؤمن به أبدًا ولا نصدقه» ﴿وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ هَٰذَا الْقُرْآنُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ ﴿٣١﴾ أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ ۚ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ [الزخرف: ٣١، ٣٢].

واعترض ابن الراوندي، الذكي المشهور، في القرن الثالث الهجري، اعترض على قضاء الله وقدره، وعطل حكمته، واستنكف عن قسمته ورزقه، فقد جاع يومًا واشتد جوعه، فجلس على الجسر، وقد أمضَّه الجوع، فمرت خيل مزينة بالحرير والديباج، فقال: لمن هذه؟ فقالوا لعلي بن بلتق، غلام الخليفة. فمرت جوار مستحسنات، فقال: لمن هذه؟ فقالوا: لعلي بن بلتق، غلام الخليفة، فمر به رجل، فرآه وعليه أثر الضُّرّ فرمى إليه رغيفين، فأخذهما ورمى بهما وقال: هذه الأشياء لعلي بن بلتق وهذان لي؟ فنسي هذا الجاهل الأحمق، أنه بما يقول ويعترض ويفعل، أهْلٌ لهذه المجاعة. قال الذهبي رحمه الله: فلعن الله الذكاء بلا إيمان ورضي الله عن البلادة مع التقوى.

عباد الله:

إن تطبيق مقاييس البشر ومفاهيمهم على قضاء الله وقدره، هو مكمن الخطر، واعتراض ضعاف النفوس، على قسمة الله ورزقه؛ حيث جعل هذا مؤمنًا وذاك كافرًا، وذاك غنيًا وهذا فقيرًا، وأخذه للشاب في شبابه، ما بلغ بنيانه بعض المقصود، وأخذه الطفل من أكف أبويه يتململان، والله الغني عن أخذه، وأبواه أشد الخلق فقرًا إلى بقائه، وإبقائه لهرمٍ، لا يدري معنى البقاء، كل ذلك يجد الشيطان به طريقًا للوسواس، ويبتدي بالقدح في حكمة الله وقدره. ولو ملئت قلوب أولاء بالإيمان واليقين، والرضا بالله

ربًا، لما كان للشيطان مسلك ولا مستقر في أفئدتهم، ولأيقنوا أن الله لم يقدر شيئاً إلا لحكمة، وأن الحكمة قد يعلمها الإنسان وقد تختفي عنه وفق إرادة العزيز الحكيم.

ألا ترون أيها المسلمون: أن الاعتداء على السفينة بخرقها يعد ظلمًا واعتداء، ومع ذلك، فقد يظهر لكم أن ذلك الخرق، كان طريقًا للنجاة من هلكه. وهذا ما وقع للخضر مع موسى عليه السلام ﴿ أَمَّا ٱلسَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَٰكِينَ يَعْمَلُونَ فِى ٱلْبَحْرِ فَأَرَدتُّ أَنْ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَآءَهُم مَّلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا ﴾ [الكهف: ٧٩].

وانظروا حفظكم الله، إلى يوسف عليه السلام، لما اتهم بالفاحشة، وسجن بها؛ ليكون ذلك السَّجْنُ، سبيلاً إلى جعله على خزائن الأرض حفيظًا عليمًا.

ويعيش محمد ﷺ يتيم الأبوين، معذبًا في أهله وماله ونفسه، تُصَدُّ الأبواب دونه، ويرمى بالحجارة، ويلقى عليه سلا الجزور، ثم هو بعد ذلك، سيد ولد آدم، ومن لم يحبه كفر بالله وبما أنزل على محمد ﷺ.

أيها المسلمون:

مضت سنة الله في خلقه، بأن للأعمال القلبية، سلطانًا على الأعمال البدنية، فما يكون في الأعمال من صلاح وفساد، فإنما مرجعه، فساد القلب وصلاحه، فطمأنينة فؤاد المسلم، وركونه إلى ربه بعد أن يؤدي ما عليه من واجب، إنما هو إيمان منه، بأن زمام الأمور كلها تحت مشيئة الله النافذة، فهو يتوكل على ربه، دون توتر ولا قلق؛ ومن ثم، فإنه يستقبل الدنيا بشجاعة ويقين، ولسان حاله، يقول ما قاله علي بن أبي طالب:

أي يومي من الموت أفر يوم لا يقدر أو يوم قُدر

يوم لا يقدر لا أحذره ومن المقدور لا ينجو الحذر

إن قلق كثير من الناس، وخواء أفئدتهم من الإيمان بقضاء الله وقدره، وفزعهم من المستقبل، والشعور بالوهن عن حمل المصائب، هو سر قيام التدجيل والتكهن والعرافة والتنجيم، وهو سر تعلق عدد من المجتمعات ليس بالقليل، بما يسمى شركات التأمين، التي قرر حرمتها علماء الملة. والتي تؤمن علي المال والأرواح والأعراض، الذي استولت من خلاله، على قناطير مقنطرة، من الذهب والفضة، استقطبتها من هلع المذعورين، وخشية الخوافين على أعمارهم حينًا، وعلى أموالهم حينًا آخر.

ومن الفَرَق، الذي استحوذ على الجبناء، عندما يدفعهم الشك، إلى ترقب الموت كامنًا في كل أفق، فيفزعون من الهمس، ويألمون من اللمس.

ولن تقر نفوس هؤلاء، إلا إذا خالطها الإيمان بالله، والتسليم له، والرضا بقضائه وقدره. قال رسول الله ﷺ: « **ذاق طعم الإيمان من رضي بالله ربًا وبالإسلام دينًا وبمحمد رسولاً** » رواه الترمذي.

وقال ﷺ: « **لا يؤمن عبد حتى يؤمن بالقدر خيره وشره، وحتى يعلم، أن ما أصابه لم يكن ليخطئه، وأن ما أخطأه لم يكن ليصيبه** » رواه الترمذي.

عباد الله:

إن شأن الناس مع القدر عجيب، فذاك تاجر يؤرقه السهود، لأنه من خوفه على رزقه، يتوجس انهيار تجارته بين الحين والآخر، وآخر غط في نوم عميق، فهو لا يتجشم مؤنة سعي؛ لأن الأرزاق مقسومة. والحقيقة كلها، في التوسط بين الطرفين، فالمسلم يؤدي العمل المطلوب، فيعقل ويتوكل، وينفي الريب عن فؤاده، بعد أن يؤدي ما عليه، عملاً بقول

المصطفى ﷺ : « **اعملوا فكل ميسر لما خلق له** » متفق عليه .

ولذا، فإن أحاديث القدر، علاج للقلق والتشاؤم، وليست ذريعة كسل أو خمول. إذ ما عساك أيها المسلم أن تفعل، إذا أصابك ما تكره؟ إن كان تغيير المكروه في مقدورك، فالصبر عليه بلادة، والرضا به حمق. وإن كان ما عراك، فوق ما تطيق، فهل هناك حيلة، أفضل من الاتزان ورباطة الجأش، وهل هناك مسلك أرشد من الرضا والتسليم للخالق، الذي يحول الداء دواءً، والمحنة منحة ﴿ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ۝٢ وَلَقَدْ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۖ فَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴾ [العنكبوت: ٢، ٣].

أيها الناس:

إن الله عز وجل، قسم المعاش، وقدر الأرزاق، والناس أجمع، لا يملكون عطاءً ولا منعًا، وإنما الناس وسائط، فما أعطوك، فهو بقدر الله، وما منعوك، فهو بقدر الله، وما كان لك، فسوف يأتيك على ضعفك، وما كان لغيرك فلن تناله بقوتك، وما عليك إلا أن تجد وتعمل، وتضرب في آفاق الأرض، وتأخذ بأسباب الرزق، فمن جد وجد، ومن زرع حصد، فلا كسب بلا عمل، ولا حصاد بلا زرع، ومسألة الرزق، أدق من أن تدرك، وأبعد من أن تنال، وانظروا إلى الناس، ترون منهم الغواصين، الذين جعل الله رزقهم في أعماق البحار، والطيارين، الذين جعل الله معاشهم في بحار الهواء بين السماء والأرض، وأصحاب المناجم يجدون خبزهم، مخبوءًا في الصخر الأصم، فلا ينالونه إلا بتكسيره. ومروض الأسود والفيلة، الذي يترصده الموت كل حين، يجد مصدر رزقه، بين أنياب الأسود أو تحت أرجل الفيلة: ﴿ أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ ۚ نَحْنُ قَسَمْنَا

بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَٰتٍ لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضًا سُخْرِيًّا وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴾ [الزخرف: ٣٢].

فلا تجزعوا من الفقر عباد الله، فإن الفقر قد يسمو، كما سما فقر المصطفى ﷺ ولا تغتروا بالغنى؛ فإن الغنى قد يدنو، كما دنى غنى قارون وأبي جهل.

واجعلوا الفقر والغنى مطيتين، لا تبالون أيهما ركبتم، إن كان الفقر، فإن فيه الصبر، وإن كان الغنى فإن فيه البذل. وأبشروا بقول المصطفى ﷺ: «**إن روح القدس نفث في روعي أن نفسًا لن تموت، حتى تستكمل أجلها، وتستوعب رزقها، فاتقوا الله وأجملوا في الطلب ولا يحملن أحدكم، استبطاء الرزق أن يطلبه بمعصية الله، فإن الله تعالى، لا ينال ما عنده إلا بطاعته**» أخرجه ابن حبان وأبو نعيم في الحلية.

أيها المسلمون:

إن الإيمان بالقضاء والقدر، يثمر الإقدام، وخلق الشجاعة والتسليم بأقدار اليوم والغد، وهذا ما ذكره الله في قوله: ﴿ قُل لَّن يُصِيبَنَآ إِلَّا مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَىٰنَا ﴾ [التوبة: ٥١]، وقوله: ﴿ قُلْ هَلْ تَرَبَّصُونَ بِنَآ إِلَّآ إِحْدَى ٱلْحُسْنَيَيْنِ ﴾ [التوبة: ٥٢]، يعنون بذلك كسب المعركة بالنصر، أو الموت دون الظفر بها، و هو حسن كذلك؛ لأن ما عند الله خير وأبقى. أما الذين لا إيمان لهم، فهم إن انتصروا أو انهزموا، بين عذابين، آجل أو عاجل. ﴿ وَنَحْنُ نَتَرَبَّصُ بِكُمْ أَن يُصِيبَكُمُ ٱللَّهُ بِعَذَابٍ مِّنْ عِندِهِۦٓ أَوْ بِأَيْدِينَا فَتَرَبَّصُوٓا۟ إِنَّا مَعَكُم مُّتَرَبِّصُونَ ﴾ [التوبة: ٥٢]، فهم يحيون بفؤاد هواء، تلعب به الأحداث والظنون، وأشباح الموت والمصائب.

إن الذي يعتقد أن الأجل محدود، والرزق مكفول، والأشياء بيد الله

يصرفها كيف يشاء، كيف يرهب الموت والبلى؟ وكيف يخشى الفقر والفاقة مما ينفق من ماله؟ ﴿ ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُوا۟ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَٰنًا وَقَالُوا۟ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ ﴿١٧٣﴾ فَٱنقَلَبُوا۟ بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوٓءٌ وَٱتَّبَعُوا۟ رِضْوَٰنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ ﴾

[آل عمران: ١٧٣، ١٧٤].

ومن هنا اندفع السلف الصالح، إلى الممالك والأقطار يفتحونها، فأدهشوا العقول، وحيروا الألباب، وقهروا الأمم، فكسروا كسرى، وقصروا قيصر، ودمروا بلادًا، ودكدكوا أطوادًا، وسحقوا رؤوس الجبال تحت حوافر جيادهم. أرجفوا كل قلب، وأرعدوا كل فريصة، وقائدهم في ذلك كله، الإيمان بالله وبقضائه وقدره.

بهذا الاعتقاد، لمعت سيوفهم بالمشرق، وانقضَّت شهبها على الحيارى من أهل المغرب، فالله أكبر ما أعظم الإيمان بالقدر، والله أكبر، ما أعظمه من مطهر للنفوس، من رذيلة الخور والدعة، العائقين عن بلوغ الرَشَد والدرجات العلى.

اللهم إنا نسألك إيمانًا بك، وبملائكتك، وكتبك ورسلك، واليوم الآخر، وبقدرك خيره وشره، إنك قريب مجيب الدعوات.

أقول قولي هذا، وأستغفر الله لي ولكم ولسائر المسلمين والمسلمات من كل ذنب، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

* * *

الخطبة الثانية

الحمد لله كثيرًا طيبًا مباركًا فيه، كما يحب ربنا ويرضى، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، صلوات ربي وسلامه عليه وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان.

أما بعد:

فاتقوا الله عباد الله، واعلموا أن الإيمان بالقضاء والقدر، دعامة من دعامات هذا الدين، فهو الركن السادس من أركان الإيمان، ضل فيه من ضل، ممن حرم هداية الله، ولم يوفق للتوحيد، الذي هو حق الله على العبيد، والمخالفون في القدر، بين الغالي فيه، والجافي عنه، والقول الحق هو الوسط؛ قول أهل السنة والجماعة، بين الغالي فيه والجافي عنه، كما قال بعض أهل العلم، من بين فرث ودم، لبنًا خالصًا سائغًا للشاربين.

وأهل السنة والجماعة يقولون: إن على العبد أن يعلم أن الله قد سبق علمُهُ في كل كائن من خلقه، فقدر ذلك تقديرًا محكمًا مبرمًا، ليس فيه ناقض ولا معقب، ولا مزيل، ولا مغير، ولا زائد ولا ناقص من خلقه، في سماواته وأرضه، وأن ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن، وأن للعبد مشيئة وإرادة. تحت مشيئة الله وإرادته ﴿ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾[التكوير: ٢٩]، وقال تعالى: ﴿ وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَٰهُ فِىٓ إِمَامٍ مُّبِينٍ ﴾[يس: ١٢]، وقال تعالى: ﴿ إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ ﴾ [القمر: ٤٩]، وقال ﷺ: « **كتب الله مقادير الخلائق قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة** » رواه مسلم.

والفرقة الناجية: أهل السنة والجماعة، تؤمن بالقدر خيره وشره، ويقولون: إن أصل القدر سرُّ الله في خلقه، لم يَطَّلِعْ على ذلك مَلَكٌ مقرب، ولا نبي مرسل. والتعمق والنظر في ذلك، ذريعة الخذلان، وَسُلَّمُ الحرمان، فالحذر كل الحذر من ذلك. نظرًا وفكرًا ووسوسة، فإن الله تعالى طوى علم القدر عن أنامه، ونهاهم عن مرامه كما قال تعالى في كتابه: ﴿لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ﴾ [الأنبياء: ٢٣]، فمن سأل: لم فعل؟ فقد رد حكم الكتاب، ومن رد حكم الكتاب كان من الكافرين.

هذا، وصلوا رحمكم الله على خير البرية وأفضل البشرية.

* * *

وداع الحج

الخطبة الأولى

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونتوب إليه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وأصحابه إلى يوم الدين.

أما بعد:

فاتقوا الله عباد الله، واركعوا واسجدوا واعبدو ربكم وافعلوا الخير لعلكم تفلحون.

الله أكبر الله أكبر لا إله إلا الله، الله أكبر الله أكبر ولله الحمد.

حجاج بيت الله، يا من أديتم مناسككم فوقفتم بعرفات، وانحدر بكم الشوق إلى المزدلفة فسكبتم عند المشعر الحرام العبرات، هنيئًا لمن رزقوا

الوقوف بعرفة، وجأروا إلى الله بقلوب محترقة، ودموع مستبقة، فلله كم من خائف، أزعجه الخوف وأقلقه، ومحب ألهبه الشوق وأحرقه، وراج أحسن الظن بوعد الله وصدَّقه، وتائب نصح لله التوبة وصدقه. كم من مستوجب للنار، أنقذه الله وأعتقه، وبلغ الأماني عشية عرفة، اطلع عليهم أرحم الرحماء، وباهى بجمعهم أهل السماء، فهل رأيتم عباد الله، هل رأيتم قط عراة، أحسن من المحرمين، هل شاهدتم ماءً صافيًا أصفى من دموع المتأسفين، هل ارتفعت أكف، وانبسطت أيد، فضاهت أكف الراغبين، هل لصقت بالأرض جباه أفضل من جباه المصلين؟

حجاج بيت الله، أخلصوا لله حجكم، واتبعوا سنة نبيكم تفلحوا، فالإخلاص والمتابعة هما شرطا قبول العبادة، فكل عمل فقد واحدًا من هذين الشرطين، فهو مردود على صاحبه. قال رسول الله ﷺ: « **من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد** » رواه مسلم، وقال ﷺ: « **من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد** » متفق عليه.

لقد أوضح النبي ﷺ الطريق، ولكن قل السالك على التحقيق، وكثر المدعي. وليس السابق اليوم، من سبق به بعيره، إنما السابق من غفر له ذنبه.

أيها الحجاج: من قصر في جنب الله، فليرجع إلى جهاد النفس فهو الجهاد الأكبر. حذار أن تحلقوا رؤوس أديانكم بالذنوب، فإن الذنوب حالقة الدين، ليست حالقة الشعر.

أيها المسلمون في مشارق الأرض ومغاربها من فاته القيام بعرفة، فليقم لله بحقه الذي عرَّفه، ومن عجز عن المبيت بالمزدلفة، فليبت عزمه على طاعة الله، وقد قربه وأزلفه، من لم يقدر على نحر هدية بمنىً، فليذبح هواه هناك

أو هنا وقد بلغ المنا ، من لم يصل إلى البيت العتيق؛ لأنه من بعيد، فلا يبعد نفسه بالذنوب عن رحمة الله؛ فإن رحمت الله أقرب إلى من دعاه من حبل الوريد.

الله أكبر الله أكبر الله أكبر كبيراً.

ذكر الله المطلق، يستحب الإكثار منه في أيام التشريق، وقد كان الصحابة رضوان الله عليهم، يكبرون فترتج منى تكبيراً.

فإذا قضى الحاج مناسكه، شرع له أن يذكر الله، ويكثر من ذكره، استجابة لما أرشد إليه خالقنا جل وعلا في قوله: ﴿فَإِذَا قَضَيْتُم مَّنَاسِكَكُمْ فَاذْكُرُوا اللَّهَ كَذِكْرِكُمْ﴾ [البقرة: ٢٠٠].

وفي الأمر بالذكر عند انقضاء النسك معنى جلي، وهو أن سائر العبادات تنقضي ويُفْرغ منها، وذكر الله باق، لا ينقضي ولا يفرغ منه، بل هو مستمر للمؤمنين في الدنيا والآخرة، فالمؤمن يعيش على الذكر ويموت عليه، وعليه يبعث، فما طابت الدنيا إلا بذكره تعالى، ولا الآخرة إلا بعفوه، ولا الجنة إلا برؤيته.

كما يشرع للحاج أن يكثر من قوله: ﴿رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ﴾ [البقرة: ٢٠١]، وهذا الدعاء، من أجمع الأدعية، وقد كان النبي ﷺ يكثر منه؛ لأنه يجمع خير الدنيا والآخرة، وهو دعاء جامع لكل خير، وصارف لكل شر، فالحسنة في الدنيا، تشمل كل مطلوب دنيوي، من عافية ورزق، وزوجة صالحة، وعلم نافع وعمل مبرور. والحسنة في الآخرة هي الأمن في العرصات يوم القيامة، وتيسير الحساب، والنعيم المقيم، ورؤية رب البرية سبحانه﴿ فَمِنَ النَّاسِ مَن

يَقُولُ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِي ٱلدُّنْيَا وَمَا لَهُۥ فِي ٱلْآخِرَةِ مِنْ خَلَٰقٍ ﴿٢٠٠﴾ وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِي ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي ٱلْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴾

[البقرة: ٢٠٠، ٢٠١].

حجاج بيت الله، في حجة الوداع، كان خطاب النبي ﷺ، الذي ألقاه على حشود من البشر غفيرة، والتي اجتمعت له في صعيد عرفات، وهو خطاب جليل، لم تع مسامع الوجود أرقى من مبادئه، ولا أشرف وأجل من مقاصده، كما أنه خطاب أخوي، حوى سجلاً صادقًا لحقوق الإنسان المسلم وحرمة ماله ودمه وعرضه، أكد النبي ﷺ في تلك الخطبة، بطلان أمور الجاهلية، وأنها موضوعة تحت قدميه.

ورأس الجاهلية، الشرك بالله!!! الشرك بالله في ألوهيته، أو ربوبيته. أو الإلحاد في أسمائه وصفاته.

فدين الإسلام دين التوحيد والعقيدة، وبيت الله بني لأجل التوحيد ﴿ وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَٰهِيمَ مَكَانَ ٱلْبَيْتِ أَن لَّا تُشْرِكْ بِي شَيْـًٔا ﴾ [الحج: ٢٦].

والحج في الإسلام أمارة وحكمة، تدعو إلى التوحيد، فاجتماع الناس على اختلاف أجناسهم وألوانهم يوحي إليهم: أنه ينبغي للمسلم، ألا يعبد إلا الله، ولا يخاف إلا الله، ولا يرجو إلا الله، ولا يذبح إلا لله، ولا ينذر إلا لله، ولا يتوكل إلى على الله، ولا يعمل عبادة إلا لله وحده لا شريك له، فالأمن والأمان، مرتهنان بتوحيد الله ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴾ [الأنعام: ٨٢].

وقرن إبراهيم عليه السلام، الأمن في الحرم بتوحيد الله: ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا بَلَدًا ءَامِنًا وَٱجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعْبُدَ ٱلْأَصْنَامَ ﴾ [إبراهيم: ٣٥]، فلا يجتمع إذن صنم وآمن.. صنم النفس، وصنم الهوى، وصنم الحجارة، وصنم الدساتير والأحبار والرهبان.

ومتى بقيت من ذلك بقية، فالله أغنى الشركاء عن الشرك، وهو لا يرضى بمزاحمة الأصنام. قال سهل بن عبد الله: حرام على قلب أن يدخله النور، وفيه شيء مما يكرهه الله.

لقد حارب النبي ﷺ الشرك؛ لأن من مقتضى الإيمان بالله وعبادته وحده، هو الكفر بالطاغوت ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ [النحل: ٣٦]. والإيمان بالله، والكفر بالطاغوت، هو معنى لا إله إلا الله. والطاغوت هو كل ما تجاوز به العبد الحده، من معبود أو متبوع أو مطاع، فطاغوت كل قوم، من يتحاكمون إليه من دون الله ورسوله، أو يعبدونه من دون الله، أو يتبعونه على غير بصيرة من الله أو يطيعونه فيما لا يعلمون أنه طاعة لله ورسوله.

فالله عز وجل، إنما بعث محمدًا ﷺ بالتوحيد الخالص، وتحريم كل صور الشرك وضروبه، ومنع كل مشرك من دخول المسجد الحرام ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَٰذَا﴾ [التوبة: ٢٨]. وقد أمر رسول الله ﷺ أن ينادى في الناس « **ألا يحج بعد العام مشرك ولا يطوف بالبيت عريان** » متفق عليه.

فالذي ينبغي علي المسلم ألا يشرك بالله شيئًا، وأن ينفي الشريك عن الله وألا يرجو قبة، ولا يتوسل بوثن، ولا يطوف بقبر، ولا يتمسح بعتبة أو باب، ولا يعلق تميمة، أو ودعة أو نابًا؛ رجاء نفع، أو دفع ضر، فالله هو النافع وهو يدفع ما بالإنسان من ضر ومصاب.

الله أكبر الله أكبر لا إله إلا الله، الله أكبر الله أكبر ولله الحمد.

حجاج بيت الله الحرام، في خطبة الوداع يؤكد المصطفى ﷺ، حرمة المسلم وحريته الشرعية، وأنه لا يحل دمه وماله وعرضه، إلا بسبب يبيح

ذلك: « **كل المسلم على المسلم حرام دمه وماله وعرضه** » رواه مسلم، فرسول الله ﷺ هو أول من نادى بحقوق الإنسان المسلم، وهو الذي طبقه في واقع حياته، ثم الصحابة من بعده، ثم السلف الصالحون، ومن بعدهم من أئمة الهدى، وأمراء العدل.

ويؤكد رسول الله ﷺ في خطبته، حرمة الربا فيقول: « **وربا الجاهلية موضوع، وأول ربًا أضع ربانا، ربا عباس بن عبد المطلب، فإنه موضوع كله**» رواه مسلم.

إن أفظع تعامل منيت به الإنسانية، وأبشع وضع تواضع عليه كثير من الناس في أمورهم المالية، هو الربا، فكم له من ضحايا، وكم خرب من بيوتات، وكم جلب من محن وبلايا، ولو لم يبق إلا كونه حربًا لله ورسوله لكفى، فأكل الربا صفة من صفات اليهود، التي استحقوا عليها اللعنة الخالدة ﴿فَبِظُلْمٍ مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُوا۟ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَٰتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ وَبِصَدِّهِمْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ كَثِيرًا ﴿١٦٠﴾ وَأَخْذِهِمُ ٱلرِّبَوٰا۟ وَقَدْ نُهُوا۟ عَنْهُ﴾ [النساء: ١٦٠، ١٦١].

أيها الناس:

أكد رسول الله ﷺ حق المرأة المسلمة، وأنها شقيقة الرجل، لها شأن في المجتمع، ؛ حيث إنها نصف البشرية، ثم هي تلد النصف الآخر، فأصبحت بذلك كالأمة الكاملة. وبذلك، ارتفعت المرأة في الإسلام، بعد أن كانت زرية مهانة، تباع وتسبى، وتحرم وتوأد، فأكد النبي ﷺ حقها، وأوصى بالنساء خيرًا فإنهن أسيرات عند الرجال.

ومن حق المرأة على الرجال، أن يعتنوا بها، ويحموها من مزالق الفتن، ويضعوا لها سياجًا منيعًا، متمثلاً في الحشمة والعفاف، المفضيين إلى الحجاب الشرعي، والقرار في البيوت، والبعد عن مزاحمة الرجال، وأن

يباعدوا بينها وبين الدعوات المسعورة، الداعية إلى نزع حجابها، وخروجها من بيتها؛ لتكون طبقًا شهيًا لعباد المرأة، وللذين كرهوا ما نزل الله.

فاتقوا الله أيها المسلمون، واعملوا بوصية نبيكم ﷺ، الواقعة في مثل حجكم هذا، والتي أشهد عليها آباءكم وأسلافكم حين قال لهم: « **وأنتم مسؤولون عني فما أنتم قائلون؟** قالوا: نشهد أنك قد بلغت رسالات ربك، وأديت ونصحت لأمتك، وقضيت الذي عليك، فقال بأصبعه السبابة يرفعها إلى السماء يشير بها إلى الناس: **اللهم اشهد، اللهم اشهد**» رواه مسلم.

الله أكبر الله أكبر لا إله إلا الله، الله أكبر الله أكبر ولله الحمد.

عباد الله:

أقول ما تسمعون، وأستغفر الله لي ولكم ولسائر المسلمين من كل ذنب فاستغفروه...

* * *

الخطبة الثانية

الحمد لله حمد من يشكر النعمة، ويخشى النقمة، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ،ذو القوة والرحمة، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، معلمنا الكتاب والحكمة صلى الله وسلم عليه وعلى آله وصحبه، ومن قام على قمع بدعة وإحياء سنة.

أما بعد:

فاتقوا الله عباد الله، واعلموا أن أحسن الحديث كلام الله، وخير الهدي هدي محمد ﷺ ،وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار، وعليكم بجماعة المسلمين فإن يد الله على الجماعة، ومن شذ عنهم شذ في النار، عليكم عباد الله بالتقوى، والاستمساك بالعروة الوثقى ،واحذروا المعاصي، فإن أقدامكم على النار لا تقوى، واعلموا أن ملك الموت قد تخطاكم إلى غيركم وسيتخطى غيركم إليكم، فخذوا حذركم. الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت، والعاجز من أتبع نفسه هواها وتمنى على الله الأماني.

هذا، وصلوا رحمكم الله على خير البرية وأفضل البشرية...

* * *

الشرف الزائف

الخطبة الأولى

الحمد لله الحكيم العليم، يضع البركة في القليل الضئيل، فإذا هو كالبحر الواسع، أو الفيض العميم، ويمحق بقدرته الكثير الدخيل، فإذا هو كالهباء أو الهشيم ﴿ وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴾ [البقرة: ٢٦١]، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، ولي الصالحين ومزكي قلوب المتقين ﴿ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ۝٢ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَٰلِغُ أَمْرِهِۦ ۚ قَدْ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَىْءٍ قَدْرًا ﴾ [الطلاق: ٢، ٣].

وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، أخلص إلى ربه قصده، وأوقف على رضاه جهده، بلا رياء ولا سمعة، فصلوات الله وسلامه عليه، وعلى آله وصحبه، الفائزين بشرف صحبته، والمستمسكين بشرعته ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَنُدْخِلَنَّهُمْ فِى ٱلصَّٰلِحِينَ ﴾ [العنكبوت: ٩].

أما بعد:

فأوصيكم أيها الناس ونفسي بتقوى الله عز وجل، إذ لا خير فينا إن لم نقلها، ولا خير فيمن سمعها ألا يعمل بها، فتقوى الله عز وجل طريق الفلاح، وعنوان الصلاح ﴿ فَاتَّقُوا اللَّهَ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ [المائدة: ١٠٠].

عباد الله:

قال الله عز وجل: ﴿ اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَامًا وَفِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ ﴾ [الحديد: ٢٠].

أيها المسلمون:

هذا هو مثل الدنيا في القرآن، يعرف من خلاله، استنكار الضراعة، التي تظهر على بعض الناس، حين يتطلعون إلى الدنيا، فيبكون ما فقدوا من حطام، وتؤثر فيهم المعاني النفسية التي تعلو بعرض من الدنيا، وتهبط بعرض، وكلما أحدثت خلة من خلالهم هدمًا في الحياة أو شرخًا في الدين، ظنوا أن المال يرممها، وأن الشرف والتفاخر يرأب الصدع فيها.

أيها الأحبة في الله:

لو راجع الإنسان نفسه، وأصغى لمناجاة نفسه، لوجد في وجدانه ميلاً قويًا، وحرصًا شديدًا، يدفعه إلى طلب الشرف والرفعة، وعلو المنزلة في أبناء جنسه، ولو رفعت بصرك أيها المسلم، إلى سواد أمة بتمامها، لوجدت مثل ذلك في مجموعها، كما هو حاصل في أفرادها، تبتغي شرف المكانة في نفوس الأمم سواها، ذلك كله أمر جبلي، جبل الله عليه

بني الإنسان مجتمعين ومنفردين.

فعلى مستوى الأفراد، يتفق العقلاء من البشر وذووا الفطر السليمة، على أن الإنسان إذا طلب الشرف من طريق مزيفة تشبه تفنن المتسولين، فهو بشر شاذ المسلك، مريض يستحق العلاج، أو مجرم يستحق العقاب، وطالب الشرف من أمثال هذا، إما غني فيه طمع، أو فقير عنده قلق، غني لم يكتف حين استوفى، ولم يشكر حين قدر، فوقعت مآسي الترف والفسق وحب الشرف، وفقير أخرجه فقره عن رشاده، ولم يرض بقسمة الله ورزقه، فاعترى الغنى والفقر مرضان مرض شهوة، ومرض شبهة.

ومن هنا أسرف الغني على نفسه فكان حيوانًا، واضطرب الفقير بقلقه فكان شيطانًا.

وعلى مستوى المجتمعات، فإن المجتمع الذي يملك ثروة هائلة، ولديه تراث ديني خصب، يعد مجتمعًا ساذجًا إذا نسي ما لديه من كنوز، وما يقتني من مصادر الشرف المادي والأدبي، ثم يحاول الالتحاق بجبهة من جبهات الكفر والضلال، أو يصطبغ بلون من ألوانها، سيرًا في ركاب التقدم، المفضي إلى الانحراف، بعد أن شرفه الله بصبغة واحدة. ﴿صِبْغَةَ ٱللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ صِبْغَةً وَنَحْنُ لَهُۥ عَٰبِدُونَ﴾[البقرة: ١٣٨].

ومن هنا، اختلفت نظرات الناس وتوجهاتهم حول ما يثيرونه من معاني الشرف، ففئة من الناس ترى الشرف في تشييد القصور، والتعالي في البنيان، ووفرة الخدم والحشم. وفئة أخرى تتوهم أن الشرف يكمن في وفرة الفاخر من الثياب والحلي وأشباهها. وفئة أخرى، تتخيل الشرف، في الألقاب الرفيعة، أو في رتب الوظيفة وعلو أسمائها. وفئام من الناس، يرون الشرف، في أن يسلب الرجل مال أخيه، ونهب ثروات أقاربه

وذويه، أو بني ملته وأهل دينه ليشيد بما يصيب من السحت بيتًا، ويرفع بناءً، ويظن بذلك، أنه نال مجدًا أبديًا، وفخارًا سرمديًا، وراق لهؤلاء أن يُعَنْونوا لحالهم بعنوان الشرف.

وآخر من الناس، يسهر ليله، ويقطع نهاره بالفكر، في وسيلة ينال بها لقبًا من الألقاب أو يحصل بها على وسام، أو يستفيد وشاحًا، وسواء عنده الوسائل يطلبها، أيًا كان نوعها، وإن أفضت إلى خراب بيته، أو تذليل نفسه وأهله، أو تمزيق دينه. انطلاقًا من قاعدة، قعدها شياطين من البشر، في جثمان إنس، يقولون: [الغاية تبرر الوسيلة] فكل ما ترى أنه غاية لك أيها الإنسان، فإن الوسائل المؤدية إلى تلك الغاية لك أن تسلك منها ما تشاء ولو كان على حساب الآخرين، أو بالغدر والفتك والحسد.

ويالالأسف الشديد أنك تجد بعضًا ممن ينتسبون إلى الدعوة والتعليم يقعون في هذه الأوحال تعصبًا لحزب، أو طمعًا في منصب، أو كرهًا لمستقيم صادق. فهؤلاء يعيشون ويحيون على هذه القاعدة، ويتمرغون بأخلاقهم فيها، ينقلبون على المجتمع من صنع تلك القاعدة ناسًا دودًا كطبع الدود، لا يقع في شيء إلا أفسده أو قذره، أو قومًا سوسًا كطبع السوس، لا ينال شيئًا إلا نخره أو عابه، فهم يوقعون الخلل في أنفسهم وفي نظام مجتمعهم.

وصدق رسول الله ﷺ إذ يقول: « **ما ذئبان جائعان أرسلا في غنم، بأفسد لها من حرص المرء على المال والشرف لدينه** » رواه الترمذي وقال: حسن صحيح.

فهذا مثل عظيم جدًا، ضربه النبي ﷺ لفساد دين المسلم بالحرص على المال والشرف في الدنيا، وأن فساد الدين بذلك ليس أقل من فساد الغنم

بذئبين جائعين ضاريين باتا في الغنم قد غاب عنها رعاؤها ليلاً، فهما يأكلان في الغنم ويفترسان فيها، ومن المعلوم بداهة، أنه لا ينجو من الغنم والحالة هذه إلا قليل.

عباد الله:

الحرص على الشرف صفة ملازمة لكثير من الناس على اختلاف طبقاتهم وتوجهاتهم، كل ينافس أهل طبقته في أسباب الكرامة بينهم، ويأنف من احتقارهم له، فيحرص أشد الحرص على ما يحله من قلوبهم محل الاعتبار، حتى إذا بلغ الغاية مما به الرفعة عندهم تخطى حدود تلك الطبقة، ودخل في طبقة أخرى، ونافس أهلها في المال والجاه، ويظل يتبع سيره ما دام حيًا، حتى لا يستطيع أن يقنع نفسه أنه بلغ من الكمال الزائف حدًا ليست بعده غاية.

سبحان الله، ماذا أخذت محبة الشرف من قلب الإنسان؟وماذا ملكت من أهوائه ورغباته، يعد الشرف ثمرة حياته، وغاية وجوده !! حتى إنه يحقر الحياة عند فقده والعجز عن دركه، يتجشم المصاعب للوصول إليه، ويبلغ من محبة الشرف حدًا لا يراه غذاء لروحه فقط، بل يعده من مادة النماء لبدنه، فهو يفرق خوفًا إذا عرض وهم لفواته، خشيةً من هلاكه، وذهاب حياته، كل هذا يحتمله، طلبًا لشرف يكسبه لذاته، أو ابتغاء مجد يحصله لشهوة نفسه.

ماذا يشعر به المفاخر بنفسه وجاهه، أوعلمه وماله، إذا تجرد وخلي بنفسه؟ إن لم يكن لذاته حلية من الفضيلة، وزينة من السمو !! ألا يكون هو وعراة الفقراء سواء.

أولا يجد من سره عند المفاخرة أنه يجول مع الغانيات وربات الخدور

في ميدان واحد؟ ماذا يتصور الزاهي برتبته، المعجب بوسامه، إن لم يكن قبل وسمته، أو الصعود لرتبته على حال تجل، أو علو يبجل، أليس يشعر، أنه لو سلب الوسام، أو نزع منه الوشاح، يعود إلى منزلته من الاحتقار؟ فإن نال الكرامة عند بعض السذج، واللقب معلق عليه، أليس ذلك تعظيمًا للقب لا للملقب به؟ ألا تكون هذه الكرامة عارضًا سريع الزوال، بل رسمًا ظاهرًا، لا يمس بواطن القلوب؟ ﴿فَأَمَّا ٱلزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَآءً وَأَمَّا مَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ فَيَمْكُثُ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [الرعد: ١٧].

نعم أيها المسلمون:

لهذه الألقاب الرفيعة شأن، يرتفع به نظر الناس، إذا سبق بعمل يعترف عموم الناس بشرفه، وكان اللقب دليلاً عليه أو مشيرًا إليه، كما يكون لمثلها حال يسقط به الاعتبار، إذا تقدمها فعلة يمقتها العقلاء من بني الإسلام.

عباد الله:

ذكر بعض أهل العلم أن طلب الشرف تشتد خطورته إذا حرص عليه من طريقين:

الطريقة الأولى:

طلب الشرف بالولاية والرياسة والمال، وهذا خطر جدًا، وهو في الغالب، يمنع خير الآخرة، وشرفها وكرامتها، قال تعالى: ﴿تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [القصص: ٨٣].

وقلَّ من يحرص على ولايات الدنيا بطلبها فيوفق، بل يوكل إلى نفسه كما قال ﷺ لعبد الرحمن بن سمرة رضي الله عنه: « **يا عبد الرحمن، لا تسأل الإمارة، فإنك إن أعطيتها عن مسألة وكلت إليها، وإن أعطيتها عن غير**

مسألة أعنت عليها » [رواه البخاري ومسلم].

قال بعض السلف: ما حرص أحد على ولاية فعدل فيها. والولاية هي كل ما يتولى به على أمر من أمور المسلمين الخاصة والعامة.

وثبت أن رجلين قالا للنبي ﷺ: يا رسول الله، أمرنا، قال: « **إنا لا نولي أمرنا هذا من سأله ولا من حرص عليه** » [رواه البخاري].

وحب الشرف بالولاية إذا قصد به الحرص على نفوذ الأمر والنهي، وتدبير أمور الناس، وعلو المنزلة عليهم، والتعاظم على الخلق، وإظهار حاجة الناس وافتقارهم إليه وذلهم له في طلب حوائجهم منه، فهذا نفسه مزاحمة لربوبية الله وإلاهيته، وهو لا يصلح إلا لله وحده لا شريك له.

قال رسول الله ﷺ :« **يقول الله تعالى: الكبرياء ردائي، والعظمة إزاري، فمن نازعني فيهما عذبته** » [رواه أحمد وأبو داود]

فمن هنا كان خلفاء الرسل وأتباعهم، من أمراء العدل وأتباعهم وقضاتهم، لا يدعون إلى تعظيم نفوسهم البتة، بل إلى تعظيم الله وحده، وإفراده بالعبودية والربوبية.

الطريقة الثانية:

طلب الشرف والعلو على الناس، بالأمور الدينية، كالعلم والعمل والدعوة والإرشاد والتوجيه، فهذا أفحش من الأول، وأقبح وأشد فساداً وخطراً؛ فإن العلم والعمل والدعوة، إنما يطلب به ما عند الله، فإذا طلب به المال فقد طلبه بالأسباب المحرمة، قال رسول الله ﷺ: « **من تعلم علماً مما يبتغى به وجه الله، لا يتعلمه إلا ليصيب به عرضًا في الدنيا، لم يجد رائحة الجنة يوم القيامة** » [رواه أحمد وغيره].

وسبب هذا هو أن العلم يدل على الجنة، ولهذا كان أشد الناس عذابًا يوم القيامة عالم لم ينفعه علمه، حيث كان معه آلة يتوصل بها إلى أعلى الدرجات، وأرفع المقامات، فلم يستعملها إلا في أخس الأمور وأحقرها.

كتب وهب بن منبه إلى مكحول: « أما بعد، فإنك أصبت بظاهر علمك عند الناس شرفًا ومنزلة، فاطلب بباطن علمك عند الله منزلة وزلفى، واعلم أن إحدى المنزلتين تنازع الأخرى».

وبكل حال أيها المسلمون؛ فإن طلب شرف الآخرة يحصل معه شرف الدنيا وإن لم يرده صاحبه ولم يطلبه، وطلب شرف الدنيا لا يجامع شرف الآخرة ولا يجتمع معه، والسعيد من آثر الباقي على الفاني، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ ٱلرَّحْمَٰنُ وُدًّا﴾ [مريم: ٩٦]، أي في قلوب عباده.

وفي الحديث عن المصطفى ﷺ أنه قال: « **إن الله إذا أحب عبدًا، نادى: يا جبريل أحب فلانًا فيحبه جبريل، ثم يحبه أهل السماء، ثم يوضع له القبول في الأرض** » [رواه البخاري ومسلم]

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَٰرَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿١٠﴾ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١١﴾ يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِى جَنَّٰتِ عَدْنٍ ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٢﴾ وَأُخْرَىٰ تُحِبُّونَهَا ۖ نَصْرٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾[الصف: ١٠- ١٣]

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم . . . .

* * *

الخطبة الثانية

الحمد لله حمدًا كثيرًا طيبًا مباركًا فيه، كما يحب ربنا ويرضى، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله .

أما بعد:

فاتقوا الله عباد الله : واعملوا أن الشرف الحقيقي، ليس هو الأمنية والتشهي اللذين تطلبهما النفس تارة بعد أخرى، ويعبر عنها الإنسان بليت لي كذا وكذا من المال والفضل، لا وكلا .

إنما الشرف، دين يتبعه عمل، ويصحبه حمل النفس على المكاره، وجبلها على المشاق والمتاعب، وتوطينها لملاقاة البلاء بالصبر، والشدائد بالجلد.

والشريف هو كل مؤمن بالله، صادق الإيمان، صحيح العقيدة، وفى لربه وأدى ما عليه وأبى الدنية في دينه، ولم يرضخ لوساوس الشيطان وآلاعيبه، فدينه الإسلام ومصدر الحكم عنده كتاب الله وسنة رسوله ﷺ وإجماع السلف الصالح، فلا يرضى لدينه أن يدنس، ولا لماله أن يستباح، ولا لأهله أن تنتهك حرماتهم، وحمى شعائر الله ومقدساته ﴿ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ﴾ [الحج: ٣٢].

الشرف بهذا المفهوم بهاء للشخص، يحوم عليه بالأنظار، ويوجه إليه الخواطر والأفكار، ومشرق ذلك البهاء عمل يأتيه طالبه، يكون له أثر حسن في أمته؛ أو بني ملته كإنقاذ من تهلكة، أو كشف لجهالة، أو تنبيه لحق سلب، أو إيقاظ من غفلة، أو جمع كلمة، أو تجديد رابطة، أو إعادة قوة وانتشال من ضعف، أو أمر بمعروف أو نهي عن منكر.

من أتى عـمـلاً من هذه الأعـمـال وهو مـؤمن بالله إيمانًا صـادقًـا، فـهـو الشريف حقًا، وإن سكن غياهب الجبال، ولبس الرث من الثياب، وبات على تراب الفقر، هذا له حلية من عمله، وزينة من فضله، وبهاء من جده، يهدي إليه ضالة الألباب، وتائهة الأفئدة، تعرفه المشاعر الحساسة ولا تـنـكـره، وله معـزة مشـرقة، في جبـاه الصـالحين من المسلمين ﴿ وَفِي ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ ٱلْمُتَنَٰفِسُونَ ﴾ [المطففين: ٢٦].

وأما الشرف الزائف فيـمكن عـلاجه بداوم النظر في سنة المصطفى ﷺ فإن فيها تحذيراً شديداً من سؤال الولاية أو تعلق القلب بها، وبدوام التعويد على الطاعة وهضم النفس، فإن ذلك له أثره الظاهر في كبت جماح النفس وتطلعاتها المشبوهة، وخلع تلك الأمراض من القلب والرضى بالحال التي يوضع فيها المسلم قال رسول الله ﷺ: « **تعس عبد الدينار تعس عبد الدرهم، وعـبد الخـمـيـصـة، إن أعطي رضي، وإن لم يعط سـخط، تعس وانتكس وإذا شيك فـلا انتقش، طوبى لعبـد آخذ بعنان فرسـه في سبيل الله، أشـعث رأسه، مغبرة قدماه، إن كان في الحراسـة كان في الحرسة، وإن كان في الساقة كان في الساقة، إن استأذن لم يؤذن له، وإن شفع لم يشفع** » رواه البخاري.

كما ينبـغي للعبد أن يتذكر منزلة الدنيا والآخرة على نحو ما جاء في كـتـاب الله وسنة نبـيـه ﷺ، ﴿ قُلْ مَتَٰعُ ٱلدُّنْيَا قَلِيلٌ وَٱلْـَٔاخِرَةُ خَيْرٌ لِّمَنِ ٱتَّقَىٰ ﴾ [النساء: ٧٧]، ﴿ فَمَا مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ ﴾ [التوبة: ٣٨]، ﴿ يَٰقَوْمِ إِنَّمَا هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا مَتَٰعٌ وَإِنَّ ٱلْـَٔاخِرَةَ هِىَ دَارُ ٱلْقَرَارِ ﴾ [غافر: ٣٩]. وغير ذلك من الآيات الكريمات،

هذا وصلوا رحمكم الله على خير البرية وأفضل البشرية.

* * *

نعم المال الصالح للرجل الصالح

الخطبة الأولى

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره ونتوب إليه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبد الله ورسوله .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾

[آل عمران: ١٠٢].

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾

[النساء: ١].

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴾

[الأحزاب: ٧٠، ٧١].

أما بعد:

فأوصيكم أيها الناس ونفسي بتقوى الله عز وجل، وكثرة حمده على آلائه إليكم، ونعمائه عليكم، وبلائه لديكم؛ فكم خصكم بنعمة، وأزال عنكم نقمة، وتداركم برحمة، أعورتم له فستركم، وتعرضتم لأخذه فأمهلكم، فإن تتولوا يستبدل قومًا غيركم ثم لا يكونوا أمثالكم.

أيها الناس:

إن المتتبع لتعاليم الإسلام في القرآن والسنة يرى اعتبار المال الصالح قوام الحياة، والحث على تحصيله وحسن تدبيره وتثميره، بل لقد أجمع الأنبياء والرسل قاطبة على الديانة بالتوحيد في مللهم، وعلى حفظ المال والنفس والعقل والعرض.

ومن المسلمات المعلومة بالضرورة، أن المال زينة الحياة الدنيا، وأنه مطلوب محبوب، وأن الإسلام لا يمنع طلبه عن طريق طيبه وحله، بل إنه يحرض على كسبه، وحسن التصرف فيه، لتقضى به الحقوق، وتؤدى الواجبات، وتصان الحرمات.

إن المال في الحقيقة، لا يطلب لذاته في هذه الدنيا، وإنما يطلب عادة، لما يضمنه من مصالح، ولما يحققه من منافع، إنه في حد ذاته وسيلة لا غاية، والوسيلة عادة تحمد أو تعاب بمقدار ما يترتب عليها من نتائج حسنة وآثار سيئة، فالمال كالسلاح، إن كان في يد مجرم قتل به الأبرياء، وإن كان في يد مجاهد مناضل دافع به عن دينه ونفسه وأهله ووطنه، وقد قال تعالى عن المال، وما يسوقه من خير أو شر: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ ۝٥ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ ۝٦ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْيُسْرَىٰ ۝٧ وَأَمَّا مَنۢ بَخِلَ وَٱسْتَغْنَىٰ ۝٨ وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَىٰ ۝٩ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْعُسْرَىٰ ۝١٠ وَمَا يُغْنِى عَنْهُ مَالُهُۥٓ إِذَا تَرَدَّىٰٓ﴾ [الليل: ٥-١١].

وقال تعالى: ﴿ كَلَّآ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَيَطْغَىٰٓ ۝٦ أَن رَّءَاهُ ٱسْتَغْنَىٰٓ ﴾ [العلق: ٦، ٧].

وما أسعد المسلم، حين تعتدل أمامه مسالك الحياة، فيعمل ويتصبب منه عرقه، فيزكيه ذلك العرق ويطهره من فضلات الكسل وجمود النفس، ويكسب الكسب الحلال الطيب، وتستقيم يده، وهي تنفق من هذا الكسب الكريم، ويدخر لنفسه، ما يحتاج إليه في غده. قال رسول الله ﷺ لسعد بن أبي وقاص: « **إنك إن تذر ورثتك أغنياء خير لك من أن تذرهم عالة يتكففون الناس** » [متفق عليه]، وقال ﷺ: « **كفى بالمرء إثمًا أن يضيع من يقوت**» رواه أحمد ومسلم بنحوه.

أيها الناس:

نعق كذا ناعق فزعموا بحماقة وصفاقة أن الإسلام لا يريد من أهله إلا أن يكونوا فقراء صاغرين، ويقولون ضالين إن الله إذا أعطى الدنيا لأحد حرمه من الآخرة، ويستشهدون بقول القائل:

إن الفقيه هو الفقير وإنما راء الفقير تجمعت أطرافها

كبرت كلمة تخرج من أفواههم إن يقولون إلا كذبًا.

والواقع أيها المسلمون أن تلك فرية عظيمة، تنسب إلى الإسلام وهو منها براء، بل إن الإسلام هو الذي يحرض على الكسب والنشاط، ﴿ قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِىٓ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزْقِ ۚ قُلْ هِىَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ﴾ [الأعراف: ٣٢].

فالمؤمن ليس درويشًا في معتكفه، أو راهبًا في ديره. لا عمل له ولا كسب، الإسلام لا يعرف المؤمن إلا كادحًا عاملاً، مؤديًا دوره في الحياة، آخذًا منها معطيًا لها ﴿ هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ ذَلُولًا فَٱمْشُوا۟ فِى مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا۟ مِن

﴿ رِزْقِهِۦ ۖ وَإِلَيْهِ ٱلنُّشُورُ ﴾[الملك: ١٥]. ﴿ هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَٱسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا ﴾ [هود: ٦١]، ﴿ وَٱبْتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ ۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا ﴾ [القصص: ٧٧].

وقد رأى الفاروق رضي الله عنه قومًا قابعين في ركن المسجد بعد صلاة الجمعة، فسألهم من أنتم؟ قالوا: نحن المتوكلون على الله، فعلاهم عمر بدرته ونهرهم وقال: لا يقعدن أحدكم عن طلب الرزق، ويقول اللهم ارزقني، وقد علم أن السماء لا تمطر ذهبًا ولا فضة، وإن الله يقول: ﴿ فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَٱبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ ﴾ [الجمعة: ١٠].

وإن كان الفاروق رضي الله عنه، يشكو من متوكلين لا يعملون، ففي حياتنا المعاصرة نشكوا من الأمرين معًا، من متوكلين لا يعملون، ومن عاملين لا يتوكلون.

قال ابن عباس رضي الله عنهما: كان أهل اليمن يحجون ولا يتزودون، ويقولون: نحن متوكلون، فيحجون فيأتون إلى مكة فيسألون الناس، فأنزل الله: ﴿ وَتَزَوَّدُوا۟ فَإِنَّ خَيْرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقْوَىٰ ﴾ [البقرة: ١٩٧]، قال محمد بن نور: كان سفيان الثوري يمر بنا ونحن جلوس بالمسجد الحرام، فيقول: ما يجلسكم؟ قلنا: فما نصنع؟ قال: اطلبوا من فضل الله، ولا تكونوا عيالاً على المسلمين.

وسأل رجل أحمد بن حنبل فقال: أيخرج أحدنا إلى مكة متوكلاً لا يحمل معه شيئاً؟ قال: لا يعجبني فمن أين يأكل؟ قال: يتوكل فيعطيه الناس، قال: فإذا لم يعطوه أليس يتشرف حتى يعطوه؟ لا يعجبني هذا، لم يبلغني أن أحدًا من أصحاب النبي ﷺ والتابعين فعل هذا، ولكن يعمل ويطلب ويتحرى.

قال رسول الله ﷺ : « **لو أنكم تتوكلون على الله حق توكله، لرزقكم كما يرزق الطير تغدو خماصًا وتروح بطانًا** » رواه أحمدوالترمذي وهو صحيح.

وهذا الحديث أخطأ القعدة في فهمه، فإن الطيور لم يأتها رزقها رغدًا إلى أوكارها، وهي قابعة في أعشاشها، وإنما غدت في الصباح سعيًا في طلبه، فراحت في المساء وقد شبعت من رزق الله تعالى وفضله.

أيها المسلمون:

إن من المتحتم عقلاً أنه لا يدعو المسلمين إلى المسكنة والإفتقار والاتكال في القوت على الغير، أو يصف الإسلام بالحض على ذلك إلا أحد اثنين؛ إما جاهل بالدين الحنيف يحسبه رهبانية مبتدعة، أو تبتلاً مسرفًا، وإما مخادع ماكر له في تلك الدعوة مآرب خبيثة، فهو مطعون النصيحة، خبيث الغاية، كيف لا، ورسول الله ﷺ يقول: « **تعوذوا بالله من الفقر والقلة، والذلة** »[رواه أحمد] ، ويقول ﷺ : « **اللهم إني أعوذ بك من الكفر والفقر** » [رواه أحمد وغيره].

إن الشيطان بحيله ومكره يخوف المؤمنين من كسب المال، فينفر طالب الآخرة منه، ويبادر التائب يخرج ما في يده، فإذا أخرجوا ما بأيديهم بذلوا أول السلع في التحصيل، دينهم وعرضهم. ويصيرون متمندلين به، ويقفون في مقام اليد السفلى التي هي الدون، والعاقل من الناس من يسعى لكسب ماله وحفظ ما معه، لينجو من مداراة غني ظالم، أو مداهنة بطر جاهل. وقد تعرض نوائب كالمرض يحتاج فيها إلى شيء من المال فلا يجد الإنسان بدًا من الاضطراب في طلبته، فيبذل عرضه أو دينه.

إن الإسلام، يريد من أهله أن يكونوا أغنياء أقوياء، لا مهازيل ضعفاء،

أغنياء بمالهم ليكون سياجًا للدين، ومددًا لتسليحه وحمايته، فقد قال تعالى في قيمة المال، لإحراز النصر ورفع الشأن: ﴿ ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ ٱلْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ وَأَمْدَدْنَٰكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْنَٰكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا ﴾ [الإسراء: ٦].

فإن الأمم تنتصر بعد توفيق الله، بالمال والبنين، ويوم يكون مالها أداة ترف، ومصدر استعلاء وطغيان، ويوم يكون به الأغنياء أحلاس لهو ولعب؛ فالويل والخسران لأمة، أورثها مالها هذه الحال. أعاذنا الله وإياكم من حال أهل النار.

أيها المسلمون:

بالمال الحلال، استطاع المهاجرون إلى المدينة أن يزاحموا اقتصاد أهل الكتاب، وأن يجعلوا المال مالاً إسلاميًا، وهذا بحد ذاته له خطورته الظاهرة في كسب النصر للدين نفسه، فإن الإقتصاد في الأمم يوم تعبث به أيادي من لا ملة لهم ولا شرف؛ فإنهم يسخرونه ولا شك في ضرب الملة السمحة؛ ولذلك كان الإسلام شديد الحض على أن ينطلق المؤمنون في المشارق والمغارب يكسبون رزقهم ويطلبون من فضل الله، في فجاجة العميقة، هنا وهناك، أو المخبوءة تحت طباق الثرى﴿ وَلَقَدْ مَكَّنَّٰكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَٰيِشَ ۗ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴾ [الأعراف: ١٠].

إن المتبطلين العاطلين، المكتسبين البطالة بالزمالة، يعتمدون على من سواهم، ويستغلون عرق غيرهم، فهم كدود العلق الذي يمتص الدماء، يحملقون إلى مواضع المحسنين، قد قضوا على أنفسهم أن يعيشوا مرضى بالصحة، مشغولين بالفراغ، أغنياء بالفقر، ولقد قال المصطفى ﷺ: «**اليد االعليا خير من اليد السفلى**»[رواه البخاري ومسلم].

قال ابن قتيبة رحمه الله: اليد العليا هي المعطية، فالعجب عندي، من

قوم يقولون هي الآخذة ، ولا أرى هؤلاء القوم، إلا قومًا استطابوا السؤال، فهم يحتجون للدناءة، فأما الشرائع فإنها بريئة من حالهم.

عباد الله:

لما فقد المال الصالح، من يد الرجل الصالح بليت المجتمعات - إلا من رحم الله - بطائفتين منحرفتين:

الأولى منهما: هي طائفة الأثرياء المترفين، الذين ضعف عند بعضهم الخلق والدين، واستخفوا بقواعد الإيمان ومبادئ الإسلام، يأكلون كما تأكل الأنعام ويشربون شرب الهيم، دون أن يؤدوا واجبًا لدينهم أو مجتمعهم، يتعاملون في الشرف على أصول من المعدة، لا من الروح، وإذا عظموا الدينار والدرهم فإنما عظموا النفاق والطمع والكذب، إذ إن حرصهم فوق بصيرتهم، ولهم في النفوس رائحة الخبز، ديدنهم في مقاييس البشر: خمس وخمس تساوي عشرة، وسجاياهم المتكررة، منع وهات؛ بل هات وهات، لكنهم مع ذلك لا يجدون في المال معنى الغنى، إذ كم من غني يجد وكأنه لم يجد إلا عكس ما كان يجد.

والطائفة الثانية: طائفة المفلسين القعدة الذين استمرأوا الكسل والبطالة والتشرد، دون مال يملكونه، أو عمل يؤدونه، ومع ذلك يطلقون لأنفسهم العنان في مباءات من الانحلال والمعاصي، فيجمعون بين السوأتين؛ ضلال وإفلاس قبيحين.

إن الذين يكسلون ولا يربحون ثم يتسولون أو يحتالون باسم التكسب أو العيش، ليسوا على سواء الطريق، والذين يحبون المال حبًا جماً، حتى يعميهم عن دينهم وأخلاقهم وخلواتهم القلبية وجلواتهم الروحية، ليسوا على سواء الطريق أيضًا، إذ كلا طرفي قصد الأمور ذميم، وخير الأمور

الوسط، والوسط ما قاله رسول الهدى ﷺ: « **نعم المال الصالح للرجل الصالح** »[رواه أحمد].

فرحم الله عبداً كسب فتطهر، واقتصد فاعتدل، وذكر ربه ولم ينس نصيبه من الدنيا. ويا خيبة من طغى ماله عليه، وأضاع دينه وكرامته، وكان من الذين قال الله فيهم: ﴿وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا انفَضُّوا إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَائِمًا﴾ [الجمعة: ١١].

عباد الله:

إن المال غاد ورائح، ومقبل ومدبر، وما هو إلا وسيلة للإنفاق والبذل، كما قال رسول الله ﷺ: « **أفضل الصدقة ما كان عن ظهر غنى** »

[رواه البخاري ومسلم].

ولا يليق بالرجل القادر، أن يرضى لنفسه، أن يكون حملاً على كاهل المجتمع، ثقيلاً مرذولاً، وأن يقعد فارغًا من غير شغل، أو أن يشتغل بما لا يعنيه، إن هذا لمن سفه الرأي، وسذاجة العقل، والجهل بآداب الإسلام، قال عمر رضي الله عنه: « إني أرى الرجل فيعجبني شكله، فإذا سألت عنه فقيل لي: لا عمل له، سقط من عيني».

إن العمل، مهما كان حقيراً فهو خير من البطالة، وخير من سؤال أحد من ذوي المال؛ إن أعطاه فقد حمل ثقل المنة مع ذلك السؤال، وإن منعه فقد باء بذل الخيبة مع ذل السؤال والعز بلا سؤال، ألذ من كل لذة بسؤال، والخروج عن ربقة المنن ولو بسف التراب أفضل، وإن نفس الحر لتحتمل الظما، حتى لقد قال الفاروق رضي الله عنه: « مكسبة في دناءة خير من سؤال الناس ».

ولقد قال لقمان لابنه: « يا بني: استغن بالكسب الحلال، فإنه ما افتقر

أحد إلا أصابته إحدى ثلاث خصال: رقة في دينه، أو ضعف في عقله، أو وهاء في مروءته وأعظم من هذا، استخفاف الناس به».

ولا خير في نيل من ماله عزيز النوال بذل السؤال.

وصلوات الله على المبعوث رحمةً للعالمين حيث يقول: «**اللهم إني أعوذ بك من العجز والكسل، والجبن والبخل، وغلبة الدين وقهر الرجال**» [أخرجه النسائي وأبو داود] «**اللهم إني أعوذ بك من الجوع فإنه بئس الضجيع**» [أخرجه النسائي وأبو داود].

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم...

* * *

الخطبة الثانية

الحمد لله على إحسانه، والشكر له على توفيقه وامتنانه، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له تعظيمًا لشأنه، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، الداعي إلى رضوانه صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وصحبه وإخوانه.

أما بعد:

فاتقوا الله عباد الله، واعلموا أن الإسلام رغب في العمل والكسب الحلال، والاتجار في جمع المال؛ فقد سئل رسول الله ﷺ: أي الكسب أفضل قال: «**عمل الرجل بيده وكل بيع مبرور**» رواه الطبراني وهو صحيح وقال ﷺ: «**ما أكل أحد طعامًا خيرًا من أن يأكل من عمل يده، وإن نبي الله**

داود كان يأكل من عمل يده » رواه البخاري. وثبت عنه ﷺ في صحيح مسلم أنه قال: « **كان زكريا عليه السلام نجاراً** ».

وروى الترمذي وابن ماجة بسند حسن عن النبي ﷺ أنه قال: « **التاجر الصدوق الأمين، مع النبيين والصديقين والشهداء** ».

ومر رجل على النبي ﷺ فرأى أصحاب رسول الله ﷺ من جلده ونشاطه فقالوا: يا رسول الله، لو كان هذا في سبيل الله، فقال رسول الله ﷺ: « **إن كان خرج يسعى على ولده صغاراً فهو في سبيل الله، وإن كان خرج يسعى على أبوين شيخين كبيرين فهو في سبيل الله، وإن كان خرج يسعى على نفسه يعفها فهو في سبيل الله، وإن كان خرج يسعى رياءً ومفاخرةً فهو في سبيل الشيطان**» رواه الطبراني، ورجاله رجال الصحيح.

ولقد كان أبو بكر رضي الله عنه أتجر قريش، وكان الفاروق رضي الله عنه يقول: « يا أيها الناس كتب عليكم أن يأخذ أحدكم ماله فيبتغي فيه من فضل الله عز وجل، فإن فيه العبادة والتصديق، وأيم الله، لأن أموت في شعبتي رحلي، وأنا أبتغي بمالي في الأرض من فضل الله، أحب إلي من أموت على فراشي».

وما قتل الخليفة الراشد عثمان رضي الله عنه حتى بلغت غلة نخله مائة ألف. وقال عبد الرحمن بن عوف: « يا حبذا المال، أصون به عرضي، وأتقرب به إلى ربي».

ثم اعلموا رحمكم الله: أن البطالة من أخطر المشاكل الاجتماعية وأسوئها عاقبة، وأشدها تأثيراً على طمأنينة الحياة وهناءة العيش، وهي رقية التسول والسرقة والغش والخداع.

والإسلام، نظر إلى المكلف نظر اعتبار، حيث دعاه إلى نزول ميادين العمل على أنواعها، إما مأجوراً، أو حراً مستقلاً، أو مشاركًا في المال إن استطاع. فإذا صاحب ذلك كله، صدق وأمانة، وإخلاص وتوكل، كان له النجاح والربح والبركة والنماء بإذن الله.

هذا وصلوا رحمكم الله على خير البرية وسيد البشرية.

* * *

ربيع القلوب

الخطبة الأولى

الحمد لله هادي العباد، الرقيب على خلقه، يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور، أحمده سبحانه حمد عبد وخافه رجاه، وأشكره، والشكر واجب على العبد لمولاه، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، ولا ند له في جلاله وكماله وعلاه، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، صفوة الخلق، وأفضل الهداة إلى صراط الله، صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وأصحابه، ومن سار على طريقه واتبع هداه.

أما بعد:

فأوصيكم أيها الناس ونفسي بتقوى الله عز وجل، التي هي الزاد وبها المعاد، زاد مبلغ، ومعاد مُنجح، دعا إليها أسمعُ داع، استجاب لها خير واع، فأسمع داعيها، وفاز واعيها.

أيها الناس:

يقول جل وعلا، أمراً نبيه ﷺ: ﴿ ٱتْلُ مَآ أُوحِىَ إِلَيْكَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ

وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَۖ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِۗ وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ﴾ [العنكبوت: ٤٥]. ويقول تعالى: ﴿ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٩١﴾ وَأَنْ أَتْلُوَا۟ ٱلْقُرْءَانَ ﴾ [النمل: ٩١، ٩٢]، ويقول تعالى: ﴿ بَلْ هُوَ ءَايَٰتٌۢ بَيِّنَٰتٌ فِى صُدُورِ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَۚ وَمَا يَجْحَدُ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَّا ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ [العنكبوت: ٤٩]، ويقول عز وجل: ﴿ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴾ [القمر: ١٧].

عباد الله:

لئن كان شهر رمضان المبارك شهر صيام وصدقة وجود و قيام؛ فإنه كذلك شهر القرآن والفرقان ﴿ شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْهُدَىٰ وَٱلْفُرْقَانِ ﴾ [البقرة: ١٨٥]، ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ ﴾ [القدر: ١]، ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ﴾ [الدخان: ٣].

أنزل الله القرآن، نورًا لا تطفأ مصابيحه، وسراجًا لا يخبو توقده، ومنهاجًا لا يضل نهجه، وعزًا لا يهزم أنصاره، فهو معدن الإيمان، وينبوع العلم، وبحر لا ينزفه المستنزفون، وعيون لا ينضبها الماتحون، جعله الله ريًا لعطش العلماء، وربيعًا لقلوب الفقهاء، ودواء ليس بعده داء، هو حبل الله المتين، والذكر الحكيم، والصراط المستقيم، فيه نبأ من قبلكم، وخبر ما بعدكم، وفصل ما بينكم، هو الحق ليس بالهزل، بالحق أنزله الله، وبالحق نزل، من عمل به أجر، ومن حكم به عدل، ومن دعا إليه هدي إلى صراط مستقيم، من طلب الهدى منه أعزه الله، ومن ابتغى الهدى من غيره أذله الله، يرفع الله به أقوامًا ويضع آخرين، ويأتي يوم القيامة شفيعًا لأصحابه، قال عنه المصطفى ﷺ: « **من قرأ حرفًا من كتاب الله تعالى فله حسنة، والحسنة بعشر أمثالها، لا أقول آلم حرف، ولكن ألف حرف ولام حرف وميم حرف** »[رواه الترمذي وقال: حسن صحيح].

أيها الناس:

إن كتاب الله عز وجل بمثابة الروح للحياة والنور للهداية، فمن لم يقرأه ويعمل به فما هو بحي وإن تكلم أو عمل أو غدا أو راح؛ بل هو ميت، ومن لم يؤمن به ضل وما اهتدى، وإن طار في السماء أو غاص في الماء ﴿ أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا ﴾ [الأنعام: ١٢٢].

إن الإنسان بلا قرآن كالحياة بلا ماء ولا هواء، بل إن الإفلاس متحقق في حسه ونفسه، ذلك أن القرآن هو الدواء والشفاء ﴿ وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [الإسراء: ٨٢]، ﴿ وَلَوْ جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا أَعْجَمِيًّا لَّقَالُوا لَوْلَا فُصِّلَتْ آيَاتُهُ ۖ أَأَعْجَمِيٌّ وَعَرَبِيٌّ ۗ قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى وَشِفَاءٌ ۖ وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِي آذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى ﴾ [فصلت: ٤٤].

شفاء للقلوب والأبدان. شفاء للمرء وأنيس، كلما ضاقت أمامه مسالك الحياة وشعابها، وافتقد الرائد عند الحيرة، والنور عند الظلمة، يجد القرآن، خير جليس لا يمل حديثه، وترداده يزداد فيه تجملاً وبهاء، وبه تنضبط النفس المترددة أمام الزوابع والأعاصير، فلا تغرق في لجة المهالك، ولربما ضاقت بالمرء الضوائق، ومارت في وجدانه المخاوف، ويشده ألمه، فلا يجد إلا أن ينشد راحته في بضع آيات من القرآن يرددها ﴿ وَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ حِجَابًا مَّسْتُورًا ﴾ [الإسراء: ٤٥]، ﴿ وَجَعَلْنَا مِن بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ﴾ [يس: ٩].

يقرأ المسلم القرآن، فإذا بالسكينة والطمأنينة، يعمران قلبه وجوارحه، ثم

تقدم النفس بعد ذلك لا تبالي ما يحدث لها وهي تقرأ قول ربها: ﴿ قُل لَّن يُصِيبَنَآ إِلَّا مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَنَا ﴾ [التوبة: ٥١].

وبذلك تتبخر وساوس السوء، ووساوس الضعف، ويظهر للنفس أن الإنسان مبتلى بالأوهام أكثر مما يبتلى بالحقائق، وينهزم من داخل نفسه قبل أن تهزمه وقائع الحياة ﴿ ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُوا۟ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَٰنًا وَقَالُوا۟ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ ﴿١٧٣﴾ فَٱنقَلَبُوا۟ بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوٓءٌ وَٱتَّبَعُوا۟ رِضْوَٰنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ ﴿١٧٤﴾ إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَآءَهُۥ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾ [آل عمران: ١٧٣ - ١٧٥].

عباد الله:

لا يعرف مظلوم تواطأ الناس على ظلمه وزهدوا في إنصافه كالقرآن، فلله ما أقل عارفيه، وإن أحدنا لو ذهب يبحث عن العاملين بما فيه بحق وصدق في أغلب ما يرى ويسمع، لأعياه طلابه.

اتخذ الناس هذا القرآن مهجوراً، واستبدلوا الذي هو أدنى بالذي هو خير؛ صحف ومجلات، وحكايات وثقافات، تموج بها الدنيا صباح مساء ﴿ وَإِن تُطِعْ أَكْثَرَ مَن فِى ٱلْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾ [الأنعام: ١١٦]، ﴿ وَمَا يَتَّبِعُ أَكْثَرُهُمْ إِلَّا ظَنًّا ۚ إِنَّ ٱلظَّنَّ لَا يُغْنِى مِنَ ٱلْحَقِّ شَيْـًٔا ﴾ [يونس: ٣٦].

إن المرء المسلم ليعجب، من مواقف كثير من الناس أمام كتاب الله تعالى، وقد أحاط بهم الظلام من كل جانب، فيتخبطون فيه خبط العشراء، أفلست النظم، وتحطمت كثير من المجتمعات، وتدهورت القوميات والعالميات، وأنتنت الحريات اللادينية المزعومة، فالعجب كل العجب، أن يكون النور بين أيديهم، ثم هم يلحقون بركاب الأمم الكافرة في كل نهج ومسلك، فلا يستطيعون سبيلاً إلى الهداية.

كالعيس في البيداء يقتلها الظما والماء فوق ظهورها محمول

والواقع أيها المسلمون: أن أهل الكفر والإلحاد أشغلوا المسلمين عن نورهم وأبعدوهم عن مصدر العزة، وأغروهم بطيف أنوار زعموها في السياسة تارة، وفي العلوم الدنيوية أخرى، وثالثة في المال والقهر والجبروت، ورابعة في الغزو الأخلاقي والثقافي، المترجم عبر وسائل متناثرة تتلقفها أقطار المسلمين ومجتمعاتهم إلا من رحم الله.

﴿ يَعْلَمُونَ ظَٰهِرًا مِّنَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ ٱلْءَاخِرَةِ هُمْ غَٰفِلُونَ ﴾ [الروم: ٧].

لقد قصر جمع من المسلمين مع كتاب ربهم، حتى إن الواحد منهم ليختم القرآن كله ثم يخرج منه بمثل ما دخل فيه ما فهم من معانيه شيئًا.

ولقد قصر جمع من المسلمين مع القرآن، حتى قصروا برهم به على أن تتقن مخارج حروفه فحسب، وتفتتح به البرامج وتغلق، معقوبًا بصخب وعطب، من أغان ماجنة، ومشاهد مضللة، ويردد في المآتم، ويعلق في المجالس، ويسأل به المال والجاه، ويعلق تميمة على الرقاب، أو يلصق بالصدور.

قال الفاروق رضي الله عنه: «يا أيها الناس إنه أتى علي حين وأنا أحسب أنه من قرأ القرآن، إنه إنما يريد به الله وما عنده، ألا وقد قيل لي إن أقوامًا يقرءون القرآن يريدون به ما عند الناس، ألا فأريدوا الله بقراءتكم، وأريدوه بأعمالكم» أهـ.

فلله كم من قارىء يقرأ القرآن والقرآن يلعنه، وكم من ظالم أفاك، متجبر يقرأ القرآن فيلعن نفسه ﴿ أَلَا لَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [هود: ١٨].

﴿ فَنَجْعَل لَّعْنَتَ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰذِبِينَ ﴾ [آل عمران: ٦١].

أيها المسلمون:

ليس شيء أنفع للعبد في معاشه ومعاده؛ وأقرب إلى نجاته وسعادته، من تدبر القرآن وإطالة النظر فيه وجمع الفكر على معاني آياته، فإنها تطلع العبد على معاني الخير والشر، وعلى حال أهلها، وتريه صورة الدنيا في قلبه، وتحضره بين الأمم، وتريه أيام الله فيهم، فيرى غرق قوم نوح، ويعلم صاعقة عاد وثمود، ويعرف غرق فرعون وخسف قارون، بتدبر القرآن، يعيش المرء مع الآخرة حتى كأنه فيها، ويغيب عن الدنيا حتى كأنه خارج عنها. فيصير في شأن والناس في شأن آخر ﴿ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴾ [الأنفال: ٢].

لقد أنزل الله القرآن من فوق سبع سموات للتدبر والتعقل، لا لمجرد تلاوته والقلب لاه غافل ﴿ كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓا۟ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾ [ص: ٢٩].

﴿ أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا۟ ٱلْقَوْلَ أَمْ جَآءَهُم مَّا لَمْ يَأْتِ ءَابَآءَهُمُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴾ [المؤمنون: ٦٨].

﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ﴾ [النساء: ٨٢].

﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ ﴾ [محمد: ٢٤].

قال الحسن البصري رحمه الله: أنزل القرآن ليتدبر ويعمل به، فاتخذوا تلاوته عملاً.

عباد الله:

يقول الله عز وجل: ﴿ أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ

﴿ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ ﴾ [الحديد: ١٦].

يقول ابن مسعود رضي الله عنه: « ما كان بين إسلامنا وبين أن عاتبنا الله بهذه الآية إلا أربع سنين ».

وقال ابن عباس رضي الله عنهما: « إن الله استبطأ قلوب المؤمنين فعاتبهم على رأس ثلاث عشرة سنة من نزول القرآن».

فما بال قلوبنا يا عباد الله!! ما هذه القسوة عند تلاوة كلام الله؟! ما هذه الأقفال التي على القلوب؟ مواعظ تتلى، وعبر تسمع، وسور تقرأ، ولكنها تدخل من اليمنى وتخرج من اليسرى. من منا بكى عند قراءة الحاقة، ومن ارتجف حين سمع الزلزلة؛ ومن تاب يوم أن قرأ القيامة، ما هذا الران الذي على القلوب، أفقدَّت قلوبنا من حجر؟! أما إنه لو أنزل هذا القرآن على جبل لخشع وتصدع من خشية الله. ولكن قست القلوب ﴿ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً وَإِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الْأَنْهَارُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَاءُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴾ [البقرة: ٧٤]. أعاذنا الله وإياكم من القسوة والغفلة.

اللهم اجعل القرآن العظيم ربيع قلوبنا ونور صدورنا وجلاء أحزاننا وذهاب همومنا وغمومنا، وسائقًا ودليلاً إليك وإلى جناتك جنات النعيم.

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم....

الخطبة الثانية

الحمد لله حمداً كثيراً طيباً مباركًا فيه، كما يحب ربنا ويرضى، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لاشريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله الطيبين الطاهرين وعلى صحابته والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد:

فيا أيها الناس، يقول الله جل وعلا: ﴿ ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ كِتَٰبًا مُّتَشَٰبِهًا مَّثَانِىَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ ﴾ [الزمر: ٢٣].

وأيم الله، لقد كان خوف المصطفي ﷺ، وخشوعه وبكاؤه عند قراءة القرآن لا يوصف ولا يجاري؛ فقد صح عنه ﷺ، أنه كان يصلي وفي صدره أزيز كأزيز المرجل من البكاء [رواه أبو داود والترمذي].

وثبت عند الترمذي والحاكم على شرط البخاري ووافقه الذهبي، أنه ﷺ قال: «**شيبتني هود والواقعة والمرسلات وعم يتساءلون وإذا الشمس كورت**».

وقد قرأ عليه ابن مسعود رضي الله عنه سورة النساء فلما بلغ قول الله: ﴿ فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍۭ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ شَهِيدًا ﴾ [النساء: ٤١]. قال: **حسبك الآن**. فإذا عيناه تذرفان. [متفق عليه]. بأبي هو وأمي صلوات الله وسلامه عليه.

وقد قال مرة لعائشة رضي الله عنها: «**يا عائشة ذريني أتعبد لربي**»، قالت: قلت: والله إني لأحب قربك، وأحب ما يسرك: قالت: فقام فتطهر ثم قام يصلي، فقرأ القرآن ثم بكى حتى رأيت دموعه قد بلغت

حقويه، قالت: ثم جلس فحمد الله وأثنى عليه ثم بكى حتى رأيت دموعه قد بلغت حجره، قالت ثم اتكأ على جنبه الأيمن ووضع يده تحت خده ثم بكى حتى رأيت دموعه قد بلغت الأرض، فدخل عليه بلال فآذنه بصلاة الفجر وقال ما يبكيك ؟ قال: **لقد نزلت علي الليلة آيات ويل لمن يقرؤها ولم يتفكر فيها** ﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾ [آل عمران: ١٩٠]. [رواه ابن حبان بإسناد جيد].

وكان أبو بكر الصديق رجلاً أسيفًا لا يستطيع القراءة من كثرة البكاء، وقد خرج الفاروق رضي الله عنه ليلة يعس، فسمع قارئًا يقرأ: ﴿ وَالطُّورِ ﴿١﴾ وَكِتَابٍ مَسْطُورٍ ﴿٢﴾ فِي رَقٍّ مَنْشُورٍ ﴿٣﴾ وَالْبَيْتِ الْمَعْمُورِ ﴿٤﴾ وَالسَّقْفِ الْمَرْفُوعِ ﴿٥﴾ وَالْبَحْرِ الْمَسْجُورِ ﴿٦﴾ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَاقِعٌ ﴿٧﴾ مَا لَهُ مِنْ دَافِعٍ ﴾ [الطور: ١-٨]، فقال رضي الله عنه: « قسم حق ورب الكعبة» وخر مغشيًا عليه فحمل إلى بيته وبقي مريضًا ثلاثين يومًا يعوده الناس.

بل إن القرآن أيها المسلمون، كان يصل إلى قلوب الكافرين وهم أبعد خلق الله عن الله وعن كتاب الله، فهذا عتبة بن ربيعة، وهو من المشركين، استمع إلى قراءة النبي ﷺ من سورة فصلت، فلما قام عتبة إلى أصحابه قال بعضهم لبعض: نحلف بالله، لقد جاءكم أبو الوليد بغير الوجه الذي ذهب به. ثم قال لهم: قد سمعت قولاً والله ما سمعت مثله قط، والله ما هو بالشعر، ولا بالسحر ولا بالكهانة.

وما كان من النجاشي وقومه حين سمعوا سورة مريم، يقرؤها جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه إلا أن فاضت أعينهم من الدمع، فأنزل الله فيهم: ﴿ وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَى أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ ﴾ [المائدة: ٨٣].

الله أكبر. هذا كلام رب البشر، أدهش العقول، وأبكى العيون، وأحيا القلوب والأفئدة، وطأطأت له رؤوس أهل الكفر، بل لقد أدهش الجن وحرك ألبابهم، حين سمعوه من المصطفى ﷺ، وكادوا يكونون عليه لبدًا ﴿ قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا ۝١ يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا ﴾ [الجن: ١، ٢].

أيها المسلمون:

ذلكم هو واقع القرآن مع الناس، مؤمنهم وكافرهم، وكذا مع جنهم.

وهذا كتاب الله يتلى فيه بين أظهركم ويسمع، ومع هذا قلت العيون التي تدمع، والقلوب التي تخشع، عيون خلت من الدمع، فهي خراب بلقع، تتلى آيات الله، فلا الشاب منا ينتهى عن الصبوة، ولا الكبير منا يلتحق بالصفوة، ولقد فرطنا في كتاب ربنا في الخلوة والجلوة. . وصار بيننا وبين الصفاء، أبعد ما بين الصفا والمروة فلا حول ولا قوة إلا بالله.

هذا وصلوا رحمكم الله على خير البرية وأفضل البشرية.

* * *

وافق شن طبقه
(في التشبه بالكفار)

الخطبة الأولى

الحمد لله، أمر بالتحلي بالفضائل، ونهى عن الوقوع في مهاوي النقائص والرذائل، لا إله إلا هو العليم الحكيم ﴿ يُؤْتِي ٱلْحِكْمَةَ مَن يَشَآءُ وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾ [البقرة: ٢٦٩].

نشكره تعالى ميز لنا القبيح من الحسن، ونلجأ إليه سبحانه مما نزل بنا من البلايا والفتن، ونعوذ بالله من التقليد والتشبه في سيئ الأخلاق وقبائح البدع والعادات، وأشهد أن لا إله إلا الله، هدانا بالإسلام إلى خير وسائل السعادة، وأشهد أن محمدًا عبد الله ورسوله، فتح الله لنا بسنته أبواب الرقي والسعادة، اللهم صل وسلم عليه، وعلى آله وأصحابه، أولي الرأي والفكر والنجابة، وعلى من سار على طريقهم واتبع نهجهم إلى يوم القيامة.

أما بعد:

فأوصيكم أيها الناس ونفسي بتقوى الله عز وجل، اتقوه في السراء والضراء، وفي الخلوات والجلوات، اعبدوا ربكم الذي خلقكم والذين من قبلكم لعلكم تتقون.

أيها الناس:

إن الناظر المتأمل، في تاريخ الأمم والشعوب، ليعجب أشد العجب، ولتأخذه الحيرة أخذًا مسرعًا، لما يظهر له مما يطرأ على الأمم والشعوب، من التغيرات والتقلبات، أمة قائدة رائدة، دهورًا مديدة من الزمن، تعثر ركابها فسقطت رايتها، فإذا هي في مهاوي التقليد الأعمى، تتبع آثار الأمم سواها في كل نهج وسلوك، بينما هي أمة في أعلى مراقي الحياة، وأوج العزة والقوة، إذا هي تتدهده في الحضيض الأوهد، والشقاء المؤصد، تموت بعد حياة، وتسفل بعد علو، وتذبل بعد إزهار.

كانت قد وردت مناهل هذا العلم، وتلك الحضارة الإسلامية البريئة، فصدروا عنها بملء سجلهم، وأجلبوا عليها بخيلهم ورجلهم، إلى أن خرج عنهم المفتاح فكأن الباب أغلق دونهم، وظهر من مشكاة الغرب مصابيح محرقة، فكأنما حيل بينهم وبين مصدر الرفعة الأسبق، وتسلط على عضدهم لسان من يعرف « من أين تؤكل الكتف ». فأخذ المسلمون عنهم رسومًا هي من حضارتهم مسترقة، وعلقوا أشنانهم بطبقاتهم، فوافق شن طبقه، فيا لها من غنيمة باردة، لم يوجف عليها من خيل ولا ركاب، ولم يزحف إليها بعدو عيدية، ولا بلحاق لاحق، وانسكاب سكاب [1].

أيها المسلمون:

المقلد المحاكي لأهل الكفر والشرك إنما هو أذن وعين ولسان وقلم لنهجهم وفكرهم، يصلح بإفساد، ويداوي الحمى بالطاعون، فهو كغاسل الحيض ببول أغيرا ويعمل بتبعيته المهزومة ما يشبه قطع ثدى الأم، وهو في

(١) لاحق وسكاب فرسان للعرب مشهوران، والعيدية هي النوق النجائب، منسوبة إلى بني العيد.

شفتي رضيعها المحضون. وما علم هذا الغر وأمثاله أن التقليد الأعمى للغرب، فيه ألغام مخبوءة، وأن حقوقنا ومروءاتنا مقتولة بتقليد أعمى، وغرور بليد.

أيها المسلمون:

قال رسول الله ﷺ: « **لتتبعن سنن من كان قبلكم حذو القذة بالقذة، حتى لو دخلوا جحر ضب لدخلتموه**، قالوا: يا رسول الله، اليهود والنصارى؟ قال: **فمن؟** »[رواه البخاري ومسلم].

وللبخاري عنه ﷺ أنه قال: « **لا تقوم الساعة،حتى تأخذ أمتي مأخذ القرون شبرًا بشبر وذراعًا بذراع**، قيل: يا رسول الله، كفارس والروم؟ قال: **ومن الناس إلا أولئك** ».

فأخبر ﷺ أنه سيكون في أمته، مضاهاة لليهود والنصارى وهم أهل الكتاب، ومضاهاة لفارس والروم وهم الأعاجم.

﴿ كَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ كَانُوٓا۟ أَشَدَّ مِنكُمْ قُوَّةً وَأَكْثَرَ أَمْوَٰلًا وَأَوْلَٰدًا فَٱسْتَمْتَعُوا۟ بِخَلَٰقِهِمْ فَٱسْتَمْتَعْتُم بِخَلَٰقِكُمْ كَمَا ٱسْتَمْتَعَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُم بِخَلَٰقِهِمْ وَخُضْتُمْ كَٱلَّذِى خَاضُوٓا۟ ﴾ [التوبة: ٦٩].

قال ابن عباس رضي الله عنه: « ما أشبه الليلة بالبارحة هؤلاء بنو إسرائيل شبهنا بهم ».

وقال ابن مسعود رضي الله عنه: « أنتم أشبه الأمم ببني إسرائيل سمتًا وهديًا، تتبعون عملهم حذو القذة بالقذة، غير أني لا أدري أتعبدون العجل أم لا ؟».

عباد الله:

لقد كان النبي ﷺ ينهى عن التشبه بهؤلاء وهؤلاء، وليس هذا إخباراً عن جميع الأمة؛ بل قد تواتر عنه ﷺ أنه لا تزال طائفة من أمته ظاهرة على الحق حتى تقوم الساعة.

فالمسلمون هم أهدى الناس طريقًا، وأقومهم سبيلاً، وأرشدهم سلوكًا في هذه الحياة. وقد أقامهم الله تعالى مقام الشهادة على الأمم كلها ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ [البقرة: ١٤٣].

وإن هذا المقام، مقام عزيز كريم، كيف يتناسب معه أن يكون المسلمون أتباعًا لغيرهم من كل ناعق، يقلدونهم في عاداتهم، ويحاكونهم في أعيادهم وتقاليدهم، ورسول الله ﷺ نهى المسلمين جميعًا أن يتلقوا عن أهل الكتاب، فعن جابر أن عمر بن الخطاب أتى النبي ﷺ بكتاب أصابه من بعض أهل الكتاب فقرأه عليه، فغضب وقال: «**لقد جئتكم بها بيضاء نقية، لا تسألوهم عن شيء فيخبروكم بحق فتكذبوا به، أو بباطل فتصدقوا به، والذي نفسي بيده، لو أن موسى كان حيًا ما وسعه إلا أن يتبعني**» رواه أحمد وابن أبي شيبة.

إن الله تعالى، جبل بني آدم، بل وسائر المخلوقات، على التفاعل بين الشيئين المتشابهين، وكلما كانت المشابهة أكثر، كان التفاعل في الأخلاق والصفات أتم، حتى يؤول الأمر إلى ألا يتميز أحدهما عن الآخر إلا بالعين فقط، ولأجل هذا الأصل، وقع التأثر والتأثير في بني آدم، واكتساب بعضهم أخلاق بعض بالمعاشرة والمشاكلة، بل إن الآدمي إذا عاشر نوعًا من الحيوان اكتسب بعض أخلاقه؛ ولهذا صار الخيلاء والفخر في أهل

الإبل، وصارت السكينة والوقار في أهل الغنم، وصار الجمَّالون والبغَّالون، فيهم أخلاق مذمومة من أخلاق الجمال والبغال، وصار الحيوان الإنسي، فيه بعض أخلاق الناس، من المعاشرة والمؤالفة وقلة النفرة.

وإن اللابس ثياب أهل العلم يجد من نفسه نوع انضمام إليهم؛ لأن المشابهة والمشاكلة في الأمور الظاهرة توجب مشابهة ومشاكلة في الأمور الباطنة، على وجه المسارقة والتدرج الخفي، وهذا ما يشهد به الواقع، فضلاً عن بيان الشرع وموافقة العقل، وقديماً قيل: « الطيور على أشكالها تقع »، وهذا مثل صحيح، يوافق سنة الله في خلقه، وصدق رسول الله ﷺ حيث يقول: « **من تشبه بقوم فهو منهم** »[رواه أحمد وأبو داود].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: وقد رأينا اليهود والنصارى، الذين عاشروا المسلمين هم أقل كفرًا من غيرهم، كما رأينا المسلمين الذين أكثروا من معاشرة اليهود والنصارى، هم أقل إيمانًا من غيرهم ممن جرد الإسلام.

عباد الله:

إن التشبه بأهل الكفر والشرك في أزيائهم، وعاداتهم، وأحكامهم، وسياساتهم، واقتصادهم، قد جرى في كثير من أوساط المسلمين جريان الدم في العروق، وسرى سريان النار في يابس الحطب، بل ولربما صار المتفرنج المحاكي موضع إجلال الدهماء وإكبارهم، يحتذيه لهازم الناس وأغرارهم، حتى يساير ذلك كله الغوغاء من أبناء هذه الأيام، مترفهم ومثقفهم، بل وحتى من كان على فراش الإملاق منهم. أف للتقليد والتبعية، ما أثقل أغلالهما، وما أشد عتمة مسالكهما، وما أبخس صفقة الذين لا يتزحزحون عنها.

نعم، أف ثم أف، للتقليد ومسايرات الغرب، فكم أوقفت بعض الأجيال في سجون ضيقة مظلمة، من التبعية الماحقة، وحجبت عنهم أنواع التفكر والتبصر والعزة، وغممت عليهم مطالع السعادة الحقيقية للنفوس.

أف ثم أف، للتقليد والتبعيات، فهي قاطعة الطريق على نتائج العقول، تزج بها في مهاوي العدم، أو تذرها في سجن أقفر، ممنوعًا عنها كل ما يحييها.

إن الأمة المسلمة يجب أن تكون متبوعة لا تابعة، وقائدة لامنقادة، ويجب ألا تغتر بما تراه من زخرف الحياة في أمة تقطعت روابطها، وانفصمت عراها ﴿ وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ زَهْرَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ ۚ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ ﴾ [طه: ١٣١].

وإن حضارة الغرب، كالسراب، الذي يرى في القيعان من الأرض عن بعد، كأنه بحر طام ﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَعْمَٰلُهُمْ كَسَرَابٍۭ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ ٱلظَّمْـَٔانُ مَآءً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَهُۥ لَمْ يَجِدْهُ شَيْـًٔا وَوَجَدَ ٱللَّهَ عِندَهُۥ فَوَفَّىٰهُ حِسَابَهُۥ ۗ وَٱللَّهُ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴾ [النور: ٣٩].

ألا فليعلم الضعفاء والمغفلون منا، الذين يحاولون في تبعيتهم أن يؤلفوا الأمة على خلق جديد، ينتزعونه من المدنية الغربية، ألا فليعلموا أن الخلق الطارئ لا يرسخ بمقدار ما يفسد من الأخلاق الراسخة، وإذا كان البعض يشعر في قرارة نفسه أنه لابد للأمة في نهضتها من أن تتغير، فإن رجوعنا إلى كتاب ربنا وسنة نبينا ﷺ، أعظم ما يصلح لنا من التغير، وما نصلح به منه ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ ۗ وَإِذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِقَوْمٍ سُوٓءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُۥ ۚ وَمَا لَهُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَالٍ ﴾ [الرعد: ١١].

إننا إذا أخذنا في أسباب القوة، وتمثلت فينا الأخلاق المتينة، من الإرادة

والتقوى والإقدام، والحمية الإسلامية، وإذا جعلنا لنا صبغة خاصة تميزنا عن سوانا، وتدل على أننا أهل دين وخلق- إذا كان ذلك كله، فلعمر الله، أي ضير في ذلك كله، وهل تلك إلا الأخلاق الإسلامية الحقة، وهل في الأرض نهضة ثابتة تقوم على غيرها، ﴿ صِبْغَةَ ٱللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ صِبْغَةً وَنَحْنُ لَهُۥ عَٰبِدُونَ ﴾ [البقرة: ١٣٨]. ﴿ أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْتَغِى حَكَمًا وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ إِلَيْكُمُ ٱلْكِتَٰبَ مُفَصَّلًا ﴾ [الأنعام: ١١٤].

وأما أن نأخذ من الغرب الكافر عادات وطبائع أجنبية عن ديننا، فلنتذكر أن الإسلام إسلام، وأن الكفر كفر، وأن القوم في نصف الأرض، ونحن في نصفها الآخر، ولقد كنا سادة قبل أن كانت هذه العادات الغربية التي رأينا فيها ومن أثرها في المجتمعات المسلمة الحرة ما أفسد رجولة بعض رجالها وأنوثة بعض نسائها خاصة، لأنهن يندفعن اندفاعًا محمومًا وراء المجهول، في حلبة التقليد الأعمى، لقد راعهن من الغرب بريق مصانعه وطرافة منتجاته، فرضين بالسير وراء الهابطات من نسائه، حتى أصبحن لا يرضين عن أثوابهن إلا بمقدار انطباقها على نماذجهن، الواردات في أزياء نساء الغرب وأشباههن، فإذا رأيت ثوب إحداهن كاسيًا يستر بعض العورة، فاعلم أنه صورة من ذلك النموذج الجديد. قال عنهن المصطفى ﷺ: « **ما رأيت من ناقصات عقل ودين أغلب للب ذي اللب من إحداكن** »[رواه البخاري ومسلم].

ولما أنشده الأعشى أبياته التي يقول فيها: « وهن شر غالب لمن غلب » جعل النبي ﷺ يرددها ويقول: « **وهن شر غالب لمن غلب** » [رواه أحمد]. ولذلك امتن الله على زكريا عليه السلام حيث قال:

﴿ وَأَصْلَحْنَا لَهُ زَوْجَهُ ﴾ [الأنبياء: ٩٠]. وقال: ﴿ فَالصَّالِحَاتُ قَانِتَاتٌ حَافِظَاتٌ لِّلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ اللَّهُ ﴾ [النساء: ٣٤].

أيها المسلمون:

إن القيود التي يفرضها الدين على الإنسان، لا يريد بها عذابه ولا حرمانه، إنما يريد بها أن يرتفع بها من الحيوانية الهابطة، إلى الإنسانية الصاعدة، وبذلك ينتصر المسلم على التبعية التحررية، ويتغلب الإيمان والتقوى على الشهوة البهيمية السبعية، وإن كل مجتمع يخرج على هذه القيود أو يهون من شأنها، فإنه يعرض نفسه للخطر ويقرب بها من حافة الهاوية ﴿ وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴾ [البقرة: ٢٢٩].

﴿ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾ [القصص: ٥٠].

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم...

الخطبة الثانية

الحمد لله حمدًا كثيرًا طيبًا مباركًا فيه، كما يحب ربنا ويرضى، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، صلوات ربي وسلامه عليه وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان.

أما بعد:

فاتقوا الله أيها المسلمون واعلموا أن أحسن الحديث كتاب الله، وخير الهدي، هدي محمد ﷺ، وشر الأمور ما أحدث على غير هدى من الله، أو سنة سنها محمد بن عبد الله، فلقد نهى - بأبي هو وأمي صلوات الله وسلامه عليه - عن كل ما يفضي إلى مشابهة الكفار، حتى لقد قال اليهود عنه: «ما يريد هذا الرجل أن يدع من أمرنا شيئًا إلا خالفنا فيه»[رواه مسلم].

وقد نهى ﷺ فيما رواه مسلم في صحيحه «عن الصلاة بعد الفجر حتى ترتفع الشمس، ونهى عن الصلاة بعد العصر حتى تغرب الشمس، وعلل ذلك بأنها تطلع وتغرب بين قرني شيطان وحينئذ يسجد لها الكفار».

ومعلوم أن المؤمن لا يقصد السجود إلا لله تعالى، وأكثر الناس قد لا يعلمون أن طلوعها وغروبها بين قرني شيطان، ولا أن الكفار يسجدون لها؛ ومع ذلك فقد نهى عن الصلاة في هذا الوقت، حسمًا لمادة المشابهة بكل طريق.

وعليه فمشابهة أهل الكتاب والكفار من الأعاجم ونحوهم لابد أن تورث عند المسلم نوع مودة لهم، أو هي على الأقل مظنة المودة، فتكون

محرمة من هذا الوجه، سدًا للذريعة، وحسمًا لمادة حب الكافرين، والولاء لهم، فضلاً عن كونها محرمة من وجوه أخرى، بالنصوص الشرعية الواردة و غيرها.

وإننا لندرك بوضوح أن فئامًا ممن يتشبهون بالكفار، في لباسهم أو سلوكهم أو عاداتهم، أو يتكلمون بلغتهم، أنهم تميل نفوسهم إلى حبهم وتقديرهم والإعجاب بهم ومن هنا ينجح أهل الكفر، في أن يروجوا بين المسلمين دعوات مدوية يكون لها رجع الصدى في بعض النفوس المريضة إلى حضارات عالمية، وزمالات أديان، تهدف إلى إذابة الشخصية الإسلامية، حتى إن المتنكر لهم، يسمى انعزاليًا وانطوائيًا، بل ورجعيًا ضيق الأفق، معزولاً عن العالم، يجب أن يموت في مهده زعموا.

فما المانع عندهم إذن من أن تصلصل النواقيس، بجانب المآذن المدوية الله أكبر الله أكبر، وما المانع عندهم أن تتعانق الأديان على أرض جزيرة العرب، ناسين أو متناسين قول المصطفى ﷺ: « **لا يجتمع في جزيرة العرب دينان** »[رواه مالك وأحمد بنحوه].

﴿ وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ قُلْ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلْهُدَىٰ وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم بَعْدَ ٱلَّذِى جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴾ [البقرة: ١٢٠].

﴿ وَدُّوا۟ لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُوا۟ فَتَكُونُونَ سَوَآءً ﴾ [النساء: ٨٩].

هذا وصلوا رحمكم الله على خير البرية وأفضل البشرية .

* * *

الفهرس

الموضوع	الصفحة
المقدمة	٥
خواطر بين يدي الخطيب	٦
التوحيد أولاً لو كانوا يعلمون	٢٣
الحج والأمن	٣٣
انبثق الوليد [رمضان]	٤٢
المدافعة بين الإسلام والكفر	٥١
آفة العصر [المسكرات والمخدرات]	٦١
اتبعوا ولا تبتدعوا	٧١
ولذكر الله أكبر	٨٢
ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء	٩٢
حاسبوا أنفسكم	١٠٤
هادم البيوت [الطلاق]	١١٤

الموضوع	الصفحة
لم يبق في القوس منزع [عن المشردين المستضعفين في البوسنة والهرسك]	١٢٥
المؤمن وليد وقته [في الحفاظ بالوقت]	١٣٦
القدر سر الله في خلقه	١٤٧
وداع الحج	١٥٧
الشرف الزائف	١٦٥
نعم المال الصالح للرجل الصالح	١٧٥
ربيع القلوب	١٨٦
وافق شن طبقه [في التشبه بالكفار]	١٩٦
الفهرس	٢٠٧

١٤١٩هـ - ١٩٩٨م

مطابع الحميضي
تلفون: ٤٢٥٠٦٢٥ - فاكس: ٤٢٦٠٤٧٧

سلسلة الرسائل المكية (٥)

وميض من الحرم

خطب ومواعظ من المسجد الحرام

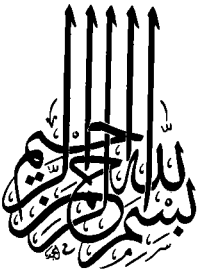
- المجموعة الثالثة -

بقلم

سعود بن إبراهيم بن محمد الشريم

إمام وخطيب المسجد الحرام

دار الوطن للنشر


بسم الله الرحمن الرحيم

وميض من الحرم

خطب ومواعظ من المسجد الحرام

(٣)

ⓒ دار الوطن للنشر ، ١٤١٨هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

الشريم ، سعود بن إبراهيم .
وميض من الحرم : خطب ومواعظ. - الرياض .
٢٤٨ ص ؛ ١٧ × ٢٤ سم
ردمك : ٩ - ١٣٢ - ٢٨ - ٩٩٦٠ (المجموعة الثالثة)
١- الخطب الدينية ٢- خطبة الجمعة
٣- الوعظ والإرشاد أ- العنوان
ديوي ٢١٣ ١٨/٣٣٩٢

رقم الإيداع: ١٨/٣٣٩٢
ردمك: ٩-١٣٢-٢٨-٩٩٦٠

حقوق الطبع محفوظة

الطبعة الأولى
١٤١٩هـ - ١٩٩٨م

دار الوطن للنشر - الرياض - المملكة العربية السعودية
هاتف : ٤٧٩٢٠٤٢ - فاكس ٤٧٦٤٦٥٩ -ص.ب ٣٣١٠ الرمز البريدي ١١٤٧١

مقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء وخاتم المرسلين نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين أما بعد:

فهذا هوالجزء الثالث من كتابي «وميض من الحرم» ضمنته مجموعةً من الخطب التي ألقيتها بالمسجد الحرام، رأيت إخراجها مطبوعة ليستفيد منها من يحتاج إليها كالخطباء والمستمعين والقراء، علها أن تكون سببًا في النفع والمثوبة كما أنها جهد المقل الذي يحفزه قول القائل:

لا تحقرن صغيرة إن الجبال من الحصا

والله المسؤول أن ينفع به وأن يجعل ذلك في ميزان الحسنات ويتجاوز به عن السيئات سبحانه هو القائل: ﴿إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ذَلِكَ ذِكْرَىٰ لِلذَّاكِرِينَ﴾ [هود: ١١٤]، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

قاله مقيده

سعود بن إبراهيم بن محمد الشريم

خواطر بين يدي الخطيب

«الحلقة الثالثة»

هذه الحلقة ما هي إلا امتداد لحلقتين دونتا في الجزء الأول والجزء الثاني وهما مطبوعان، وكنت قد وعدت بحلقة مستقلة مع كل جزء يلقى فيها الضوء على بعض المسائل التي لا يستغني عنها الخطيب، فها أنذا أشرع إن شاء الله في هذه الحلقة بعون من الله وتوفيق، فأقول: إن خواطر هذه الحلقة هي كالتالي:

١. مفهوم الموعظة:

أخطأ بعض الناس من خطباء وغيرهم في مفهوم الموعظة، فبعضهم قصرها على التخويف وآخرون قصروها على الترغيب، ونتيجة القولين أحدثت نقدًا من البعض - بسبب قصور هذا الفهم - على بعض الخطباء الذين يتكلمون في خطبهم عن بعض الأحداث المعاصرة أو نحو ذلك والتعليق عليها بما ينفع المسلمين؛ ومن ثم فقد يوجه اللوم على من يسير على هذه الطريق بأنك لا تهتم بالوعظ في الخطب ولو أنك فعلت كذا وكذا... إلخ.

وأقول بيانًا لهذا المفهوم - البعيد عن الحق -:

الوعظ في اللغة: الأمر بالطاعة والوصية بها، **قال ابن سيده في** المصباح المنير: وعظه يعظه وعظًا وعظةً: أمره بالطاعة ووصاه بها وعليه قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَعِظُكُم بِوَاحِدَةٍ﴾ [سبأ: ٤٦] أي أوصيكم وآمركم، فاتعظ أي ائتمر وكف نفسه، والاسم: الموعظة، وهو واعظ والجمع وعاظ. اهـ.

وقال الرازي في مختار الصحاح: وعظ «الوعظ»: النصح والتذكير بالعواقب. اهـ.

والوعظ في الاصطلاح: قال عنه العلامة محمد الأمين الشنقيطي صاحب أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن ما نصه:

«تنبيه: فإن قيل: يكثر في القرآن إطلاق الوعظ على الأوامر والنواهي كقوله هنا: ﴿يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [النحل: ٩٠] مع أنه ما ذكر إلا الأمر والنهي في قوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ﴾ إلى قوله: ﴿وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ﴾ الآية [النحل: ٩٠]، وكقوله في سورة البقرة بعد أن ذكر أحكام الطلاق والرجعة: ﴿ذَٰلِكَ يُوعَظُ بِهِ مَن كَانَ مِنكُمْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ [البقرة: ٢٣٢]، وقوله في النهي عن مثل قذف عائشة: ﴿يَعِظُكُمُ اللَّهُ أَن تَعُودُوا لِمِثْلِهِ أَبَدًا﴾ الآية [النور: ١٧] مع أن المعروف عند الناس أن الوعظ يكون بالترغيب والترهيب ونحو ذلك لا بالأمر والنهي.

فالجواب: أن ضابط الوعظ: هو الكلام الذي تلين له القلوب، وأعظم ما تلين له قلوب العقلاء: أوامر ربهم ونواهيه، فإنهم إذا سمعوا الأمر خافوا من سخط الله في عدم امتثاله، وطمعوا فيما عند الله من الثواب في امتثاله. وإذا سمعوا النهي خافوا من سخط الله في عدم اجتنابه، وطمعوا فيما عنده من الثواب في اجتنابه فحداهم حادي الخوف والطمع إلى الامتثال، فلانت قلوبهم للطاعة خوفًا وطمعًا». اهـ.

قلت: وبهذا يتضح غلط من قصر الوعظ على الترغيب أو الترهيب أو عليهما جميعًا، وبه تبين كذلك أن كل ما أوصل إلى التذكر أو تصحيح الخطأ في كل شأن من شئون الناس الدينية أو الدنيوية فهو من باب الوعظ؛ ولذلك جاء الوعظ حتى في الأمر والنهي كما ذكر ذلك صاحب أضواء البيان آنفًا.

وأقول زيادة على آيات الطلاق كذلك آيات الظهار؛ حيث قال جل شأنه: ﴿فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مِّن قَبْلِ أَن يَتَمَاسَّا ذَلِكُمْ تُوعَظُونَ بِهِ﴾ [المجادلة: ٣] وهذا في جانب فقهي بحت، وقال سبحانه: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَعِظُكُم بِوَاحِدَةٍ أَن تَقُومُوا لِلَّهِ مَثْنَىٰ وَفُرَادَىٰ ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا ...﴾ الآية [سبأ: ٤٦] وهذا في جانب العقائد. وبالله التوفيق.

٢. خطبة الخسوف:

اختلف أهل العلم في صلاة الكسوف هل تشرع لها خطبة أم لا؟

قال صاحب الهداية من الحنفية: ليس في الكسوف خطبة؛ لأنه لم ينقل اهـ. وتعقب بأن الأحاديث ثبتت فيه وهي كثيرة.

والمشهور عند المالكية أن الكسوف ليس لها خطبة مع أن الإمام مالكًا رحمه الله روى الحديث وفيه ذكر الخطبة.

ويشترك الإمام مالك مع أبي حنيفة في تعليل عدم مشروعية الخطبة فيها بأن النبي ﷺ إنما خطب لمّا ظن الناس أن الشمس كسفت لوفاة ابنه إبراهيم، وأنه لم يقصد الخطبة بخصوصها.

والمشهور من مذهب الحنابلة أن صلاة الكسوف لا يشرع لها خطبة، قال ابن قدامة: لم يبلغنا عن أحمد ذلك.

واستحب الشافعي وإسحاق الخطبة بعد الكسوف. وهو رواية عن الإمام أحمد اختارها ابن حامد وغيره من الأصحاب، كما ذكر ذلك صاحب الإنصاف، وهو قول أكثر أصحاب الحديث؛ وذلك لما في الأحاديث الصحيحة من التصريح بالخطبة وحكاية شرائطها من الحمد والثناء والموعظة والأصل مشروعية الاتباع. والخصائص لا تثبت إلا

بدليل، قال ابن دقيق العيد: «فينبغي التأسي بالنبي ﷺ فيذكر الإمام ذلك في خطبة الكسوف».

قلت: والقول بمشروعية الخطبة في صلاة الكسوف هو الصحيح الذي يدل له الدليل. ولكن هل المشروع خطبتان أم خطبة واحدة؟ اختلف في ذلك على قولين:

أصحهما: أنها خطبة واحدة ولا صحة لقياس من قاسها على خطبة الجمعة والعيدين؛ إذ ليس في الأحاديث المذكورة فيها ما يقتضي ذلك. ثم إن قياسها على العيدين غير صحيح، لأن صلاة العيد صلاة فرح، بخلاف صلاة الكسوف فهي صلاة رهبة. والله تعالى أعلم.

٣. الطهارة من الحدث في الخطبة:

اشترط الشافعية وأبو يوسف من الحنفية الطهارة من الحدث، وكذا الطهارة من النجاسة في البدن والثوب والمكان.

وأما جمهور أهل العلم فعلى عدم اشتراط الطهارة من الحدث سواء كان أصغر أو أكبر على الصحيح من أقوالهم، ودليلهم في هذه المسألة أن الخطبة ذكر وموعظة وليست صلاة، والحدث مطلقًا لا يمنع من الذكر إلا أن الطهارة من كل ذلك مندوبة للتأسي والاتباع، لأن النبي ﷺ كان يصلي عقيب الخطبة لا يفصل بينهما بطهارة، فدل على أنه كان متطهراً، ومن لم يكن كذلك فإنه يحتاج إلى الطهارة بين الصلاة والخطبة، فيفصل بينهما وربما طول على الحاضرين. والراجح في هذه المسألة هو ما ذهب إليه الجمهور.

وقد قال الإمام أحمد في من خطب وهو جنب ثم اغتسل وصلى بهم: يجزئه.

قال ابن قدامة في المغني: وهذا إنما يكون إذا خطب في غير المسجد، أو

خطب في المسجد غير عالم بحال نفسه ثم علم بعد ذلك اهـ. والله تعالى أعلم.

٤. إذا قرأ الخطيب آية فيها سجدة:

أود أن أبين قبل الشروع فيما يتعلق بالعنوان - حكم سجود التلاوة في اختصار شديد؛ فأقول: اختلف أهل العلم في سجود القرآن على قولين: فعند الحنفية أن سجود التلاوة واجب، وهو اختيار شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله خلافًا للجمهور الذين قالوا بأن سجود التلاوة سنة وليس واجبًا، وهم بلا شك أحظ بالدليل من غيرهم، ومما استدلوا به على ما ذهبوا إليه ما روى البخاري في صحيحه عن زيد بن ثابت قال: «قرأت على النبي ﷺ ﴿والنجم﴾ فلم يسجد فيها». ولو كان السجود واجبًا لأمره النبي ﷺ ولو بعد ذلك.

ويدل على ذلك أيضًا: ما رواه البخاري في صحيحه بسنده في قصة قراءة عمر بسورة النحل وسيأتي بعد قليل.

ومما يتعلق بهذه المسألة أيضًا باختصار أن سجود التلاوة في حق القارئ والمستمع على ما دلت عليه السنة لما جاء في صحيح البخاري أن ابن عمر رضي الله عنهما قال: «كان النبي ﷺ يقرأ علينا السورة فيها السجدة فيسجد ونسجد حتى ما يجد أحدنا موضع جبهته». وأما السامع وهو غير المستمع فلا يؤكد في حقه السجود كما يؤكد على المستمع كما قال الشافعي رحمه الله. وقد روى عبد الرزاق بسند صحيح «أن عمران مر بقاص فقرأ القاص السجدة فمضى عمران ولم يسجد معه»، وصح مثل ذلك عند عبد الرزاق عن سلمان. وروي مثله عن عثمان رضي الله عنه «أنه مر بقاص فقرأ سجدة ليسجد معه عثمان فقال عثمان: إنما السجود على من استمع ثم مضى ولم يسجد» اهـ.

بقي معنا ما يتعلق بسجود الخطيب على المنبر إذا مر بآية سجدة، فالذي اطلعت عليه أن مالكًا رحمه الله يرى أنه يمر على آية السجود ولا يسجد.

ولكن المتأمل في سنة النبي ﷺ يجد خلاف ما ذهب إليه مالك رحمه الله؛ فقد أورد الحافظ ابن حجر في الفتح ما رواه أبو داود وابن خزيمة والحاكم من حديث أبي سعيد أن النبي ﷺ قرأ وهو على المنبر، فلما بلغ السجدة نزل فسجد وسجد الناس معه، ثم قرأها في يوم آخر فتهيأ الناس للسجود فقال: «**إنما هي توبة نبي، لكني رأيتكم تهيأتم**»، فنزل وسجد وسجدوا معه» اهـ. قال العراقي: إسناده صحيح اهـ. نقل ذلك الشوكاني عنه في نيل الأوطار.

ومن ذلك ما ثبت عند البخاري في صحيحه عن عمر رضي الله عنه «أنه قرأ يوم الجمعة على المنبر بسورة النحل، حتى إذا جاء السجدة نزل فسجد وسجد الناس، حتى إذا كانت الجمعة القابلة قرأ بها حتى إذا جاء السجدة قال: يا أيها الناس، إنا نمر بالسجود فمن سجد فقد أصاب ومن لم يسجد فلا إثم عليه، ولم يسجد عمر رضي الله عنه» اهـ. فيثبت بذلك مشروعية سجود التلاوة ولو على المنبر وهذا من سنة النبي ﷺ.

٥. أمران يحتاجان إلى تنبيه:

هناك أمران يلفتان انتباهي كثيراً عند سماع خطب يوم الجمعة في أماكن متفرقة.

فالأمر الأول منهما: ما يفعله بعض الخطباء حين استشهادهم في خطبهم ببعض الآيات؛ حيث يقومون بترتيلها ولو كانت آيتين فأقل بل إن بعضهم لا يكاد يمر بآية! إلا ويرتلها، ومحط السؤال هنا هو أنني لم أجد حسب بحثي القاصر ما يدل على هذا من سنة النبي ﷺ، بل إنني وجدت أحاديث كثيرة يستشهد فيها النبي ﷺ بآية من القرآن ولم يأت فيها ما يدل على أنه كان يرتلها، ومعلوم أن الترتيل إنما يكون عند التلاوة ويدل على ذلك قوله تعالى: ﴿**وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلاً**﴾ [المزمل: ٤].

ولذا فإنني لا زلت أبحث جاهدًا للوصول إلى نتيجة مقنعة تؤكد ما يذكره البعض من أن هذا بدعة في الخطب، إلا أن صعوبة التبديع تجعلني أتقاصر عن هذا البحث، ولكنني أقول: إن هذا خلاف سنة النبي ﷺ المعروفة عنه بالاستقراء سواء كانت في أثناء الخطبة أو في أثناء حديثه للصحابة رضي الله عنهم، لا أعلم بعد التتبع ما يدل على أنه ﷺ كان يرتل الآية الواحدة أو الآيتين في الاستشهاد. والعلم عند الله تعالى.

وأما الأمر الثاني: فهو ما يلتزمه بعض الخطباء في خطبهم من التغاير اللافت عند الاستشهاد بالآيات كذلك، حيث إن بعض الخطباء لا يزيد على قوله: قال الله تعالى.. الآية. أو نحو ذلك. ولكنه إذا جاء يختم الخطبة بآية قال: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم، ثم يقرأ الآية. ولا شك أن هذا لا وجه له لأمور.

أحدها: أنه ليس قراءة، والله يقول: ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ﴾ [النحل: ٩٨]، والمراد بالقراءة هنا التلاوة.

وثانيها: أن النبي ﷺ لم يكن يفعل ذلك حسب الاستقراء في استشهاداته بالآيات.

وثالثها: أن مثل هؤلاء الخطباء يلتزم الاستعاذة في الآية الأخيرة، دون ما يسبقها من آيات، ولا شك أن هذا مثار الإشكال والنقص، وبالله التوفيق.

٦. هل يمكن أن يتولى الصلاة من لم يتول الخطبة:

السنة أن يتولى الصلاة من يتولى الخطبة؛ لأن النبي ﷺ كان يتولاهما بنفسه، وكذلك خلفاؤه من بعده، وللإمام أحمد في هذه المسألة ثلاث روايات:

الرواية الأولى: جواز ذلك للعذر نص عليه لأنه إذا جاز الاستخلاف في الصلاة الواحدة للعذر ففي الخطبة مع الصلاة أولى.

والرواية الثانية: أنه إذا لم يكن هناك عذر فقد قال أحمد: لا يعجبني

من غير عذر. وهذا يحتمل المنع ويحتمل الجواز.

والرواية الثالثة: أنه لا يجوز الاستخلاف لعذرٍ ولا لغيره؛ لأن هذا لم ينقل عن النبي ﷺ ولا عن خلفائه.

لكن الرواية الأولى هي المذهب كما ذكر ذلك ابن قدامة في المغني.

وبالجواز والصحة قال شيخنا العلامة محمد بن صالح العثيمين: «وهو قول جمهور أهل العلم، لكنهم اختلفوا: هل يشترط أن يكون المصلي ممن حضر الخطبة؟ فيه روايتان في المذهب: إحداهما: أنه يشترط أن يكون المصلي ممن حضر الخطبة؟

فيه روايتان في المذهب: إحداهما: أنه يشترط، وهو قول الثوري وأصحاب الرأي وأبي ثور؛ لأنه إمام في الجمعة فاشترط حضوره الخطبة كما لو لم يستخلف. والرواية الثانية: لا يشترط، وهو قول الأوزاعي والشافعي؛ لأنه ممن تنعقد به الجمعة فجاز أن يؤمَّ فيها كما لو حضر الخطبة. والله تعالى أعلم.

٧ـ استيعاب الخطبة للموضوع:

يخطئ بعض الخطباء الفهم حينما يظنون أن الخطبة يمكن أن تستوعب معظم المواضيع التي يراد طرحها، وهذا من وجهة نظري ليس بصحيح؛ لأنه يوقع في سلبيات متعددة أذكر منها على سبيل المثال لا الحصر:

١ ـ الإكثار في الحشو من الأدلة والنقاط المتعلقة بالموضوع بحيث ينسي آخرها أولها.

٢ ـ الإطالة على المستمعين في الخطبة، ومن ثم خروجها عن المقصود وهو التخفيف؛ ولذلك نجد بعض الخطباء قد يتجاوز النصف ساعة فأكثر وهذا مشاهد.

٣ـ أن المراد من طرح الموضوع هو التذكير والعظة وهذا يحصل من دون إطالة، بل يكفي التركيز على أساسيات الموضوع مع عدم لزوم الاستيعاب؛ لأنه كما قيل: الحر تكفيه الإشارة.

٨ـ اقتراح في التجديد:

من خلال استقرائي لجملة من الخطب العصرية لعدد من الخطباء على اختلاف طبقاتهم ومستوياتهم وأقاليمهم إلا أنني أجد اتفاقًا واضحًا في الاستدلال على المواضيع المطروحة بأحاديث مطروقة مبذولة بكثرة وليس هذا احتقارًا أو تقليلاً من شأنها، كلا؛ بل إنني أريد أن أصل إلى مرادي، وهو التجديد في الأدلة؛ لأننا ربما نجد أن الخطباء حينما يخطبون عن موضوع ما وليكن مثلاً في بر الوالدين أو صلة الرحم ـ يتفقون على أحاديث معينة مع أن هناك أحاديث لا تقل عنها صحة ولا صراحة في الموضوع ومع ذلك يُغفل عنها، ولعلي أرجع السبب في ذلك إلى أن بعض الخطباء يقتبس من غيره أو أن يكون المرجع في مثل ذلك كتاب رياض الصالحين، وهو كتاب عظيم لكنه لم يستوعب الأحاديث كلها.

والذي أريد أن أصل إليه هو أن اختيار الأحاديث التي تخفى على كثير من الناس بسبب قلة طرحها يضيف إليهم جديدًا وهو معرفة الحديث والعمل به، وفي هذا خير كبير للأمة.

غاية ما يحتاج إليه الخطيب هو التنقيب في بطون كتب الحديث والخروج بمثل هذه الفوائد.

ولعلي أختم هذه المسألة بمثال وقع لي ورأيت ثمرته في الواقع، فقد سبق وأن خطبت بالمسجد الحرام خطبة عن الأخوة، فبدا لي أن آتي بما يدل على الموضوع دون غيره من الأحاديث المشتهرة على ألسنة الناس فأتيت بحديث النبي ﷺ في أمره بقتل الوزغ؛ لأنه كان ينفخ النار على أبينا إبراهيم عليه السلام، فأخذت منه أن من كان عدوًا للدين فهو عدو لنا ولو

كانت حشرات صغيرة كالأوزاغ . . . إلخ . وبعد الخطبة وجدت استحسان بعض الناس من جهتين : الأولى في العلم بأن الوزغ كان ينفخ النار على إبراهيم عليه السلام . والثانية : في أن كل من عادى الدين بأي نوع من أنواع العداوة فهو عدو لنا حتى ولو كان وزغًا ؛ ولذلك أمرنا النبي ﷺ بقتله . والله تعالى أعلم .

٩ـ توقيت هجرة النبي ﷺ بنهاية العام:

المتتبع لأحوال جملة من الخطباء يجد أنهم يتحدثون في نهاية العام عن حادث الهجرة ، ولي على هذا الأمر ملحوظتان :

الأولى : أن هجرة النبي ﷺ إنما كانت في شهر ربيع الأول بعد مضي ثنتي عشرة ليلة منه في يوم الاثنين كما ذكر ذلك الطبري في تأريخه . وإن الذي ابتدأ التأريخ على الصحيح هو عمر بن الخطاب رضي الله عنه سنة سبع أو ثماني عشرة من الهجرة حينما احتاجوا إلى التأريخ فاستشار الصحابة فقال بعضهم : من مبعثه ، وقال آخرون : من مهاجره ، فقال عمر رضي الله عنه : الهجرة فرقت بين الحق والباطل فارضوا بها .

ثم اختلفوا من أي شهر يكون ابتداء السنة ، فقال بعضهم : من رمضان ؛ لأنه الذي فيه أنزل القرآن ، وقال آخرون : بل من ربيع الأول وقت مهاجره ، واختار عمر وعثمان وعلي أن يكون من المحرم ؛ لأنه شهر حرام يلي شهر ذي الحجة الذي يؤدي المسلمون فيه حجهم الذي به تمام أركان دينهم فكان ابتداء السنة الإسلامية الهجرية من شهر الله المحرم .

الثانية : أن بعض الخطباء يستغل نهاية العام وحادث الهجرة للتذكير بالمحاسبة على هيئة الالتزام بذلك في نهاية كل عام ، والذي يظهر لي أن نهاية العام أمر نسبي يختلف من شخص لآخر ؛ فكل شخص ينتهي عامه بتمام سنة من تاريخ ولادته ، فضلاً عن كون المحاسبة غير مختصة بنهاية كل عام ؛ فإن المرء مأمور بالتوبة والمحاسبة في كل يوم من أيام حياته . وبالله التوفيق .

١٠- إيراد الأحاديث الضعيفة في الخطب:

هذه المسألة تتردد كثيراً بين الخطباء بين مؤيد ورافض، وللحاجة الماسة إلى كشف هذه المسألة فإني أشير إليها على عجالة لا تخل بالمقصود فأقول:

الذين يجيزون الاستدلال بالأحاديث الضعيفة من الخطباء أو طلبة العلم شبهتهم في ذلك أمور هي كالتالي:

أ- ما نقله الحافظ ابن كثير في مصطلح الحديث عن الإمام أحمد، وعبد الرحمن بن مهدي وعبد الله بن المبارك: «إذا روينا في الحلال والحرام شددنا، وإذا روينا في الفضائل ونحوها تساهلنا».

ب- ما نقله الحافظ السخاوي عن شيخه الحافظ ابن حجر على أن شرائط العمل بالضعيف ثلاثة:

١- أن يكون الضعف غير شديد، فيخرج من انفرد من الكذابين، والمتهمين بالكذب ومن فحش غلطه.

٢- أن يكون مندرجًا تحت أصل عام، فيخرج ما يخترع بحيث لا يكون له أصل أصلاً.

٣- أن لا يعتقد عند العمل به ثبوته، لئلا ينسب إلى النبي ﷺ ما لم يقله.

جـ- ما ذكره غير واحد من المتأخرين على أن الاستحباب يثبت بالضعيف غير الموضوع.

أما الذين لا يجيزون الاستدلال بالأحاديث الضعيفة فإنهم يجيبون عن أدلة المجيزين بما يلي:

أولاً: أن ما نقل عن الإمام أحمد وابن مهدي وابن المبارك فقد أجاب عنه العلامة أحمد شاكر في الباعث الحثيث؛ حيث قال: «فإنما يريدون- فيما أرجح والله أعلم- أن التساهل إنما هو في الأخذ بالحديث الحسن الذي لم يصل إلى درجة الصحة؛ فإن الاصطلاح في التفرقة بين الصحيح

والحسن، لم يكن في عصرهم مستقراً واضحًا، بل كان أكثر المتقدمين لا يصف الحديث إلا بالصحة أو بالضعف فقط» اهـ.

قلت: ولعل مراد العلامة أحمد شاكر وغيره بالحسن، الحسن لغيره، وأما الحسن لذاته فهو حجة كما قال العراقي في ألفيته:

وهو بأقسام الصحيح ملحق حجية وإن يكن لا يلحق

ثانيًا: أن الشروط التي ذكرها الحافظ ابن حجر يجاب عنها كالتالي:

أما الشرط الأول: أن معرفة حال الحديث وكونه شديد الضعف من عدمه مما يشق الوقوف عليه عند جماهير الناس، وأما سماسرة الحديث فعندهم في الصحيح غنية عن الضعيف.

وأما الشرط الثاني: أن يكون الحديث مندرجًا تحت أصل عام. فهذا رد على أصحابه؛ لأننا لو قلنا به لظهر أن العمل في الواقع ليس بهذا الحديث الضعيف وإنما هو بالأصل العام الذي اندرج تحته الحديث الضعيف، وأن العمل به وارد سواء وجد الحديث الضعيف أم لا.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في كتابه «القاعدة الجليلة»: «ولا يجوز أن يعتمد في الشريعة على الأحاديث الضعيفة التي ليست صحيحة ولا حسنة، لكن أحمد بن حنبل وغيره من العلماء جوزوا أن يروى في فضائل الأعمال ما لم يعلم أنه ثابت، إذا لم يعلم أنه كذب، وذلك أن العمل إذا علم أنه مشروع بدليل شرعي، وروي في فضله حديث لا يعلم أنه كذب، جاز أن يكون الثواب حقًا، ولم يقل أحد من الأئمة: إنه يجوز أن يجُعل الشيء واجبًا أو مستحبًا بحديث ضعيف، ومن قال هذا فقد خالف الإجماع» اهـ.

وأما الشرط الثالث: فإنه يرد على نفسه؛ إذ ما الفائدة من حديث لا

تعتقد عند العمل به ثبوته عن النبي ﷺ لئلا ينسب إليه ما لم يقله. والواقع أنه إذا لم نعتقد ثبوته عن النبي ﷺ فهو وكلام البشر سواء.

ولذلك فإن حاصل الأمر أنه لا يجوز العمل بالحديث الضعيف عند أئمة المحققين كابن معين والبخاري ومسلم وابن العربي وابن حزم وابن رجب وشيخ الإسلام ابن تيمية وتلميذه ابن القيم وغيرهم كثير وكثير.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «وما كان أحمد بن حنبل ولا أمثاله من الأئمة يعتمدون على مثل هذه الأحاديث في الشريعة، ومن نقل عن أحمد أنه كان يحتج بالحديث الضعيف الذي ليس بصحيح ولا حسن فقد غلط عليه» اهـ.

تنبيه: ما سبق ذكره مقتبس من كلام العلامة محمد ناصر الدين الألباني بتصرف وإضافات من مقدمة كتابه ضعيف الجامع الصغير وزيادته، فليراجع. والله الموفق.

١١ـ هل خطبة الاستسقاء قبل الصلاة أو بعدها؟:

اختلف أهل العلم في هذه المسألة إلى قولين هما:

القول الأول: قال أصحابه: إن الصلاة قبل الخطبة، وبهذا القول قال المالكية، وهو المرجح عند الشافعية، وهو رواية عن الإمام أحمد وهي المشهورة في المذهب، حكى ذلك ابن قدامة في المغني وذكر عن أبي بكر من الحنابلة أنها هي الصحيح، كما حكى ابن عبد البر أن مالكًا كان يقول: إن الخطبة قبل الصلاة، ثم رجع عن ذلك واختار كونها بعد الصلاة، وحكى ابن عبد البر هو والنووي أن هذا قول جماهير أهل العلم، وبه قال الشافعي ومحمد بن الحسن من الحنفية، واستدل أصحاب هذا القول على ما ذهبوا إليه بأدلة منها:

١ ـ ما رواه أحمد والبيهقي وابن ماجه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: «خرج نبي الله ﷺ يومًا يستسقي، فصلى بنا ركعتين بلا أذان ولا

إقامة ، ثم خطبنا ودعا الله عز وجل وحول وجهه نحو القبلة رافعًا يديه ، ثم قلب رداءه فجعل الأيمن على الأيسر ، والأيسر على الأيمن» .

نقل الحافظ في التلخيص عن البيهقي في الخلافيات أنه قال : رواته ثقات ، وقال البوصيري في زوائد ابن ماجه : إسناده صحيح .

٢ ـ ما رواه أحمد من حديث عبد الله بن زيد رضي الله عنه قال : «خرج رسول الله ﷺ إلى المصلى فاستسقى وحوَّل رداءه حين استقبل القبلة وبدأ بالصلاة قبل الخطبة ثم استقبل القبلة فدعا» .

٣ ـ ما رواه مسلم في صحيحه عن أبي إسحاق : «أن عبد الله بن يزيد خرج يستسقي بالناس فصلى ركعتين ثم استسقى» . وقد كان ذلك في خلافة ابن الزبير وحضر معه البراء بن عازب وزيد بن أرقم .

قال القرطبي : يعتضد القول بتقديم الصلاة على الخطبة لمشابهتها بالعيد ، وكذا ما تقرر من تقديم الصلاة أمام الحاجة .

القول الثاني : قال أصحابه : إن الخطبة قبل الصلاة ، وبهذا القول قال الليث بن سعد ، وهو مروي عن عمر بن الخطاب وقدم عمر بن عبد العزيز الخطبة على الصلاة وبه قال ابن الزبير وأبان بن عثمان وابن المنذر وغيرهم .

واستدل أصحاب هذا القول على ما ذهبوا إليه بأدلة منها :

١ ـ ما رواه البخاري ومسلم والأربعة وغيرهم من حديث عبد الله بن زيد رضي الله عنه : «خرج النبي ﷺ يستسقي فتوجه إلى القبلة يدعو ، وحوَّل رداءه ثم صلى ركعتين ، جهر فيهما بالقراءة» .

٢ ـ ما رواه البخاري عن أبي إسحاق : «خرج عبد الله بن يزيد الأنصاري ، وخرج معه البراء بن عازب وزيد بن أرقم ، فاستسقى فقام بهم

على رجليه على غير منبر فاستغفر ثم صلى ركعتين يجهر بالقراءة ولم يؤذن ولم يقم».

٣ـ ما رواه أبو داود وابن حبان والحاكم عن عائشة رضي الله عنها قالت: «شكا الناس إلى رسول الله ﷺ قحوط المطر. . .» الحديث، وفيه: «فقعد على المنبر فكبر ﷺ . .» الحديث وفيه: «ثم أقبل على الناس ونزل، فصلى ركعتين. .» الحديث.

هذا ملخص أدلة أصحاب هذا القول وقد أجابوا عن أدلة أصحاب القول الأول بأن الحديث الأول فيه النعمان بن راشد وهو متكلم فيه، وقد أخطأ في سند الحديث ومتنه، وقد أشار ابن عبد البر إلى شيء من هذا.

وأجابوا عن الحديث الثاني بأنه من رواية إسحاق بن عيسى الطباع وهو إن كان صدوقًا إلا أنه أخطأ فيه على مالك؛ لأن رواة مالك لم يذكروا فيها الصلاة، وقد أشار ابن عبد البر إلى ذلك.

وأجابوا عن الحديث الثالث بأن شعبة خالف فيه زهير بن الجعد وسفيان الثوري؛ لأن رواية زهير وسفيان أنه بدأ بالخطبة ثم صلى. والله أعلم.

الخلاصة:

أن هذه المسألة قد علم فيها قول عامة الفقهاء كما ذكر ذلك ابن عبد البر، وأن الخطبة بعد الصلاة، وليس ذلك للوجوب وإنما على سبيل التخيير فإن شاء قدم الخطبة وإن شاء قدم الصلاة، وبذلك قال سماحة العلامة محمد بن إبراهيم مفتي الديار السعودية؛ حيث قال في تقرير له ضمن مجموعة الفتاوى والرسائل ما نصه:

«نعرف أنه قد جاء تقديم الصلاة على الخطبة وهو الذي عليه العمل،

وصرح به الأصحاب، ولكن يجمع بينه وبين حديث عبد الله بن زيد بأن الكل جائز، فيكون وجهان في ذلك كلٌ سنة»اهـ.

وقال سماحة العلامة عبد العزيز بن عبد الله بن باز مفتي عام المملكة العربية السعودية في تعليقه على فتح الباري ما نصه: «أخرج أحمد رحمه الله حديث أبي هريرة المذكور بسند حسن وصرح فيه بأنه «خطب بعد الصلاة»، ويجمع بين الحديثين بجواز الأمرين والله أعلم».

وقال شيخنا العلامة محمد بن صالح العثيمين في شرحه على الزاد ما نصه: «وعلى هذا فتكون خطبة الاستسقاء قبل الصلاة وبعدها» اهـ. هذا حاصل ملخص المسألة، والله تعالى أعلم.

تنبيه: في مذهب الحنابلة أربع روايات في مسألة خطبة الاستسقاء:

الأولى: أن الخطبة بعد الصلاة وهي المشهورة.

والرواية الثانية: أنها قبل الصلاة.

والثالثة: هو مخير قبل أو بعد.

والرابعة: أنه لا يخطب وإنما يدعو ويتضرع؛ لقول ابن عباس: «لم يخطب كخطبتكم هذه لكن لم يزل في الدعاء والتضرع». رواه أحمد وأبو داود والنسائي وابن ماجه.

فائدة: روى البخاري في صحيحه من طريق عبد الله بن أبي بكر سمع عباد بن تميم عن عمه قال: «خرج النبي ﷺ إلى المصلى يستسقي، واستقبل القبلة فصلى ركعتين وقلب رداءه، قال سفيان: فأخبرني المسعودي عن أبي بكر قال: جعل اليمين على الشمال».

قال الحافظ في الفتح: «قوله: (عن أبي بكر) يعني: ابن محمد بن عمرو بن حزم بإسناده وهو عن عباد بن تميم عن عمه.. إلخ، ثم قال: قال

ابن بطال: حديث أبي بكر يدل على أن الصلاة قبل الخطبة؛ لأنه ذكر أنه صلى قبل قلب ردائه قال: وهو أضبط للقصة من ولده عبد الله بن أبي بكر؛ حيث ذكر الخطبة قبل الصلاة» اهـ. والله أعلم.

١٢ـ هل خطبة الاستسقاء واحدة أم ثنتان؟:

اختلف أهل العلم في هذه المسألة إلى ثلاثة أقوال: أحدها: أن الإمام يخطب خطبتين يفصل بينهما بالجلوس، وبذلك قال مالك والشافعي؛ فقد قال مالك رحمه الله: فيما بين كل خطبة جلسة اهـ. والشافعي رحمه الله يقيسها على العيدين.

والقول الآخر ـ وهو مذهب الحنابلة ـ: أن الإمام يخطب في الاستسقاء خطبة واحدة، وبذلك قال أبو يوسف ومحمد بن الحسن صاحبا أبي حنيفة وكذا عبد الرحمن بن مهدي.

والقول الثالث: قال به الطبري إن شاء خطب واحدة، وإن شاء اثنتين اهـ.

وحاصل المسألة: أن الناظر في أحاديث الاستسقاء التي أثبتت الخطبة، لا يجد فيها ما يدل على أنه كان يخطب خطبتين، بل إن ابن عباس ثبت عنه فيما رواه أحمد وأصحاب السنن أنه قال: «فلم يخطب خطبتكم هذه»، قال ابن قدامة عن قول ابن عباس هذا: وهذا يدل على أنه ما فصل بين ذلك بسكوت ولا جلوس؛ ولأن كل من نقل الخطبة لم ينقل خطبتين ولأن المقصود إنما هو دعاء الله تعالى ليغيثهم، ولا أثر لكونها خطبتين في ذلك اهـ.

وقال في موضع آخر في المغني: والأولى أن يخطب بعد الصلاة خطبة واحدة اهـ. وقال الزيلعي عن حديث ابن عباس السابق: مفهومه أنه خطب، لكنه لم يخطب خطبتين كما يفعل في الجمعة، ولكنه خطب خطبة واحدة، فلذلك نفى النوع ولم ينف الجنس، ولم يرو أنه خطب خطبتين اهـ.

هذا هو حاصل الخلاف في هذه المسألة، ولعل من قال: إنها خطبة واحدة هو الأحظى بالدليل الشرعي، والعلم عند الله تعالى.

١٣. كيفية قلب الرداء للخطيب في الاستسقاء:

هذه المسألة ليست خاصة بالخطيب وحده بل يشاركه فيها جميع المصلين، ولكن لما كان الإمام قدوة في هذا أحببت أن أبين كلام أهل العلم في هذه المسألة باختصار فأقول: قد مر معنا في فقرة سابقة أن تحويل الرداء في خطبة الاستسقاء ثابت عن النبي ﷺ، ولأهل العلم كلام في هذا التحويل:

فمنع من ذلك أبو حنيفة وقال: لا يسن؛ لأنه دعاء، فلا يستحب تحويل الرداء فيه كسائر الأدعية.

وخالف الجمهور أبا حنيفة فقالوا: يسن قلب الرداء، ثم اختلفوا هل هو مختص بالإمام فقط أو يشاركه الناس، والصحيح أن الناس يشاركونه؛ لأن في بعض روايات حديث عبد الله بن زيد «... وحول رداءه فقلبه ظهر البطن وتحول الناس معه» رواه أحمد وغيره.

وأما صفة التحويل: فقد قال الجمهور: إنه يجعل الأيسر على الأيمن، ويجعل الأيمن على الأيسر، وبهذا قال مالك وأحمد والشافعي في القديم، وبه قال عبد الرحمن بن مهدي وإسحاق وأبو ثور ووكيع وغيرهم. قال ابن عبد البر: وعلى ذلك أكثر أهل العلم.

واستدل الجمهور بما روى البخاري من حديث عباد بن تميم عن عمه قال: «خرج النبي ﷺ إلى المصلى يستسقي، واستقبل القبلة فصلى ركعتين، وقلب رداءه. قال سفيان: فأخبرني المسعودي عن أبي بكر قال: جعل اليمين على الشمال»، وزاد فيه ابن ماجه وابن خزيمة من هذا الوجه: «والشمال على اليمين». وفي رواية عند أبي داود من طريق الزهري عن

عباد بلفظ: «فجعل عطافه الأيمن على عاتقه الأيسر، وعطافه الأيسر على عاتقه الأيمن».

وذهب الشافعي في الجديد إلى أن كيفية التحويل هي أن ينكس الرداء مع التحويل الموصوف في قول الجمهور. ودليله في ذلك ما رواه أحمد وأبو داود من حديث عبد الله بن زيد «أن النبي ﷺ استسقى وعليه خميصة سوداء، فأراد أن يأخذ بأسفلها فيجعله أعلاها، فلما ثقلت عليه قلبها على عاتقه»، قال ابن دقيق العيد في الإلمام: إسناده على شرط الشيخين.

قال الحافظ ابن حجر في الفتح: ولا ريب أن الذي استحبه الشافعي أحوط.

قال ابن قدامة في المغني: وقد نقل تحويل الرداء جماعة، لم ينقل أحد منهم أنه جعل أعلاه أسفله ويبعد أن يكون النبي ﷺ ترك ذلك في جميع الأوقات لثقل الرداء اهـ.

قلت: الرواية التي استدل بها الشافعي هي مدارها على الدراوردي، وقد قال عنه أحمد كما في تهذيب التهذيب: كان معروفًا بالطلب، وإذا حدث من كتابه فهو صحيح وإذا حدث من كتب الناس وهم، وكان يقرأ من كتبهم ويخطئ. اهـ. وقال عنه أبو زرعة: سيئ الحفظ، فربما حدث من حفظه الشيء فيخطئ» اهـ.

والناظر في طرق حديث عبد الله بن زيد يظهر له خطأ الدراوردي في مخالفته جميع الرواة.

قال سماحة شيخنا العلامة عبد العزيز بن باز في تعليقه على فتح الباري بعد كلام الحافظ ابن حجر: ولا ريب أن الذي استحبه الشافعي أحوط. قال سماحته: ليس الأمر كما قال الشارح بل الأولى والأحوط هو التحويل

بجعل ما على الأيمن على الأيسر وعكسه؛ لأن الحديث بذلك أصح وأصرح؛ ولأن فعله أيسر وأسهل. والله أعلم. اهـ.

تنبيه: قال ابن قدامة في المغني: ويستحب أن يحول رداءه في حال استقبال القبلة؛ لأن في حديث عبد الله بن زيد «أن النبي ﷺ خرج يستسقى فحول إلى الناس ظهره واستقبل القبلة ثم حول رداءه». متفق عليه وفي لفظ لمسلم: «فحول رداءه حين استقبل القبلة» اهـ.

ونقل ابن عبد البر في التمهيد عن مالك: يحول الإمام رداءه عند فراغه من الخطبة.

وقال الشافعي: يحول رداءه وهو مستقبل القبلة في الخطبة الثانية عند فراغها أو قرب ذلك. اهـ.

قال الحافظ في الفتح بعد ذكره الحديث الصحيح: فعرف بذلك أن التحويل وقع أثناء الخطبة عند إرادة الدعاء.

قلت: وقول الحافظ سبقه إليه أبو يوسف فقال: يحول الإمام إذا مضى صدر من خطبته.

والذي يظهر لي والعلم عند الله تعالى أن ما ذهب إليه ابن قدامة هو الأقرب وهو الأحظ بالدليل؛ لأن الإمام حال الخطبة يكون مستقبلاً الناس. والأحاديث دلت على أن التحويل كان حين استقبل القبلة، وبالله التوفيق.

١٤ ـ تحريك الخطيب يديه حال الخطبة:

اعتاد بعض الخطباء لا سيما المرتجل منهم أن يحرك يديه ويشير بهما يمنة ويسرة ويشتد التحريك عند الانفعال. ولأجل ذا كان من المناسب أن أشير

إلى كلام أهل العلم في هذه المسألة، فأقول وبالله التوفيق:

قال ابن قدامة في المغني بعد أن استحب الاعتماد على قوس أو سيف أو عصا وذكر الدليل على ذلك: ولأن ذلك أعون له، فإن لم يفعل، فيستحب أن يسكن أطرافه، إما أن يضع يمينه على شماله، أو يرسلهما ساكنين إلى جنبيه اهـ.

وقال النووي في المجموع بعد ذكر العصا أو السيف: قال أصحابنا ويستحب أن يشغل يده الأخرى بأن يضعها على حرف المنبر. قالوا: فإن لم يجد سيفًا أو عصًا ونحوه سكن يديه بأن يضع اليمنى على اليسرى أو يرسلهما ولا يحركهما، ولا يعبث بواحدة منهما، والمقصود: الخشوع والمنع من العبث. اهـ.

وقال الشوكاني عن الحكمة من اتخاذ العصا أو السيف حال الخطبة ما نصه: قيل: والحكمة في ذلك الاشتغال عن العبث، وقيل: إنه أربط للجأش اهـ.

قلت: وبمثل ما ذكر الشوكاني رحمه الله قال شيخنا العلامة عبد العزيز ابن عبد الله بن باز في شرحه على بلوغ المرام كما بينت ذلك في الحلقة الثانية من «بين يدي الخطيب» ضمن الجزء الثاني من الوميض تحت رقم «١» في حكم اتخاذ العصا للخطيب فليراجع.

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في الاختيارات: «ويكره للإمام رفع يديه حال الدعاء في الخطبة، وهو أصح الوجهين لأصحابنا؛ لأن النبي ﷺ إنما كان يشير بأصبعه إذا دعا، وأما في الاستسقاء فرفع يديه لما استسقى على المنبر». اهـ.

قلت: ودليل ذلك ما روى حصين بن عبد الرحمن عن عمارة بن رؤيبة قال: «رأى بشر بن مروان على المنبر رافعًا يديه فقال - أي عمارة - قبح الله هاتين اليدين، لقد رأيت رسول الله ﷺ ما يزيد أن يقول بيده هكذا، وأشار بإصبعه المسبحة» رواه مسلم في صحيحه.

قال شيخنا العلامة محمد بن صالح العثيمين في شرحه على الزاد ما نصه: «ليس من السنة أن يحرك يديه، وإن كان بعض الخطباء بلغني أنهم يفعلون ذلك.. إلى أن قال: أما خطبة الجمعة فإن المغلب فيها التعبد، ولهذا أنكر الصحابة على بشر بن مروان؛ حيث رفع يديه في الدعاء، مع أن الأصل في الدعاء رفع اليدين، فلا يشرع فيها إلا ما جاء عن النبي ﷺ» اهـ. والعلم عند الله تعالى.

ما مضى هو حاصل الخواطر، مما أحببت أن أودعه هذا الجزء حسبما اعتدته في كل جزء من باب التمليح والفائدة على حد قول القائل:

وما الحلي إلا زينة من نقيصة متمم للحسن إذا الحسن قصَّرا

هذا وأسأل الله أن يجعله خالصًا لوجهه الكريم وأن يتجاوز عما فيه من خلل وتقصير، إنه سميع مجيب.

* * *

الجاهلية الجهلاء

الخطبة الأولى

الحمد لله ربّ العالمين، الرحمن الرحيم، مالك يوم الدين، له الحمد في الأولى والآخرة، يحيي ويميت، وله اختلاف الليل والنهار وهو يتولى الصالحين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادةً بها نحيا وبها نموت وعليها نبعث يوم الدين. وأشهد أن محمداً عبد الله ورسوله الناصح الأمين، وقائد الغُرِّ المحجلين، بلّغ الرسالة وأدّى الأمانة ونصح الأمة حتى أتاه اليقين. فصلوات ربي وسلامه عليه وعلى آله الطيبين الطاهرين وعلى أصحابه والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد:

فوصيتي لنفسي ولكم عباد الله هي تقوى الله سبحانه، في السر والعلن، والسفر والحضر، والفرح والحزن، في خلْواتكم وجلْواتكم إن الله يحبُّ المتقين.

أيها الناس:

لقد ابتليت المجتمعات الجاهلية في غابر الأزمان، برجس الأصنام

والوثنية، والخمر والميسر، والأنصاب والأزلام، يتخرج منها رجال ونساء، في الشرك والتضليل، والجهالة والعبِّيَّة الجاهلية، حتى لقد أصبحت مقاصد الحج عندهم عبارةً عن تجمعات مكثفة، في سوق عكاظ، يقصدها الناس من شتى أنحاء البلاد، وكان يقام فيها السوق، في شهر ذي القعدة نحواً من نصف شهر، ثم يأتون بعد ذلك موضعًا دونه إلى مكة، يقال له: سوق مجَنَّة، فيقام فيه السوق إلى آخر الشهر، ثم يأتون موضعًا قريبًا منه، يقال له: ذو المجاز، فيقام فيه السوق إلى يوم التروية، ثم يصدرون إلى منى.

كانت تجتمع في هذه الأسواق قبائل العرب، ووفود ملوكهم، بالهدايا والقرابين إلى الأصنام، يتناشدون الأشعار، ويفتخرون بالسلب والنهب، وقتل الأنفس البريئة دون ما ذنب أو جريمة، ويمارسون وأد البنات إبّانَ حياتهن، ويعدون ذلك من المكرمات، التي تهون دونها الحرمات.

عباد الله:

لقد كانت مواقف الجاهلية في الحج، مواقف مخزية، إنما هي خليط ممزوج، من الأضداد والمتناقضات، يظهر ذلك جليًا في بعض المواقف المتكررة، ومن ذلك مثلاً تلبيتهم في الحج، التي يخلطون معها الشرك فيقولون: لبيك اللهم لبيك، لبيك لا شريك لك، إلا شريكًا هو لك، تملكه وما ملك.

وكانت قبيلة عكّ إذا خرجت حاجة، قدمت أمامها غلامين أسودين من غلمانهم، فكانا أمام ركبهم فيقولان: نحن غرابا عك، فتقول عك من بعدهما: عك إليك عانية، عبادك اليمانية، كيما نحجَّ الثانية، هذه هي تلبيتهم.

ولقد كانت قريش ومن دان بدينها، يقفون بالمزدلفة، وسائر العرب يقفون بعرفات، حتىٰ أنزل الله على رسوله: ﴿ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ﴾ [البقرة: ١٩٩].

ومن مظاهر الجاهلية في الحج ـ عباد الله ـ ما ذكره ابن عباس رضي الله عنهما بقوله: كان أهل الجاهلية يقفون في الموسم فيقول الرجل منهم: كان أبي يُطعم، ويحمل الحمالات، ويحمل الديات، ليس لهم ذكر غيرَ فعَال آبائهم فأنزل الله: ﴿فَاذْكُرُوا اللَّهَ كَذِكْرِكُمْ آبَاءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا﴾ [البقرة: ٢٠٠].

وفي خِضَمِّ الجاهلية الجهلاء يمنُّ الربُّ الرحيم القادرُ الحليمُ على عباده، بالنبي الخاتم ذي النفس الطاهرة، عليه أفضل الصلاة وأزكى التسليم، فأنزلت آيات الكتاب المتلوة، وأبلغ الرسولُ دعوته، فسمع الأصم نبراته، وأبصر الأعمى آياته، جاء البشير النذير والسراج المنير، فاقتلع الوثنية من جذورها واستأصل شأفتها، بعد أن سفَّه أحلامهم وعاب آلهتهم في مدة من الزمن وجيزة ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ [الجمعة: ٢].

ويمن الله عليه بفتح مكة، وتحطيم ما فيها من أصنام وأوثان، ثم يرسل أبا بكر في السنة التاسعة حاجّاً، لينادي بالناس؛ ألاَّ يحج بعد العام مشرك، ولا يطوف بالبيت عُريان، ثم يأتي صلوات الله وسلامه عليه حاجّاً في السنة العاشرة، ليختم دعوته، بلقاء حافل مع جموع المسلمين، في عرصات المشاعر المقدسة، ويقول لهم: « **خذوا عني مناسككم فلعلي لا ألقاكم بعد يومي هذا**»، وفي عرصات عرفة، في اليوم الذي أكمل الله فيه

دينه وأنزل قوله: ﴿ **الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلام دِينًا** ﴾ [المائدة: ٣].

في يوم عرفة عباد الله، يرى الحبيب ﷺ أن هذا الجمع العظيم، وهذه القلوب الصافية الخاشعة، فرصة عظمى؛ لأن تعي ما سيقول لها، من قواعد عظيمة، ربما عدَّوها وصية مودّع مشفق، فيقف على راحلته، ويخطب الناسَ خطبته المشهورة، كما جاء في السنن لأبي داود وابن ماجه وغيرهما، فكان مما قال فيها: «**ألا إن كل شيء من أمر الجاهلية تحت قدمَيَّ موضوع، ودماء الجاهلية موضوعة، وإن أول دم أضع من دمانا، دم ابن ربيعة ابن الحارث بن عبد المطلب، كان مسترضعًا في بني سعد فقتلَتْه هذيل، وربا الجاهلية موضوع كلّه، وأول ربًا أضع ربانا، ربا عباس بن عبد المطلب، فإنه موضوع كله ...**» الحديث.

إن هذه الكلمات، المنبعثة من مشكاة النبوة، ليؤكد بها المصطفى ﷺ حتمية المخالفة لما كان عليه أهل الجاهلية، ويبين بذلك أن مسمى الجاهلية، يعني أن يكون الأمر إسلامًا أولا إسلام، فالجاهلية والإسلام أمران نقيضان، لا يمكن أن يجتمعا في نفس واحدة ألبتة.

إن كلمة الجاهلية، لم تكن نشازًا من حديث النبي ﷺ لا وكلا، بل هي كلمة مطروقة، تكرر ذكرها في غير ما موضع من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، فقد قال سبحانه: ﴿ **أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ** ﴾ [المائدة: ٥٠]، وقال عز وجل: ﴿ **يَظُنُّونَ بِاللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ** ﴾ [آل عمران: ١٥٤] ويقول جل شأنه: ﴿ **وَلا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الأُولَى** ﴾ [الأحزاب: ٣٣] ويقول أيضًا: ﴿ **إِذْ جَعَلَ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ الْجَاهِلِيَّةِ** ﴾ [الفتح: ٢٦].

ولقد بوب البخاري في صحيحه بابًا فقال: باب المعاصي من أمر

الجاهلية. وذكر فيه قول النبي ﷺ لأبي ذر رضي الله عنه لما عيَّر رجلاً بأمه: «**إنك امرؤ فيك جاهلية**». قال الحافظ ابن حجر: إن كل معصية تؤخذ، من ترك واجب أو فعل محرم فهي من أخلاق الجاهلية.

وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال رجل: يا رسول الله، أنؤاخذ بما عملنا في الجاهلية قال: « **من أحسن في الإسلام، لم يؤاخذ بما عمل في الجاهلية، ومن أساء في الإسلام أخذ بالأول والآخر**» رواه البخاري ومسلم.

وقد قال ثابت بن الضحاك رضي الله عنه: نذر رجل أن ينحر إبلاً ببوانة، فسأل النبي ﷺ: «**هل كان فيها وثن من أوثان الجاهلية يعبد؟**» قالوا: لا، قال: « **فهل كان فيها عيد من أعيادهم؟**» قالوا: لا، فقال رسول الله ﷺ: «**أوف بنذرك...**» الحديث. رواه أبو داود.

فيؤخذ من هذا الحديث وغيره ـ عباد الله ـ التحذير الشديد من أمور الجاهلية، أو مشابهة أهلها، في أي لون من ألوانها، كيف لا ورسول الله ﷺ يقول: «**ألا إن كل شيء من أمور الجاهلية تحت قدميّ موضوع**»، ولو لم يكن من ازدرائها وشناعة قبحها، إلا حكمُ النبي ﷺ بأنها تحت قدميه لكفى.

لقد أكد رسول الله ﷺ مخالفة ما عليه أهلُ الجاهلية من الكتابيين والأميين، مما لا غنى للمسلم في أن ينبذها وينئى بنفسه عن الوقوع في هوتها، وأن ينسل بنفسه، عن أشدها خطراً وآكدها ضرراً، وهو عدم إيمان القلب بما جاء به الرسول ﷺ، ناهيكم عما ينضاف إلى ذلك، من استحسان ما عليه أهل الجاهلية، الذي تتم به الخسارة والبوار كما قال تعالى: ﴿**وَالَّذِينَ آمَنُوا بِالْبَاطِلِ وَكَفَرُوا بِاللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ**﴾ [العنكبوت: ٥٢]، ﴿**أَفَغَيْرَ دِينِ اللَّهِ**

﴿يَبْغُونَ وَلَهُ أَسْلَمَ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ﴾ [آل عمران: ٨٣].

عباد الله:

إن مسائل الجاهلية برمتها، قد بسطها أهل العلم في كتبهم، وسطروها بأقلامهم وألسنتهم، حتى لقد أوصلها بعضهم إلى مائة وثلاثين مسألة، وهي إلى الثلاثمائة أو تزيد أقرب.

وإن من أعظم التشبه، بما كان عليه أهلُ الجاهلية، وأكثرها إيقاعًا للخلل في دين الناس ودنياهم، أمورًا ثلاثة:

أولها: أن كثيرًا من الناس يتعبدون بإشراك الصالحين في دعاء الله وعبادته، يريدون شفاعتهم عند الله في حين أنهم لا يملكون لأنفسهم نفعًا ولا ضرًا؛ بل إنهم لأحوج إلى عفو الله ورحمته من أولئك الذين يدعونهم؛ كما قال سبحانه: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا﴾ [الإسراء: ٥٧].

وهذه ـ عباد الله ـ هي أعظم مسألة خالف فيها الرسول ﷺ ما كان عليه أهل الجاهلية، وعندها بدت بينه وبينهم العداوة والبغضاء أبدًا حتى يؤمنوا بالله وحده، ومن هنا افترق الناس إلى مسلم وكافر، ولأجل هذه القضية العظمى شرع الجهاد في سبيل الله ﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ﴾ [البقرة: ١٩٣].

وثاني الأمور الثلاثة: هو أن أهل الجاهلية، متفرقون في دينهم ودنياهم، وهم في ذلك فرق وأحزاب، كل حزب بما لديهم فرحون، كل منهم يرى أنه على الحق دون سواه، فمُحق الخير، وأحيي الشر، حتى أصبح المرء لا يعرف إلا نفسه، ولا يهتاج بالفرح والحزن، إلا لما يمسه هو من خير أو شر،

فماتت العاطفة، وقل الاكتراث المبتوت الصلة، بمشاعر الأخوة الإسلامية العامرة.

فجاء الإسلام ودعا إلى الأخوة الدينية وتلا رسول الله ﷺ قول ربه: ﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ الدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰ أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ﴾ [الشورى: ١٣]، وتلا قول خالقه: ﴿إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا لَّسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ﴾ [الأنعام: ١٥٩].

ويعلن المصطفى ﷺ قولته المشهورة: «**مثل المؤمنين في توادّهم وتراحمهم كمثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالحمى والسهر**» رواه مسلم.

ويكون بذلك مؤكداً أخوة الدين، التي تفرض تناصر المؤمنين المصلحين، لا تناصر العُبِّيَّة العمياء، والجاهلية الجهلاء، لإحقاق الحقّ وإبطال الباطل، وإجارة المهضوم، وإرشاد الضال، وحجز المتطاول، وهذا كله هو ثمرة قول المصطفى ﷺ: «**انصر أخاك ظالمًا أو مظلومًا**» رواه البخاري.

إن الله سبحانه رد أنساب الناس وأجناسهم إلى أبوين اثنين، فهم جميعًا من جهة التمثال أكفاء، أبوهم آدم، وأمهم حواء، وإن يكن لهم من أصلهم نسب يفاخرون به، فهو الطين والماء، ليجعل الله من هذه الرحم، ملتقى تتشابك عنده الصلات وتستوثق العرى، ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ [الحجرات: ١٣] إنه التعارف لا التفاخر، والتعاون لا التخاذل، وأما الشرف والرفعة فإنما هو في قوة الدين، وتمكن التقوى من قلب العبد، في

إزالة الفوارق البشرية، فرسول الله ﷺ من أشراف قريش، يقف مع الناس ويقول لقومه: ﴿ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ﴾ [البقرة: ١٩٩] تحقيقًا للمساواة بين المسلمين، وكان الرجل من أشراف قريش يأنف أن يزوج ابنته أو أخته من الرجل من عامة الناس، فيأتي رسول الله ﷺ ويزوج ابنة عمته زينب بنت جحش الأسدية، من مولاه زيد بن حارثة، ويقول ﷺ عن رجل من أصحابه: «**يا بني بياضة أنكحوا أبا هند وأنكحوا إليه**»، وقد كان حجامًا رضي الله عنه. رواه أبو داود والحاكم. ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾[الحجرات: ١٠].

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم .....

الخطبة الثانية

الحمد لله حمداً كثيراً كما أمر، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له إرغاماً لمن جحد به وكفر، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله سيد البشر، والشافع المشفع في المحشر، صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله وصحبه السادة الغرر. أما بعد.

فاتقوا الله عباد الله، واعلموا أن **ثالثة الأثافي من أمور الجاهلية**: هي ديدن الجاهلية، المتمثل في ظنهم المقلوب، أن مخالفةَ ولي الأمر، وعدمَ الانقياد له، فضيلة ورفعة، وأن السمع والطاعة والانقياد، ذل ومهانة، ونقص في الرجولة والعلم، فخالفهم المصطفى ﷺ وأكد على مخالفتهم في ذلك، بالسمع والطاعة في المنشط والمكره، للولاة الشرعيين بالبيعة الشرعية، وأمر بالصبر على جور الولاة، وعدم الخروج عليهم، مع بذل النصح والإرشاد لهم، فغلّظ في ذلك وأبدى وأعاد، بأبي هو وأمي صلوات الله وسلامه عليه؛ حيث يقول: «**من كره من أميره شيئًا فليصبر، فإنه من خرج من السلطان شبراً مات ميتة جاهلية**» رواه البخاري ومسلم.

فهذه الأمور الثلاثة التي مضت، جمعها النبي ﷺ في قوله: «**إن الله يرضى لكم ثلاثًا: ألا تعبدوا إلا الله ولا تشركوا به شيئًا، وأن تعتصموا بحبل الله جميعًا ولا تفرقوا، وأن تناصحوا من ولاه الله أمركم**» رواه أحمد.

وإن مما ينبغي التنبيه إليه عباد الله، هو ما وقع فيه كثير من الناس في هذا العصر إلا من رحم الله، من التحاكم إلى غير كتاب الله وسنة رسوله ﷺ

والتراضي بأحكام البشر وقوانينهم ودساتيرهم، وهذا وربي هو عين فعل الجاهلية ﴿ أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ ﴾ [المائدة: ٥٠] .

لقد أنكر سبحانه، على من خرج عن حكمه، المشتمل على كل خير، الزاجر عن كل شر، وعدل إلى ما سواه من قوانين البشر وأعرافهم، التي وضعها رجالهم بلا مستند أو أثارة من علم، كما كان عليه أهل الجاهلية الأولى، وكما كان يحكم به التتار، من السياسات المأخوذة عن سلاطينهم، والتي اقتبسوها من شرائعَ شتى، كاليهودية والنصرانية وغيرها، فصارت فيمن بعدهم شرعةً متبعة، يقدمونها على الحكم بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ يصف أمثالهم لبيد بن ربيعة ويقول:

من معشر سنت لهم آباؤهم ولكل قوم سنة وإمامها

وهم بذلك كله، قد كفروا كفراً وجب قتالهم لأجله حتى يرجعوا إلى حكم الله ورسوله ﴿ أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴾ [المائدة: ٥٠] ، ﴿ فَلا وَرَبِّكَ لا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾ [النساء: ٦٥] .

اللهم صل على محمد .....

* * *

آفة الغضب

الخطبة الأولى

الحمد لله الحليم العظيم، رب السموات ورب الأرض رب العرش الكريم، غافر الذنب وقابل التوب، شديد العقاب ذي الطول لا إله إلا هو إليه المصير، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له البر الرحيم، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير، وأشهد أن محمدًا عبدُ الله ورسولُه، بعثه الله رحمة للعالمين، ومنةً للإنس والجن برًا حريصًا بالمؤمنين رؤوفًا رحيمًا، فصلوات ربي وسلامه عليه وعلى آله وصحبه والتابعين لهم بإحسان ما تعاقب الليل والنهار.

أما بعد:

فأوصيكم أيها الناس ونفسي بتقوى الله عز وجل، اتقوه واعبدوه، وراقبوه في خلواتكم وجلْواتكم، اعبدوا ربكم وافعلوا الخير لعلكم تفلحون.

أيها الناس:

ما عُرف على هذه البسيطة ولن يعرف، مظلومٌ من البشر، تواطأ الناس على ظلمه، وما فتئوا يصفونه بأحدِّ ما وضعوا من ألفاظ مُسفَّة، في أعقاب

نبوات، أعطب الشيطان ثمارها، على بقاء في لبِّه، ونور في دعوته، وصدق في حديثه، وثقة في أمانته، مثلُ رسول الله بأبي هو وأمي صلوات الله وسلامه عليه، فلقد نال الشتائم والسباب، من كافة طبقات المجتمع، فقد هجاه شعراء، وسخر منه سادة، وآذاه عتارسة، ونال منه سحرة.

ولقد شاء الله سبحانه، أن يأتي اليومُ الموعود، الذي يفتح الله فيه على نبيه ﷺ بمكة، حتى إذا ما دخل بالبيت وطاف، جلس في المسجد والناسُ من حوله، والعيون شاخصة إليه، والقوم مشرئبون، إلى معرفة صنعه بأعدائه، شَرْخهم وشيوخهم، فقال كلمته المشهورة: «**يا معشر قريش: ما تظنون أني فاعل بكم؟**» قالوا: خيراً، أخ كريم وابن أخ كريم، قال: «**فإني أقول لكم ما قال يوسف لإخوته: ﴿لا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ﴾** [يوسف: ٩٢]، **اذهبوا فأنتم الطلقاء**» فيُسلم حينها العظماء ويتوبون، كأمثال هند بنت عتبة، وعكرمة بن أبي جهل، ويؤوب الشعراء ويعتذرون إليه، كابن الزبعرى وكعب بن زهير. فلا ينال الجميع منه إلا العفو والتغاضي.

الله أكبر ما أجمل العفو عند المقدرة، والله أكبر ما أجمل السعة عند الضيق، والعزة عند الذلة، ومن أحق بذلك إن لم يكن رسولَ الله ﷺ وصدق الله إذ يقول: ﴿**وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ**﴾ [القلم: ٤].

أيها المسلمون:

بهذا الموقف، وبغيره من المواقف العظيمة، عالج رسول الله ﷺ محو الجاهلية وقطع ظلامها بأنواع المعرفة والإرشاد، ومنع الفساد فيها بحلمه وعفوه ﴿**وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ**﴾ [آل عمران: ١٥٩]، لقد كفكف الرسول ﷺ من نزوات الجاهلية، وأقام أركان المجتمع على الفضل وحسن التخلق، ونبذ الجهل والغضب، وكثير من النصائح التي

أسداها للناس كافة، كانت تتجه إلى هذا الهدف، قال رسول الله ﷺ: «**سباب المسلم فسوق وقتاله كفر**». رواه البخاري ومسلم.

الحلم أيها المسلمون: اسم يقع على زم النفس، من الخروج عند الورود عليها، ضد ما تحب إلى ما نهى عنه، وهو في موطن الغضب، سيادةٌ على النفس وضبط لها وكبحٌ لجماحها. كما أنه لباس العلم، فمن فقده فقد تعرى وبدت للناس سوءته، وهل يجيء الباطل بخير؟! ألا إن الغضب قرينُ الشر، وإن الحلم راحةُ القلوب وسعادةُ الجماعات.

إن التفاوت بين الناس، بعيد الشقة، مع أنهم من أبوين اثنين، فإن اختلافهم في أوضاعهم وخلالهم، مثار امتحان بالغ الجدوى، ولذا قال جل شأنه: ﴿**وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَتَصْبِرُونَ وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيرًا**﴾ [الفرقان: ٢٠].

ففي الناس الحليمُ الأريبُ المتأني، الذي إذا استنفرته الشدائد، أبقى على وقعها الأليم، محتفظًا برجاحة فكره، وسماحة خلقه، فلا يَحْمَى من قليل يسمعه، فيوقعه في كثير يكرهه، ولا يفضح نفسه ليُشْفي غيظه، فإن جُهِلَ عليه لم ينفعه إلا حلمه، وياللعظمة والعلو، إن فعلَ كفعل قيس بن عاصم، وقد أتوه برجل قد قتل ابنه، فجاءوا به مكتوفًا فقال: ذعرتم أخي أطلقوه، واحملوا إلى أمِّ ولدي ديته، فإنها ليست من قومنا.

وإن في الناس الطائش الأهوج، كما أن فيهم الغر المأفون، الذي تستخفه التوافه، فيستحمق على عجل، ويكون لسانه وفعله، قبل قلبه وعقله، فلا يزم نفسه ولا يتريث، بل يهذي بكلام، ويوكس ويُشطط، في أفعال، يحتاج بعدها إلى اعتذار وتلفيق، فيقع فيما نهى عنه المصطفى ﷺ بقوله: «**ولا تكلم بكلام تعتذر منه غدًا**» رواه أحمد وابن ماجه؛ إذ لا ينفعه الاعتذار حينئذ؛ لأنه إذا استطير وراء لهب الغيظ برطم، وأفسد الأمور في

غيبة وعيه، وغلبة عاطفته، فلم يدع لإصلاحها مكانًا، فإن نُصح أهماك هَوَجًا، وإن ذكِّر أصماك غيظًا، وهذه هي علة الحمق الكامنة.

ولقد رأينا الغضب يشتطُّ بأصحابه إلى حد الجنون، عندما تُقتحمُ عليهم نفوسهُم، ويرون أنهم حقّروا تحقيرًا، لا يعالجه إلا سفكُ الدم.

أفلو كان المسلم، يعيش من وراء أسوار عالية من فضائله، أتراه يحسُّ بوخز الألم على هذا النحو الشديد؟ لا وكلّا، بل إن الإهانات تسقط على قاذفها، قبل أن تصل إلى مرماها البعيد، ولا غرو؛ إذ لا تعود الجمرة إلا على موقدها الأول؛ قال رسول الله ﷺ: «**المستَبَّان ما قالا فعلى البادئ منهما حتى يعتدي المظلوم**» رواه مسلم.

فلا ينبغي للمؤمن الكبير، أن يضيق بهرف قطعان متناثرة، بل إن المصلح العظيم يُفيض من أناته على ذوي النزْق حتى يلجئهم إلى الخير إلجاء، فيطلقوا ألسنتهم تلهج بالثناء والذكر الحسن.

إن من الناس من لا يسكت عن الغضب، فهو شخص غضوب، في ثورة دائمة، وتغيظ يطبع على وجهه العبوس، إذا مسه أحد بأذى، ارتعش كالمحموم، وأنشأ يُرغي ويزبد، ويلعن ويطعن، وكثيرًا ما يذهب به غضبه مذاهب حمقاء، فقد يسب الباب إذا استعصى عليه فتحه، وقد يلعن دابةً جمحت به، أو يَعرُّ امرأته، ويكسر ضلَعَها، ويضيع أمرها، فيفرق شمله في نقصان ملح، أو يبوسة خبز، ثم يطلقها عدد نجوم السماء، وكان يكفيه من ذلك عُطارد، فيتهارشان تَهارش الكلبين، أو يتناقران تناقر الديكين، فلا يفترقان، إلا عن الخدش، والنفر، والهجر. فيجني كل منهما على نفسه بالحرمان والعقوبة، والنتيجةُ الحاصلة هي يتم الأولاد إبان حياة الأبوين.

والإسلام بريء كل البراءة من هذه الخلال الكدرة.

قال رسول الله ﷺ : «**ليس المؤمن بالطعان ولا اللعان ولا الفاحش ولا البذيء**» رواه الترمذي، وقال حديث حسن.

ثم لا تسألوا بعد ذلك أيها المسلمون عن ندم الزوجين ولات ساعة مندم، فيختلقون المعاذير، ويراجعون القضاة والمفتين، كل ذلك لمحو غلطة ارتكبها الغاضب دون تفكير أو روية، أو تدرج في التأديب مما تسبب في هدم لبنة، كان بإمكانه معالجتُها لو ملك عقله، وأشهر حلمه، وكف غضبه.

وما ذنب الولد، إذا خرج من بيته هائمًا، مكفهرًا وجهه، ضائقًا صدره، ينطلق يمنة ويسرة، يبحث عن سبب يزيل به همه، ويجلو غمه، ولربما استبشر به وبأمثاله وحوش الظلام، وذئاب المجتمع، فيسير وراء تخبطهم، ويضيع بضياعهم، عن طريق الكيوف القاتلة من المسكرات والمخدرات، كل ذلك نتيجة غضبة من أبيه وأمه، أعقبها سب وشتم ولطم، وربما طرد ولعن، فيتبدد بذلك شمل الأسرة، وتقوض المجتمعات، فيُكسب في كل يوم عدو، ويُفقد صديق، ويهدُم بيت. فلا حول ولا قوة إلا بالله.

عباد الله :

اعلموا أن الحليم، إما أن يكون عاجزًا جبانًا، ليس له شيء ولا عليه شيء، فهذا إن لم يغنم فإنه لا يأثم، وإن ادعى الحلم مع عدم الاقتدار على إنفاذ العقوبة، فهذه حجة لا يلجأ إليها إلا اللئام.

وإما أن يكون مخادعًا مكارًا، ظهارته سمت المؤمنين، وبطانته حقد المجرمين، يتحلم ظاهرًا، ويعف علنًا، ولكنه يغضب باطنًا، وينتقم مسرفًا

فهذا حقود لدود، ينقلب على المجتمع من سوء صنيعه، سوسًا كطبع السوس لا يقع على شيء إلا نخره أو عابه، أو دودًا كطبع الدود لا يقع في شيء إلا أفسده وقذره. ومثل هذا، لا يلبث أن يفضحه الله على رؤوس الخلائق.

وإما أن يكون حليمًا مفطورًا على الخير، مجبولاً عليه، وهذا كأشج عبد القيس الذي قال له رسول الله ﷺ: «**إن فيك خصلتين يحبهما الله ورسوله، الحلم والأناة**» فقال: أشيء تخلقت به أم جبلت عليه يا رسول الله؟ فقال: «**لا بل جبلت عليه**»، فقال: الحمد لله الذي جبلني على خصلتين يحبهما الله ورسوله. رواه مسلم وغيره.

وإما أن يكون ثائر النفس، أزعجه من ظلمه، فيصمد محتسبًا، ويصفح قادرًا، ويأمره إيمانه بالعرف، والعفو عن الجاهلين، وهذا هو المثاب في الدنيا والآخرة والمشكور عند الله ومن ثم عند خلقه، وهو الموصوف بالشدة والقوة، كما في قول المصطفى ﷺ: «**ليس الشديد بالصُّرَعة ولكن الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب**» رواه البخاري ومسلم.

وهو المقصود أيضًا في قول النبي ﷺ: «**من كتم غيظًا وهو قادر على أن يُنفذَهُ دعاه الله على رؤوس الخلائق حتى يخيره من الحور العين، يزوجه منها ما شاء**» رواه أحمد.

أعاذنا الله وإياكم من الغضب، ومن سوئه وآثاره، ورزقنا الحلم والتحلم إنه سميع قريب. أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ﴿وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٣].

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم .....

الخطبة الثانية

الحمد لله على إحسانه، والشكر له على توفيقه وامتنانه، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له تعظيمًا لشأنه، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله الداعي إلى رضوانه، صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله وأصحابه وإخوانه.

أما بعد:

فاتقوا الله أيها المسلمون، واعلموا أنه يجب علينا أن نعمل بتعاليم ديننا الحنيف، وأن نأخذ بإرشادات نبينا ﷺ، كما يجب علينا أن نَقْصُر أنفسنا عن الغضب، ولا نتسرع فيما يعود علينا بالحسرة والندامة، ولات ساعة مندم، والمرء المسلم مطالب بكتمان غيظه، وإطفاء غضبه بما استطاع من تحلم وتصبر، واستعاذة بالله من النفس والهوى والشيطان.

واسمعوا رعاكم الله، وصيةً من وصايا المصطفى ﷺ لأصحابه، فيما رواه البخاريُّ في صحيحه، أن رجلاً قال للنبي ﷺ: أوصني قال: «**لا تغضب**»، فردد مرارًا قال: «**لا تغضب**»، والمراد من الحديث، ألا يعمل المرءُ بمقتضى الغضب إذا حصل له، بل يجاهد نفسه على ترك تنفيذه، فإن الغضب إذا ملك ابن آدم، كان هو الآمر الناهي له، ولهذا المعنى قال الله عز وجل: ﴿**وَلَمَّا سَكَتَ عَن مُّوسَى الْغَضَبُ أَخَذَ الأَلْوَاحَ**﴾ [الأعراف: ١٥٤].

فإذا ما جاهد المرء نفسه، اندفع عنه شرُّ الغضب، وذهب عنه عاجلاً، فكأنه حينئذٍ لم يغضب، وإلى مثل هذا وقعت الإشارة في القرآن، يقول الله

عز وجل: ﴿وَإِذَا مَا غَضِبُوا هُمْ يَغْفِرُونَ﴾ [الشورى: ٣٧] ويقول سبحانه: ﴿وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ﴾ [آل عمران: ١٣٤].

ويختلف الغضب في دنيا الناس، إذ يتراوح صعودًا وهبوطًا، باختلاف الأحوال والظروف، ولكنه من خلال الإطار الشرعي العام، لا يخرج عن ثلاث مراتب:

المرتبة الأولى: مرتبة الاعتدال، بأن يغضب ليدافع عن نفسه أو دينه أو عرضه أو ماله، ولولا ذلك لفسدت الأرض بانتشار الفوضى، وتقويض نظام المجتمع. قال رسول الله ﷺ: «**من قتل دون ماله فهو شهيد، ومن قتل دون عرضه فهو شهيد، ومن قتل دون نفسه فهو شهيد**» رواه أحمد وابن حبان.

المرتبة الثانية: أن ينحطّ الغضبُ عن الاعتدال، بأن يضعُفَ في الإنسان، أو يُفْقدَ بالكلية، وهذه الحالُ مذمومةٌ شرعًا، لاسيما إذا تعلقت بحرمات الله وشعائره، قالت عائشة رضي الله عنها: «ما ضرب رسول الله ﷺ شيئًا قط بيده، ولا امرأةً ولا خادمًا، إلا أن يجاهد في سبيل الله، وما نيل منه قط، فينتقمُ من صاحبه، إلا أن يُنتهك شيء من محارم الله تعالى، فينتقم لله تعالى» رواه مسلم.

والمرتبة الثالثة: أن يطغى الغضب على العقل والدين، ولربما جر صاحبه إلى ارتكاب جرائم كبيرة، وموبقات كثيرة، ولا يمكن التخلصُ من هذه العقبة إلا بفعل ما أرشد إليه النبي ﷺ في قوله: «**إذا غضب أحدكم فليسكت**» رواه أحمد. واستب رجلان عند النبي ﷺ فاحمر وجه أحدهما غضبًا فقال ﷺ: «**إني لأعلم لو قال: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم لذهَب عنه ما يجد**» رواه البخاري ومسلم.

اللهم صل على محمد .....

* * *

يوم لا ظل إلا ظله

الخطبة الأولى

الحمد لله الكريم الوهاب، خالق البشر من تراب ، غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب، ذي الطول لا إلَه إلا هو إليه متاب، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، أفضلُ من صلى وأناب، صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله وصحبه أولي النهى والألباب.

أما بعد: فأوصيكم أيها الناسُ ونفسي بتقوى الله عز وجل، اتقوا ربكم حق التقوى واستمسكوا من الإسلام بالعروة الوثقى، واحذروا المعاصي فإن أقدامكم على النار لا تقوى.

أيها الناس :

في الليلة الظلماء يفتقد البدر، وفي لهيب الشمس وسموم الحر، يستطلب الظل وتُستجلبُ النفحات، وما أروعَ العدلَ حين يطغى الجور، والإنصافَ حين يعلو الغمط، وما أعجبَ الشرخَ الشاب، حينما ينتصر على الصبوة المتفتقة، ويا لعظم الحظ ووفرة التوفيق، لمن أوقف قلبه، فبات معلقًا في كل مسجد، وما أهنأ الرجلين، إذ يتحابان في الله ، فلا يجتمعان إلا

عليه، ولا يفترقان إلا عليه، ويا حبذا العفة والخشية، حينما تظهر المغريات، وتضمحل العقبات، وما أجدى صدقةَ السر في إطفاء غضب الرب، وما أعذب الدموع الرقراقة في الخلوة، حينما تسيل على خد الأسيف العاني.

أيها المسلمون:

إن سنة المصطفى ﷺ هي المنبع الثر للهدى والحق والنور، وهي المعينُ الذي لا ينضب، والحق الذي لا يعطب، وإن الوقوف الدقيق عند حديث رسول الله ﷺ المنبعث من مشكاة النبوة، ليحملَ النفس المؤمنة، على أن تعرف أسراره، وتستضيء بأنواره، فلا ينفك، يشرح للنفس ويهديها بهديه، فتؤمنُ بالنبي المصطفى والرسول المجتبى ﷺ، وكلما ذُكرَ كلامُ المصطفى ﷺ فكأنما قيل من فمه للتو، كلام صريح، لا فلسفة فيه، يغلب الأثرةَ والشهوة والطمع.

روى البخاريُّ ومسلم في صحيحيهما، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله: الإمام العادل، وشاب نشأ في عبادة الله، ورجل قلبه معلق في المساجد، ورجلان تحابا في الله، اجتمعا عليه وتفرقا عليه، ورجل طلبته ذات منصب وجمال فقال: إني أخاف الله، ورجل تصدق، أخفى حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه، ورجل ذكر الله خاليًا ففاضت عيناه**».

عباد الله:

ما أحوجنا جميعًا، إلى أن نستظل في ظل الرحمن، في يوم عصيب يعظم فيه الخطب، ويشتد فيه الكرب، يوم أن تدنو الشمس من الخلق حتى تكون منهم كمقدار ميل، فيكون الناس على قدر أعمالهم في العرق،

فمنهم من يكون إلى كعبيه ، ومنهم من يكون إلى ركبتيه ، ومنهم من يكون إلى حقويه ، ومنهم من يلجمه العرق إلجاماً . رحماك يا رب ، عفوك يا الله .

ألا ما أحوج الأمة المسلمة ، في كل عصر وفي كل مصر ، إلى الإمامِ العادل ، وهو صاحبُ الولاية العظمى ، وكذا كل من ولي شيئًا من أمور المسلمين فعدل فيه . الرعيةُ عبيد ، يتعبدهم العدل ، العدل مألوف وهو صلاح العالم . الإمام العادل ، هو الذي يتبع أمر الله بوضع كل شيء في موضعه ، من غير إفراط ولا تفريط ، فهو أبو الرعية ، والرعيةُ أبناؤه ، يعلِّم جاهلهم ، ويواسي فقيرهم ، ويعالج مريضهم ، يرى القوي ضعيفًا حتى يأخذ الحق منه ، والضعيف غطريفًا حتى يأخذ الحق له .

وإن تحقيق العدل ، أمام الرغبات ، والمصالح والأهواء ، أمر في غاية الصعوبة ؛ إذ حلاوته مرة ، وسهولته صعبة ، وحينما يستطيع المرء تخطي تلك العقبات ، كان معنى ذلك ، أن فيه من الإيمان والتقوى ، ما يجعله مستحقًا لأن يكون واحدًا من هؤلاء السبعة .

ولقد وُلِّي عمرُ بنُ عبد العزيز الخلافة ، فأرسل إلى الحسن البصري ، أن يكتب إليه بصفة الإمام العادل ، فكان مما كتب له الحسن : «اعلم يا أمير المؤمنين أن الله جعل الإمام العادل ، قوامَ كلِّ مائل ، وقصد كل جائر ، وهو كالراعي الشفيق على إبله ، الذي يرتادُ لها أطيب المراعي ، ويذودها عن مراتع الهلكة ، ويكنها من أذى الحر والقرّ ، وهو كالأم الشفيقة ، البرة بولدها ، حملته كرهًا ، ووضعته كرهًا ، تسهر بسهره ، وتسكن بسكونه ، والإمامُ العادلُ يا أمير المؤمنين ، وصيُّ اليتامى ، وخازنُ المساكين ، وهو كالقلب بين الجوارح ، تصلح الجوارح بصلاحه وتفسد بفساده . اللهم أظلنا في ظلك يوم لا ظل إلا ظلك» .

أيها الناس :

إن الشابَّ المسلم، الذي يستحق أن يكون واحداً من هؤلاء السبعة، هو ذاك الفتى اليافع، الذي تعلق قلبه بربه، ولما يشخ بعد، تتجاذبه مزالق الرغبات النفسية ومتطلبات الجسد، ترق عنده الحياة، فتسحره بالنظرات المغرية، وتجمعُ له لذائذ الدنيا، في لحظة مسكرة، أو شبهة عارضة، الشباب الذي يعيش للهوى وأحلام اليقظة ﴿ **وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِّنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ** ﴾ [طه: ١٣١] الشاب، شأنه شأن غيره من الشباب، الذين تعتريهم في هذه السن، أنواعٌ من التصرفات غير المتزنة، والذين هم أحرى في أن يقعوا فريسة، لمثل هذه الدركات اللامسئولة.

إن الشباب مرحلة، هي من أخطر مراحل الحياة؛ لأنها مرحلة قوة بين ضُعفين : ضُعف الطفولة، وضُعف الشيخوخة، ولما كان الشباب من العمر، وسيسأل الإنسان عن عمره، فإن رسول الله ﷺ خصّ الشباب في قوله : «**لا تزول قدما عبد يوم القيامة حتى يسأل عن أربع**، وذكر منها : **وعن شبابه فيم أبلاه**» رواه الترمذي.

إن من أكرم الناس نفسًا، وأنداهم كفًا وأطيبهم قلبًا، وأصدقهم عزمًا. هو الشاب المسلم النقي التقي، الذي يُجل الكبير، ويرحمُ الصغير، لا تسمعه إلا مهنئًا أو معزيًا، أو مشجعًا أو مسليًا، ولا تراه إلا هاشًا باشًا، طلْقَ الوجه مبتسمًا، يبعده إيمانه بربه، عن طيش الصِّغر، وإصرار الكبر، فهو الجندي في الميدان، والتاجرُ في السوق، والعضو الفعال في الجمعيات والمنتديات الخيِّرة ﴿ **نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُم بِالْحَقِّ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى** ﴾ [الكهف: ١٣] ، ﴿ **قَالُوا مَن فَعَلَ هَٰذَا بِآلِهَتِنَا إِنَّهُ لَمِنَ الظَّالِمِينَ ﴿٥٩﴾ قَالُوا**

سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ﴾ [الأنبياء: ٥٩، ٦٠] ، ﴿وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي الْمَدِينَةِ امْرَأَةُ الْعَزِيزِ تُرَاوِدُ فَتَاهَا عَن نَّفْسِهِ﴾ [يوسف: ٣٠].

إن مما يساعد الشباب على عبادة ربه، صفاء المحضن، ممثلاً في البيت والمدرسة والمجتمع، وكذا قيام المحضن بواجبه من توعية وإرشاد، حتى يشب الشباب عن الطوق «**ألا كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته**» .

ولن يستغني شابٌ عبد ربه، عن مطالعات حثيثة، في سير أسلافه إبان شبابهم ، كابن الزبير وابن عباس، وأبي هريرةَ وابن عمر، وأسامة وأنس، والحسن والحسين رضي الله عنهم أجمعين. وجدير بشاب هذا شأنه، أن يظله الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله.

عباد الله :

المساجد بيوت الله ، وأماكنُ عبادته، وهي خير البقاع، يُكرم اللهُ عُمارَها وزوارَه فيها، ويُثيب على الخُطا إليها ﴿فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالآصَالِ(٣٦) رِجَالٌ لاَّ تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالأَبْصَارُ﴾ [النور: ٣٦، ٣٧].

ومن هنا كان فرح الباري جل وعلا، بزوار المساجد. قال رسول الله ﷺ : «**ما توطن رجل المساجد للصلاة والذكر، إلا تبشبش الله تعالى إليه، كما يتبشبش أهل الغائب بغائبهم إذا قدم عليهم**» رواه ابن ماجه وابن خزيمة وغيرهما وإسناده صحيح.

ولم يكن للمسلمين في القرون الأولى، من معاهد ولا مدارسَ إلا المساجد، ناهيكم عن خمس صلوات في اليوم والليلة. ففي المسجد يُدرَّس القرآنُ وتفسيرُه، والسنةُ وفقهُها، واللغةُ وأصولُ الدين. وأين مجلسُ إمام

دار الهجرة. والحسن البصري، وأبي حنيفة والشافعي وأحمد إن لم يكن في المسجد. أما إنه لو رجع لبيوت الله، ما كانت عليه من إقامة الشعائر واجتماع المسلمين فيها، لتعلقت بها قلوب الكثيرين ممن أعرضوا عنها واستخفوا بشأنها ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن مَّنَعَ مَسَاجِدَ اللَّهِ أَن يُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ وَسَعَىٰ فِي خَرَابِهَا أُولَٰئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَن يَدْخُلُوهَا إِلَّا خَائِفِينَ﴾ [البقرة: ١١٤]. اللهم أظلنا تحت ظل عرشك يوم لا ظل إلا ظلك.

عباد الله:

إن المؤمن في هذه الحياة، يجد صعوبةً بالغة، في أن يعيش وحيداً فريداً، دون صديق أو مؤانس، صديقٌ يناجيه، وخلٌ يلاقيه ويواسيه، يشاطره مسرته، ويشاركه مساءته. لقد أصبحت علاقاتُ الكثيرين من الناس في هذا العصر، خداجًا خداجًا غير تمام، تقوم لغرض وتقعد لعرض، والإسلام دين الأخوة والمحبة والتآلف ﴿وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَّا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ﴾ [الأنفال: ٦٣] الحب في الله والبغض في الله من أوثق عرى الإيمان، وبه تقع الألفة، المتحابون في الله، دائمةٌ صحبتهم، باقيةٌ مودتهم، لا تزيدها الأيام إلا وثوقًا وإحكامًا، لخلوصها من الإثم، والأغراض الدنيئة ﴿الْأَخِلَّاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ﴾ [الزخرف: ٦٧] قال رسول الله ﷺ: «**أيها الناس اسمعوا واعقلوا، واعلموا أن لله عز وجل عبادًا ليسوا بأنبياء ولا شهداء، يغبطهم النبيون والشهداء، على منازلهم وقربهم من الله**»، فجثا رجل من الأعراب من قاصية الناس، وألوى إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله: ناس من المؤمنين ليسوا بأنبياء ولا شهداء، يغبطهم الأنبياء والشهداء على مجالسهم وقربهم؛ انعتهم لنا. فسُرَّ وجه رسول الله ﷺ بسؤال الأعرابي

فقال: « هم ناس من أفناء الناس، ونوازع القبائل، لم تصل بينهم أرحام متقاربة، تحابوا في الله وتصافوا، يضع الله لهم يوم القيامة منابر من نور فيُجلسهم عليها، فيجعل وجوههم نوراً، وثيابهم نوراً، يفزع الناس يوم القيامة ولا يفزعون وهم أولياء الله الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون». رواه أحمد ورجاله ثقات. اللهم أظلنا في ظلك يوم لا ظل إلا ظلك.

عباد الله:

إذا ما يسرت للمسلم سبل الغواية، ودعَّت إليها الدواعي والمغريات دعّاً، فهو بحاجة ماسة، إلى أن يرى برهان ربه، وأن يسطع نورُ الهداية في فؤاده، وليس هناك امتحان، أقسى من امتحان، يتغلب فيه المرء على صبوته وغريزته، تبذُلُ له حسناءُ نفسها، وهو في فحولة الرجولة. وهي في حالة رفيعة من الجمال والجاه، فاتنةً عاشقةً، مختليةً متعرضة، متكشفةً متهالكةً، فحَينها لا ينبغي أن ييأس الرجل، إذ إن مطارقَ الخوف من الله ومراقبته، تعينه على أن يرى برهان ربه، وتذكرهُ بقوله تعالى عن يوسف: ﴿وَرَاوَدَتْهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَن نَّفْسِهِ وَغَلَّقَتِ الأَبْوَابَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ﴾ [يوسف: ٢٣].

لقد اجتمع ليوسف عليه السلام، من الدواعي لإتيان الفاحشة الشيءُ الكثير؛ فلقد كان شاباً وفي الشباب ما فيه، ﴿وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا﴾ [يوسف: ٢٤]، وقد غلقت الأبواب، وهي ربةُ الدار، وتعلم بوقت الإمكان وعدم الإمكان فكان ماذا؟ ﴿قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ إِنَّهُ لا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ﴾ [يوسف: ٢٣]، استعاذة وتنزه واستقباح، لماذا؟ وما هو السبب؟ لأنه يعبد الله كأنه يراه، فأراه الله برهان ربه ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ ﴿٤٠﴾ فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَىٰ﴾ [النازعات: ٤٠، ٤١].

«كان الكفل، من بني إسرائيل، لا يتورع من ذنب عمله، فأتته امرأة فأعطاها ستين ديناراً على أن يطأها، فلما أرادها على نفسه،ارتعدت وبكت، فقال : ما يبكيك؟ قالت : لأن هذا عمل ما عملته، وما حملني عليه إلا الحاجة. فقال: تفعلين أنت هذا من مخافة الله ، فأنا أحرى، اذهبي فلك ما أعطيتك ووالله ما أعصيه بعدها أبداً، فمات من ليلته فأصبح مكتوبًا على بابه: إن الله قد غفر للكفل، فعجب الناس من ذلك» رواه الترمذي وحسنه والحاكم وصححه.

فاتقوا الله معاشر المسلمين وتخلقوا بأخلاق رسول الله ﷺ واهتدوا بهديه تفلحوا، ويتحقق لكم ما وعدكم به من الاستظلال بظل الرحمن يوم لا ظل إلا ظله.

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم .....

الخطبة الثانية

الحمد لله حمدًا كثيرًا طيبًا مباركًا فيه كما يحب ربنا ويرضى، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله صلوات ربي وسلامه عليه وعلى آله وأصحابه ومن اهتدى بهديهم واتبع سنتهم إلى يوم الدين. .

أما بعد:

فاتقوا الله أيها المسلمون، واعلموا أن من الناس، من أنعم الله عليه بشيء من المال، فما أنكر فضل الله عليه، بل هو ينفق بسخاء، ويتسللُ إلى المساكين لواذًا، يعلم أن من الفقراء من يحرجه علنية العطاء، فذاك رجل تخطى عقبة الجشع، أنقذه الله ممن عبدوا الدينار والدرهم، فكانوا أحلاس بخلٍ وإمساك، سجاياهم المتكررة منعٌ وهات، بل هات وهات، قد قضوا علىً أنفسهم أن يعيشوا مرضى بالصحة، فقراء بالغنى، مشغولين بالفراغ، لكنهم مع ذلك لا يجدون في المال معنى الغنى؛ إذ كم من غني يجد وكأنه لم يجد، إلا عكس ما كان يجد، وما علموا قول النبي ﷺ: «**اليد العليا خير من اليد السفلى**» متفق عليه.

إن النفس بطبعها، تميلُ إلى إبراز عملها، لاسيما الصدقة، كل هذا لتحمد؛ فإذا ما جاهد المرء نفسه، حُق له أن يكون من السبعة الذين يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله. ورحم الله مالك بن دينار؛ حيث يقول: «قولوا لمن لم يكن صادقًا لا يتعنّى»، ولقد قال ابن عائشة: قال أبي:

«سمعت أهل المدينة يقولون: ما فقدنا صدقة السر حتى مات عليُ بن الحسين رضي الله عنه».

عباد الله:

ما أسعدها من لحظات، يجلسها المرء خاليًا فيها مع نفسه، يناجي ربه وخالقه، فيهتن دمعه عذبًا صافيًا، خاليًا من لوثة الرياء، وإن نيران المعاصي، التي تأتي على قلب المسلم، فتحيله إلى فحم أسود كالكوز مجخيًا، لا يطفئها إلا تلك الدموع، التي تنهمر على إثر ذكر الخالق وخشيته، ولقد كان ابن سيرين يضحك بالنهار، فإذا جن الليل فكأنه قتل أهل القرية من البكاء.

ولقد كان أيوب السختياني ربما حدث بالحديث، فيرق فيتمخط ويقول: ما أشد الزكام. يظهر أنه مزكوم، لإخفاء البكاء، رجاء أن يكون من السبعة الذين يظلهم الله في ظله. وقام محمد بن المنكدر ذات ليلة فبكى، ثم اجتمع عليه أهله، ليستعلموا عن سبب بكائه، فاستعجم لسانه، فدعوا أبا حازم، فلما دخل هدأ بعض الشيء، فسأله عن سبب بكائه فقال تلوت قول الله: ﴿وَبَدَا لَهُم مِّنَ اللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ﴾ [الزمر: ٤٧] فبكى أبو حازم، وعاد محمد بن المنكدر إلى البكاء، فقالوا: أتينا بك لتخفف عنه فزدته بكاءً.

روى النسائي وأحمد من حديث عقبة بن عامر قال: قلت: يا رسول الله: ما النجاة ما النجاة؟ قال: «**أمسك عليك لسانك وليسعْكَ بيتُك وابك على خطيئتك**».

فاتقوا الله عباد الله واعلموا أنه لابد من الخوف والبكاء، إما في زاوية

التعبد والطاعة، أو في هاوية الطرد والإبعاد، فإما أن تحرق قلبك أيها المسلم بنار الدمع على التقصير، وإلا فاعلم أن نار جهنم أشد حرًا ﴿فَلْيَضْحَكُوا قَلِيلاً وَلْيَبْكُوا كَثِيراً جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ [التوبة: ٨٢] فانظروا عباد الله إلى البكائين في الخلوات، قد نزلوا على شواطئ أنهار دموعهم، فلو سرتم عن هواكم خطوات لاحت لكم خيامهم ولسمعتم بكاءهم ونشيجهم، ولسان حالهم يقول:

نزف البكاء دموع عينك فاستعر ... عينًا لغيرك دمعها مدرار

من ذا يعيرك عينه تبكي بها ... أرأيت عينًا للدموع تعار

اللهم صل على محمد .....

* * *

لن يحافظ على الوضوء إلا مؤمن

الخطبة الأولى

الحمد لله القوي المتين، خلق فسوى، وقدر فهدى، وأخرج المرعى، فجعله غثاءً أحوى، سبحانه وبحمده، يحب التوابين ويحب المتطهرين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد في الأولى والآخرة، وله الحكم وإليه ترجعون، وأشهد أن محمداً عبدُ الله ورسولُه، سيدُ الأولين والآخرين، وقائدُ الغر المحجلين. فصلوات ربي وسلامه عليه وعلى آله الطيبين الطاهرين وعلى صحابته والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين:

أما بعد:

فأوصيكم أيها الناس ونفسي بتقوى الله عز وجل، فهي وصيته للأولين والآخرين ﴿وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ اتَّقُوا اللَّهَ﴾ [النساء: ١٣١] فبتقوى الله، رفع الإسلام سلمان فارس، وبفقدها وضع الشركُ الشقيَّ أبا لهب، فاتقوا الله واعبدوه واسجدوا له وافعلوا الخير لعلكم تفلحون.

أيها الناس :

إن أعظم نعمة أنعم الله بها علينا، هي نعمة الإسلام، نعمة الحنيفية السمحة، وهي الاستسلام لله تعالى، والانقيادُ له بالطاعة والخلوصُ من الشرك. والأحكام والشرائع من مقتضاها الإيمان بها، والتسليمُ المطلقُ للشارع الحكيم سبحانه ﴿**آمَنَّا به كُلٌّ مّنْ عند رَبّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلاَّ أُوْلُوا الأَلْبَاب**﴾ [آل عمران: ٧]، ﴿**قُولُوا آمَنَّا باللَّه وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا**﴾[البقرة: ١٣٦]، ﴿**صِبْغَةَ اللَّه وَمَنْ أَحْسَنُ منَ اللَّه صِبْغَةً وَنَحْنُ لَهُ عَابِدُون**﴾ [البقرة: ١٣٨]، ﴿**وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ سُبْحَانَ اللَّهِ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُون**﴾ [القصص: ٦٨].

أيها المسلمون :

صدقُ الكلمة، وأمانة الحديث والتسليمُ للشارع الحكيم، سمةٌ غُداف. لها وقعها البالغ في نفوس الناس، إذا ما تحققت طلبتها في أقلام الإعلاميين وممتهني الصحافة، وبفقدانها وإعوازِ طلابها، تَجني الصحافةُ على الدين والأدب.

وفي عناقيد الأقلام المحبَّرة، نفوس مريضة، تجاوزت نطاقَها، وخلعت جلبابها الساتر، وانتماءها الزائف، حكَّموا عقولهم فخالفوا كل منقول، وصادموا بها المشروع. أقحموا أنفسهم مدعين علم ما لم يعلموا، فنَعق منهم ناعق، هو من جهّال بعض المعطلين، العميان المنكوسين، والأغبياء المركوسين، فانتقد بشدة وتشنج جعل الوضوء من الدين، وادعى أنه إنما شرع الوضوء في غابر الزّمن، إزالةً لقذارة الأعراب، ورعونة العيش في إبانهم، ولأجل أن العرب كانوا قليلي العناية بالنظافة، لقلة المَاء عندهم، ولقرب أهل الحضر منها من البدو، في قلة التأنق والترف.

ويقول الغرُّ كاذبًا: إن الطهارة والآداب، يجب أن تؤتى، لمنفعتها وفائدتها المترتبة عليها دنيويًا ودينيًا، ويضرب بالغرب مثالاً يحتذى، في النظافة والتطهر، وهم مع ذلك غيرُ مسلمين، في عصر الحضارة والنضارة، وأن هذا من منطلق حقائق الفلسفة.

والحق المسلَّم أيها الناس، أنه لا نصيب لمثله منها إلا السفه، والتقليد في الكفر من غير بينة ولا عذر؛ لأنه من عُمْي القلوب، عَمُوْا عن كل فائدة، لأنهم كفروا بالله تقليدًا.

عباد الله:

الوضوء لفظة مشتقة من الوضاءة، وهي الحسن والنظافة، سمي الوضوء بذلك؛ لأن المصلي يتنظف به فيصير وضيئًا، وهو فرض من فروض الأعيان في الإسلام، بدلالة الكتاب والسنة وإجماع المسلمين قاطبة، فلقد قال الله تعالى في آية المائدة: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ ...**﴾ [المائدة: ٦].

وقال رسول الله ﷺ: «**لا يقبل الله صلاة بغير طُهور ولا صدقة من غلول**» رواه مسلم، وقال عليه الصلاة والسلام: «**لا يقبل الله صلاة أحدكم إذا أحدث حتى يتوضأ**» أخرجه الشيخان.

فكيف إذًا بعد هذا عباد الله، أيستهان بالوضوء ويقلّلُ من شأنه، وقد تواتر النقل فيه تواترًا قطعيًا، لايدع مجالاً للشك أو الريبة، بل لا يستهين به، ولا يشك في أمره، إلا أغرارٌ مأفونون، ولهازم يهرفون بما لا يعلمون، والله أعلم بما يوعون، كيف لا ورسول الله ﷺ يقول: «**ولن يحافظ على الوضوء إلا مؤمن**» رواه أحمد وابن ماجه، فما بالكم عباد الله، بمن لا

يحافظ عليه، بل ما ظنكم بمن يتطاول عليه، بكل ما يملك من عنجهية وسفه؟! سبحانك هذا بهتان عظيم.

ألا فاعلموا عباد الله، أن آية المائدة هذه، من أعظم آيات القرآن مسائل، وأكثرها أحكامًا في العبادات، وبحق ذلك، فإنها في الوضوء وهو شطر الإيمان كما صح بذلك الخبر عن المصطفى ﷺ عند مسلم في صحيحه.

قال أبو بكر بن العربي: لقد قال بعض العلماء: إن في آية المائدة هذه، ألفَ مسألة، واجتمع أصحابنا بمدينة السلام، فتتبعوها فبلغوها ثمانمائة مسألة ولم يقدروا أن يبلغوها ألفًا، وهذا التتبع، إنما يليق، بمن يريد تعريفَ طرق استخراج العلوم من خبايا الزوايا. اهـ.

ولقد قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله عن سورة المائدة: هي أجمع سورة في القرآن لفروع الشرائع من التحليل والتحريم والأمر والنهي، ولهذا افتتحت بقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ﴾ [المائدة: ١] والعقود هي العهود. فكيف إذن يفقه الوضوء من لم ينقه بعد، ألم يعلموا أن هذا الوضوء من خصائص أمة محمد ﷺ، التي اختصت بها عن سائر الأمم بدليل قول المصطفى ﷺ: «**إن أمتي يدعون يوم القيامة غرًا محجلين من آثار الوضوء**» رواه البخاري، فرسول الله ﷺ يعرف أمته يوم القيامة بهذه السيماء، فقبحًا وسحقًا، ويا للضيعة لمن لم يلامس الوضوءُ بشرته.

قال أبوحازم: كنت خلف أبي هريرة وهو يتوضأ للصلاة، فكان يمد يده حتى تبلغ إبْطه، فقلت له: يا أبا هريرة ما هذا الوضوء؟ فقال: يا بَني فرُّوخ، أنتم هاهنا، لو علمت أنكم هاهنا ما توضأت هذا الوضوء، سمعت خليلي ﷺ يقول: «**تبلغ الحلية من المؤمن حيث يبلغ الوضوء**» رواه مسلم.

عباد الله :

الوضوء للصلاة، فرضه الله تعالى على هيئة يسيرة، فالمرء المسلم يطهر في وضوئه أربعةَ مواضعَ من أعضائه فقط، وهيَ الوجه واليدان إلى المرفقين غسلاً، والرأس مسحًا بلا غسل، والرجلان إلى الكعبين غسلاً.

ففي الوجه عباد الله، النظرُ والشم والكلام، وفي الرأس السمعُ والفكر، وفي اليدين البطش، وفي الرجلين الخطى.

ولما كان عمل المرء في هذه الحياة، لا يكاد يخرج عن عضو من هذه الأعضاء، ولما كان المرء بطبعه خطاءً، فقد يأكل الحرام أو يتكلم به، أو ينظر إليه أو يشمُه، وقد يسمع الحرام أو يمشي إليه أو يمسك بالحرام أو نحو ذلك - كان بحاجة ماسة، إلى ما يعينه، على تطهير أدرانه، وتكفير ذنوبه التي اقترفها بتلكَ الجوارح، فشرع الله برحمته وحكمته الوضوء، يُزيلُ به الإصْرَ والغُل.

فإذا ما توضأ العبد المسلم فغسل وجهه، خرج من وجهه كل خطيئة نظر إليها بعينه، مع الماء أو مع آخر قطر الماء، فإذا غسل يديه، خرج من يديه كلُّ خطيئة كان بطشتها يداه مع الماء أو مع آخر قطر الماء، فإذا غسل رجليه خرجت كل خطيئة مشتها رجلاه مع الماء أو مع آخر قطر الماء حتى يخرج نقيّاً من الذنوب.

بذلكم أيها المسلمون صح الخبر عن المصطفى ﷺ عند مسلم في صحيحه. ولقد روى في صحيحه أيضًا عن النبي ﷺ أنه قال: «**ألا أدلكم على ما يكفر الله به الخطايا ويرفع به الدرجات**، قالوا: بلى يا رسول الله، قال: **إسباغ الوضوء على المكاره** ...»الحديث.

والمكاره تكون بشدة البرد، أو ألم الجسم، أو حرارة الماء أو نحو ذلك.

إن هذا الوضوء المتجدد كل يوم مرات ومرات، هو الدرع الواقي بأمر الله، الذي يحفظ اليدين من القذر، والذراعين من الأوساخ، والفم من النتن، والأنف مما يعلق به، والعينين من الرمص، والرجلين من رائحتهما الكريهة، وهو فوق ذلك كله، يلطف حرارة الجسم، ويزيل عنه الخمول والتثاقل، ويبعث فيه النشاط. فيكون جديراً بأن يُقيم الصلاة على وجهها؛ إذ يعسر مثلُ ذلك في حال الفتور والاسترخاء والملل، الذي يعقب خروج الفضلات من البدن، فالحاقن من البول والحاقب من الغائط، والحازق من الريح كالمريض، كل منهم تكره صلاته على هذه الحال أخذاً من قول المصطفى ﷺ: «**لا صلاة بحضرة طعام ولا وهو يدافعه الأخبثان**»، فإذا توضأ المرء المسلم، زال عنه ذلك كلهُ فنشط وانتعش.

عباد الله:

بالوضوء يخمد ثوران النفس، وتنطفئ نارها؛ لأن الغضب والتشنجَ من الشيطان، والشياطين، خلقت من نار، وأجدى ما يطفئ النار هو الماء، ولأجل ذا قال المصطفى ﷺ: «**فإذا غضب أحدكم فليتوضأ**» رواه أحمد.

كما أنه قد صح عن النبي ﷺ عند مسلم وغيره أنه «أمر بالوضوء من لحوم الإبل» ولعل السر في ذلك والله أعلم، هو أن الإبل مخلوقةٌ من الشياطين كما صح ذلك عند ابن ماجه وغيره فناسب إزالةُ الخيلاء والأنفة المنبعثين من الجان، بالوضوء بالماء، بل إن في الوضوء منجاة من جنس الشيطان، وقطعًا لدابره، قال رسول الله ﷺ: «**يعقد الشيطان على قافية رأس أحدكم ثلاث عقد إذا نام، بكل عقدة يضرب عليك ليلاً طويلاً، فإذا استيقظ فذكر الله عز وجل انحلت عقدة، وإذا توضأ انحلت**

عقدتان»...الحديث رواه البخاري ومسلم.

وفي رواية للبخاري: **«إذا استيقظ أحدكم من منامه فتوضأ فليستنثر ثلاثًا فإن الشيطان يبيت على خيشومه»**.

وبعد عباد الله، فإن الوضوء المتجدد، يذكرنا بنعمة عظمى، منَّ الله بها على عباده وهي نعمة الماء الطهور ﴿**وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلا يُؤْمِنُونَ**﴾ [الأنبياء: ٣٠]، ﴿**وَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً طَهُورًا**﴾ [الفرقان: ٤٨]وما ذلك إلا ليكون ريّاً للظمأ، وإنباتًا للزرع، وإدرارًا للضرع، وتطهيرًا للأبدان وجمالاً في المنظر!! فهل بعد هذا الحديث عن الوضوء وفضائله وآثاره، يسوغ لنفس سوية، أن تحقِّر من شأنه، أو تَقْصُرَ منفعته، أو أن تخوض في لجة مغرقة، من القول على الله بلا علم، سبحانك يارب سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير.

﴿**وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلالاً مُّبِينًا**﴾ [الأحزاب: ٣٦].

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم .....

الخطبة الثانية

الحمد لله حمداً كثيراً كما أمر، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له إرغامًا لمن جحد به وكفر، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله سيد البشر، والشافعُ المشفع في المحشر، صلوات ربي وسلامه عليه، وعلى آله وأصحابه السادة الغرر وعلى من تبعهم واقتفى أثرهم ممن قضى نحبه أو غبر.

أما بعد:

فاتقوا الله عباد الله، واعلموا أن الوضوء شأنه عظيم وأمره جسيم. وهو لم يكن مقتصراً يومًا ما على رفع الحدث أو عند إرادة الصلاة، بل إنه مشروع في مواضع كثيرة خارجة عن الصلاة؛ كشرعيته عند الغضب، وكذا عند النوم، كما قال رسول الله ﷺ للبراء بن عازب: «**إذا أتيت مضجعك فتوضأ وُضوءك للصلاة**» الحديث رواه البخاري، وكذا يشرع عند الأكل لمن كان جنبًا، فلقد قالت عائشة رضي الله عنها: «كان رسول الله ﷺ إذا كان جنبًا فأراد أن يأكل أو ينام توضأ وضوءه للصلاة» رواه مسلم.

وكذا قال ﷺ فيما رواه مسلم: «**إذا أتى أحدكم أهله ثم أراد أن يعود فليتوضأ**».

والوضوء مشروع للعائن، ليصبه على من عانه. فلقد اغتسل أبو سهل ابن حنيف بالخرار، فنزع جبة كانت عليه، وعامر بن ربيعة ينظر: وكان سهل رجلاً أبيض حسن الجلد فقال له عامر: ما رأيت كاليوم، ولا جلد عذراء،

فوُعك سهلٌ مكانه فأخبر رسول الله ﷺ بذلك فقال: «**علام يقتل أحدكم أخاه؟ ألا بركت عليه، إن العين حق توضأ له**»، فتوضأ له عامر، فراح سهلٌ مع رسول الله ﷺ. رواه مالك في الموطأ.

عباد الله:

وبما أن الشيء بالشيء يذكر، فإن الوضوء مرتع خصب، يجول الشيطان من خلاله على قلوب بني آدم، فقد يوسوس إليهم بالنية فتراه يقول: أرفع الحدث، أو يقول: أستعد للصلاة، ونحو ذلك من ألفاظ جعلها الشيطان معتركًا لأهل الوسواس، يحبسهم عندها، ويعذبهم فيها، وربما لبس على بعضهم بكثرة استعمال الماء، وربما أطال الوضوء ففات وقت الصلاة، أو فاتته الجماعة، أو توضأ بما يعادل برْكَة ماء، صبّاً صبّاً ودلكًا دلكًا، تعذيبًا لأنفسهم، وما علموا أن النبي ﷺ كان يتوضأ بالمد ويغتسل بالصاع، وكان أبو الوفاء بنُ عقيل قد دخل رباطًا فتوضأ فضحكوا لقلة استعماله الماء، وسأله رجل موسوس فقال: إني لأنغمس في النهر ثم أخرج منه، وأشك أن وضوئي قد صح، فقال له: سقطت عنك الصلاة؛ لأن رسول الله ﷺ يقول: «**رفع القلم عن ثلاثة**» وذكر منهم: «**المجنون حتى يفيق**».

كل ذلك من استيلاء إبليس على الموسوسين، حتى إنهم أجابوه إلى ما يشبه الجنون، ويقاربُ مذهب السوفسطائية، الذين ينكرون حقائق الموجودات، فهؤلاء أحدهم يغسل عضوه غسلاً يشاهده ببصره، ثم يشك هل فعل ذلك أم لا، حتى إنه يعذب نفسه بكثرة استعمال الماء، وإطالة العرك، وربما صار إلى حال يسخر منه الصبيان، بل قد يبلغ الأمر ببعضهم أن يرى أنه إذا توضأ وضوءً رسول الله ﷺ فوضوؤه باطل. أعاذنا الله وإياكم من شر الوسواس الخناس الذي يوسوس في صدور الناس.

اللهم صل على محمد .....

* * *

الابتلاء بالأمراض

الخطبة الأولى

الحمد لله المبدئ المعيد، الفعال لما يريد، خلق الخلق بعلمه، وقدر لهم أقدارًا، وضرب لهم آجالاً لا يستأخرون عنها ساعةً ولا يستقدمون، قدّر مقادير الخلائق، قبل أن يخلق السموات والأرضَ بخمسين ألف سنة، وكان عرشه على الماء، علم ما كان وما سيكون، وكل شيء يجري بتقديره ومشيئته، ومشيئتُه تنفذ لا مشيئة العباد، إلا ما شاء لهم، فما شاء كان، وما لم يشأ لم يكن، عنده علم الساعة وينزل الغيث ويعلم ما في الأرحام وما تدري نفس ماذا تكسب غدًا وما تدري نفس بأي أرض تموت، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله وصفيّه وخليله، وخيرته من خلقه، صلوات ربي وسلامه عليه وعلى آله وأصحابه والتابعين لهم بإحسان ما تعاقب الأجدانِ: الليلُ والنهار.

أما بعد:

فأوصيكم أيها الناس ونفسي بتقوى الله عز وجل، التي هي معتصمٌ عند البلايا، وسلوانٌ في الهم والرزايا، واعلموا حفظكم الله ورعاكم، أن

الابتلاء سنة ربانية ماضية، هي من مقتضيات حكمة الله سبحانه وعدله، متمثلاً وقعه بجلاء، في الفقر والغنى، والصحة والمرض، والخوف والأمن، والنقص والكثرة، بل وفي كل ما نحب ونكره، لا نخرج من دائرة الابتلاء ﴿ **وَبَلَوْنَاهُم بِالْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ** ﴾ [الأعراف: ١٦٨] ، ﴿ **وَنَبْلُوكُم بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ** ﴾ [الأنبياء: ٣٥] قال ابن عباس رضي الله عنهما: نبتليكم بالشدة والرخاء، والصحة والسقم، والغنى والفقر، والحلال والحرام، والطاعة والمعصية، والهدى والضلالة.

عباد الله:

العاقل الحصيف يجب عليه حتمًا أن يوقن، أن الأشياء كلَّها قد فُرِغَ منها، وأن الله سبحانه، قدَّر صغيرَها وكبيرَها، وعلم ما كان و ما سيكون وأن لو كَان كيف يكون، ﴿ **وَمَا مِن دَابَّةٍ فِي الأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلاَّ أُمَمٌ أَمْثَالُكُم مَّا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِن شَيْءٍ** ﴾ [الأنعام: ٣٨] قال رسول الله ﷺ : «**أول ما خلق الله القلم قال له: اكتب قال: رب وما أكتب؟ قال: اكتب مقادير كل شيء حتى تقوم الساعة**» رواه أبو داود.

فالمقادير عباد الله كائنة لا محالة، وما لا يكون فلا حيلة للخلق في تكوينه، وإذا ما قُدِّر على المرء حالُ شدة، وتكنَّظته الأمور، فيجب عليه حينئذ أن يتزر بإزار له طرفان: أحدهما الصبر، والآخر الرضا، ليستوفي كمالَ الأجر لفعلهً ذلك، فكم من شدة قد صعبت، وتعذر زوالها على العالم بأسره، ثم فُرِّجَ عنها بالسهل في أقل من لحظة.

قيل للحسن: يا أبا سعيد: من أين أتي هذا الخلق؟ قال: من قلة الرضا عن الله. قيل: ومن أين أتي قلة الرضا عن الله ؟ قال: من قلة المعرفة بالله.

ولما جيء بسعيد بن جبير إلى الحجاج ليقتله: بكى رجلٌ فقال له سعيد:

ما يبكيك؟ قال: لما أصابك قال سعيد: فلا تبك إذًا، لقد كان في علم الله أن يكون هذا الأمر، ثم تلا: ﴿مَا أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي الأَرْضِ وَلا فِي أَنفُسِكُمْ إِلاَّ فِي كِتَابٍ مِّن قَبْلِ أَن نَبْرَأَهَا﴾ [الحديد: ٢٢].

وما يصيب الإنسان، إن كان يَسُرُّهُ فهو نعمة بينة، وإن كان يسوؤه فهو نعمة؛ من جهة أنه يكفر خطاياه ويُثابُ بالصبر عليه، ومن جهة أن فيه حكمةً ورحمةً لا يعلمها﴿وَعَسَىٰ أَن تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَعَسَىٰ أَن تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لا تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢١٦]، وصدق رسول الله ﷺ إذ يقول: «**عجبًا لأمر المؤمن إن أمره كله خير، إن أصابته سراء شكر فكان خيرًا له، وإن أصابته ضراء صبر فكان خيرًا له؛ ولا يكون ذلك إلا للمؤمن**» رواه مسلم.

أيها الناس:

إن البشر قاطبة، مجمعون إجماعًا لا خداج فيه، على أن الصحة تاج فوق رؤوس الأصحاء، لا يراه إلا المرضى، وأن الصحة والعافية، نعمةٌ مغبون فيهما كثير من الناس... الأمراض والأسقام عباد الله، أدواء منتشرة انتشار النار في يابس الحطب، لا ينفك منها عصر، ولا يستقل عنها مصر، ولا سلم منها بشر ولا يكاد إلا من رحم الله؛ إذ كلها أعراض متوقعة، وهيهات هيهات أن تخلو الحياة منها، وإذا لم يُصب أحد بسيلها الطام، ضربه رشاشها المتناثر هنا أو هناك.

ثمانية لابد منها على الفتى ... ولابد أن تجري عليه الثمانية

سرور وهم واجتماع وفرقة ... ويسر وعسر ثم سقم وعافية

الأمراض والأسقام، هي وإن كانت ذاتَ مرارة وثقل، واشتداد وعَرْك، إلا أن الباري جل شأنه، جعل لها حكمًا وفوائد كثيرةً، علمها منَ

علمها وجهلها من جهلها.

ولقد حدث ابن القيم رحمه الله عن نفسه في كتابه «شفاء العليل» أنه أحصى ما للأمراض من فوائد وحكم، فزادت على مائة فائدة، وقال أيضًا: «انتفاع القلب والروح بالآلام والأمراض، أمر لا يُحسُّ به إلا من فيه حياة، فصحة القلوب والأرواح موقوفةٌ على آلام الأبدانَ ومشاقِها». انتهى كلامه رحمه الله.

إن الابتلاء بالأمراض والأسقام، قد يكون هبةً من الله ورحمة، ليكفر بها الخطايا ويرفع بها الدرجات، فلقد استأذنت الحمى على النبي ﷺ فقال: «من هذه؟» قالت: أم ملْدمَ - وهي كنية الحمى - فأمر بها إلى أهل قباء، فلقوا منها ما يعلم الله، فأتَوه فشكوا ذلك إليه فقال: «**ما شئتم، إن شئتم، أن أدعو الله لكم فيكشفَهَا عنكم، وإن شئتم أن تكون لكم طهورًا**» قالوا: يا رسول الله: أو تفعل؟ قال: «**نعم**» قالوا: فدعها. رواه أحمد والحاكم بسند جيد.

وقال ﷺ: «**ما من مسلم يصيبه أذىً من مرض فما سواه، إلا حط الله به سيئاته كما تحُطُّ الشجرةُ ورَقَهَا**» رواه البخاري ومسلم.

وقال رجل لرسول الله ﷺ: أرأيت هذه الأمراضَ التي تصيبنا مالنا بها؟ قال: «**كفارات**»، قال أبي بنُ كعب، وإن قلّت قال: «**وإن شوكةً فما فوقها**» رواه أحمد.

ولقد عاد رسول الله ﷺ مريضًا من وعْك كان به فقال ﷺ: «**أبشر، فإن الله عز وجل يقول: هي ناري أسلطها علَى عبدي المؤمن في الدنيا، لتكون حظَّهُ من النار في الآخرة**» رواه أحمد وابن ماجه. والوعك: هو الحمى.

فمن هنا عباد الله ، نعلم النتائج الإيجابية التي يثمرها المرض، ونعلم أن مذاقه كالصبر، ولكن عواقبه أحلى من الشهد المصفى، فعلام إذًا يَمْذَلُ أحدُنا من المرض يصيبه، أو يسبه ويشتمه، أو يعلل نفسه بليت وليت، وهل ينفع شيئًا ليت؟!

ألا فاعلموا أن رسول الله ﷺ دخل على أم السائب فقال: «**مالك يا أمَّ السائب تزفزفين؟**» قالت: الحمى، لا بارك الله فيها فقال: «**لا تسبي الحمى، فإنها تذهب خطايا بني آدم كما يذهب الكيرُ خبثَ الحديد**» رواه مسلم.

ولقد أصاب أحدَ السلف مرضٌ في قدمه فلم يتوجع ولم يتأوه، بل ابتسم واسترجع فقيل له: يصيبك هذا ولا تتوجع؟! فقال: إن حلاوة ثوابه أنستني مرارة وجعه.

وبعد عباد الله فلا يُظنُّ مما سبق، أن المرض مطلب منشود لا وكلا، فإنه لا ينبغي للمؤمن الغُر أن يتمنى البلاء، ولا أن يسأل الله أن ينزل به المرض؛ فلقد قال رسول الله ﷺ: «**سلوا الله العفو والعافية، فإن أحدًا لم يعط بعد اليقين خيرًا من العافية**» رواه النسائي وابن ماجه.

وقال مطرف: «لأن أعافى فأشكر أحبُّ إلي من أن أبتلى فأصبر».

ومن هنا نعلم جيدًا، أن المرض ليس مقصودًا لذاته، وإنما لما يفضي إليه من الصبر والاحتساب وحسن المثوبة، وحمد المنعم على كل حال. قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «المصائب التي تجري بلا اختيار العبد، كالمرض، وموت العزيز عليه، وأخذ اللصوص ماله، إنما يثاب على الصبر عليها، لا على نَفس ما يحدث منَ المصيبة، لكنَّ المصيبة، يُكفرُ بها خطاياه، فإن الثواب إنما يكون على الأعمال الاختيارية وما يتولد عنها» اهـ. كلامه رحمه الله.

ومن هذا المنطلق عباد الله ، اجتمع الكافر والمسلم والبَرّ والفاجر في مصيبة المرض على حد سواء، وافترقا في الثمرة والعاقبة، ولا يسوي بينهما في ذلك إلا أليغٌ أرعن، واقع فيما قال ابن مسعود رضي الله عنه : «إنكم ترون الكافر من أصح الناس جسمًا، وأمرضهم قلبًا. وتلقون المؤمنَ من أصحِّ الناس قلبًا وأمرضهم جسمًا، وأيم الله ، لو مرضت قلوبكم وصحت أجسامكم، لكنتم أهونَ على الله من الجعلان».

ودخل سلمان الفارسي رضي الله عنه على مريض يعوده فقال له : «أبشر، فإن مرض المؤمن يجعله الله له كفارةً ومستعتبًا، وإن مرض الفاجر كالبعير؛ عقله أهله ثم أرسلوه فلا يدري لم عُقِل ولم أرسل».

عباد الله :

إن الإسلام حين يرغب في الصبر على البلوى، ويبين ما تنطوي عليه الأسقام من آثار شافية، وحكم كافية، فلا يَفْهم مخطئ أنه يمجد الآلام، ويكرّم الأوجاع والأوصاب، إنما يحمد الإسلامُ لأهل البلوى وأصحاب الأسقام، رباطةَ جأشهم وحسنَ يقينهم ﴿ **مَا يَفْعَلُ اللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِن شَكَرْتُمْ وَآمَنتُمْ وَكَانَ اللَّهُ شَاكِرًا عَلِيما** ﴾ [النساء: ١٤٧].

اشتكى عروة بن الزبير الآكلة في رجله، فقطعوها من ركبته، وهو صامت لم يئن، وفي ليلته تلك سقط ولد له من سطح فمات، فقال عروة : اللهم لك الحمد، كانوا سبعةً من الولد فأخذت واحدًا وأبقيت ستة، وكان لي أطراف أربعة، فأخذت واحدًا وأبقيت ثلاثة، فإن كنت أخذت فلقد أعطيت، ولئن كنت قد ابتليت لقد عافيت.

فرحم الله عروة وغفر له، فلقد كان بعض المرض عنده أخف من بعض، وبلاؤه أهون من بلاء غيره، فهان عليه مرضه، وهانت عليه بلواه.

وهذا هو ديدن المؤمن، ينظر بعين بصيرته فيحمد الله على أمرين:

أولهما: دفعُ ما كان يمكنُ أن يحدث من هنيزة أكبر؛ حيث علم أن في الزوايا خبايا، وفي البرايا رزايا.

وثانيهما: بقاءُ ما كان يمكنُ أن يزول، من صحة غامرة وفضلٍ جزيل، فهو ينظر إلى النعمة الموجودة، قبل أن ينظر إلى النعمة المفقودة.

عباد الله:

إن الأسقام إذا استحكمت وتعقدت حبالُها، وترادفت حلقاتُها وطال ليلها، فالصبر وحده، هو العاصم بأمر الله من الجزع عند الريب، وهو الهدايةُ الواقيةُ من القنوط عند الكُرَب، فلا يرتاع المؤمن لغيمة تظهر في الأفق، ولو تبعتها أخرى وثالثة، بيدَ أن الإنسان، إبان طبيعته، يتجاهل الحقائق، فيُدهش للصعاب إذا لاقته، فينشأ له من طبعه الجزوع، ما يبغّضُ إليه الصبر، ويجعلُه في حلقه مر المذاق، فيتنجنج ويضيق، ويحاول أن يخرج من حالته على نكظ، فينسى قول خالقه: ﴿خُلِقَ الإِنسَانُ مِنْ عَجَلٍ سَأُرِيكُمْ آيَاتِي فَلا تَسْتَعْجِلُونِ﴾ [الأنبياء: ٣٧].

واستمعوا رعاكم الله إلى ما قصه رسولنا ﷺ عن مرض أيوب عليه السلام، قال ﷺ: «**إن أيوب نبي الله، لبث في بلائه ثمان عشرة سنة، فرفضه القريب والبعيد، إلا رجلين من إخوانه، كانا من أخصّ إخوانه، كانا يغدوان إليه ويروحان، فقال أحدهما لصاحبه: تعلم والله، لقد أذنب أيوب ذنبًا ما أذنبه أحد من العالمين، قال له صاحبه: وما ذاك؟ قال: منذ ثمان عشرة سنة لم يرحمه اللهُ فيكشفَ ما به.**

فلما راح إليه لم يصبر الرجلُ حتى ذكر ذلك له، فقال أيوب: لا أدري ما تقول، غير أن الله يعلم، أني كنت أمر على الرجلين يتنازعان فيذكران الله، فأرجع إلى بيتي، فأكفرُّ عنهما، كراهية أن يذكرُ الله إلا في حق، قال: وكان يخرج إلى حاجته، فإذا قضى حاجته، أمسكت امرأته بيده.

فلما كان ذات يوم، أبطأ عليها، فأوحى الله إلى أيوب في مكانه: ﴿ارْكُضْ بِرِجْلِكَ هَذَا مُغْتَسَلٌ بَارِدٌ وَشَرَابٌ﴾ [ص: ٤٢] فاستبطأته فبلغته، فأقبل عليها قد أذهب الله ما به من البلاء فهو أحسن ما كان، فلما رأته قالت: أي بارك الله فيك هل رأيت نبي الله هذا المبتلى، والله على ذلك ما رأيت أحداً. كان أشبه به منك إذ كان صحيحًا قال: فإني أنا هو، وكان له أندران؛ أندر القمح وأندر الشعير، فبعث الله سحابتين، فلما كانت إحداهما على أندر القمح، أفرغت فيه الذهب حتى فاض، وأفرغت الأخرى على أندر الشعير الورق حتى فاض» رواه ابن حبان والحاكم وصححه الذهبي.

فانظروا عباد الله، وانظروا أيها المرضى إلى أيوب وصبره، فلقد صدقت الحكمة ولقد صدق قائلها: «الصبر صبر أيوب» ثمان عشرة سنة، وهو يتقلب في مرضه لتكون عاقبةُ صبره يسراً.

وكثيراً ما تكون الآلام طهوراً يسوقه الله بحكمته إلى المؤمنين الصادقين لينزع منهم ما يستهوي ألبابهم من متاع الدنيا، فلا يطول انخداعهم بها أو ركونهم إليها، وربّ ضارة نافعة، بل كم من محنة محوية في طيها منح ورحمات مطوية.

اللهم إنا نسألك العفو والعافية والمعافاة الدائمة.

الخطبة الثانية

الحمد لله حمدًا كثيرًا طيبًا مباركًا فيه كما يحب ربنا ويرضى، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين

أما بعد:

فاتقوا الله عباد الله ، واعلموا أن ثمةَ أمورًا، يجب أن يعرفها المرضى، فمنها البشرى لكل مريض أعاقه مرضه عن القيام بالسنن والنوافل التي كان يواظب عليها إبان صحته، بأنها مكتوبةٌ له لا يَضيعُ أجرها، قال رسول الله ﷺ: **«إذا مرض العبد أو سافر كتب له ما كان يعمل مقيمًا صحيحًا»** رواه البخاري.

كما ينبغي التنبه إلى ما يقع فيه بعض المصابين بالمرض النفسي، من العلاج بالمعازف والغناء الذي حرمه الله ورسوله ﷺ ، فإن شفاء الأمة لم يك قط فيما حرمه الله عليها ، ومعلوم أن الأدوية ثلاثة: دواء مشروع كالرقية والعسل وزمزمَ ونحوها. ودواء مباح؛ وهو ما لم يحرمه الشارع: وأدوية محرمة؛ لا يجوز التداوي بها. وإن لكل داء دواءً علمه من علمه وجهله من جهله.

ثم ليعلم المرضى، أنه لا ينبغي التهاون بالصلاة حال المرض، فيجب أن تُصلى الصلوات الخمس في وقتها إن استطاع ، فإن لم يستطع جمع بين الظهر والعصر،

وبين المغرب والعشاء رخصة من الشارع الحكيم، كما يجب عليه أن يتطهر للصلاة التطهر الشرعي، فإن لم يستطع فإنه يتيمم، فإن لم يستطع فإنه يصلي على حاله ولا يدع الصلاة تفوت عن وقتها ؛ لأن الله يقول: ﴿ **فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ** ﴾ [التغابن: ١٦] ، ويقول: ﴿ **لا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلاَّ وُسْعَهَا** ﴾ [الأنعام: ١٥٢].

ثم ليعلم المرضى أن الأنين والتوجع له حالتان: الأولى: أنين شكوى فيكره، والثانية: أنين استراحة وتفريج، فلا يكره. بذلك قال ابن القيم رحمه الله .

والعلم عند الله تعالى.

اللهم صل على محمد .....

* * *

يا أشباه الرجال ولا رجال

الخطبة الأولى

الحمد لله الذي لا يبلغ مدحته القائلون ولا يحصي نعماءه العادُّون، ولا يؤدي حقه المجتهدون، المعروف من غير رؤية، والخالق بلا حاجة، والمميت بلا مخافة، والباعث بلا مشقة، فطر الخلائق بقدرته، ونشر الرياح برحمته، مبدئ الخلق ووارثه وإله الخلق ورازقه، لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار، وهو اللطيف الخبير، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله: البشير النذير والسراج المنير، صلوات ربي وسلامه عليه وعلى آله وأصحابه ومن سار على طريقهم واتبع نهجهم إلى يوم الدين وسلم تسليمًا كثيرًا.

أما بعد:

فأوصيكم أيها الناس ونفسي بتقوى الله عز وجل؛ فإنها الزمام وبها القوام، فتمسكوا بوثائقها واعتصموا بحقائقها تألُ بكم إلى أكنان الدعة وأوطان السعة ومنازل العز، في يوم تشخص فيه الأبصار ويُنفخ في الصور فتدك الشُم الشوامخ والصم الرواسخ، فيصير صلدها سرابًا رقرقًا، ومقرها قاعًا صفصفًا. يوم لا ينفع الظالمين معذرتهم ولهم اللعنة ولهم سوء الدار، يومَ يُنجي الله الذين اتقوا ويذر الظالمين في جهنم جثيًا.

أيها المسلمون:

إن من ضلال البشرية وخيبة آمال المجتمعات المسلمة أن تُعرض عن نور ربها وهدي خالقها، لتضل في مسالك الغبراء ثم تغدو كجرثومة الداء ودود العلق، وإن الغلو في حب الدنيا عباد الله هو رأس كل خطيئة، والتنافس عليها أساس كل بلية، من أجل متاع الدنيا يبغي الناس بعضهم على بعض، ومن أجلها يغش التُّجار ويُطففون، ومن أجل الدنيا يتجبر الرفعاء ويستكبرون.

من أجل الدنيا وزخرفها يُروج الصحفي بقلمه الكذب والزور ويخفي الحقائق وهي أوضح من فلق الصبح، ومن أجل الدنيا يصبح المرء مؤمنًا ويمسي كافرًا ويمسي مؤمنًا ويصبح كافرًا، يبيع دينه بعرض من الدنيا، كل الناس يغدو فبائع نفسه فمعتقها، وبائع نفسه فموبقها؛ من مترف مبطون يأكل ولا يشبع، وقاروني يجمع ويجمع ثم يأخذ ويمنع، أصابه سعار الكانز فلا ينتفع بالكثير مهما امتد، ومن فتاة مغلوبة نوديت إلى الفضيلة فأبت، ودعيت إلى صيانة بيتها ونفسها فتمردت، وألقت ثيابها لكل قادم والغ وآثرت وأدها حية بلا تراب.

عباد الله:

الأخلاق المثلى عماد الأمم وقوام الشعوب، وهي باقية بأمر الله ما بقيت أخلاقهم، فإن هم ذهبت أخلاقهم ذهبوا، هي مُسَلَّمة لا ينازع فيها إلا أرعن مكابر، كما أن تدهور الأخلاق وضياعها ناجم عن ضعف الوازع الديني الزاجر الذي يمتلك عنان النفس ويسيطر عليها ويكبح جماحها ويهتن دمعها فيغسلها بالماء الزلال الذي يبرد الفؤاد، ناهيكم أيها المسلمون عن كون حُسن الخلق من أكثر ما يدخل الناس الجنة كما صح بذلكم الخبر

عن المصطفى ﷺ عند الترمذي وغيره.

حسن الخلق ثمرة من ثمرات الإيمان اليانعة، متمثلة في سلامة الصدر من الغل والحسد والبغضاء والشحناء وزم النفس عن سفاسف الأمور وقوادح الأخلاق، إنه لا يكمل إيمان المسلم إلا بكمال خلقه ورسول الله ﷺ يؤكد ذلك كله بقوله: «**لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن، ولا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن، ولا يشرب الخمر حين يشربها وهو مؤمن**» متفق عليه. ويقول أيضًا: «**والله لا يؤمن والله لا يؤمن والله لا يؤمن**» قيل: من يا رسول الله قال: «**الذي لا يأمن جاره بوائقه**» رواه البخاري.

فالرجل الصفيق الوجه المعوج السلوك، الذي يقترف الرذائل غير آبه بأحد، إنما هو المقصود في ما ذكره المصطفى ﷺ بيد أن بعض الناس يستسهلون أخذ بعض العبادات المفروضة، ويظهرون في المجتمع العام بالحرص على إقامتها، وهم في الوقت ذاته ذئاب في الظلام يرتكبون أعمالاً يأباها الشارع الحكيم، وتنفر منها الفطر السليمة.

ولقد سأل رسول الله ﷺ أصحابه يومًا فقال: «**أتدرون من المفلس؟**» قالوا: المفلس فينا من لا درهم له ولا متاع قال: «**المفلس من أمتي من يأتي يوم القيامة بصلاة وزكاة وصيام، ويأتي وقد شتم هذا وقذف هذا وأكل مال هذا وسفك دم هذا وضرب هذا، فيعطى هذا من حسناته، وهذا من حسناته، فإن فنيت حسناته قبل أن يقضي ما عليه، أخذ من خطاياهم فطرحت عليه ثم طرح في النار**» رواه مسلم. فرحماك يا رب رحماك عفوك يا الله ومغفرتك.

فلينتبه لذلك المغرورون المعجبون بأعمالهم وطاعاتهم ومعارفهم، في حين إنهم بادو الشر كالحو الوجوه قريبو العدوان، ألا فلينتبهوا جميعًا إلى خطورة هذه الهوة السحيقة التي تقذفهم فيها تبعاتها، وليعلموا حقيقة من

المفلس؟وأن من كانت هذه خلاله فلا يغتر بكونه يملك ألفًا، فإن ما عليه من الحقوق والتبعات يزيد على الألفين، فكيف يرى أنه غني من هذه مسكنته، بل كيف يرى أنه مكتف من هذه مسغبته، ألاوإن حسن الصورة وجمال المظهر لا يقدم في ذلك ولا يؤخر، فإن جمال الوجه في قبح نفس كقنديل على قبر مجوسي، وهل ينفع الفتيان حسن وجوههم إذا كانت أخلاقهم غير حسان؟!

لقد استيقظ رسول الله ﷺ ذات ليلة فقال: «**سبحان الله ما أنزل الليلة من الفتن وماذا فُتح من الخزائن؟ أيقظوا صواحبات الحُجَر، فربَّ كاسية في الدنيا عارية في الآخرة**» رواه البخاري.

فماذا يعني لباس المظهر إذا كان المخبر عاريًا باديةً للناس سوءته ﴿**يَا بَنِي آدَمَ قَدْ أَنزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُوَارِي سَوْءَاتِكُمْ وَرِيشًا وَلِبَاسُ التَّقْوَىٰ ذَٰلِكَ خَيْرٌ**﴾ [الأعراف: ٢٦].

إن صاحب الشر وسيئ الخلق هما وإن كانا في الصورة المحسوسة ناسًا إلا إنهم بالصورة المعقولة لا ناسٌ ولا نسناس؛ بل كما قال أمير المؤمنين علي ابن أبي طالب رضي الله تعالى عنه: «يا أشباه الرجال ولا رجال»، ولقد صدق الله إذ يقول: ﴿**وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَٰئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَٰئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ**﴾ [الأعراف: ١٧٩].

فالمؤمن الغرُّ إذًا لا يغتبط بصفة يفوقه فيها سبع أو بهيمة أوجماد، وإنما يغتبط بتقدمه في الفضيلة والخلق اللذين أبانه الله تعالى بهما عن البهائم والسباع والجمادات، فمن سُر بشجاعته التي يضعها في غير موضعها لله سبحانه، فليعلم أن النمر أجرأ منه، وأن الأسد والذئب أشجع منه، ومن سُر بقوة جسمه في غير طاعة الله فليعلم أن البغل والثور والفيل أقوى منه

جسمًا، ومن سُر بحمله الأثقال فليعلم أن الحمار أحمل منه. فأي فخر وأي سرور فيما تكون فيه صورة البهائم متقدمة عليه.

إن أي امرئ لا يعرف إلا الأخلاق لن يغلبه من لا يعرف الأخلاق، وإن من لا يعرف إلا الله لن يسبقه من لا يعرف الله.

عباد الله:

إن المؤمن الغيور ليمسك بكلتا يديه كبده المحترق وقلبه المتقطع أسفًا وحسرة، وإنه ليتساءل أين المجتمعات الصالحة التي كان يغمرها الحياء والخجل وحسن التخلق؟ وأين الذين كانوا يتعاشرون بطباع الفضيلة وأخلاق الشيم والإباء؟ وما المخرج من هذا الحضيض الأوهد والشقاء المؤصد الذي انحدر إليه كثيرون فأصابهم بقذره وخناه إلا من رحم الله؟

ألا إن المخرج دين يحفظ ويردع وحذر بأمر الله ينفع وتواصٍ بالحق وتواصٍ بالمرحمة.

الدين عباد الله هو منشأ الأخلاق ومنبع الفضائل فلا يصحّ دين بلا أخلاق وماذا تُجدي الأخلاق إذا عريت عن الدين بل إن رسول الله ﷺ علل بعثته في أوجز عبارة وأجمع إشارة فقال: «**إنما بعثت لأتمم محاسن الأخلاق**» رواه الحاكم والبخاري في الأدب المفرد.

ولا غرو أيها المسلمون أن تكون هذه رسالته وهو من قال فيه ربه: ﴿**وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ**﴾ [القلم: ٤]، فلا جرم إذًا ـ عباد الله ـ أن يكون الدين هو الخُلق، فمن زاد علينا في الخلق أو نقص، زاد علينا في الدين أو نقص كما نطق ابن القيم في مدارجه رحمه الله، ومقولته هذه مصداق لما قاله البشير النذير: «**أكمل المؤمنين إيمانًا أحسنهم أخلاقًا**» رواه الترمذي، وما ذكره بقوله: «**البر حسن الخلق**» رواه مسلم، وقوله: «**إن من خياركم**

أحسنكم أخلاقًا» رواه البخاري ومسلم، وقوله صلوات الله وسلامه عليه: «**ما من شيء أثقل في ميزان العبد يوم القيامة من خلق حسن**» رواه الترمذي وقال: حسن صحيح.

غير أن الأمر عباد الله قد بات من الخطورة بمكان، حيث ظن أغرار متفيقهون من ذوي البهاليل، وإنما هم في الحقيقة رجع الصدى لنواقيس الإفرنج وأذناب الإفرنج، ظنوا أن في نشر العلوم والثقافات المتحضرة وحدها غنية وضمانًا للسلام والرخاء، وعوضًا عن التربية والتهذيب الديني والخلقي، وهذا المعنى هو الفلسفة الأخلاقية المثلى -زعموا-، وما عداها فهي سجايا وخصال أكلت عليها السنون وشربت. ومواكبة التيارات في ظل الوفاقات العالمية والدولية، والتعايش الطبيعي بين الأمم والشعوب أمرًا متحتمًا واقعًا وعقلاً!!

﴿**كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِن يَقُولُونَ إِلاَّ كَذِبًا**﴾ [الكهف: ٥]أفٌ ثم تف للتقليد والتبعيات، ما أثقل أغلالها وما أبخس صفقة الذين لا يتزحزحون عنها، ثم أي فلسفة أخلاقية تلك التي ينشدها المستغربون، وكُل فيلسوف له مذهب، وكُل مذهب له نزوة ومقياس؟

أهي فلسفة المنفعة التي دعا إليها أنانيون أم فلسفة اللذة التي نادى بها مسعورون من سدنة الشهوة، أم فلسفة القوة التي دعا إليها سفاكون أشرار أم هي فلسفة التحرر من القيود الشرعية، والعب من الفوضى بلا مكيال والتي دعا إليها تحرريون ملاحدة أم ماذا يارعاكم الله؟!

والذي نفسي بيده ما ذلك كله إلا كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماء حتى إذا جاءه لم يجده شيئًا ووجد الله عنده فوفاه حسابه والله سريع الحساب، أو كظلمات في لجة يظنها المتلهف موجة فإذا ما تمكن منها غرق، وكل ذلك

ظلمات بعضها فوق بعض إذا أخرج يده لم يكد يراها ومن لم يجعل الله له نورًا فما له من نور.

إن الأمة الإسلامية يجب أن تكون قائدة لا مُنقادة، ومتبوعة لا تابعة، وإن الذين يحاولون في تبعيتهم أن يتسللوا لواذًا ويؤلفوا الأمة على خلق طارئ جديد، عليهم جميعًا أن يكفوا عن أخلاق التسول بكل صنوفه؛ في أخلاقهم وطاعاتهم وسياساتهم ومقدراتهم.

وإن الأمم التي تبني مستقبلها على التسول الخلقي لهي أمم ضائعة في مهامه العقل الشحاذ، فهي لا تصلح للحياة، وإلا فأي ضير علينا عباد الله إذا جعلنا لنا صفة خاصة تميزنا عن سوانا، وتدل على أننا أهل دين وخُلق، فهل ذلك إلا الأخلاق الإسلامية الحقة، وهل في الأرض نهضةٌ ثابتةٌ تقوم على غيرها صبغةُ الله؟ ﴿صِبْغَةَ اللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ صِبْغَةً وَنَحْنُ لَهُ عَابِدُونَ﴾ [البقرة: ١٣٨] ﴿فَأَعْرِضْ عَن مَّن تَوَلَّىٰ عَن ذِكْرِنَا وَلَمْ يُرِدْ إِلَّا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ﴿٢٩﴾ ذَٰلِكَ مَبْلَغُهُم مِّنَ الْعِلْمِ﴾ [النجم: ٢٩، ٣٠].

وإن كتاب الله وهدي رسوله ﷺ لا زالا قائمين خالدين، وفيهما كفاية وهداية لو استمع ضال وأجاب مدعو ﴿إِنَّ اللَّهَ يُسْمِعُ مَن يَشَاءُ وَمَا أَنتَ بِمُسْمِعٍ مَّن فِي الْقُبُورِ﴾ [فاطر: ٢٢]. ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيد﴾ [ق: ٣٦ - ٣٨].

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم ونفعني وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم، أقول ما تسمعون وأستغفر الله لي ولكم ولسائر المسلمين من كل ذنب وخطيئة فاستغفروه وتوبوا إليه إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية

الحمد لله حمدًا كثيرًا طيبًا كما أمر، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له إرغامًا لمن جحد به وكفر، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله سيد البشر والشافع المشفع في المحشر. صلوات ربي وسلامه عليه وعلى آله وأصحابه السادة الغرر وعلى من سار على طريقهم واقتدى بهداهم إلى يوم الدين.

أما بعد:

فاتقوا الله عباد الله واعلموا أن الخُلق صفة راسخة في النفس، يصدر عنها مآثر الأعمال بسهولة ويسر، بعيدة عن التعقيد والتكلف، وجماع ذلك دين يتبعه عمل، ويصحبه حمل النفس على المكاره، وجبلها على ما يحبه الله ورسوله ﷺ، قال تعالى: ﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾ [الأعراف: ١٩٩]. قال جعفر الصادق رحمه الله: ليس في القرآن آية أجمع لمكارم الأخلاق من هذه الآية.

ولقد أحصى الإسلام الفضائل وحث أتباعه على التمسك بها واحدة تلو الأخرى، ولو جُمعت أقوال صاحب الرسالة في التحلي بالأخلاق الزاكية لبلغت ما إن أسفاره لتنوء بالعصبة أولي القوة.

فالواجب على الغر العاقل أن يتحبب إلى الناس بلزوم حسن الخلق وترك السيئ منه؛ لأن الخلق الحسن يُذيب السوء كما تُذيب الشمس الجليد، وإن الخلق السيئ ليُفسد العمل كما يفسد الخل العسل. فمن حسُن خلقه صان عرضه ومن ساء خُلقه هتك عرضه.

وهل يُنتفع من السيئ الخلق بشيء قال رسول الله ﷺ : «**فمن أحب منكم أن يُزحزح عن النار ويُدخل الجنة فلتدركه موتته وهو مؤمن بالله واليوم الآخر، وليأت الى الناس ما يحب أن يؤتى إليه**» رواه النسائي وابن ماجه .

قال مجاهد رحمه الله : إذا لقي المسلم أخاه المسلم فسلم وبش في وجهه تحاتت ضغائنه، فقال رجل : يا أبا الحجاج إن هذا من العمل اليسير، فقال مجاهد : ﴿ **هُوَ الَّذِي أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِ وَبِالْمُؤْمِنِينَ (٦٢) وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِي الأَرْضِ جَمِيعًا مَّا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ** ﴾ [الأنفال : ٦٢ ، ٦٣] فيسيرٌ هذا؟

ألا فاعلموا عباد الله أن شر الناس منزلة وأقبحهم صفةً وأكثرهم نفاقًا ذو الوجهين وذو اللسانين، يأتي هؤلاء بوجه وهؤلاء بوجه آخر، ويتكلم أمامك بما يسرك ويذكرك غائبًا بكل ما يسوؤك؛ دأبه الغيبة، وشأنه النميمة، وبضاعته التزلف إلى كل بما يرضيه فهو همازٌ مشاءٌ بنميم، يقول بلسانه ما ليس في قلبه، والله أعلم بما يوعي، يسرك منظره ويسوؤك مخبره، إذا جلس معك حسبته صديقًا صدوقًا خلاً وفيًا، وإذا غاب عنك فرى عرضك فري الأديم، وقال فيك قولَ أبيّ في عائشة، فهوش وشوش ثم همز؛ ولمز بغية مآرب مشبوهة أحسن ما فيها أنها غير حسنة .

فهذا وأمثاله أخطر ما يكونون على المجتمع، فيهم قال رسول الله ﷺ : «**وتجدون شر الناس ذا الوجهين الذي يأتي هؤلاء بوجه وهؤلاء بوجه**» رواه البخاري ومسلم، ولقد قيل لابن عمر رضي الله عنهما : إنا ندخل على السلاطين فنتكلم معهم بشيء، وإذا خرجنا من عندهم قلنا شيئًا آخر، فقال : كنا نعُد ذلك في عهد النبي ﷺ من النفاق .

فاتقوا الله معاشر المسلمين، وصلوا وسلموا على خير البرية وأزكى

البشرية ، محمد بن عبد الله بن عبد المطلب ، صاحب الحوض والشفاعة ، فقد أمركم الله بذلك في قوله : ﴿ إِنَّ اللَّهَ وَمَلائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيماً ﴾ [الأحزاب : ٥٦] .

* * *

تحية رمضان

الخطبة الأولى

الحمد لله الذي جعل الحمد مفتاحًا لذكره، وسببًا في المزيد من فضله، ودليلاً على آلائه وعظمته، أمره قضاء وحكمة، ورضاه أمان ورحمة، يقضي بعلمه ويعفو بحلمه، نحمده على ما يأخذ ويعطي، وعلى ما يعافي ويبتلي، الحمد لله إذ بلّغنا رمضان غير سقماء ولا محرومين، ولا مرتدين عن ديننا ولا مغيرين ولا مبدلين، نحمده بأن كنا عبيدًا مملوكين له، له الحجة علينا ولا حجة لنا عليه، لا نقدر أن نأخذ إلا ما أعطانا، ولا أن نتقي إلا ما وقانا، نحمده على آلائه كما نحمده على بلائه، له الحمد كالذي يقول، ومثل ما يقول وخيرًا مما نقول، له الحمد كله وبيده الخير كله وإليه يرجع الأمر كله، له الحمد في الأولى والآخرة وله الحكم وإليه المصير.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله شهادة يحشرنا الله بها معه، ويوردنا بها حوضه، ويرزقنا شفاعته، يوم لا ينفع مال ولا بنون: إلا من أتى الله بقلب سليم. صلوات ربي وسلامه عليه، وعلى آله الأتقياء البررة، وعلى من سار على طريقهم

واقتفى أثرهم إلى يوم المعاد.

أما بعد:

فأوصيكم أيها الناس ونفسي بتقوى الله عزو جل، التي حمت أولياء الله محارمهَ وألزمت قلوبهم مخافته، فاتقوا الله حق التقوى واستمسكوا من الإسلام بالعروة الوثقى واحذروا المعاصي، فإن أقدامكم على النار لا تقوى، واسألوا الله الجنة فإن العاقبة للتقوى.

أيها الناس:

لقد جاءكم شهر رمضان محيًا بتحايا، تضفي إليه من الجلال جلالاً، ومن البهاء بهاءً، أتاكم رمضان يحمل الجوعَ والعطش، ترى الطعام أمامك تشتهيه نفسُك، وتصلُ إليه يدُك، ولكنك لا تستطيع أن تأكله، ويُلهبُ الظمأ جوفك، والماءُ من حولك، لا تقدرُ على الارتواء منه، ويأخذ النعاسُ بلبك ويداعبُ النومُ جفنيك، ويأتي رمضان ليوقظك لسحورك، إنها ترادف حلقات الصبر والمصابرة، ولقد صدق رسول الله ﷺ إذ يقول: «**الصوم نصف الصبر**» رواه الترمذي، وقال: حديث حسن.

فيا سُعد الصائم، كيف ينالُ الأجر في ظمئه وجوعه عند من لا يظلم مثقال ذرة: ﴿**ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ لا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلا نَصَبٌ وَلا مَخْمَصَةٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلا يَطَئُونَ مَوْطِئًا يَغِيظُ الْكُفَّارَ وَلا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نَيْلاً إِلاَّ كُتِبَ لَهُم بِهِ عَمَلٌ صَالِحٌ إِنَّ اللَّهَ لا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ**﴾ [التوبة: ١٢٠].

لقد جاء رمضان، لينيب الناس فيه إلى ربهم، ويؤمُّوا بيوته، ليعمروها بالتراويح والذكر، تمتلئ بهم المساجدُ، متعبدين أو متعلمين، والمساجدُ في الأقطار، حفَّلٌ بالعبَّادِ صفًا واحدًا، متراصة أقدامُهم وجباههم على

الأرض، سواء الغني والفقير، والوضيع والغطريف، الصعلوك والوزير والأمير، يذلون لله فيعطيهم الله بهذه الذلة عزة على الناس كلهم، إنْ حسُنَ القصد واستُصوبَ العمل، ولا غرو أيها المسلمون، إذ مَن ذلَّ لله، أعزه الله، ومن كان لله عبدًا مطيعًا جعله الله بين الناس سيدًا ومن كان مع الله باتباع شرعه والوقوف عند أمره ونهيه كان الله معه بالنصرة والتوفيق والغفران.

وبذلك عباد الله ساد أجدادُنا الناس، وحازوا المجد من أطرافه، وأقاموا دولة ما عرف التاريخ أنبل منها ولا أفضل، ولا أكرمَ ولا أعدل، فماذا بعد الحق إلا الضلال، نعم، لم يكونوا خواءَ بل إنهم يُذكرون إذا ذُكر رمضان، ويُذكر رمضانُ إن ذكروا، فيه نزل القران على سيد البشر ﷺ وهو لعمر الله حياةُ الناس عند الموت، ونورهم عند الظلمة.

وفي رمضان نصر الله المؤمنين ببدر وهم أذلة، وسماه يوم الفرقان يوم التقى الجمعان، وفي رمضان فُتحت مكّة لنبينا ﷺ فطهرها من وساوس الوثنية، وأزاح منها كل قوى التقهقر والشرك، وفي رمضان يفتح الله على خالد بن الوليد في اليرموك وعلى سعد في القادسية، وعلى طارق بن زياد في الأندلس عند نهر لكة، وعلى الملك قطز والظاهر بيبرس ضد جحافل التتار فقُطع دابرُ القوم الذين ظلموا والحمد لله رب العالمين، وكذا حطينُ وجلولاء، ورمضان فيه وفيه وفيه، هذا هو رمضان الذي يجمع للصائم صحة الجسم وعلو الروح، وعظمةَ النفس ورضاء الله قبل كل شيء وبعده.

رمضان أيها الناس شهر الحب والوئام فكونوا فيه أوسع صدرًا، وأندى لسانًا وأبعد عن المخاصمة والشر، وإذا رأيتم من أهليكم زلةً فيه فاحتملوها، وإن وجدتم فُرجةً فسدوها واصبروا عليها، وإن بادأكم أحد بالخصام فلا تقابلوه بمثله، بل ليقل أحدكم: إني صائم، وإلا فكيف يرجو

من يمقت ذلك أن يكونَ له ثوابُ الصائمين، وهو قد صام عن الطعام الحلال، وأفطر على ما سواه من الحرام قال رسول الله ﷺ: «**من لم يدع قول الزور والعملَ به، فليس لله حاجةٌ في أن يدع طعامه وشرابه**» رواه البخاري.

وإن امرأتين صامتا في عهد النبي ﷺ فكادتا أن تموتا من العطش فذُكرَ ذلك للنبي ﷺ فأعرض ثم ذُكرتا له فدعاهما فأمرهما أن يتقيآ فقاءتا ملءَ قَدَحٍ قيحًا وصديدًا ولحمًا عبيطًا، فقال النبي ﷺ: « **إن هاتين صامتا عما أحلَّ الله لهما وأفطرتا على ما حرم الله عليهما، جلست إحداهما إلى الأخرى فجعلتا يأكلان لحوم الناس**» رواه الإمام أحمد.

فلا إلَهَ إلا الله ما أعظم هذا الجرم، ولا إله إلا الله ما أعظمه من انتهاك لحرمة الشهر، أعاذنا الله وإياكم من ذلك.

عباد الله:

الناس مع رمضان أشتات غير متفقين عن اليمين وعن الشمال عزين، فمن الناس من لا يرى في رمضان أكثر من كونه حرمانًا لا فائدة منه، وتقليدًا تعبديًا، لا مبرر له، فهم عازمون على الإفطار فيه، مجاهرين بذلك أو مسرين، فهؤلاء حمقى كفروا بعد إيمانهم ثم ازدادوا كفرًا، و ظنوا أن في الصوم كبتًا للحرية، التي تعني بداهة: انطلاقَ المرء المحموم وراء أهوائه وشهواته، يعُبُّ منها دون حد أو قيد، كلا عبَاد الله فإن هذه حريةٌ مغشوشة، وما هي إلا الفوضى أولاً، والعبودية الذليلة للجسد آخرًا.

والحق عباد الله أن الحرية المادية هي تمامُ العبودية، وتحقيقَ العبودية لله وحده هي تمامُ الحرية والمسلم الصادق عباد الله إنما هو حُرُّ الروح ولو أطبقت عليه الجدران، أو عاش في أرض قفر، هو حرٌ ولو كُبِّلَ بالحديد وجلد بالسياط، وهذه لعمر الله هي الحريةُ الحقة، التي تليق بكرامة بني آدم، وأين

منها حريةُ الأشباح والجسوم الخاوية ﴿أَفَمَن شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلإِسْلامِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٍ مِّن رَّبِّهِ فَوَيْلٌ لِّلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكْرِ اللَّهِ أُوْلَئِكَ فِي ضَلالٍ مُّبِينٍ﴾ [الزمر: ٢٢].

وإن من الناس عباد الله من لا يرى في رمضان إلا جوعًا لا تتحمله أعصاب بطنه، وعطشًا لا تقوى عليه مجاري عروقه، قد سئم ذكرَ رمضان، دخولُه ثقل عليه، وتمامه عناء يراه وثاقًا مشدودًا أمام رغباته وشهواته؛ فهو يصومه على مضض فهذا وأمثاله ممن فقدوا لذة الإيمان وسرور الصالحين بالتسليم للخالق جل شأنه في أمره وحكمه ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ سُبْحَانَ اللَّهِ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [القصص: ٦٨].

ولا يسعنا في هذا المقام إلا أن نذكِّر أمثال هؤلاء، إن كانوا أهلاً للذكرى، بما ذكره الحافظ ابنُ رجبَ وغيرُه من أن ولدًا لهارون الرشيد كان غلامًا سفيهًا، فلما أقبل رمضان ضاق به ذرعًا وأخذ ينشد:

أتاني شهرُ الصوم لا كان من شهر ولا صمت شهرًا بعده آخر الدهر
فلو كان يُعديني الأنام بقوة على الشهر لاستعديت قومي على الشهر

فأصيب بمرض الصرع، فكان يصرع في اليوم أكثر من مرة، وما زال كذلك حتى مات قبل أن يدرك رمضان الآخر. اللهم أحسن عاقبتنا في الأمور كلها، وأجرنا من خزي الدنيا وعذاب الآخرة.

إن صنفًا من الناس، يرى في رمضان موسمًا حوليّاً، للموائد الزاخرة بألوان الطعام وصنوفه، وفرصة سانحةً للهو والسمر، الممتدين إلى بزوغ الفجر، فصبحهم مثل ليلهم وأجواؤهم سود، وأجفانهم جمر يومض،

أتاهم رمضان ومصائب المسلمين جمة، فآمالهم مدٌّ وآلامهم جزر، فغايةُ برِّ هؤلاء بالشهر، أن يكون محلاً للألغاز الرتيبة والدعايات المضللة أو المواعيد المضروبة، لارتقاب ما يستجد، من أفلام هابطة وروائيات مشبوهة، ترمي بشرر كالقصر، لإحراق ما بقي من أصل حشمة وعفاف، أو تدين يستحق التشجيع والإذكاء، ولقد صدق الله: ﴿وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ﴾ [يوسف: ١٠٣]، ﴿وَكَأَيِّن مِّنْ آيَةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ﴾ [يوسف: ١٠٥].

عباد الله:

أما القلة من الناس وهم كثرة بحمد الله يرون في رمضان شهراً غير هذا كله، وأجلّ من هذا كلِّه، يرون فيه التهذيب الإلهي بالتقوى، والإيثار الجميل، والصبر الكريم، علموا أنه دروس يتعلمها الجيل، لا يجدها المرء في المدارس ولا الجامعات، التي محلُّها تثقيفُ العقل لا تزكية النفس، وتنمية المعرفة، لا تقوية الصلة بالله إلا من رحم الله.

هؤلاء عباد الله هم الذين يستفيدون من رمضان، وهم الذين يجدون في نهاره لذة الرجولة والحرية الحقة والصبر في الشدائد، هؤلاء وأمثالهم هم الذين تفتح لهم أبواب الجنان، وتغلق عنهم أبواب النيران، وهم الذين ينسلخ عنهم رمضان مغفورةً لهم ذنوبهم مكفرةً عنم خطاياهم، سموٌّ نفس، وشرفُ هدف، ونُبْلُ غاية، وهداية قلب، أولئك في الحقيقة هم الذين تصلح بهم الأوضاع، وتَسْعَدُ بهم المجتمعات، وما أشد حاجة الأمة المسلمة، إلى أمثالهم في كل عصرٍ وفي كل مصر.

أيها الناس:

الشباب المسلم يصومون، نعم يصومون، ولكن كثيراً منهم يصومون

عن القرى فحسب، ويعيشون في رمضان سبهللا، دون استغلال أو إشغال بما ينفع ويفيد، وإن بقاءهم على هذه الحالة المزرية، ينشئ مشاكلَ متوالية على الأسرة والمجتمع، بحيث لا يؤويهم إلا الطرق والممرات، فيزعجون هذا ويوقضون ذاك، ويلحظون هذه ويضايقون تلك، وتكون لهم الطرق بمصراعيها، مأدبة إبليسية، تعلمهم كل بذيء من القول وقبيح من الفعل، ولسان حالهم يقول: صفدت شياطين رمضان إلا شياطينهم.

إننا بحاجة أيها المسلمون إلى ما يقوِّم أخلاقهم، ويرفع من ثقافتهم ويحدُّ من عبثهم وضياع أوقاتهم سدى، وأن يُقنعوا بأن العطالة موات، وأنهم أحرى الناس في أن يحشروا مفلسين، لا حصاد لهم إلا البوارُ والخسران.

وأما المرأة المسلمةُ يارعاكم الله، فهي شقيقة الرجل، بل هي نصف المجتمع، ثم هي تلد النصف الآخر، فكأنما هي في الحقيقة مجتمع بأسره، أيكون نشاطها في رمضان، مقصوراً على الطهي والتعمق في فنون المآكل وألوان المشارب، أو بأن تكون خرَّاجة ولاَّجة كاسية عارية، تَفتنُ وتُفتن، دون التفات إلى ما يقرِّبها من خالقها بتلاوة قرآن، أو صلاة نفلٍ أو صدقة، أو أمر بمعروف أو نهي عن منكر، في بيتها وأسرتها الذي يعترف بريادتها فيه، أنسيتْ أنها مدرسة الطيبي الأعراق، إنه لم يكن نصيب المرأة في العناية بشهر رمضان، بأقلَّ من نصيب الرجل، فهاهن أمهات المؤمنين، يشاركن سيد الخلق ﷺ فيما يصنع، من صيام وقيام وبذل وجود.

وقد أخرج البخاري في صحيحه «أن رسول الله ﷺ كان إذا دخل الثلثُ الأخير من رمضان، شد مئزره وأحيا ليله وأيقظ أهله»، وهذه عائشة رضي الله عنها تسائل النبي ﷺ: أرأيت إن وافقت ليلة القدر ما أقول فيها؟ قال:

«**قولي: اللهم إنك عفو تحب العفو فاعف عني**».

ألا فاتقوا الله معاشر المسلمين وأروا الله من أنفسكم في هذا الشهر المبارك، فإن لله نفحات من حرمها حرم خيراً كثيراً ،وأبشروا بقول المصطفى ﷺ في الحديث القدسي : « **يقول الله جل وعلا: كل عمل ابن آدم له كفارة والصوم لي وأنا أجزي به**» رواه البخاري .

اللهم اجعل مواسم الخيرات لنا مربحًا ومغنمًا، وأوقات البركات والنفحات لنا إلى رحمتك طريقًا وسلمًا، أقول ما تسمعون. .....

الخطبة الثانية

الحمد لله على إحسانه ، والشكر له على توفيقه وامتنانه، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له تعظيمًا لشأنه، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله الداعي إلى رضوانه صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى صحابته وآله وإخوانه.

أما بعد :

فاتقوا الله معاشر الصائمين واعلموا أن شهرَ رمضان ، شهرُ الجود والعطاء، ولقد كان رسول الله ﷺ أجود الناس وكان أجودَ ما يكون في رمضان، وهو أجودُ بالخير من الريح المرسلة.

وإن من أعظم الجود في رمضان، الصدقةَ الطيبةَ، بشتى صورها: مالاً وطعامًا مواساة، والجمع بين الصدقة والصوم موجب من موجبات الجنة، فلقد قال رسول الله ﷺ : «**إن في الجنة غرفًا يرى ظهورُها من بطونها، وبطونُها من ظهورها**»، قالوا: لمن هي يا رسول الله قال: «**لمن طيب الكلام، وأطعم الطعام، وأدام الصيام، وصلى بالليل والناس نيام**» رواه أحمد والترمذي.

ألا فليكن للمسلم، السهمُ الراجح والقدحُ المعلى، في العطف على إخوانه في الدين، وفي كفكفة دموعهم، وسدِّ مسغبتهم. وإن الغني الذي لا يُحس بأن عليه للفقراء حقوقًا وواجبات، لقاسي القلب خال من الشفقة، بعيدٌ من رحمة الله ﴿إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [الأعراف: ٥٦] «**الراحمون يرحمهم الرحمن**»«**ارحموا من في الأرض يرحمكم من في**

السماء» .

إنه ليس من المروءة أن تتمتع أيها الغني بملابس الزينة، وأخوك المسلم يحرقه حر الصيف، ويقرصه برد الشتاء، إنه ليس من المروءة أن تمنع المعونة، وتقبض يديك شحّاً وبخلاً، ومن أبقت عليهم صروف الحياة، في شدة من الضيق، وألم من الإعسار، ألا فاتق الله أيها الغني، وكلف نفسك في تحريك جفنيكَ، وفتح عينيك؛ لترى المحتاجين ماثلين أمامك في غير ما سبيل، وتصور أن ذريتك الضعيفة تدور عليهم رحى الأيام، والأيام قلَّب فيصبحون لا حول لهم ولا قوة ﴿وَلْيَخْشَ الَّذِينَ لَوْ تَرَكُوا مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَافًا خَافُوا عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا اللَّهَ وَلْيَقُولُوا قَوْلاً سَدِيدًا﴾ [النساء: ٩] .

اللهم صل على محمد .....

* * *

ولا تفسدوا في الأرض بعد إصلاحها

الخطبة الأولى

الحمد لله سبحانه ، وضع الخير فيما أحل وأباح ، وجعل السوء فيما حرَّم ومنع ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴾ [المائدة : ٥٠] له دعوة الحق وشرعةُ الصدق ﴿ وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ [الأنعام : ١٥٣] .

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له يضاعف الحسنات ويمحق السيئات ﴿ قُلْ لَا يَسْتَوِي الْخَبِيثُ وَالطَّيِّبُ وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ الْخَبِيثِ فَاتَّقُوا اللَّهَ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ [المائدة : ١٠٠] .

وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله صاحبُ الوجه الأنور والجبين الأزهر ، إمام الأنبياء وسيدُ الحنفاء ، وقائدُ الغر المحجلين ، صلوات ربي وسلامه عليه وعلى آله وأصحابه وأتباعه الذين آمنوا وهُدوا إلى الطيب من القول وهدوا إلى صراط الحميد .

أما بعد:

فيا أيها الناس أوصيكم ونفسي بتقوى الله عز وجل ، فإن تقوى الله دارُ

حصن عزيز، تمنع أهلها، وتُحَرِّزُ من لجأ إليها، وبها تُقطع حُمةُ الخطايا، فهي النَّجاة غدًا، والمنجاة أبدًا، والعاقبةُ للتقوى.

عباد الله:

الشريعة الإسلامية شريعة غراء، سمتُها الجُلَّى، أن يعبد الله وحده في الأرض، انطلاقًا من قواعد قررها الشارعَ الحكيم، متمثلةً في جلب المصالح ودرء المفاسد، وحينما يظهر التعارض بين مفسدة ومصلحة، فإن درء المفاسد مقدم على جلب المصالح، وذلك كله يدور محوره حول ضرورات خمس، أجمعت الأنبياء والرسل قاطبة على حفظها ورعايتها وهي: الدين والنفس والمال والعرض والعقل.

فكل مفسدة يخشى أن تؤتى، من قبل ضرورة من هذه الضرورات، فإنه يجب درؤها، ودفعها أولى من رفعها، وكان على المتسبب فيها، سواء كان هو المنشئ الأول، أو كان مجيبًا لها بعد إماتة، كان عليه من الإثم والوزر، الذي يتجدد عليه بانتشارها، ويتوالى تراكمه في صحيفة أعماله، إبان حياته وبعد وفاته إلى أن يبعث الله من في القبور، ما لو علمه كثير من المحرّضين إلى الشر، والمغذين للانحراف، لآثروا الموتَ في مهدهم، على أن يقعوا في هوة الذنوب والتبعات، ولأجل ذا قال النبي ﷺ: «**من سنَّ في الإسلام سنةً سيئةً فعُمل بها بعده كتب عليه مثلُ وزرِ من عمل بها ولا ينتقصُ من أوزارهم شيء**» رواه مسلم. وفي لفظ لمسلم أيضًا: «**من دعا إلى ضلالة**... الحديث».

فهذان اللفظان عباد الله، صريحان كل الصراحة، في تحريم سنِّ الأمور السيئة وإشاعتها بين الناس، سواء كان ذلك تعليمَ علم، أو عبادة أو أدباً أو غيرَ ذلك، وسواء كان العمل بها في حياته أو بعد مماته ﴿لِيَحْمِلُوا أَوْزَارَهُمْ

كَامِلَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَمِنْ أَوْزَارِ الَّذِينَ يُضِلُّونَهُم بِغَيْرِ عِلْمٍ أَلَا سَاءَ مَا يَزِرُونَ﴾ [النحل: ٢٥] . ﴿وَلَيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ وَأَثْقَالاً مَّعَ أَثْقَالِهِمْ وَلَيُسْأَلُنَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَمَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾ [العنكبوت: ١٣].

ولقد جاء في السنة النبوية، ما يدل على نسبة الأحداث إلى محدثها، وأنه يتحمل إثمه إلى يوم القيامة، جراء ما أوقع فيه غيره من إخلال بنهج الله وشرعته، فمن ذلك قول النبي ﷺ: «**ما من نفس تقتل ظلمًا إلا كان على ابن آدم كفل منها، لأنه أول من سنَّ القتل**» رواه البخاري ومسلم، ويقول ﷺ كما في الصحيحين في قصة صلاة الكسوف: «**رأيت عمرو بنَ لحي يجرُّ قُصبه في النار؛ لأنه أولُ من سيّب السوائب وغيَّر دينَ إبراهيم**».

وقد ذكر أهل العلم رؤوسًا كثيرة، كانت سببًا في الإحداث بين المسلمين، وإضعاف دينهم بما جلبوه في أوساطهم، مما يفرق ولا يجمع، ويضر ولا ينفع، كابن سبأ الذي قتل الخليفة عثمان رضي الله عنه، وعبد الرحمن بن ملجم قاتل علي رضي الله عنه، والجعد بن درهم والجهم بن صفوان، اللذين أدخلا الضلال إلى بلاد المسلمين في أصل عظيم من الدين وهو الاعتقاد.

وكالمأمون الذي أنشأ دار الحكمة والتي ترجم من خلالها كتب فلاسفة اليونان، وناضل عن القول بخلق القرآن، وامتحن الناس في أرواحهم وعقائدهم، حتى قال عنه شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: إن الله لا يغفل عمل المأمون حينما أدخل علم الكلام ونصر القول بخلق القرآن وامتحن الناس فيه، ومن بعدهم كثير وكثير ممن أحدثوا في الدين محدثات سارت بها الركبان، وكان لهم في الإفساد في الدين في سائر جوانبه كما فعل بولس بدين النصرانية، وفي بعض المُثُل كنايةٌ وغنية لمن هم في الفهم فُحُل.

عباد الله:

إننا حينما نذكر مثل ذلك لنؤكد بقوة وعزم، أن الله سبحانه يداول الأيام بين الناس، وأن الفساد والإفساد ماض إلى يوم القيامة، مما يستدعي التحذير والتقريع، من أن يقع مسلم ما في عداد المفسدين في الأرض يبغونها عوجًا من حيث يشعر أو لا يشعر، وأيّاً كان هذا المسلم صغيراً أو كبيراً وضيعًا أو غطريفًا، فالجنة حفت بالمكاره، والنار حفت بالشهوات، وإن فتح مسلم ما باب الإفساد، أو تخليه عن الإصلاح لما أفسد، ليؤكد التبعية عليه، وأن الدين قد يُؤتَى من قبله، يحمل وزرَه ووزر من تبعه، ولقد تمثل ذلك جليّاً، في دعوات النبي ﷺ إلى الناس كافة، وكان التأكيد أقوى، في مخاطبته لزعماء القبائل وملوك الناس، لأن من كان ذا مسئولية ورعاية عظميين، كانت التبعةُ له أعظم، ومن هذا المنطلق، كتب النبي ﷺ كتابًا قال فيه: «**بسم الله الرحمن الرحيم من محمد عبد الله ورسوله إلى هرقل عظيم الروم، سلام على من اتبع الهدى، أما بعد: فإني أدعوك بدعاية الإسلام، أسلم تسلم يؤتك اللهأجرك مرتين، فإن توليت فإنَّ عليك إثم الأريسين**» رواه البخاري.

والمعنى عباد الله: أن عليه إثمَ الضعفاء والأتباع في مملكته، إذا لم يُسلموا تقليدًا له، لأن الأصاغر أتباع الأكابر، بل لقد تعدَّى الأمر إلى أبعد من ذلك، حتى إلى العلماء الذين هم ورثة الأنبياء وأهلُ العلم والذكر، الذين أمروا باستكمال مادة الاجتهاد، الموصلة إلى تقرير المسائل تقريراً شرعيّاً، يوافق الكتاب والسنة، مع الحذر الواعي من أن يكونوا ممن افتتن بالحضارات العالمية، وراجت عندهم شبهةُ تحديث الإسلام ومسايرة الركب التي بها يكون العالمُ غير مأمون العواقب، فيتحولُ من حيث يدري أو لا يدري إلى تسويغ ما لا يستساغ شَرعًا، مما هو معجب به أو معجبٌ به غيرُه،

فيُفتي حين يستفتى، وعينه على من يفتيهم يريد أن يرضيهم، وأن يظفر بتقدير وتقريظ من قلائص الإفرنج وأذنابهم فيجور على الحق إرضاء للخلق، ويَذْهَلُ عما عند الله تعجلاً لما عند الناس، ويغيب عن وعيه حديثُ جابر رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**من أفتي بغير علم كان إثمه على من أفتاه**» رواه أبو داود.

ولقد صدق الله ﴿**فَمَن بَدَّلَهُ بَعْدَمَا سَمِعَهُ فَإِنَّمَا إِثْمُهُ عَلَى الَّذِينَ يُبَدِّلُونَهُ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ**﴾ [البقرة: ١٨١]، ولا غرو عباد الله فالعالم إنما هو موقع عن الله حكْمَه، ولأجل هذا سمى ابن القيم رحمه الله أحد كتبه: أعلام الموقعين عن رب العالمين.

عباد الله:

إن كثيراً من المسلمين، يدورون فيما يعملون حول أنفسهم، فيما يحقق مصالحهم ومنافعهم الخاصة، دون اكتراث بما يرضي الله وما يسخطه، وإن المعاصي المنبثقة من الشهوة على قبحها وسوء مغبتها، إلا أنها أدنى خطورةً وعقوبة من معصية الشبهة التي تقود إلى التغيير في الدين أو التشكيك فيه، أو السعي الدؤوب، في بث ما من شأنه إفساد المسلمين، أو بذر الفرقة بينهم.

أو التطلعُ إلى إرساء قواعد التراجع عن الدين، والتي يسعى إليها غماليج إمَّعون من مرضى القلوبَ المقلدة، لا يُعرف لهم قدمٌ ثابتة مستقرة، ينصرون بها الدين، ويرفعون بها ما خالفه، سيرةُ بعضهم في العمل، تابعةٌ لتربيتهم في محاضن الكفر، وكنف الإلحاد، أو في بيوتهم وحال عُشرائهم من لُداتهم ورفاقهم وجيرانهم، ممن غُسلت أدمغتهُم في دهاليز الكَفر، ممن عناهم المصطفى ﷺ بقوله: «**تجدون الناس معادن خيارُهم في الجاهلية**

خيارهم في الإسلام إذا فقهوا، وتجدون خيار الناس في هذا الشأن أشدَّهم له كراهة وتجدون شر الناس ذا الوجهين الذي يأتي هؤلاء بوجه وهؤلاء بوجه» رواه الشيخان .

فترونهم عباد الله يجمعون بين الضلال والإسلام، بين حب ما عليه الغربُ الكافر، وبين الانتساب إلى الإسلام، بل منهم من يصلي ويصوم؛ لأنه تربى على ذلك، ولكن دفعه إليه كونُه منهومَ المال أو مفتونَ الجاه، أو رائمًا شهوات مشبوهةً، مدغمٌ بعضها في بعض، مغلوبٌ في لزوم انتمائه للدين، لكنه إذا تجرع آدابه لم يكد يُسيغها إلا متهوعًا .

ولا جرم عباد الله ، فالمرء مع من يخاللُ ويعاشر، والشيء من معدنه لا يستغرب ﴿ **وَالْبَلَدُ الطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَبَاتُهُ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَالَّذِي خَبُثَ لا يَخْرُجُ إِلاَّ نَكِدًا** ﴾ [الأعراف: ٥٨]، وتلك العصا من تلكم العُصية، ولا تلد الحيةُ إلا حويَّة؛ فمن هؤلاء وأمثالهم ينبغي الحذرُ والتوقي، وألا نغترَّ بكونهم من بني جلدة المسلمين، ويتكلمون بلغتهم، فلقد جاء في صحيح مسلم من حديث حذيفة ابن اليمان رضي الله عنه أنه قال: «كان الناس يسألون رسول الله ﷺ عن الخير وكنت أسأله عن الشر مخافة أن يدركني فقلت: يا رسول الله ، إنا كنا في جاهلية وشر، فجاءنا الله بهذا الخير فهل بعد هذا الخير شر قال: «**نعم**»، فقلت: هل بعد ذلك الشر من خير قال: « **نعم وفيه دخن**»، قلت: وما دخنه؟ قال: «**قوم يستنون بغير سنتي ويهدون بغير هديي تعرف منهم وتنكر**»، فقلت: هل بعد ذلك الخير من شر قال: «**نعم ؛دعاة على أبواب جهنم من أجابهم قذفوه فيها** »، فقلت: يا رسول الله، صفهم لنا قال: «**نعم؛ قوم من جلدتنا ويتكلمون بألسنتنا** ...»الحديث، وفي لفظ لمسلم أيضًا: «**وسيقوم فيهم رجال قلوبهم قلوب الشياطين في جثمان إنس**».

ولقد صدق الله: ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ لَا يُنصَرُونَ (٤١) وَأَتْبَعْنَاهُمْ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ هُم مِّنَ الْمَقْبُوحِينَ﴾ [القصص: ٤١، ٤٢].

وللمستفهم أن يقول: كيف يكون بعض المسلمين دعاةً على أبواب جهنم؟

فالجواب: هو أنهم كذلك ببثهم الفساد والانحراف، وإشاعة الفاحشة، وما يثير الغرائز الكامنة، في مثل صور فاتنة، أو مقالات تخدش الحياء وتبرز القحة، من خلال الصحافة مثلاً، أو في مجال التعليم، بزرع المبادئ الهدامة بين الطلاب من خلال كوادرَ غير أمينة أو من خلال منظري التطوير التعليمي في سائر البقاع، فيما يقدِّمونه من الحدِّ والتقليص لما يقوِّي صبغة الله في نفوس الطلاب ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ صِبْغَةً﴾ [البقرة: ١٣٨].

أو التقليل من شأن العلوم الدينية في مقابل الحرص الدؤوب على تكثيف ما عداها من علوم مادية أو رياضية، لا يحتاج إلى معظمها الذكي، ولا يستفيد منها البليد، أو في مجال أجهزة الرائي المنتشرة، مقمرة كانت أو مشفرة، من التفنن في نشر الانحراف ما بين حب وهوى، وفنون ومجون أو هدم لأساسات شرعية قررها الإسلام، كمحاربته تعدد الزوجات وتشويه صورته، أو التحضيض على أن يلاقي الخطيب مخطوبته في خلوة محرمة، أو التعويد على إلفة الاختلاط بين الجنسين. ومن ثم هذا سارق يعلمون الناس كيف يتخلص من عقوبة السرقة، وهذه زوجة خائنة يصورون فكاكها من غيرة زوجها بالتضليل عليه، وتلك زانية تشجِّع على الزنا بإشاعة طرق الإجهاض أو التخلص من الثيوبة.

كل هذه الصور عباد الله: إنما هي مشاهد متكررة، تُبث على مدار اليوم

والليلة، ولا يخلو منها قطر ولا يكاد، فكم من مشهد يبث على الملايين من المسلمين في كافة الأقطار يشاهدونه بمرة واحدة، فإذا استقر في وعيهم وطافت به الخواطر والأفكار، سلبهم القرار والوقار، فمثلوه ملايين المرات، بملايين الطرق، في ملايين الحوادث.

فلا تعجبوا حينئذ عباد الله: إذا لم تجدوا إلا واضعًا كف حائر على ذقن أو قارعًا سن نادم ومن ثم تستمرئها النفوس الضعيفة رويدًا رويدًا، إلى أن تلغ في حمئها وهي لا تشعر، فإذا ألفتهاالنفس، لم تكدْ تتحولُ عنه إلا في صعوبة بالغة، بعد لأىً وشدائد، لكنها في الوقت نفسه تفقد خصائصها التي تميزها، ثم تموع وتذوب، وبعد ذلك فما لجرح بميت إيلام، وإذا لم يغبِّر حائط في وقوعه فليس له بعد الوقوع غبار، حتى تقع في أتون الفتن فتحترق بلا لهب.

والأمة المسلمة يجب أن تكون متبوعة لا تابعة، وقائدة لا منقادة، فالترك للتبعية هو النجاة منها، لم يُر أنها لنا منها عنها، ومستقبل المسلمين يجب أن يصنع في بلادهم وعلى أرضهم وداخل سياج الدين والشريعة، وعليهم جميعًا أن يكفوا عن أخلاق التسول بكل صنوفه، سياسةً واقتصادًا وأخلاقًا ومقدرات.

ويجب ألا نغتر بما نراه، من زخرف الحياة الدنيا وزينتها في أمة قد تقطعت روابطها وانفصمت عراها ﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِّنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ﴾ [طه: ١٣١].

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم، وقد قلت ما قلت إن صواباً فمن الله وإن خطأ فمن نفسي والشيطان، وأستغفر الله فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية

الحمد لله حمدًا كثيرًا طيبًا مباركًا فيه كما يحب ربنا ويرضى وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى أصحابه وآله الأتقياء البررة وعلى من تبع طريقهم إلى يوم الدين.

أما بعد:

فاتقوا الله عباد الله ثم اعلموا أنه من المتحتم علينا أن يُشار إلى نوع القضية التي يراد علاجها، وهي أن المسلمين بجميع قُواهم، دينيةً كانت أو اجتماعيةً أو ما شاكلها، في مأزق حرج، وهناك قوى آخذةٌ بدفعه من على جرف هار إلى الهوة السحيقة، وهناك قوى أصيلة أولية، آخذة بتمكينه في الأرض من جهة، وبرد العادية عنه من جهة أخرى.

وهذه العادية كان ينظر إليها من قبل أزمان قريبة أنها آتية من أجنبي عن المسلمين، ولكن الذي ظهر أنها نشأت في بيوتات المسلمين وعقر دارهم. والحكمةُ عباد الله ضالةُ المؤمن وهي تحتم علينا جميعًا أن نزداد عبرةً وتبصرة بالحال، فكما أن المريض، الذي يتثاقل عن الأخذ بأسباب علاجه يسبب لدائه تمكينًا، فكذلك السكوت والصمت والتهاون، من قبل من له حق التبيين والتوضيح، من ولاة أمر وعلماء ودعاة، بل إن سكوتَ من له حق، وحراكَ من لا حق له، بل إن التحمس للباطل والتراخي في الحق، لهو موجب لاستشراء الداء، وسيحل بكثير من الأقوام الندمُ ولات ساعة مندم.

ثم ليعلم الضعفاءُ والمغفلون من أمتنا، الذين يحاولون في تبيعتهم وإعجابهم بما عند الأجنبي، أن يؤلفوا الأمة على خلق جديد ينتزعونه ممن أعجبوا بحضارتهم، ألا فليعلموا أن الخُلق الطارئ لا يرسخ، بمقدار ما يُفسد من الأخلاق الراسخة، وإذا كان البعضُ يشعر في قرارة نفسه أنه لا بد للأمة في نهضتها من أن تتغير، فإن رجوعنا إلى كتاب ربنا وسنة نبينا ﷺ أعظمُ ما يصلح لنا من التغير، وما نصلح به منه ﴿إِنَّ اللَّهَ لا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءًا فَلا مَرَدَّ لَهُ وَمَا لَهُم مِّن دُونِهِ مِن وَالٍ﴾ [الرعد: ١١]

وإذا تقاصر المرءُ عن إبانة الحق، فلا أقلَّ من الاجتناب لكلمة الباطل، كما أن المرء المسلم إذا لم يستطع أن يكون مصلحًا فلا أقلَّ من أن يصون نفسه عن أن يكونَ معولَ هدمٍ أو ابن دهليز لكل لاقط.

فليتق المرء ربه، ولينظر قبل الإحداث في أي مزلة يضع قدمه، وهولا يدري ما الذي يوضع له في ميزان سيئاته مما ليس في حسابه ولا شعر أنه عمله، فنقول له ولأمثاله: رويدكم مهلاً وعلى رسلكم، إنها الهاوية وما أدراكم ماهيه نار حامية، ﴿وَلا تُفْسِدُوا فِي الأَرْضِ بَعْدَ إِصْلاحِهَا وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ﴾[الأعراف: ٥٦].

اللهم صل على محمد .....

* * *

السعادة المنشودة

الخطبة الأولى

الحمد لله ربّ العالمين الرحمن الرحيم مالك يوم الدين، هو الأول والآخر والظاهر والباطن له الحمد في الأولى والآخرة وله الحكم وإليه ترجعون، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد، لا إله إلا هو يحيي ويميت وهو حي لا يموت بيده الخير وهو على كل شيء قدير، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله وصفيه وخليله وخيرته من خلقه، بلغ الرسالة وأدى الأمانة ونصح الأمة، وجاهد في الله حقّ جهاده، فصلوات ربي وسلامه عليه وعلى آله الطيبين الطاهرين وعلى أصحابه والتابعين ومن تبعهم بإحسان ما تعاقب الليل والنهار.

أما بعد:

فأوصيكم أيها الناس ونفسي بتقوى الله عز وجل، اتقوه واعبدوه وأنفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه، ولا تلبسوا الحقَّ بالباطل وتكتموا الحقَّ وأنتم تعلمون، افعلوا الخير واسجدوا لربكم واركعوا مع الراكعين.

أيها المسلمون:

لا يُعرف مفقود ، تواطأ الناس على البحث عنه ، والإعياء في طلابه ، وهم مع ذلك يسيرون في غير مساره ، ويلتمسونه في غير مظانه ، مثلُ السعادة والطمأنينة والبال الرخي ، فلله ما أقلّ عارفيها ، وما أقلّ في أولئك العارفين من يقدِّرُها ويغالي بها ويعيش لها .

بل لو غُلغل النظر في بعض عارفيها ، لما وُجد إلا حقّ قليل ، يكتنفه باطل كثيف ، حقّ يُعرف في خفوت ، كأنه نجمة توشك أن تنطفئ في أعماء الليل ، وما أكثر العواصف التي تهُبُّ علينا وتملأ آفاقنا بالغيوم المرعدة ، وكم يُواجَهُ المرءُ منا بما يكره ، ويُحرمُ ما يشتهي ، وهنا يجيء دور السعادة التي تطارد الجزع ، والرضا الذي ينفي السخط .

السعادة التي تسير مع الإنسان حيث استقلت ركائبه ، وتنزل إن ينزل وتدفن في قبره ، السعادة التي يعبّر عنها شيخ الإسلام ابنُ تيمية رحمه الله في أوج إحساسه بها : «ما يفعل بي أعدائي إن سجني خلوة ، وإن قتلي شهادة ، وإن تشريدي سياحة في سبيل الله » .

إن الحديث عن السعادة والشقاء ، سيظل باقيًا ما دام في الدنيا حياة وأحياء ، وإن كل إنسان على هذه البسيطة ليبحث عنها جاهدًا ، ويودّ الوصول إليها والحصول عليها ولو كلفه ذلك كل ما يملك ، ألا وإن جمعًا من الواهمين يهرفون بأن السعادة لا حقيقة لها ، وأنها خيال يبتدعه الوهم ويكذبه الواقع .

والحق عباد الله ، أن هؤلاء جاهلون أو مخادعون ؛ لأنه لا يعقل ألبتة أن يخلقنا اللهُ ثم يريد لنا أن نشقى جميعًا ، كيف ذلك ، والله يقول لنبيه ﷺ : ﴿ طه ۝١ مَا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَىٰ ﴾ [طه : ١ ، ٢] ، ويقول : ﴿ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي

هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلا يَضِلُّ ولا يَشْقَىٰ﴾ [طه: ١٢٣].

السعادة عباد الله هي جنة الأحلام، التي ينشدها كل البشر، من المثقف المتعلم في قمة تفكيره وتجريده، إلى العامي في قاع سذاجته وبساطته، ومن السلطان في قصره المشيد، إلى الصعلوك في كوخه الصغير يعيش على تراب الإملاق، ولا نحسب أحداً منهم يبحث عمداً عن الشقاء لنفسه أو يرضى بتعاستها.

أيها المسلمون:

إن العبد بغير إيمان مخلوق ضعيف، وإن من ضعفه أنه إذا أصابه شر جزِعَ، وإذا أصابه خير منع، وهو في كلتا الحالين قلق هلع ﴿إِنَّ الإِنسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا﴾ ﴿إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا ﴿٢٠﴾ وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا ﴿٢١﴾ إِلاَّ الْمُصَلِّينَ﴾ [المعارج: ١٩-٢٢].

إن فقدان السعادة من قلب المرء، يعني بداهة، حلول القلق والاضطراب النفسي في شخصه، فتجتمع عليه السباع الأربعة، التي تهد البدن وتوهنه، فضلاً عن كونها تحلق سعادته وتقصر اطمئنانه، ألا وهي الهم والحزن والأرق والسهر.

ولا أشدّ عباد الله، من وقوع الهم في حياة العبد، إذ هو جند من جنود الله عز وجل سلطه على من يشاء من عباده ممن كان ضعيف الصلة بالله، خويَّ الروح، مرتعًا للمعاصي والذنوب ﴿وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾ [الفتح: ٧].

ولقد سئل علي بن أبي طالب رضي الله عنه وأرضاه: من أشدُّ جند الله؟ قال: «الجبال، والجبال يقطعها الحديد؛ فالحديد أقوى، والنار تذيب الحديد؛ فالنار أقوى، والماء يطفئ النار؛ فالماء أقوى، والسحاب يحمل

الماء؛ فالسحاب أقوى، والريح تعبث بالسحاب؛ فالريح أقوى، والإنسان يتكفأ الريح بيده وثوبه فالإنسان أقوى، والنوم يغلب الإنسان؛ فالنوم أقوى، والهم يغلب النوم؛ فأقوى جند الله هو الهم يسلطه الله على من يشاء من عباده».

فالمفهوم إذًا عباد الله أن السعادة والطمأنينة عطاءٌ من الله ورحمة، كما أن الهم والقلق والضيق غضبٌ من الله ومحنة، فقد يلتقي الملتقيان يتواجهان النفس بالنفس، وبينهما من الفوارق كما بين السماء والأرض، بل وفي أحلك الظروف، وحين تدلهم الخطوب يظهر البون شاسعًا بين موفق سعيد يُغبط، وبين هلع جزع يتعوذ بالله من حاله، ولقد ذكر الله مثل هذا في كتابه الحكيم عن غزوة أحد حينما ألقى النوم والنعاس على المؤمنين، في حين إن القتال قائم بعد سويعات ﴿ثُمَّ أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّنْ بَعْدِ الْغَمِّ أَمَنَةً نُّعَاسًا يَغْشَىٰ طَائِفَةً مِّنكُمْ﴾ [آل عمران: ١٥٤]، والنعاس في هذه الحال دليل على الأمن والأمان، لمن كانوا جازمين بأن الله سينصر رسوله، وينجزُ له مأموله، ولهذا قال عن الطائفة الأخرى: ﴿وَطَائِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنفُسُهُمْ يَظُنُّونَ بِاللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ يَقُولُونَ هَل لَّنَا مِنَ الْأَمْرِ مِن شَيْءٍ﴾ [آل عمران: ١٥٤]؛ أي من القلق والجزع والخوف، وهذا شأن أهل الريب والشك، يعيشون بين (لو) المتندمة و(ليت) المتحسرة.

عباد الله:

إن السعادة عبارة يتوهم معظم الناس في تفسيرها ولا يتفقون عليها، يجلبون بخيلهم ورجلهم على ما يتوهمونه، ثم يعودون بخفي حنين وكأنهم خَرف يكلم الأشباح، أو يطعن في الرياح، فصاروا كطالب اللؤلؤ في الفَلاه، مجهود البدن كسير النفس خائب الرجاء. فظن الغني منهم أن سعادته كامنة في صحته وعمارة قصره، وتوهمها الفقير في الثروة والملبس

الحسن، وأكد السياسي أنها في تحقق الأهداف، والمهارة في جعل الجور عدلاً والقوة شرآ، وجزم العاشق على أنها في الوصال والتيم بمعشوقه، وعند فلان كذا وعند علان هي ذا. . .

ولكن المنصفَ المُلهمَ عباد الله حينما يبرق بعيني بصيرته ليعلمُ يقينًا سخف التخمين وسُحقَ الهوة التي يقع فيها أصحاب الأوهام المعلولة؛ فإذا بالغني يرى أن قصره المشيد قد شاطرَه السعادةَ الموهومة فيه، خدمُه وحشمه بل وكلبُ حراسته وفيلُه، فتأكد له جيداً، أن السعادة لا تتمثل في بناء الدور وتشييد القصور، وإذا بالفقير المرهق، ينظر إلى أصحاب الثروة واللباس الفاخر ملتاثين بطيف سعادة، إنما هي رجع ضوء منعكس على سحابة عما قريب ستنقشع؛ فيقول في قرارة نفسه: هذا القطن الذي يلبسونه، كان في الغابة على الأشجار، والحريرُ الذي يباهون به في بطن دودة تعيش في الأوكار، أما الحليُّ الذي يلبسونه فقد كان وسط أحجار ينقلها بغل أو حمار، فيتيقن حينئذ أن السعادة الحقة، قد تمثلت في مثل شخص الفاروق رضي الله عنه في حينٍ إن البردة تكسوه مرقعة، والزيت أدم له والكوخ مأواه، ومع ذلك يهتز كسرى على كرسيه فرقًا من خوفه وملوك الروم تخشاه.

فالسعادة إذًا يارعاكم الله، ليست في وفرة المال ولا سطوة الجاه، ولا كثرة الولد، ولا حسن السياسة، السعادة أمر لا يقاس بالكم ولا يشترى بالدنانير، لا يملك بشر أن يعطيها، كما أنه لا يملك أن ينتزعها ممن أوتيها.

السعادة دين يتبعه عمل، ويصحبه حمل النفس على المكاره، وجبلها على تحمل المشاق والمتاعب، وتوطينها لملاقاة البلاء بالصبر، والشدائد بالجلد، والسعيد من آثر الباقي على الفاني ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ

﴿سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا﴾ [مريم: ٩٦]، ﴿ذَلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى الْقُلُوبِ﴾ [الحج: ٣٢].

السعادة أيها المسلمون هي الرضا بالله والقناعة بالمقسوم والثقةُ بالله واستمداد المعونة منه، ومن ذاق طعم الإيمان ذاق طعم السعادة، قال رسول الله ﷺ: «**ذاق طعم الإيمان من رضي بالله رباً وبالإسلام دينًا وبمحمد رسولاً**» رواه مسلم.

ولذا فإن من أضاع نعمة الرضا، أصابه سعار الحرص والجشع؛ فهو يطمع ولا يقنع ويجمع ولا يدفع، يأكل كما تأكل الأنعام، ويشرب كما تشرب الهيم، ولقد صدق رسول الله ﷺ؛ حيث يقول: «**من سعادة ابن آدم رضاه بما قضى الله، ومن شقاوة ابن آدم سخطه بما قضى الله**» رواه الترمذي.

ولقد كتب الفاروق إلى أبي موسى الأشعري رضي الله عنهما يقول له: «أما بعد، فإن الخير كله في الرضى، فإن استطعت أن ترضى وإلا فاصبر».

إذًا يا عبد الله، لا تخش غمّاً ولا تشك همّاً، ولا يصبك قلق ما دام أمرك متعلقًا بقول الله جل وعلا في الحديث القدسي: «**أنا عند ظن عبدي بي وأنا معه إذا ذكرني، فإن ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي، وإن ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خيرٍ منه**» رواه البخاري ومسلم.

بهذا الحديث وأمثاله بدت السعادة في وجوه السعداء، والتي يعبر عنها من أحسّ بنشوتها من أئمة الإسلام فيقول: «إننا نحس بسعادة لو علم بها الملوك وأبناء الملوك لجالدونا عليها بحدّ سيوفهم».

السعادة التي يمثلها من يغدو في خمائلها ويقول: «إنه لتمر علي ساعات أقول فيها: لو كان أهل الجنة في مثل ما أنا فيه الآن لكانوا إذًا في عيش طيب».

إن أمثال هؤلاء هم الذين ابتسموا للحياة حينما كشرت عن أنيابها، واستقبلوا الآلام بالرضى والتسليم، اللذين يحولانها إلى نعمة تستحق الشكر والحمد، على حين إنها عند غيرهم مصائبُ تستوجب الصراخ والعويل.

فإذا كانت السعادة شجرةً منبتها النفس البشرية فإن الإيمان بالله وملائكته ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره، هو ماؤها وغذاؤها وهواؤها وضياؤها ﴿ الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ اللَّهِ أَلا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ ﴿٢٨﴾ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ طُوبَىٰ لَهُمْ وَحُسْنُ مَآبٍ ﴾ [الرعد: ٢٨، ٢٩].

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم .....

الخطبة الثانية

الحمد لله على إحسانه، والشكر له على توفيقه وامتنانه، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له تعظيمًا لشأنه، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله الداعي إلى رضـــوانه صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وصحبه وإخوانه.

أما بعد:

فاتقوا الله عباد الله واعلموا أن العلم الذي يُبصر ويهدي، والهمةَ التي تحفز وتُرقّي، إنما هما في الحقيقة مفتاحا مراتب السعادة والفلاح، وإنما تفوت هذه المراتب العبد من هاتين الجهتين أو من إحداهما، فإما ألا يكونَ له علم بها، فلا يتحركُ في طلبها، أو يكونَ عالمًا بها ولا تنهض همته إليها ﴿فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾ [آل عمران: ١٥٩].

ألا فاعلموا عباد الله أن لفقدان السعادة أبوابًا ينبغي إحكام إغلاقها وكشف عوراتها، فمن ذلك الغناء مزمار الشيطان، ورقيةُ الزنا، الذي ينبت النفاق والقلق كما ينبت الماء الكلأ، يقول الله فيه: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ﴾ [لقمان: ٦] ولقد أقسم ابن مسعود رضي الله عنه ثلاثًا على أنه الغناء.

كما أن من مهلكات السعادة، جعل البيت المسلم محلاً لمردَة الجنّ وبعد الملائكة، وذلك بنشر الصور التي حرمها الشارع على جدرانه وفي فنائه، ورسول الله ﷺ يقول: «**لا تدخل الملائكة بيتًا فيه كلب أو صورة**» فما بال

الكثيرين يغلقون أبوابهم في وجوه الملائكة ويستدعون أسباب الشقاء والقلق ثم هم ينشدون السعادة بعد ذلك.

وبعد عباد الله فإن من أبواب الشقاء: الذنوبَ والمعاصي التي قال عنها المصطفى ﷺ: «**إن العبد ليحرم الرزق بالذنب يصيبه**» رواه أحمد. وقد قال الإمام أحمد رحمه الله في مسنده: «وجد في خزائن بني أمية حنطة، الحبةُ بقدر نواة التمر وهي في صرة مكتوب عليها: هذا كان ينبت في زمن العدل».

ولذا عباد الله، فإن سعادة القلب، المثمرةَ بركةَ الرزق منوطةٌ بالطاعة والتقوى، ولقد جاء عند مسلم في صحيحه في وصف المهدي المنتظر الحديث وفيه: «**ويقيم الدين الذي بعث الله به رسوله، وتُخرج الأرضُ بركتها وتعود كما كانت، حتى إن العصابة من الناس ليأكلون الرمانة ويستظلون بقحفها - أي قشرها - ويكون العنقود من العنب حمل بعير..**» الحديث.

ومن أسباب القلق أيها المسلمون التهاونُ بشأن الصلاة أو التقليلُ منها، ورسول الله ﷺ يقول: «**وجعلت قرة عيني في الصلاة**» رواه أحمد والنسائي.

«وكان ﷺ إذا حزبه أمر واشتد عليه لجأ إلى الصلاة» رواه أحمد وأبو داود. ثم إن ترك الذكر والدعاء والاستغفار، مُحلّ للشقاء والهم والحزن، ولذا كان لزامًا على من ينشد السعادة ألا يُغفلَ هذا الأمر المهم، بل عليه أن يمسك بزمامه، ويَعضَّ عليه بالنواجذ، وليستحضر قول النبي ﷺ: «**من لزم الاستغفار جعل الله له من كل هم فرجًا، ورزقه من حيث لا يحتسب**» رواه أبو داود والنسائي.

«ولقد دخل رسول الله ﷺ المسجد ذات يوم فإذا هو برجل من الأنصار يقال له: أبو أمامة فقال: «**يا أبا أمامة، مالي أراك جالسًا في المسجد في غير وقت الصلاة؟**» قال: هموم لزمتني وديون يا رسول الله . قال: « **أفلا أعلمك كلامًا إذا قلته أذهب الله همك وقضى عنك دينك**» قال: بلى يا رسول الله، قال: «**قل إذا أصبحت وإذا أمسيت : اللهم إني أعوذ بك من الهم والحزن، وأعوذ بك من العجز والكسل، وأعوذ بك من الجبن والبخل ، وأعوذ بك من غلبة الدين وقهر الرجال**». قال أبو أمامة: ففعلت ذلك، فأذهب الله همي وقضى عني ديني» رواه أبو داود.

اللهم صل على محمد .....

* * *

وألَّوِ استقاموا على الطريقة لأسقيناهم ماءً غدقًا

الحمد لله الذي جعل الحمد مفتاحًا لذكره، وسببًا للمزيد من فضله، ودليلاً على آلائه وعظمته، أمْرهُ قضاءٌ وحكمة، ورضاهُ أمانٌ ورحمة، يقضي بعلمه، ويعفو بحلمه، نحمدك اللهم على ما تأخذُ وتعطي، وعلى ما تعافي وتبتلي، الحمد لك يارب؛ إذ لم تصبحْ بنا ميتين ولا سقماء ولا مضروبين على عروقنا بسوء، ولا مقطوعًا دابرنا، ولا مرتدين عن ديننا، ولا منكرين لربنا، ولا مستوحشين من إيماننا، ولا معذَّبين بعذاب الأمم من قبلنا، أصبحنا عبيدًا مملوكين لك، لك الحجةُ علينا، ولا حجة لنا عليك، لا نقدر أن نأخذ إلا ما أعطيتنا ولا أن نتقي إلا ما وقيتنا.

نحمدك اللهم على آلائك، كما نحمدك على بلائك، شرنا إليك صاعد، وخيرُك إلينا نازل، نستعين بك يا الله، على هذه النفوس البطَاء عما أمرتْ به، السراعِ إلى ما نُهيتْ عنه، ونستغفرك اللهم مما أحاط به عَلمُك، وأحصيته في كتابكَ، علمٌ غيرُ قاصر، وكتابٌ غيرُ مغادر.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمدًا عبدهُ ورسوله، شهادتين تُصعدانِ القول، وترفعان العمل، لا يخفّ ميزانٌ توضعان فيه،

ولا يرْجحُ ميزان ترُفعان عنه، صلوات ربي وسلامه على مصطفاه، وعلى آله الأتقياء البررة، وعلى من سار على طريقهم واقتفى أثرهم إلى يوم المعاد، نستغفر الله، نستغفر الله، نستغفر الله، اللهم إنا نستغفرك إنك كنت غفارًا، فأرسل السماء علينا مدرارًا، وأمددنا بأموال وبنين واجعل لنا جنات واجعل لنا أنهارًا.

أما بعد:

فأوصيكم أيها الناس ونفسي بتقوى الله عز وجل، التي هي الزاد وبها المعاد، زاد مبلِّغ، ومعادٌ منجح، دعا إليها أسمعُ داع، ووعاها أفقهُ واعٍ، فأسمع داعيها، وفاز واعيها.

عباد الله:

إن تقوى الله سبحانه، حمت أولياءَ الله محارمه، وألزمت قلوبهم مخافته، استقربوا الأجل فبادروا العمل، وكذَّبوا الأملَ فلاحظوا الأجل، ثم إن الدنيا دارُ فناء وعناء، وإن ملكَ الموت لموتر قوسَه لا تخطئُ سهامُه ولا تُواسى جراحه، فبادِروا العمل وخافوا بغتة الأجل، فإنه لا يرجى من رجعة العمر ما يُرجى من رجعة الرزق، فإن الرجاء مع الجائي، واليأس مع الماضي.

وإن من العناء عباد الله، أن يجمع المرءُ ما لا يأكل، ويبني ما لا يسكن، ثم يخرج إلى الله لا مالاً حمل ولا بناءً نقل. فسبحان الله، ما أغرَّ سرورَ الدنيا، وأظمأ ريَّها، وأضحى فيئَها، فلا جاءٍ يُرد ولا ماضٍ يرتد.

أيها الناس:

إنه ليس شيء بشَرّ من الشر إلا عقابُه، وليس شيء بخير من الخير إلا

ثوابُه، واعلموا يرعاكم الله أن ما نقص من الدنيا وزاد في الآخرة خير مما نقص من الآخرة وزاد في الدنيا، فكم من منقوصٍ رابح، وكم من مزيد خاسر، ألا وإن الذي أمرتم به، أوسع من الذي نهيتم عنه، وما أحل لكمً أكثر مما حرم عليكم، فذروا ما قلّ لما كثر، وما ضاق لما اتسع.

نستغفر الله، نستغفر الله، نستغفر الله، اللهم إنا نستغفرك إنك كنت غفاراً، فأرسل السماء علينا مدراراً.

أيها الناس:

إن خير ما ألقي في الضمائر يقينٌ بالله يرسخ في القلوب الرواسي، وإيمان صادق، بكفاية الله لعباده، يدفعهم إلى تقديم مرضاة ربهم على رضاء خلقه وعبيده، وعلى النقيض من ذلك، فئام ضعف فيهم اليقين بالله، فأرضوا الناس بسخط الله، وجاملوهم في معاصي الله وتعلقوا بهم، واشتغلوا عن ربهم رغبةً منهم في نوال حطام الدنيا، أو خوفًا من سطوة ساط أو بغي باغٍ، فحذارِ حذارِ من مثل صَنيع هؤلاء حذار. قال ابن مسعود رضيَ الله عنه: «إن الرجلَ ليخَرج من بيته ومعه دينُه فيلقَى الرجل وله إليه حاجة، فيقول له: أنت كيت وكيت ـ يثني عليه ـ لعله أن يقضي من حاجته شيئًا، فيسخطُ الله عليه، فيرجعُ وما معه من دينه شيء».

قال حكيم بنُ حزام: «بايعنا رسولُ الله ﷺ على أن لا نسأل الناس شيئًا» رواه مسلم. حتى إن الرجل من الصحابة ليسقطُ سوطه من على راحلته فينزل فيأخذُه لا يسألُ أحدًا أن يناوله إياه.

عباد الله:

في أعقاب الزمن تنتكس الفطر، وتُدرس المعالم الشرعية، كما يُدرس وشي الثوب إلا ما شاء الله، وإنه ما من زمان يأتي إلا والذي بعده شر منه

حتى تلقوا ربكم، وإنكم ستعرفون من الناس وتنكرون حتى يأتي على الناس زمن ليس فيه شيء أخفى من الحق، ولا أظهر من الباطل، ولا أكثر من الكذب على الله ورسوله، حتى أصبح الكتابُ والسنةُ في الناس وليسا فيهم، ومعهم وليسا معهم فاجتمع أقوام على الفرقة، وافترقوا عن الجماعة، كأنهم أئمة الكتاب وليس الكتابُ إمامهم.

ألا فاعلموا عباد الله، أن من استنصح الله وفّق، ومن اتخذ قوله دليلاً هدي للتي هي أقوم، وإنه لا ينبغي لمن عَرَف عظمة الله أن يتعاظم، فإن رفعة الذين يعلمون ما عظمتُه أن يتواضعوا له، وسلامة الذين يعلمون ما قدرتُه أن يستسلموا له، فلا تنفروا من الحق عباد الله، نفار الصحيح من الأجرب، والبارئ من ذي السُقَم، فالتمسوا الرشد -رَعاكم الله- من عند أهله، فإنهم عيش العلم وموت الجهل، لا يخالفون الدين، ولا يختلفون فيه، فهو بينهم شاهد وصادق، وصامت ناطق ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ﴾ [السجدة: ٢٤].

نستغفر الله، نستغفر الله، نستغفر الله، اللهم إنانستغفرك إنك كنت غفارًا فأرسل السماء علينا مدرارًا.

أيها المسلمون:

إن الله سبحانه، يبتلي عباده عند الأعمال السيئة، بنقص الثمرات، وحبس البركات، ليتوب تائب، ويقلع مقلع، ويتذكر متذكر، ويزدجر مزدجر، وقد جعل الله سبحانه الاستغفار سببًا لدرور الرزق، ورحمة الخلق فقال: ﴿اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا ﴿١٠﴾ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ﴿١١﴾ وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَارًا﴾ [نوح: ١٠ - ١٢]، قرأها الفاروق رضي الله عنه من على المنبر يستسقي ثم قال: «لقد

طلبت الغيث بمجاديح السماء التي يُستنزلُ بها المطر».

فما لبعض الناس لا يرجون لله وقارًا وقد خلقهم أطوارًا، فرحم الله امرأ استعجل توبته، واستقل خطيئته، وبادر منيته.

روى البيهقي وابن ماجه، من حديث ابن عمر رضي الله عنهما قال: «كنت عاشر عشرة رهط، من المهاجرين عند رسول الله ﷺ فأقبل علينا بوجهه فقال: **«يا معشر المهاجرين، خمس خصال أعوذ بالله أن تدركوهُن؛ ما ظهرت الفاحشة في قوم حتى أعلنوا بها إلا ابتلوا بالطواعين والأوجاع التي لم تكن في أسلافهم الذين مَضَوْا، ولا نقص قوم المكيال إلا ابتلوا بالسنين وشدة المؤنة وجور السلطان، وما منع قوم زكاة أموالهم، إلا مُنعوا القطر من السماء، ولولا البهائم لم يمطروا، ولا خفر قوم العهد إلا سلط الله عليهم عدواً من غيرهم، فأخذوا بعض ما في أيديهم، وما لم يعمل أئمتهم بما أنزل الله في كتابه إلاجعل الله بأسهم بينهم»**.

وقال أبو هريرة رضي الله عنه: «إن الحبارى لتموت في وكرها من ظلم الظالم».

وقال مجاهد رحمه الله: «إن البهائم تلعن عصاة بني آدم إذا اشتدت السنةُ وأمسك المطر، تقول هذا بشؤم معصية ابن آدم».

ألا فاتقوا الله عباد الله، واعلموا أن الأرض التي تحملكم والسماء التي تظلكم مطيعتان لربكم، فلا تمسكان بخلاً عليكم ولا رجاء ما عندكم، ولا تجودان توجعًا لكم ولا زلفى لديكم، ولكن أمرتا بمنافعكم فأطاعتا، وأقيمتا على حدود مصالحكم فقامتا ﴿**ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ**﴾ [فصلت: ١١].

قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: «إنه ليس من عبد إلا له مصلى في الأرض، ومصعدُ عمله من السماء ثم قرأ: ﴿فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ وَمَا كَانُوا مُنظَرِينَ﴾ [الدخان: ٢٩]».

نستغفر الله، نستغفر الله، نستغفر الله، اللهم إنا نستغفرك إنك كنت غفارًا فأرسل السماء علينا مدرارًا وأمددنا بأموال وبنين واجعل لنا جنات واجعل لنا أنهارًا.

اللهم أنت الله لا إله إلا أنت، أنت الغني ونحن الفقراء، أنزل علينا الغيث ولا تجعلنا من القانطين، اللهم إنا خرجنا إليك من تحت البيوت والدور، وبعد انقطاع البهائم وجدب المراعي، راغبين في رحمتك، وراجين فضل نعمتك، اللهم قد انصاعت جبالنا، واغبرت أرضنا، اللهم فارحم أنين الآنة، وحنين الحانة، اللهم فاسقنا غيثك ولا تجعلنا من القانطين، ولا تهلكنا بالسنين، اللهم إنا خرجنا إليك، حين اعتكرت على إخواننا مواقعُ القطر، وأخلفتهم مخائل الجود، فكنت الرجاء للمبتئس والمجيب للملتمس.

اللهم انشر علينا وعليهم رحمتك بالسحاب، سحّاً وابلاً، غدقًا مغيثًا، هنيئًا مريئًا مريعًا مجللاً نافعًا غير ضار، اللهم لتحيي به ما قد مات، وتردَّ به ما قد فات، وتُنْعشَ بها الضعيفَ من عبادك وتحيي بها الميت من بلادك، اللهم سقيا هنيئة، تروي بها القيعان، وتسيلُ البطان وتستورقُ الأشجار، وتَرْخُص الأسعار، اللهم إنا نسألك ألا تردنا خائبين ولا تقلبنا واجمين، فإنك تنزل الغيث من بعد ما قنطوا وتنشر رحمتك وأنت الولي الحميد. اللهم أعز الإسلام والمسلمين وأذل الشرك والمشركين...

ألا فاعلموا عباد الله أنه يسن في مثل هذا الموطن أن تقلبوا أرديتكم اقتداءً

بفعل نبيكم ﷺ فقد حول إلى الناس ظهره واستقبل القبلة يدعو، ثم حول رداءه تفاؤلاً بتحويل الحال عما هي عليه من الشدة إلى الرخاء ونزول الغيث، وادعوا ربكم وأنتم موقنون بالإجابة، وصلوا وسلموا على خاتم الأنبياء والمرسلين وعلى آله وصحبه والتابعين . نستغفر الله، نستغفر الله، نستغفر الله .

* * *

الهدية حكم وأحكام

الخطبة الأولى

الحمد لله الحكيم العليم، يضع البركة في القليل الضئيل ، فإذا هو كالبحر الواسع، أو الفيض العميم، ويمحق بقدرته الكثير الدخيل فإذا هو كالهباء المنثور أو الهشيم تذروه الرياح ﴿وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾، [البقرة: ٢٦١] وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وليُّ الصالحين ومزكي قلوب المتقين، له الحمد في الأولى والآخرة وله الحكم وإليه ترجعون.

وأشهد أن محمدًا عبد الله ورسوله، أخلص إلى ربه قصده وأوقف على رضاه جهده، بلا رياء ولا سمعة، وتركنا على المحجة البيضاء ، ليلها كنهارها، لا يزيغ عنها إلا هالك، فصلوات ربي وسلامه عليه وعلى آله وأصحابه الحائزين شرف الصحبة، وعلو الرُّتبة ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُدْخِلَنَّهُمْ فِي الصَّالِحِينَ﴾ [العنكبوت: ٩].

أما بعد:

فأوصيكم أيها الناس ونفسي بتقوى الله عز وجل؛ إذ لا خير فينا إن لم

نقلها، ولا خير فيمن سمعها ولم يعمل بها، فتقوى الله سبحانه طريق الفلاح وسلم النجاح وعنوان الصلاح. ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ يَا أُوْلِي الأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [المائدة: ١٠٠].

أيها الناس:

لا يشك غرٌّ لبيب، طافت بخلده أطيافُ الأمجاد وذكريات المعالي، في أن كثيراً من النفوس المسلمة في أعقاب الزمن قد تهاوت عراها وئيداً، وانجزرت أواصر المحبة والألفة فيها انجزار البحار عن شطآنها، فأصبحت لا مطمع عندها في الإبحار ولا رجاء في الاصطياد، وعند ذلك تتجدد الحوادث، وتترادف الهموم المتلونة، فتخبو معالمُ الإيثار الواضحة، ويُمسي ما كان بارزاً جلياً من معالي الأمور في الأنفس مغموراً لا يكاد يبين، وإن إحساسَ المرء بنفسه دون سواه، إذا زاد عن حده الجبلي، فإنه يحجُبه عن الإحساس بالآخرين من بني دينه، ويحصُره في نطاق ضيق، لا يرى فيه إلا صورة نفسه، فيكبر شأنه ويهوِّنُ غيره، في غشاوة سميكة نسجها الغرور والشراهة، بل والاستئسار لكلمة «أنا» فيكون من شر الناس عند الله، الذين لا يرجى خيرهم ولا يؤمن شرهم.

ولأجل ذا عباد الله، كان المسلمون بعامة في حاجة ماسة إلى جمع الشمل، ولم الشعث، وإدارة كل دولاب وجابية، لتصبَّ المساقي، وينهلَ الناسُ مع بعضهم صفواً، وإن من أعظم ما يحقق ذلك عباد الله، وأجلِّ ما يبعث الوئام في النفوس، وما يُسترضى به الغضبان، ويُستعطفُ السلطان، ويَسُلُّ السخائم ويدفع المغارم، ويستميل المحبوب، ويُتقى به المحذورُ بعد الله، الهديةَ الهديةَ، الهدية التي تزيل غوائل الصدور وتُذهب الشحناء من نفوس الناس، فالهدية حلوة، وهي كالسِّحْر تختلب القلوب، وتولِّد فيها الوصالَ

وتزرعها وداً، ناهيكم عن كونها مكساةً للمهابة والجلال، وهي في أوجز عبارة، مصائد للقلوب بغير لغب، ولا غرو عباد الله في ذلك فأصل الكلمة من الهدى، والهدى بمعنى الدلالة والإرشاد، فكأنها تهدي القلب وترشده إلى طرق المودة والتآلف.

الهدية عباد الله: هي تمليك عين للغير على غيرعوض، فإن كانت لطلب الأجر المحض من الله غلب عليها اسم الصدقة، وإن كانت لغير ذلك مما ذكر آنفًا غلب عليها اسم الهدية أو الهبة، أو العطية والمنحة. وما أشبه ذلك، وهي مشروعة بين المسلمين عملاً بقول النبي ﷺ: «**تهادوا تحابوا**» أخرجه البخاري في الأدب المفرد والبيهقي بسند حسن، وفي رواية للترمذي: «**تهادُوا فإن الهدية تُذهب وغر الصدر**».

والتهادي بين النبي ﷺ وأصحابه أمر معروف مشهور ثابت بالسنة الصحيحة الصريحة، كما أن النبي ﷺ رغب في قبولها والإثابة عليها، وكره ردها لغير مانع شرعي، مهما كانت قليلةً أو محتقرة، فلقد قال ﷺ: «**ولو أهدي إلي ذراعٌ أو كُراع لقبلت**» رواه البخاري وللطبراني من حديث أم حكيم الخزاعية «قلت: يا رسول الله تكره رد الظلف؟ قال: «**ما أقبحه لو أهدي إلي كُراعٌ لقبلته**».

وعند البخاري في صحيحه، أن رسول الله ﷺ قال: «**يا نساء المسلمات لا تحقرنَّ جارة لجارتها ولو فِرسن شاة**» والفِرسن، عُظيم قليل اللحم.

ففي هذا كله الحض على قبول الهدية ولو قلَّت؛ لما في ذلك من التأليف والتآلف، ولو كانت يسيرة؛ لأن الكثير قد لا يتيسر كل وقت، كما أن اليسير إذا تواصل صار كثيراً، والقليل من صاحب الود لا يقال له: قليل، فتقع المودة ويسقط التكلف.

ويزداد الأمر تأكيداً على عدم رد الهدية، إذا كانت إحدى ثلاث أشار إليها النبي ﷺ في قوله: «**ثلاث لا ترد، الوسائد والدُّهن واللبن**» رواه الترمذي. والدهن هو الطيب.

وحاصل الأمر عباد الله: أن العاقل الحصيف، من يستعمل مع أهل زمانه شيئًا من بعض الهدايا بما قَدر عليه لذي رحمه الأقرب فالأقرب، ولجيرانه أقربهما منه بابًا، لاستجلَاب محبتهم إياه، وإن كان عنده الشيء التافه فلا يجب أن يمتنع من بذله، لاستحقاره أو استقلاله؛ لأن أهون ما فيه لزوم البخل والمنع، ومن حَقَّرَ شَيئًا منعه؛ بل يكون عنده الكثرة والقلة في الحالة سيّان، لأن ما يورث الكثيرَ من الخصال، أورث الصغير بقدره من الفعال، وإن البشر طرّاً مجبولون على محبة الإحسان وكراهية الأذى، واتخاذ المحسن إليهم خلاً وفيّاً، واتخاذ المسيء إليهم عدواً بغيضًا.

ويالله، فلطالما استعبد الإنسان إحسانُ كريم، لا سيما إذا كان في موقف الرد على الإساءة، من غيبة أو نميمة أو نحوها، ولقد روى الحافظ ابنُ حبان البستي بسنده، أن أبا حنيفة رحمه الله لما اشتهر وعلا صيتهُ، قال فيه بعض حاسديه: كنا من الدين قبل اليوم في سعة، حتى بلينا بأَصحاب المقاييس، فبلغ ذلك أبا حنيفة، فبعث إليه بهدية جزاء مافعل، فلما قبضها القائلُ ندم، وملكت الهديةُ قلبه فكفَّر عما فعل بقوله:

إذا ما الناس يومًا قايسونا ... بآوبةٍ من الفتيا طريفة
أتيناهم بمقياس صحيحٍ ... مصيبٍ من طراز أبي حنيفة
إذا سمع الفقيه بها وعاها ... وأثبتها بحبر في صحيفة

فالله أكبر كم تزيل الهدية من السخائم، وكم تنسخ من الشتائم.

وبعد عباد الله : فإن ما مضى من الحديث عن الهدية ببيان فضلها وأثرها وحكمها، لا يمنع كونها محل تصنيف العلماء وتقسيمهم إلى ما يجوز منها وما لا يجوز؛ ولأجل ذا فإنه يجدر بنا في مثل هذا المقام أن نُشير على عجالة واختصار شديدين، إلى بعض المحاذير التي تقع فيها المجتمعات، إبانَ حياتهم اليومية، اجتماعية كانت أو معيشية أو وظيفية، فيما يتعلق بالهدايا المحرمة، التي قد يغفل عنها كثيرون، ويتغافل عنها مأفونون.

فمن ذلك عباد الله : ما ذكره شيخ الإسلام ابنُ تيمية رحمه الله من أنه لا يجوز للمرء المسلم إذا شفع شفاعة أن يقبل هدية ممن شَفَع له عند ذي سلطان مما هو مستحق له، لتكون مقابل شفاعته. وهذا هو المنقول عن السلف والأئمة الكبار، بدليل قول النبي ﷺ : «**من شفع لأخيه شفاعة فأهدى له هدية عليها فقبلها فقد أتى بابًا من أبواب الربا**» رواه أبو داود وهو حديث حسن.

وذلك عباد الله أن الشفاعة الحسنة مندوب إليها، فأخذ الهدية عليها يضيِّع أجرها، كما أن الربا يمحق الحلال، ولا يدخل في هذا التحريم، من استُئجر لإنجاز معاملة ما أو ملاحقتها مقابل أجرةٍ معينة فهذا من باب الإجارة الجائزة بالشروط الشرعية.

ومن ذلك عباد الله : تحريم الهدية للقاضي إذا كانت أهديت إليه لأجل كونه قاضيًا، بدليل قول النبي ﷺ : «**لعن الله الراشي والمرتشي في الحكم**» رواه أحمد والترمذي، إلا إن كان المهدي ممن له عادةٌ بإهداء القاضي قبل أن يكون قاضيًا فلا بأس بالهدية حينئذٍ ما لم تكن حال خصومةٍ قائمة للمهدي عند ذلك القاضي.

ومن الهدايا المحرمة عباد الله : هديةُ بعض الأولاد دون بعض، لما في

ذلك من الحيف والظلم؛ حيث إن بعض الناس يعجبه برُّ بعض أولاده به دون بعض، لما يرى فيه من الخلال الحسنة والبر الوافي، فيكافئهُ على هذا بتخصيص عطية له دون غيره والله سبحانه يقول: ﴿اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ﴾ [المائدة: ٨].

وعن النعمان بن بشير، أن أباه أتى به إلى رسول الله ﷺ فقال: «إني نحلت ابني هذا غلامًا فقال رسول الله ﷺ: **«أكلَّ ولدك نحلته مثله؟** فقال: لا، فقال رسول الله ﷺ: **فأرجعه»** رواه البخاري... وفي لفظ لمسلم: **«فلا تُشهدني إذن؛ فإني لا أشهد على جور»**، وفي رواية لأحمد: **«أليس يسرك أن يكونوا إليك في البر سواء»**.

أما كيفية العدل بين الأولاد في العطية فهي أن يُعطى الذكرُ مثلَ حظ الأنثيين، كما قسم الله ذلك في فريضة الميراث العادلة، وهذا هو الذي عليه المحققون من الأئمة؛ كشيخ الإسلام ابن تيمية وتلميذه ابن القيم رحمهما الله، ويستثنى من ذلك عباد الله، فيما لو أعطى أحد أولاده عطية بمسوغ شرعي، كأن تقوم به حاجة ليست في الآخرين من دينٍ أو مرض أو نحو ذلك مما يستلزم العطية.

ومن الهدايا المحرمة، ما يتناوله الشهود في المحاكم جزاء شهادتهم ويسمونها هدية فإذا طلبوا إليها دون مقابل، حلف أحدهم أنه ناسٍ لها، وأن قلبه ذو إغفال، فإذا رأى المنقوش قال: ذكرتها، يا للمذكر جئت بالآمال، وما علم أولئك أن أداء الشهادة واجب بنص الكتاب كما قال تعالى: ﴿وَلَا يَأْبَ الشُّهَدَاءُ إِذَا مَا دُعُوا﴾ [البقرة: ٢٨٢]، وقال سبحانه: ﴿وَلَا تَكْتُمُوا الشَّهَادَةَ وَمَن يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُ آثِمٌ قَلْبُهُ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٨٣].

ومن ذلك عباد الله ، ما كان من الهدايا ، في مقابل التنازل عن حق الله وشرعه ، أو إقرار الباطل والرضى به ، كما ذكر الله ذلك عن ملكة سبأ في محاولتها مع سليمان عليه السلام : ﴿ **وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِم بِهَدِيَّةٍ فَنَاظِرَةٌ بِمَ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ** ﴾ [النمل : ٣٥] ، قال قتادة : ما كان أعقلها في إسلامها وشركها ؛ علمت أن الهدية تقع موقعًا من الناس ، وكانت قد قالت : إن قبل الهدية فهو ملك فقاتلوه ، وإن لم يقبلها فهو نبي فاتبعوه .

﴿ **فَلَمَّا جَاءَ سُلَيْمَانَ قَالَ أَتُمِدُّونَنِ بِمَالٍ فَمَا آتَانِيَ اللَّهُ خَيْرٌ مِّمَّا آتَاكُم بَلْ أَنتُم بِهَدِيَّتِكُمْ تَفْرَحُونَ** ﴾ [النمل : ٣٦] . قال ذلك منكرًا عليهم : أي أتصانعونني بمالٍ ، لأترككم على شرككم .

ومن الهدايا المحرمة عباد الله : ما يعطاه العمال الذين يعينهم وليُّ الأمر على حاجات الناس فيُعطون الهدايا لأجل المحاباه ، بحيثُ لو كانوا في بيوتهم لم ينلهم منها شيء ، فهذه حرام لا يجوز أخذها بدليل ما رواه البخاري في صحيحه أن النبي ﷺ استعمل رجلاً على صدقات بني سُليم يدعى ابنَ اللُّتبية ، فلما جاء حاسبه قال : هذا ما لكم وهذا هدية ، فقال رسول الله ﷺ : «**فهلا جلست في بيت أبيك وأمك حتى تأتيك هديتُك إن كنت صادقًا**» ، ثم خطب الناس فكان مما قال : «**والله لا يأخذ أحدٌ منكم شيئًا بغير حقه إلا لقي الله يحمله يوم القيامة ، فلأعرفن أحدًا منكم لقي الله يحمل بعيرًا له رغاء ، أو بقرةً لها خوار ، أو شاة تيعر**» ثم رفع يديه حتى رُئي بياضُ إبْطه يقول : «**اللهم هل بلغت**» .

جعلنا الله وإياكم هداة مهتدين غير ضالين ولا مضلين ، أقول ما تسمعون وأستغفر الله لي ولكم ولسائر المؤمنين .

الخطبة الثانية

الحمد لله حمدًا كثيرًا طيبًا مباركًا فيه كما يحب ربنا ويرضى، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله الأتقياء البررة وعلى التابعين وأتباعهم إلى يوم الدين.

أما بعد:

فاتقوا الله عباد الله، واعلموا أن من الصور المحرمة في الهدايا. ما يُهدى من أشياء محرمة كآلات لهو من معازف وغيرها، وكالتماثيل والصور المحرمة، أو ما يجلب الشر ويمنع الخير، كالأقمار المستديرة وشبهها مما يجر البلاء على المسلمين، ويقضي على دينهم والصبغة التي فطروا عليها ويحلق ما تبقى من خلال حسنة.

وكذا الإهداء والتهادي بمناسبة أعياد الكفار أو ما يُسمى يومَ الأم، أو ما شابَه ذلك مما هو مسترق من أهل الكفر، ومغلف بأغلفة مزيفة، كالحب والتصافي، والبر والصلة ونحوها. فهذا كله محرم؛ لأنه من باب التشبه بأهل الكفر، والنبي ﷺ يقول: «**من تشبه بقوم فهو منهم**» رواه أحمد وأبو داود. وقديمًا قيل: (الطيور على أشكالها تقع).

ومن الهدايا المحرمة عباد الله، ما ابتليت به كثير من المجتمعات مما يسمى «الرشوة» والتي يتفننون في تسميتها، أو يلقبونها بألقاب تخدع السذج، وتسر الغشاشة، حتى لقد انتشرت انتشار النار في يابس الحطب، حتى

أفسدت كثيرًا من الذمم، وصارت سببًا لإفساد العمال على أصحاب العمل، فيجعلون الخدمة لمن يدفع جيدةً، ومن لا يدفع فلا حول له ولا قوة، فلا يجد أمامه في قضاء حوائجه إلا نفوسًا منهومة منكسة، حتى صار أسهلُها من خلقها منعًا وهات، وأحلاها هات وهات، والأصل في هذه الوظائف عباد الله أن يقوم رجالها على العدل بين الناس ليسود الأمن بين كافة أفرادهم، فالذي يقبل الرشوة أو يطلُبها من الموظفين العاملين على خدمة الجمهور، يكون قد أخلّ بالأمن، وأفسد نظام الحكم، الراشي والمرتشي مجرمان أثيمان يدفع الأول أجرًا على فساد العدل، ويأخذ الثاني أجرًا على الإخلال بالأمن، والمال الذي يأخذه المرتشي سحت ونار، لأنه يهدم شريعةً قام عليها ركن العدل بين الناس، فلا جرم عباد الله إذا دعا عليهم النبي ﷺ بقوله: «**لعنة الله على الراشي والمرتشي**» رواه ابن ماجه.

ألا فاتقوا الله معاشر المسلمين، اللهم صل على محمد .....

* * *

العين حق

الخطبة الأولى

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونتوب إليه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾ .

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً ﴾ .

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيداً يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزاً عَظِيماً ﴾ .

أما بعد:

فاتقوا الله أيها الناس، اتقوا ربكم وراقبوه في السر والعلن، فبتقوى الله

عز وجل تصلح الأمور، وتتلاشى الشرور، ويصلح للناس أمر الدنيا والآخرة.

أيها الناس:

الحسد والتحاسد مجمع الآفات، ومستنقع الشرور والرذائل؛ إذ ما دخل الحسد في شيء إلا شانه، ولا نُزِعَ من شيء إلا زانه، وإن انتشار مثل هذه اللوثة المذمومة، في أوساط الناس، لأمر مؤذنٌ بعواقبَ وخيمة، وأضرار جسيمة، ولو لم يكن من ذلك إلا التباغضُ والتدابر، والإحنُ والتناحرً بله الغيبة والنميمة والأشرَ والبَطَر.

وإن من سهام الناس القاتلة التي تمرق من رمية الحسد هي الإصابة بالعين، وما أدراكم ما الإصابةُ بالعين؛ إنها نظر باستحسان مشوب بحسد من خبيث الطبع يحصل للمنظور منه ضرر، يقال: أصابت فلانًا عينٌ، إذا نظر إليه عدو أو حسود، فأثرت فيه فمرض بسببها.

بذلكم عباد الله بيَّن أهل العلم حقيقة العين، وبها تعلمون أن العين، إنما هي جمرة مضرمةٌ من حطب الحسد، ابتلي بها الكثيرون على حين غفلة من الأوراد الشرعية، التي هي حروزٌ أمينة، وحصونٌ مكينة، فتناثرت جثثٌ وهام، وتردت نفوس، وتهالكت أجسادٌ من جرائها، ولقد صدق رسول الله ﷺ إذ يقول: «**أكثر من يموت من أمتي بعد قضاء الله وقدره بالعين**» رواه البخاري في تأريخه والبزار في مسنده، وهو حديث حسن.

عباد الله:

العين حق لا مماراة فيها، ثابتة بالكتاب والسنة وبواقع الأمم المتكررة، يقول الله جل وعلا لنبيه ﷺ: ﴿**وَإِن يَكَادُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَارِهِمْ لَمَّا سَمِعُوا الذِّكْرَ وَيَقُولُونَ إِنَّهُ لَمَجْنُونٌ**﴾ [القلم: ٥١] أي يَعينونك بأبصارهم، قال

ابن كثير رحمه الله : وفي هذه الآية دليل على أن العين إصابتها وتأثيرها حق بأمر الله عز وجل. ثم اعلموا عباد الله أن اللقْع بالعين، كان في بني إسرائيل، وقد كانت العرب إذا أراد أحدهم أن يعتان أحدًا، تجوَّع ثلاثة أيام ثم اعتانه. ولقد قال الحسن البصري رحمه الله : دواء من أصابته العين أن يقرأ هذه الآية.

ومما يدل على أن العين حق عباد الله قول الخالق جل وعلا: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ ۝١ مِن شَرِّ مَا خَلَقَ ۝٢ وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ۝٣ وَمِن شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ ۝٤ وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ﴾، قال قتادة: أي من شر عينه ونفسه، وقال ابن القيم رحمه الله : كل عائن حاسد، ولما كان الحاسد أعمَّ من العائن، كانت الاستعاذة منه، استعاذة من العائن، وقال ابن عطية: إن عين الحاسد في الغالب لاقفة. نعوذ بالله عز وجل من شرها. ومن لطائف هذه الآية عباد الله : أن بعض العامة يقولون للحاسد إذا نظر إليهم: الخمسُ على عينيك، ويشيرون بالأصابع الخمسة، وهذا غلط بين إذ المراد بالخمس هي آياتُ سورة الفلق إذ كلها خمس آيات.

أيها المسلمون:

لقد جاءت السنة مؤكدةً للقرآن ومفسرةً له، ولقد قال المصطفى ﷺ في ذلك: «**العين حق، ولو كان شيء سابقَ القدر لسبقته العين، وإذا استغسلتم فاغسلوا**» رواه مسلم. والمعنى : إن طُلب من أحدكم أن يغتسل لمن أصابه بالعين فليجب. وقال ﷺ: «**استعيذوا بالله من العين؛ فإن العين حق**» رواه الحاكم وابن ماجه.

وقد صح عند أحمد في مسنده عن النبي ﷺ أنه قال: **إن العين لتولِع**

بالرجل بإذن الله حتى يصعد حالقًا فيتردى منه» ، ومعنى يصعد حالقًا : أي يصعد مكانًا مرتفعًا .

وقال ﷺ مرةً لأسماء بنت عميس : «**مالي أرى أجسام بني أخي ضارعة** ـ أي نحيفة ـ **تصيبهم الحاجة؟؟**» قالت : لا ولكنَّ العينَ تسرع إليهم . قال : «**ارْقيهم**» قالت : فعرضت عليه فقال : «**ارقيهم**» رواه مسلم .

ثم اعلموا عباد الله أن العين عينان : عين إنسية وعين جنية ، وقد كان النبي ﷺ يتعوذ من عين الجانِّ ثم من أعين الإنس ، فلما نزلت المعوذتان أخذهما وترك ما سوى ذلك» رواه الترمذي وابن ماجه . ثم إن المرء بذاته ، قد يُعين نفسه إذا رأى منها ما يعجبه ، واستقى بعض أهل العلم ذلك من قوله تعالى : ﴿ **وَلَوْلا إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَاءَ اللَّهُ لا قُوَّةَ إِلاَّ بِاللَّه** ﴾ [الكهف : ٣٩] .

ولقد ذكر الفقهاء رحمهم الله ، أن من عُرف بالعين ، فإن الإمام يحبسه ، ويجري له ما ينفق عليه إلى الموت ، قال ابن القيم رحمه الله : وهذا هو الصواب قطعًا .

وما ذاك يا عباد الله ، إلا لعظم هذا الأمر ، وخطورته في المجتمع وإهلاك الأنفس به وهدم الأسر والبيوتات ، مما يدل بالتأكيد على أن العين حق ؟ فكفى الله المسلمين شرها .

أيها الناس:

في حضارتنا المعاصرة ، كثر المثقفون ، وشاعت المعارف الذكية ، في حين إن البعض منها ، مقطوع الصلة بالله وبشرعه ، والإنسان مهما قوي فهو ضعيف ، ومهما اتسع تعلمه فعلمه قاصر ، وحاجته إلى شريعة

ربه، والوقوف بالتسليم لنصوصه أشدُّ من حاجته إلى الماء والهواء، فما أعظم نعمةَ الدين الصحيح، والعقلِ الصريح فلا دين بلا عقل؛ إذ لا تكليف حينئذ، ولا عقلَ بلا دين؛ إذ إنها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب ا لتي في الصدور.

ولقد برزت طائفة من المعْنيينَ بالطب وفنونه ممن قل نصيبهم من نصوص الشارع الحكيم، فأبطلت أمر العين، وادعت كاذبة أنها لا تعدو كونها أوهامًا، وأطيافَ خيال لا حقيقة لها، ولا غرو أيها المسلمون أن يضل أمثالُ هؤلاء، وقد قال ربنا جل وعلا: ﴿فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلا يَضِلُّ وَلا يَشْقَىٰ﴾ [طه: ١٢٣]، ﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ﴾ [العنكبوت: ٣]

أيها المسلمون:

إن أمر العين غير خاف على كل ذي لبٍّ متجرد، وهذه حال غير مستنكرة ألبتة، وإنما المستنكر عباد الله أن يكون المتفاعل معها كالمستسمن غير سمن، وكالمستبعد غيرَ غرب؛ إذ ظن بعض السذج أن ليس للعين سبيل إليهم بمجرد أن يعلق تميمةً أو وَدَعَةً أو نابًا، أو تعاويذَ ورقىً ملفقة، ينسجها لهم أدعياءُ الكهانة والشعوذة، يخدعون بها الرّعاع أو يدَّعون أن لهم خصوصيةً في نفع رقاهم وتعاويذهم لأخذهم العهود على شيوخ، أو أصحاب طرق أو نحو ذلك مما لا أصل لهَ في الدين؛ بل هو بدعة وضلال مبين، وقد قال رسولَ الله ﷺ: «**إن الرقى والتمائم والتولةَ شرك**» رواه أحمد وأبو داود.

والتمائم شيء يُعلق على الأولاد من العين. وقال ﷺ: «**من تعلّق شيئًا وكل إليه**» رواه أحمد والترمذي. والتعلق يكون تارة بالقلب كالاعتقاد في قراءة الشيخ الفلاني، أو التعلق بها من دون الله وأنها شافية أو نحو ذلك،

ويكون تارة بالفعل، كمن يعلق تميمة أو خيطًا أو نحوهما، لدفع العين أو الضر، ويكون تارةً بهما جميعًا ؛ أي بالقلب والفعل.

فمن تعلق بالله وأنزل حوائجه به والتجأ إليه، وفوض أمره إلى ربه كفاه وهداه وقرب إليه كل بعيد، ويسر له كل عسير، ومن تعلق بغيره أو سكن إلى رأيه وعقله وتميمته ودوائه وكله الله إلى ضيعة، فما ظنكم عباد الله ، بمن تعلق بغير الله، بل ما ظنكم بمن وكله الله إلى نفسه أو إلى غيره من المخلوقين، أترونه ناجيًا أم هالكًا؟! ﴿ **أَفَمَن يَمْشِي مُكِبًّا عَلَىٰ وَجْهِهِ أَهْدَىٰ أَمَّن يَمْشِي سَوِيًّا عَلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ** ﴾ [الملك: ٢٢].

والله سبحانه هو الذي تعلق عليه الآمال ﴿ **وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ** ﴾ [الطلاق: ٣]، ﴿ **وَمَا لَنَا أَلاَّ نَتَوَكَّلَ عَلَى اللَّهِ وَقَدْ هَدَانَا سُبُلَنَا** ﴾ [إبراهيم: ١٢].

إن العجب كل العجب، في أولئك المصابين بالعين، حين يستبدلون الرقى والعزائم الشركية بالرقى والعزائم الشرعية، جاهلين أو متجاهلين، خطورة هذا المسلك والهوة السحيقة التي تقذفهم إليها تبعاته. قال القرافي في فروقه عن ألفاظ الرقى: «وهذه الألفاظ منها ما هو مشروع كالفاتحة والمعوذتين، ومنها ما هو غير مشروع كرقى الجاهلية والهند وغيرهم، وربما كان كفرًا، ولذلك نهى مالك وغيره عن الرقى العجمية لاحتمال أن يكون فيه محرم».

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله : « نهى علماء الإسلام عن الرقى التي لا يفقه معناها ؛ لأنها مظنة الشرك، وإن لم يعرف الراقي أنها شرك، فعن عوف بن مالك الأشجعي قال: كنا نرقي في الجاهلية فقلنا: يا رسول الله كيف ترى في ذلك؟ فقال: «**اعرضوا علي رقاكم ، لا بأس بالرقى**

ما لم يكن فيه شرك»رواه مسلم .

كل اسم مجهول، لا يجوز لأحد أن يرقي به فضلاً عن أن يدعو به، وأما جعل الألفاظ الأعجمية أو الحروف المقطعة شعاراً للرقى، فليس من دين الإسلام، كقول أرباب الدجل في رقاهم وتعاويذهم: «كركدن دهده، شراهيا جلجلوت» وأمثالها مما هو دجل فوق دجل وخرافة فوق خرافة، مما ليس من دين الإسلام في شيء.

بيد أن كثيراً من الناس في هذا العصر، قد كبا كبوة مثيرة، وزل زلة خطيرة، فجمهورهم قد أصابهم لوثات هذه العلل، قد أسلموا عقولهم لأيادي الهدم، التي لبست قفاز التدين، واستطاعت من وراء هذا القفاز، أن تصافح كثيراً من ضعاف النفوس بسبب تخلفهم، وإبان غفلة من علمائهم وأولي الأمر منهم فكانوا كالمستجير من الرمضاء بالنار، ولسان حالهم يقول: وداوني بالتي كانت هي الداءَ. فزادوهم مرضًا إلى مرضهم، واقتلعوا أطناب حياتهم الهانئة، فخرَّ عليهم سقف السعادة من فوقهم وما خُذل أمثال هؤلاء إلا حينما لجأوا إلى ذئاب الظلام، وركنوا إلى هرائهم وأهازيجهم، ناسين شرعة الله وصبغته ﴿**وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ**﴾ [القصص: ٥٠].

فإذًا عباد الله يُستخلص من ذلك أن الرقى تكون مشروعة إذا تحقق فيها شروط ثلاثة: أولها: ألا يكون فيها شرك ولا معصية؛ كدعاء غير الله أو الإقسام بغير الله. وثانيها: أن تكون بالعربية وما يعرف معناه. وثالثها: ألا يعتقد كونها مؤثرةً بنفسها.

قال ابن أبي العز الحنفي: «اتفقوا على أن كل رقية وتعزيم أو قسم فيه شركٌ بالله فإنه لا يجوز التكلم به، وإن أطاعته الجنّ أو غيرهم».

وبعد عباد الله، فإن كون العين حقّاً، أمر ثابت شرعًا وواقع عقلاً، وحينما تظهر أمامنا هذه الحقيقة جلية، فإن من الأخطاء الشائعة، والبلايا المعقدة أن يصبح المرضُ بالعين شبحًا مروعًا أو هاجسًا متدليًا إلى الذهن عند كل وخزة ألم، أو نكسة نفس، حتى يصل الأمر بذلك إلى درجة الوهم لدى الناس، فإذا ما عطس امرؤ قالوا: هذه عين، وإذا أخذته سعلة قالوا: إنها العين، وإذا ما أصيب أو ابتلي قالوا: يا لها من عين، حتى لقد أخذ الوهم من البعض أن يمشي وأمامه العين، وينام كذلك ويصبح كذلك، وهذا هو الداء العضال؛ إذ لا يزيد الوهم إلا وهنًا.

فاتقوا الله عباد الله وبادروا بالرقى والأذكار الشرعية إصابات العين، وليتق الله العائن وليُذهب من قلبه الحسد إن وجد، وإلا فليطفئ نار إعجابه بالشيء بذكر الله سبحانه، وليدفعْ شرَّ عينه بقوله: (اللهم بارك عليه) كما قال النبي ﷺ لعامر بن ربيعة لما عان سهل بن حنيف: «**ألا بركت**»؛ أي قلت: اللهم بارك عليه.

أعاذنا الله وإياكم بكلماته التامة من كل شيطان وهامة..، ومن كل عين لامة.. بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم .....

الخطبة الثانية

الحمد لله على إحسانه والشكر له على توفيقه وامتنانه، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له تعظيمًا لشأنه، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله الداعي إلى رضوانه، وعلى آله وصحبه وإخوانه، ومن تبعهم إلى يوم الدين.

أما بعد:

فاتقوا الله معاشر المسلمين واعلموا أنه لا بأس على المرء، في أن يتحرز من العين، بستر محاسن من يخافُ عليه العين، بما يقيه منها، أو أن يعوِّذه منها بالتعويذ الشرعي، فلقد قال سبحانه عن يعقوب عليه السلام: ﴿**وَقَالَ يَا بَنِيَّ لا تَدْخُلُوا مِنْ بَابٍ وَاحِدٍ وَادْخُلُوا مِنْ أَبْوَابٍ مُتَفَرِّقَةٍ وَمَا أُغْنِي عَنكُم مِّنَ اللَّهِ مِن شَيْءٍ إِنِ الْحُكْمُ إِلاَّ لِلَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَعَلَيْهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ**﴾ [يوسف: ٦٧]. قال ابن عباس وغيره: إنه خشي عليهم العين؛ وذلك أنهم كانوا ذوي جمال وهيئة حسنة، فإن العين حق، تستنزل الفارس عن فرسه، وهذا الاحتراز لا يرد قدر الله وقضاءه؛ فإن الله إذا أراد شيئًا لا يُخالفُ ولايُمانع؛ ولذا قال يعقوب: ﴿**وَمَا أُغْنِي عَنكُم مِّنَ اللَّهِ مِن شَيْءٍ**﴾.

وكان رسول الله ﷺ يعوِّذ الحسن والحسين يقول: «**أعيذكما بكلمات الله التامة، من كل شيطان وهامّة، ومن كل عين لامّة**» ويقول: «**هكذا كان إبراهيم يعوذ إسحاقَ وإسماعيل عليهما السلام**» رواه البخاري وأصحاب السنن.

وبعد عباد الله : فإن العين داء عضال، ونار آكلة لم يهمل الشارعُ الحكيم جانبها ، بل بينها ووضّحها، وأبدى للناس علاجها، وإن من أعظم ما يزيل العين والسحر بأمر الله : الرقية الشرعية من الكتاب والسنة، يقول أبو محمد ابنُ حزم: «جربنا من كان يرقي الدمَّل الحاد القويَّ الظهور في أول ظهوره، فيبدأ من يومه ذلك بالذبول ويتم يُبْسُه في اليوم الثالث، جربنا من ذلك ما لا نحصيه، وكانت امرأة ترقي أحدَ دملين قد دفعا في إنسان واحد، ولا ترقي الثاني فيبس الذي رقت ويتم ظهور الذي لم ترْق، وشاهدنا من كان يرقي الورم المعروف بالخنازير، فيندملُ ما يُفتحُ منها، ويذبل ما لم ينفتح ويبرأ».

والرقية عباد الله تكون بآيات القرآن؛ كالفاتحة وآية الكرسي والإخلاص والمعوذتين، وغيرها من آيات القرآن الذي أنزله الله هدىً وشفاء، وكذا بالأدعية النبوية الثابتة عن المصطفى ﷺ كتعويذه للحسن والحسين، وكرقية جبريل له بقوله: «بسم الله أرقيك، من كل داء يؤذيك، ومن شر كل نفسٍ أو عينِ حاسد، الله يشفيك باسم الله أرقيك» رواه مسلم .

ومن أدوية العين الناجعة، ما ذكرت عائشة رضي الله عنها بقولها: «كان يؤمر العائن فيتوضأ ثم يغتسل منه المعين» رواه أبو داود، كما أن من العلاج عباد الله ، عسل النحل بشتى أنواعه لثبوت ذلك في الكتاب والسنة، وكذا ماء زمزم، فهو لما شرب له ، وهو طعام طعم وشفاء سقم كما صح الخبر بذلك عن النبي ﷺ .

اللهم صل على محمد .....

* * *

لماذا السفر

الخطبة الأولى

الحمد لله فاطر السموات والأرض، جاعل مواسم الخيرات لنا مربحًا ومغنمًا، وأوقات البركات والنفحات لنا إلى رحمته طريقًا وسلمًا، له الحمد يطاعُ فيشكرُ، ويُعصى فيغفر، لا تواري منه سماءٌ سماء ولا أرض أرضًا، ولا جبل ما في وعره، ولا بحر ما في قعره، له الحمد كله، وبيده الخير كله وإليه يرجع الأمر كله، ما خاب من رجاه، بيده ملكوت السموات والأرض، وهو يجير ولا يجار عليه، له الحمد في الأولى والآخرة وله الحكم وإليه ترجعون .

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبد الله ورسوله ، بعثه بين يدي الساعة بشيرًا ونذيرًا، وداعيًا إلى الله بإذنه وسراجًا منيرًا، فبلّغ الرسالة وأدى الأمانة ونصح الأمة، وجاهد في الله حقّ جهاده حتى أتاه اليقين، فصلوات ربي وسلامه عليه وعلى آله الأتقياء البررة، وعلى أصحابه ومن سار على طريقهم واتبع نهجهم إلى يوم الدين.

أما بعد:

فأوصيكم أيها الناس ونفسي بتقوى الله حقّ التقوى، والاستمساك من

الإسلام بالعروة الوثقى، واحذروا المعاصي فإن أقدامكم على النار لا تقوى، فاتقوا الله واعبدوه واشكروا له إليه ترجعون.

حجاج بيت الله ، يا من أديتم مناسككم فوقفتم بعرفات، وانحدر بكم الشوق إلى المزدلفة فسكبتم عند المشعر الحرام العبرات، فلله كم من خائف منكم أزعجه الخوف من الله وأقلقه ، وراجٍ أحسن الظن بوعد الله فصدَّقه، وكم من مستوجب للنار أنقذه الله وأعتقه، وبلغ الأماني عشية عرفة.

حجاج بيت الله الحرام، ليس السابقُ اليوم من سبقت به راحلته إنما السابق من غفر له ذنبه وقبل عمله ، فأخلصوا لله حجكم، واتبعوا سنة نبيكم تفلحوا، ومن قصر في جنب الله فليرجع إلى جهاد النفس، فهو الجهاد الأكبر، وحذار حذار، أن تحلقوا رؤوس أعمالكم بالذنوب؛ فإن الذنوب حالقةُ الدين، ليست حالقة الشعر ﴿**وَلَا تَكُونُوا كَالَّتِي نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنكَاثًا**﴾ [النحل: ٩٢]، فلله ما أحسن الحسنة تتبعها الحسنة، وما أقبح السيئة بعد الحسنة، فالحذر الحذر عباد الله من العمى بعد الهدى ومن الحور بعد الكور.

عباد الله:

إن الحج المتكرر في كل عام، منذ أن أذن إبراهيمُ عليه السلامُ في الناس بالحج، وهم يغدون إلى بيت الله العتيق من كل فج عميق، رجالاً وعلى كل ضامر، لهو أمر دال باللزوم على أن السفر وقطع الفيافي والقفار، أمرذو بالٍ في واقع كل امرئ حي.

وما أكثر ما يسافر الناس لشئون حياتهم، ماديةً كانت أو معنوية، ولقد سافر رسول الله ﷺ مرات ومرات، إبان شبابه قبل البعثة، وبعد نبوته ما بين حج وعمرة، وجهاد وتجارة.

والسفر غالبًا يعري الإنسان من الأقنعة التي كانت تحجب طبيعته، وما سمي السفر سفرًا إلا لأنه يسفر عن أخلاق الرجال، ولذا فإن السياحة في الأرض، والتأملَ في عجائب المخلوقات، مما يزيد العبد معرفةً بربه عز وجل، ويقينًا بأن لهذا الكون مدبرًا، لا رب غيرُه ولا معبود بحق سواه.

فالمسافر يتأمل ثم يتدبر ثم يخشى، كل ذلك حينما يرى عجيبَ صنع الله وعظيمَ قدرته ﴿صُنْعَ اللَّهِ الَّذِي أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ إِنَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَفْعَلُونَ﴾ [النمل: ٨٨]، ولقد أنكر الله سبحانه على من فقد هذا الإحساس المرهف بقوله: ﴿وَكَأَيِّن مِّنْ آيَةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ﴾ [يوسف: ١٠٥]

السفر عباد الله معترًى بحالتين اثنتين: حالة مدح وحالة ذم؛ فالخروج من الملل والسآمة والضيق والكآبة من الناس والمكان للتأمل في خلق الله، أو طلبِ علم نافع، أو صلة قريب أو أخ في الله هو سمةُ السفر الممدوح، وهو مذمومٌ أيضًا، من جهة كونَه محلاً للمشاقّ والمتاعب؛ لأن القلب يكون مشوشًا والفكر مشغولاً من أجل فراق الأهل والأحباب؛ ولذا قال فيه النبي ﷺ: «**السفر قطعة من العذاب، يمنع أحدكم طعامَه وشرابه ونومه، فإذا قضى نهمته فليعجل إلى أهله**» رواه البخاري ومسلم.

والمراد بالعذاب عباد الله: الألمُ الناشئ عن المشقة، لما يحصل في الركوب والسير من ترك المألوف. ولقد ذهب بعض أهل العلم كالخطابي وغيره، إلى أن تغريب الزاني، إنما هو من باب الأمر بتعذيبه ـ والسفر من جملة العذاب ـ ولقد سئل إمام الحرمين: لم كان السفر قطعةً من العذاب؟ فأجاب على الفور: لأن فيه فرقةَ الأحباب.

ألا فاعلموا عباد الله: أن السفر في هذه الآونة، يختلف عن السفر في

قرون مضت، فقد مهدت الطرق، وجرت عليها العرباتُ الآليةُ بشتى أنواعها المبدعة، فهي تسير بهم على الأرض إن شاءوا أو تقلُّهم الطائرات السابحةُ في الهواء إن رغبوا، أو تحملهم الفلكُ المواخرُ في البحر إن أرادوا، كما أن الأزمنة قد تقاصرت، فما كان يتم في شهور بشق الأنفس، أضحى يتم في أيام قصيرة بل ساعات قليلة، وبجهود محدودة بل وربما عطس رجل في المشرق فشمته آخرُ في المغربِ، وهذا مصداق حديث النبي ﷺ من أن تقارب الزمان من علامات الساعة كما عند البخاري في صحيحه.

ومع هذه الراحة الميسرة فإن الأخطار المبثوثة هنا وهناك لم تنعدم، ففي الجو يركب المرء طائرةً يمتطي بها ثبج الهواء، معلقًا بين السماء والأرض، بين مساومة الموت ومداعبة الهلاك فوق صفيحة مائجة، قد يكون مصيرُه معلقًا بأمر الله في خلخلة مسمار أو إعطاب محرك، مما يؤكد الاحتماء بالله وارتقابَ لطفه المترجم بلَزوم آداب السفر، والبعد عن معصية الله في هوائه بين سمائه وأرضه، والمستلزمة وجوبًا، إقصاءَ المنكرات من الطائرات، والتزامَ الملاحينَ والملاحات بالحشمة والعفاف والبعد عما يثير اللحظ أو يستدعي إرسال الطرف، وإن تعجبْ أيها المسلم، فعجب ما يفعله مشركو زمان النبي ﷺ من اللجوء إلى الله في الضراء ﴿فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلْكِ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ﴾ [العنكبوت: ٦٥]، وبعض عصاة زماننا سراؤهم وضراؤهم على حد سواء، فقبح الله أقوامًا؛ مشركو زمان النبي ﷺ أعلم بلا إله إلا الله منهم.

أيها المسلمون:

إن التقارب في الزمان والمكان بما هيأ الله من أسباب السرعة، لهو نعمة عظيمة ورحمة جُلَّى، تستوجبان الشكرَ للخالق والفرارَ إليه، في مقابل

التذكر، فيما فعله الله جل وعلا بقوم سبأ الذين كانوا في نعمة وغبطة، من تواصل القرى، بحيث إن مسافرهم لا يحتاج إلى حمل زاد ولا ماء ﴿وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْقُرَى الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا قُرًى ظَاهِرَةً وَقَدَّرْنَا فِيهَا السَّيْرَ سِيرُوا فِيهَا لَيَالِيَ وَأَيَّامًا آمِنِينَ﴾ [سبأ: ١٨]، ولكن لما بطروا نعمة الله ومالت نفوسهم إلى ضد حالهم ﴿فَقَالُوا رَبَّنَا بَاعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا وَظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ فَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ وَمَزَّقْنَاهُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ﴾، ففرق الله شملهم بعد الاجتماع، وباعد بينهم بعد التقارب، حتى صاروا مضرب المثل؛ ولهذا تقول العرب في القوم إذا تفرقوا: تفرقوا أيدي سبأ.

وبعد عباد الله:

فإن من أعظم فوائد السفر، وأكثرها تعلقًا بالله، معرفةَ عظمته وقدرته، بالنظر إلى ما ابتدعه جل وعلا، خلقًا جميلاً عجيبًا، من حيوان وموات، وساكن وذي حركات، وماذرأ فيه من مختلف الصور التي أسكنها أخاديد الأرض، وخروق فجاجها، ورواسيَ أعلامها، من أوتاد ووهاد، فصار فيها جدد بيض وحُمرٌ مختلف ألوانها وغرابيب سود، ومن ذوات أجنحة مختلفة، وهيئات متباينة ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِّمَن يَخْشَىٰ﴾ [النازعات: ٢٦] كونَّها بعد أن لم تكن فيً عجائب صور ظاهرة، ونسقها على اختلافها بلطيف قدرته ودقيق صنعه، فمنها مغموسٌ في قالب لون لا يشوبه غيرُ لون ما غمس فيه، ومنها مغموس في لون صبغ، قد طَوِّق بخلاف ما صُبغ به ﴿وَمِنَ النَّاسِ وَالدَّوَابِّ وَالْأَنْعَامِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ كَذَٰلِكَ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾ [فاطر: ٢٨].

فسبحان من أقام من شواهد البينات على عظمته وقدرته، ما انقادت له العقول معترفةً به ومسلمةً له، فبان لها أن فاطر النملة هو فاطر النخلة.

فالويل كل الويل لمن جحد المقدِّر وأنكر المدبِّر، زعموا أنهم كالنبات ما لهم زارع، ولا لاختلاف صورهم صانع، وغاب عن عقولهم المختلة، وأذهانهم المعتلة، من عقله أكبرُ من حضارتهم بعبارات ثرة على أعرابيته وبداوته: سماء ذات أبراج، وأرض ذات فجاج، وبحار ذات أمواج وأثر يدل على المسير، وبعرة تدل على البعير، ألا يدل ذلك كله على اللطيف الخبير. ﴿إِنَّ اللَّهَ فَالِقُ الْحَبِّ وَالنَّوَىٰ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَمُخْرِجُ الْمَيِّتِ مِنَ الْحَيِّ ذَٰلِكُمُ اللَّهُ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ ﴿٩٥﴾ فَالِقُ الْإِصْبَاحِ وَجَعَلَ اللَّيْلَ سَكَنًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ حُسْبَانًا ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ﴾ [الأنعام: ٩٥، ٩٦].

أيها الناس:

لربما رفع أحد منا عقيرته فقال: إن مثل هذا الحديث، داخل في توحيد الربوبية الذي لم ينازع في إثباته حتى مشركو زمان النبي ﷺ، أفيخص بالحديث؟ فالجواب: نعم، بيد أن الإشراك في توحيد الربوبية، قد داخل فئامًا من الناس في القديم وفي الحديث، ففي الصحيحين من حديث زيد بن خالد الجهني قال: صلى لنا رسول الله ﷺ صلاة الصبح بالحديبية على إثر سماء كانت من الليل، فلما انصرف أقبل على الناس قال: «**أتدرون ماذا قال ربكم**»، قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: «**أصبح من عبادي مؤمن بي وكافر، فأما من قال: مطرنا بفضل الله ورحمته، فذلك مؤمن بي كافر بالكوكب، وأما من قال: مطرنا بنوء كذا وكذا، فذلك كافر بي مؤمن بالكوكب**».

فانظروا يرعاكم الله: أليس هذا حديثًا عن توحيد الربوبية. بلى وربي، ومع ذلك حذر النبي ﷺ من الوقوع في الشرك فيه، بل لقد وقع ثلة من الناس في براثن هذا الشرك في عصرنا الحاضر قصدوا أو لم يقصدوا، فأخذوا يلجأون إلى المشعوذين والدجاجلة الأفاكين بقايا مسيلمة الكذاب

وابن صياد من مدعي علم الغيب بالكهانة والتنجيم وقراءة الأكف والفناجين والذين يوحي إليهم أولياؤهم من الشياطين ، ومسترقي السمع من السماء ، فيقرقرونها في آذانهم كقرقرة الدجاج ، فيخلطون مع ما يصدقون فيه مائة كذبة ، ومما يزيد القُرح ، ويشعل الكمد أن لَهم رواجًا في أوساط الناس ، في بقاعٍ شتى من هذه البسيطة ، وفي جانب عظيم من جوانب توحيد الربوبيةً ، ألا وهو علم الغيب ، الذي استأثر الله بعلمه فلا يطلع عليه نبي مرسل ولا ملك مقرب ، إلا بما يوحي إليهم ربهم .

بل لقد امتد القصور في توحيد الربوبية على غرار ما جاء في حديث زيد ابن خالد الآنف الذكر ، إلى ما يطالعه العالم في حياته اليومية ، عبر الأثير المسموعً والمرئي ، في تفسير الظواهر المتكررة من زلازل وفيضانات ومنخفضات جوية ومرتفعات ورياحٍ وبراكين ، تفسيراً ماديّاً بحتًا مبتوت الصلة بالله ومشيئتّه ، مستقًى من فلسفات يونانية وأخرى إغريقية قررها ملاحدة ، ولاقت رجع الصدى من قبل بعض المسلمين المعجبين بما عند الغرب .

بل لقد جاوز الأمر قنطرته بمطالعات الصحافات المتكررة في أقطارٍ شتى عما يسمى : مستقبل الأبراج ، وما لها من آثار مكملة في شرخ توحيد الربوبية وربط المسلم بالأسباب المادية الجافة ، أو التعبًير من قبل بعض ضعاف النفوس ، في الاهتياج بما يفرحه بقوله : «من حسن الطالع أن كان الأمر كذا» وبما يسوؤه بقوله : «من سوء الطالع كذا . . » .

فأصبحوا يتناوشون الطوالع والأبراج ، يبحثون عن سعادتهم في برج الميزان ، وينأون بأنفسهم عن أن يكونوا من أهل برج العقرب ، وهكذا تحيا الخرافة ، ويتجدد مذهب مسيلمة وابن صياد ، فالله المستعان ، ولقد ذكر شيخ

الإسلام ابن تيمية رحمه الله أن علي بن أبي طالب رضي الله عنه عندما أراد المسير لقتال الخوارج عرض له منجم فقال له: يا أمير المؤمنين، لا تسافر، فإن القمر في العقرب، وإنك إذا سافرت والقمر في العقرب هزم أصحابك، فقال رضي الله عنه: بل نسافر ثقة بالله وتوكلاً على الله وتكذيبًا لك، فسافر فبورك له في ذلك السفر حتى قتل عامة الخوارج.

ومثل ذلك، ما فعله المنجمون الأفاكون مع الخليفة المعتصم، حينما أراد فتح عمّورية، استجابةً لصرخة امرأة مسلمة، فنهوه أن يغزوهم قبل أن ينضج التين والعنب، فردّ قولهم وسافر، فأكذب الله المنجمين وأعز المسلمين وسار بتسعين ألفًا كآساد الشرى، نضجت أعمارهم قبل أن ينضج التين والعنب.

ولذا فقد كان المسلم مأمورًا بالفأل ونبذ التطير، في سائر شؤونه ومنها السفر.

ولقد ذكرت الطيرة عند رسول الله ﷺ فقال: «**أحسنها الفأل، ولا تردّ مسلمًا، فإذا رأى أحدكم ما يكره فليقل: اللهم لا يأتي بالحسنات إلا أنت، ولا يدفع السيئات إلا أنت، ولا حول ولا قوة إلا بك**» رواه أبو داود.

ولأحمد من حديث ابن عمرو قال: قال رسول الله ﷺ: «**من ردته الطيرةُ عن حاجته فقد أشرك**».

فانظروا عباد الله كيف وقع بعض الناس أسارى في هذا الشرك فوطئتهم هوته بكلكلها، وتمعكت عليهم بكواهلها، فأصبحت نفوسهم بذلك ساجيةً مقهورة وفي حكمة الذل منقادةً أسيرة، حتى صيروا أنفسهم في حوزة

خشناء، يغلُظ كلامها ، ويخشن مسُّها، ويكثر العثار فيها، فلا جرم أن المتخلص منها بعد الإدمان فيها كراكب الصعبة من الإبل إن أشنق لها خرم وإن أسلس لها تقحم، فيمنى لعمر الله بخلط وخبط ، حتى لا يُرى في عينه إلا القذى وليس في حلقه إلا الشجا، إلا بعون من الله ورضوان، فمن وفق للتوحيد رزق التسديد .

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعني وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم .

قد قلت ما قلت إن صوابًا فمن الله، وإن خطأ فمن نفسي والشيطان واستغفروا الله إن الله غفور رحيم .

الخطبة الثانية

الحمد لله على إحسانه ، و الشكر له على توفيقه وامتنانه ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة نرجو بها النجاة من عصيانه ، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله الداعي إلى رضوانه ، صلوات ربي وسلامه عليه وعلى آله وصحبه وإخوانه .

أما بعد:

فاتقوا الله معاشر المسلمين ، واعلموا أن الإسلام قد عُني بالسفر عنايةً فائقة ؛ فجعل له أحكامًا تخصّه من سنن وآداب وواجبات ، ومحرمات ومكروهات ينبغي ألا يغفل عنها كل مسافر . كما يُؤكِّدُ على إحياء السنن المندثرة عند السفر ، من ذكر الوداع بقوله لمن يودعهم : أستودعكم الله الذي لا تضيع ودائعه ، وكذا دعاء الركوب على الدابة ، والتكبير على كل شَرَف والتسبيح إذا هبط واديًا ، وذكَر إقبال الليل أثناء السفر بأن يقول : «**يا أرض ربي وربك الله ، أعوذ بالله من شرك، ومن شر ما فيك، وشر ما خلق فيك، وشر ما يدبّ عليك، وأعوذ بالله من أسدٍ وأسود ، ومن الحية والعقرب، ومن ساكن البلد، ومن والد وما ولد**» .

وأن يقول إذا نزل منزلاً : «**أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق**» فإنه لا يضره شيء حتى يرتحل من منزله ذلك .

وقد قال القرطبي رحمه الله : هذا خبر صحيح علمنا صدقه دليلاً وتجربة ، منذ سمعته عملت به ، فلم يضرَّني شيء إلى أن تركته فلدغتني عقربٌ ليلة فتفكرت فإذا بي نسيته .

كما يستحب للمسافر عباد الله ، إذا بدا له الفجر وهو في السفر أن يقول

ما ثبت عن النبي ﷺ أنه قال حينما بدا له الفجر: «**سمع سامع بحمد الله وحسن بلائه علينا ، ربنا صاحبنا وأفضل علينا ، عائذاً بالله من النار**» رواه مسلم .

وغير ذلك من السنن كثير وكثير يطول المقام بذكره؛ غير أنا نوجه بأن وصايا النبي ﷺ بآداب السفر من ذكر وتكبير وتسبيح كأنه يعني بالتعريض أن القافلة المسافرة كلها في صلاة، وما هي إلا صور تجعل من تمجيد الله شغلَ قافلة السفر، ومن ذكره والثناء عليه، السموَّ الذي تطمئن به قلوب ذاكريه ، ومن ثم يشعر المسافر، باختصار السفر وسهولته فينجو من وعثائه وكآبته.

اللهم صل على محمد .....

* * *

وداع رمضان

الخطبة الأولى

إن الحمد لله ، نحمده سبحانه استتمامًا لنعمته، واستسلامًا لعزته، واستعصامًا من معصيته. إنه لا يَضِلُّ من هداه، ولا يَئِلُ من عداه، ولا يَفْرَقُ من كفاه.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، شهادةً نتمسك بها أبدًا ما أبقانا، وندَّخرها لأهاويل ما يلقانا، فإنها عزيمةُ الإيمان، وفاتحةُ الإحسان، ومرضاة الرحمن، ومدجرة الشيطان. . وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، أرسله بالدين المشهور، والعلم المأثور، والكتاب المسطور، والتوحيد الخالص.

صلوات ربي وسلامه عليه، وعلى آله الأتقياء البررة، وعلى صحابته الأوفياء، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد:

فأوصيكم أيها الناسُ ونفسي بتقوى الله عز وجل، فإنها مفتاحُ سداد،

وذخيرة معاد، وعتقٌ من كل ملكة، ونجاةٌ من كلِّ هلكة، بها ينجح الطالب، وينجو الهارب، فاعملوا، فإن العمل يُرفع، والتوبةَ تنفع، والدعاء يُسمع، وبادروا بالأعمال، عمرًا ناكسًا، ومرضًا حابسًا، أو موتًا خالسًا، فإن الموت هادم لذاتكم، يوشك أن تغشاكم دواجي ظلله، واحتدام علله، فكأن قد أتاكم بغتةً، فأسكت نَجيَّكم، وفرّقَ نَديَّكم، وعفَى آثاركم، وعطَّل دياركم، وبَعَثَ وُرَّاثكم يقتسمون تراثكم. بين حميم خاص لم ينفع، وقريب محزون لم يمنع، وآخرَ شامت لم يجزع، ألا وإن عليكم رُصَّدًا يحفظون أعمالكم، وعَدَدَ أنفاسكم، لا تسترُكم منهم ظلمةُ ليل داجٍ، ولا يُكنُّكم منهم بابٌ ذو رتَاج. وإن غدًا من اليوم لقريب: ﴿إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِاللَّهِ الْغَرُورُ﴾ [لقمان: ٣٣].

عباد الله:

إن الأيام تمرُّ مرَّ السحاب، عشيةٌ تمضي، وتأتي بُكرة، وحسابٌ يأتي على مثقال الذرة، وإن في كرِّ الأيام والليالي لعبرة، وقد قال بعض الحكماء: إن السنةَ شجرةٌ، والشهورُ فروعُها، والأيامُ أغصانُها، والساعات أوراقُها، والأنفاس ثمرُها، فمن كانت أنفاسُه في طاعة الله، فثمرةُ شجرته طيبة، ومن كانت في معصية فثمرتُه حنظل، وإنما يكون الجذاذُ يومَ الحصاد، فعند الجذاذ يتبيَّنُ حلوُ الثمار من مُرِّها.

إن الناس منذ خُلقوا لم يزالوا مسافرين، وليس لهم حطٌّ عن رحالهم إلا بالجنة أو النار.

عباد الله:

إن الزمنَ يجري بسرعة عجيبة، فهو دائبُ الحركة ليلاً ونهارًا، مؤكدًا أن تقاربَ الزمان من أشراط الساعة، كما صح بذلكم الخبر عن المصطفى ﷺ.

يتساءل الناسُ، من كان منهم بلغ العشرين من عمره أو الثلاثين، أو أقل أو أكثر، عن تلك الأيام التي عاشها، والليالي التي قضاها، ولا ينفكّ يراها ماضيًا تركه خلفه، لن يعودَ له مرةً أخرى، يشعر الناسُ جميعًا بذلك؛ صغيرهم وكبيرهم، برُّهم وفاجرهم: ﴿قَالَ كَمْ لَبِثْتُمْ فِي الأَرْضِ عَدَدَ سِنِينَ (١١٢) قَالُوا لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ فَاسْأَلِ الْعَادِّينَ﴾ [المؤمنون: ١١٢، ١١٣]، ولقد صدق رسول الله صلوات ربي وسلامه عليه - بأبي هو وأمي - حيث يقول: «**اغتنم خمسًا قبل خمس، حياتَك قبل موتك، وصحتك قبل سقمك، وفراغَك قبل شُغْلك، وشَبَابَك قبل هرمِك، وغِنَاك قبل فقرِك**» أخرجه البيهقي والحاكم.

إنَّ هذا الحديث المنبعثَ من مشكاة النبوة، يمثل حياة الإنسان بأنها حبلٌ ممدود لا يدري متى ينقطع، ولأجلِ ذا كان لزامًا على المؤمن ألا يلتفتَ إلى الماضي، لينفَجعَ عليه فيقْنَط، أو يحزن عليه فيكسل، ولا يتلهف إلى المستقبل، يريد أن يعرفه قبل أوانه، ومن كانت هذه خلَّته فهو سلطانٌ ولو عاش في زي المملوكين، وجعلته بداهةً يحسُّ بأنه ليس بينه وبين عظماء الدنيا إلا يومٌ واحد، أما أمس فلا يجدون لذتَه، ولا يجدُ هو شدتَه. وأما الغد فإنه وإياهم منه على خطر، والموتُ مُوترٌ قوسَه، لا تُخطئ سهامُه، ولا توسى جراحُه، وما هو إلا اليوم فما عسى أن يكون، فما مضى فات، والمؤمل غيب، وما له إلا الساعة التي هو فيها، ولن يستطيع ردّ الأمس في اليوم الجديد ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُقْسِمُ الْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُوا غَيْرَ سَاعَةٍ﴾ [الروم: ٥٥]. ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ كَأَن لَّمْ يَلْبَثُوا إِلاَّ سَاعَةً مِّنَ النَّهَارِ يَتَعَارَفُونَ بَيْنَهُمْ﴾ [يونس: ٤٥]، ﴿كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبَثُوا إِلاَّ عَشِيَّةً أَوْ ضُحَاهَا﴾ [النازعات: ٤٦].

إن الزمن - عباد الله - فرصةٌ كبرى لإيقاظ ذوي الفطن لفعل الخير،

والتوبة النصوح، وإسداء المعروف، وترك ما يشين ﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ خِلْفَةً لِّمَنْ أَرَادَ أَن يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا﴾ [الفرقان: ٦٢].

إن الاتعاظ بالزمن، ودراسة التأريخ العام، وتتبعَ آيات الله في الآفاق، وتدبر أحوال الأمم كيف تقوم وكيف تفنى، كيف تكون ذاتَ عز يطاول الثُريا رفعةً وثناء، حتى سرى في جسدها داء التواكل، ودبَّ في نفوسٍ بنيها دبيبُ التخاذل، فتنحدر إلى الهاوية انحدار جُلمود صخرٍ حطَّه السيل من علٍ.

إن التطوافَ المتمحص هنا وهناك يعود بثروة طائلة من العبر والعظات، تزيد العبد معرفةً بربه، ويقينًا بقدرته وعظمته، وأن من يعش يكبر، ومن يكبر يمت، والمنايا لا تبالي ما أتت، وكلّ اجتماع فإلى افتراق، والدهر ذو فتح وذو إغلاق، وكم من أمةٍ سوف يكون غيرها، وسوف يفنى شرها وخيرها.

وإلا فأين ثمود الذين جابوا الصخر بالواد؟ وأين فرعون ذو الأوتاد الذين طغوا في البلاد؟ أين عادٌ إرم ذات العماد التي لم يخلق مثلها في البلاد؟ أين أبرهة؟ أين قارون؟ أين الأكاسرة؟ وأين القياصرة؟ أين الجبابرة والصناديد الأبطال؟ طوتهم الأرض بعد حين، فافترشوا التراب، والتحفوا الثرى، وأصبحوا خبرًا بعد عين، وأثرًا بعد ذات.

ألا وكأننا في هذا البيت المبارك نتذكر إبراهيم وابنه إسماعيل ـ عليهما السلام ـ يرفعان القواعد من البيت، وكأننا برسول الله ﷺ يدخل البيت الحرام تعلوه السكينةُ وهو يردد ﴿وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا﴾ [الإسراء: ٨١].

ألا فاعلموا عباد الله أن الزمان سيدور دورته، وأنه سيأتي على هذا البيت العتيقِ الشامخِ زمانٌ يُقتلعُ بناؤه حجرًا حجرًا، يصفُه رسول الله ﷺ

بقوله: «**يُخرِّبُ الكعبة ذو السويقَتَيْنِ من الحبشة، كأني به أسود أفحج، يقلعها حجرًا حجرًا**» رواه البخاري.

ففي هذا الحديث ـ عباد الله ـ إيذانٌ بانتهاء الحياة الفانية، والوقوف أمام فاطر السموات والأرض جميعًا، حفاةً عراةً غرلاً، ما منا أحد إلا وسيكلمه ربه كفاحًا دون ترجمان، لا يُستثنى منا صغير ولا كبير، ولا أمير ولا وزير، ولا حر ولا عبد، ولا ظالم ولا مظلوم.

نعم سنقف جميعًا ـ وربِّ الكعبة ـ ﴿**وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَىٰ كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ**﴾ [الأنعام: ٩٤] سنقف جميعًا ـ عباد الله ـ أمام الملك الجبار. فهل انتبهتَ لذلك أيها الظالم، ألا ترعوي وترفع الظلم عمن ظلمتَ قبل ألا ينفع دينارٌ ولا درهم. تُب إلى ربك قبل أن يدركَكَ الأجلُ.

نعم أيها المسلمون سنقفُ جميعًا أمام الجبارِ جل وعلا، فهل تنبهتَ لذلك أيها الغاشّ، وأنت أيها المخادع.

نعم سنقف جميعًا أمام الواحد الأحد، فهلا انتشلْتَ نفسك أيها المعجبُ بوظيفتك الزاهي بوسامك، ماذا تشعر به من ذلك كله، إذا تجردت وخُلّيت بنفسكَ، ألستَ تكون أنت وعراةَ الفقراء سواء.

نعم عباد الله سنقفُ أمام الخالقِ جميعًا.

فهلا أدركت نفسك أيتها الفتاةُ المسلمةُ. أين أنت من هذا الموقف العظيم؟ أين أنت مَن هولهَ وطوله؟

أين أنت يوم تنكشفُ عورتُك وتُنشر صحيفتك؟ ألا تتوبين إلى الله، أما تُقلعين عن مَعصية الله وعن إغواءَ عباد الله بمفاتنك وإبداء حواجبك المزجَّجَة وعيونك المكحَّلة؟ حيث تفعلان بالألباب كما تفعل الخمر. وعطرك الذي يشدُّ حاسةَ الشمِّ من بعيد، فتحركين جانبَ الفجور في الرجالِ. وتُشعلين

كوامنَ الشهوة لديهم فَتَتَّقدُ كالنار المتأجِّجَة في الصدر، وتمتدُّ بالتالي سريانًا كاللهيب إلى كلِّ جارحة من جَوارح الرجَل. ألا تتذكرين نارَ جهنم؟ ألا تَفْقَهين قولَ المصطفى: ﷺ «**رأيت النار، وإن أكثر أهلها النساء**».

نعم عباد الله سنقف جميعًا أمام ربنا وخالقنا ومولانا في يومٍ كان مقدارهُ ألف سنة. يوم الزلزلة والغاشية والقارعة، يوم الحاقة والدين وما أدراك ما يوم الدين.

عباد الله:

إن شهر رمضان قد أوشك تمامُه وإسدالُ ستاره قاب قوسين أو أدنى، بعد أن ظلَّ المسلمون تسعةً وعشرين يومًا منه، ينالونَ من نفحات ربهم، فما أسرع ما انقضت الأيام، وتلاشت الذكريات، وكأنها أوراق الخريف عصفت بها ريح القدر.

شهر رمضان! أين هو شهر رمضان؟ ألم يكن بين أيدينا؟ ألم يكن ملء أسماعنا وملء أبصارنا؟ لم يكن إلا طرفة عين، حتى انقضى موسم التقوى، وبلابل الروح قد هدأ تغريدُها وإلى الله المصير.

فيأيها المذنب، يا أيها المذنب: بدِّل اهتمامك لك باهتمامك بك، واسرق منك لك، فالعمر قليل. تظلَّم إلى ربِّك منك، واستنصر خالقك عليك، أترومُ حصادًا في هذا الشهر المبارك وأنت لم تبذُرْ بعد؟

﴿ **وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ ﴿٤٠﴾ فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَىٰ** ﴾ [النازعات: ٤٠، ٤١]، هل التفت إلى نفسك أيها المذنب، وتفكرت في خطايا لو عوقبت ببعضها لهلكتَ سريعًا، ولو كُشف للناس بعضها لاستحييت من قُبْحها وشناعتها، أما لو كانت للذنوب روائحُ لما جَلس أحدٌ منا في هذا المسجد، فأفٍ ثم أفٍ لنفس مريضةٍ انسلخ عنها شهر رمضان وما

انسلخت عن قبيح عاداتها.

ألا وإن قلةَ التوفيقِ من قلة الاعتراف بالذنب.

ورحم الله ابن سيرين فقد حُمِّل دينًا فسُئل فقال: إني لأعرفُ الذنبَ الذي حُمِل عليَّ به الدَّيْن ما هو؛ قلتُ لرجلٍ مَنذ أربعين سنة: يا مفلسُ!!

الله أكبر ولا إله إلا الله. أيها المسلمون. قلَّتْ ذنوبهم فعرفوا من أين يُؤتون، وكثرت ذنوبنا فليس ندري من أين نُؤتى، والجزاء من جنس العمل. أولئك قومٌ جعلوا رضاء الله فوق أهوائهم، فأذعنوا لكل صغيرة وكبيرة وسلموا تسليمًا.

لقد كان الراعي منهم أشدّ حنانًا على من يرعى من الأم على ولدها، وكان العَالمُ منهم لا يألو جهدًا في إرشاد العامة إلى مناهج الحقِّ معذرةً إلى الله، وكانت المرأة فيهم عَفَّةَ الفؤادِ، طاهرةَ الذيلِ، حُرَّةً لا تزني.

أولئك قومٌ كانت الدنيا عندهم وديعةً حتى ردّوها إلى من ائْتَمَنهم عليها.

ألا إن من حمدَ الدنيا ذمَّ الآخرة، وليس يكره لقاءَ الله إلا مقيمٌ على سخطه. ورضي الله عن ابن مسعود، حيث يقول: «زاهدكم راغب، ومجتهدكم مقصِّر، وعالمُكم جاهل».

فيا مؤخراً توبتَه بمطْلِ التسويف لأيِّ يومٍ أجَّلْتَ توبَتَك. كنت تقول: إذا شبتُ تبتُ، وإذا دخل رمَضان أنبتُ.

فهذه أيام رمضان عناقدُ انقَضَتْ، كنتَ في كلِّ يوم منه تضعُ قاعدةَ الإنابة لنفسك ولكن على شفا جرف هار. ويحك!! تعطَّر بالتوبة والاستغفار فقد أزكمتْك روائحُ ذنوبك، ولا تقنع في توبتك إلا بمكابدة حزنِ يعقوبَ أو بصبرِ يوسفَ عن الهوى، فإن لم تطق فبذُلِّ إخوته يوم أن

قالوا: ﴿إِنَّا كُنَّا خَاطِئِينَ﴾ [يوسف: ٩٧] ثم اعلم يرعاك الله أن التائب من الذنب إذا صدق في توبته أحيَّه الله وأحياه ﴿أَوَ مَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا﴾ [الأنعام: ١٢٢] ألا إن من خافَ الله أخاف الله منه كلَّ شيء، ومن خاف الناسَ أخافه الله من كلِّ شيء.

وهكذا أيها المسلمون تنطوي صحيفةٌ رمضان، وتُقوَّضُ سوقٌ كانت عامرةً بالخيرات والحسنات، ربح فيها من ربح، وخسر فيها من خسر، وحُرِم من حُرِم، على تفاوت كبير في درجات الربح أو الخسران أو الحرمان وما لنا إلا الصبر على ألم فراقه، نودِّعه وأشواقنا لم تزل، ودموعنا في المآقي، والغصةُ في الحلوق جارحَة.

وأعيننا لانتصرامه في أرق، وإن العين لتدمع، وإن القلب ليحزن، وإنَّاعلى فراق رمضان لمحزونون، فأحسن الله عزاءكم، وجبر مُصَابكم، وتقبَّل منا ومنكم.

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعني وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم أقول ما تسمعون، وأستغفر الله لي ولكم، ولسائر المسلمين من كلِّ ذنبٍ وخطيئة، فاستغفروه وتوبوا إليه، إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية

الحمد لله حمدًا كثيرًا طيبًا مباركًا فيه، كما يحب ربُّنا ويرضى، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، صلوات ربي وسلامه عليه، وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد:

فاتقوا الله معاشر المسلمين، واعلموا أن للمسلمين في عامهم عيدين لا ثالث لهما، حكمًا شرعيًا، ومن جهة المعنى والواقع، فإن كلَّ يومٍ لا يَعْصِي فيه العبد ربه فهو عيد، كما قال علي بن أبي طالب.

والعيد عباد الله مسرحٌ للاستئناسِ البريء، البعيد عن الصخبِ والعطبِ.

بيتًا ومجتمعًا وإعلامًا، وإنه متى تجاوز الناس حدودَ الله في أعيادهم، من لهوٍ محرم وطرب ومعازف، فما قدروا الله حقَّ قدره، وما شكروه على آلائه.

ولقد رأى أحدُ السلف قومًا يعبثون في يوم عيد بما لا يُرضي الله فقال: إن كان هؤلاء تُقُبِّل منهم صيامُهم فما هذا فعل الشاكرين، وإن كانوا لم يُتقَبَّل منهم صيامهم فما هذا فعْلُ الخائفين.

عجبًا لأمثال هؤلاء - عباد الله - نهارُهم في دجنة وليلهم جهوري، ألذّ ما عندهم سَمَرُ العشاق، أو شغل المشغولين بالفراغ. عبادتهم نزرٌ وغوايتُهم غَمْر، لا يعلمون أي ميزةٍ لصيام الستِّ من شوال، أو آخر ساعةٍ من يوم

الجمعة، أو ثلث الليل الآخر، ويكادون يفتقدون القشعريرة التي تُستمطر بها بركات السماء. قُبَيْلَ العيد يعقدون الجلسات غير المباركات عن معاقد العزم، في شد الرحال في إجَازة العيد، إلى مجاري الأنهار وشواطئ البحار، في بلاد الكفار، أو بلاد تشبهها، في رحلات عابثة، أدنى سوئها الإسرافُ والتبذير، ناهيكم عمّا يُشاهد هناك من محرمات ومخاز، تحلقُ الدِّين لا تحلق الشعر. ولقد صدق رسول الله ﷺ في قوله: «**أنا بريء من مسلمٍ يقيم بين ظهراني المشركين لا تراءى ناراهما**» رواه أبو داود والترمذي.

فاتقوا الله عباد الله، واعلموا أن الله قد فرض عليكم صدقةَ الفطر على الذكر والأنثى، والحر والعبد، والصغير والكبير؛ صاعًا من بُر أو أقط أو تمر أو زبيب أو شعير، وإن بعض الناس هداهم الله، يؤدون زكَاةَ الفطرِ منَ النقود، ألا فليعلموا أن القيمة لا تجزئُ في دفعِ زكاةِ الفطرِ على الصحيحِ.

ولقد كان رسول الله ﷺ يؤديها قبل خروجه لصلاة العيد، وكان الصحابة رضي الله عنهم يؤدونها قبل العيد بيوم أو يومين. ألا فأخرجوها ـ رحمكم الله ـ طيبةً بها نفوسُكم. راضيةً بها أحوالكم ـ هذا وصلوا ـ رحمكم الله ـ على خير البرية وأزكى البشرية، محمد بن عبد الله بن عبد المطلب، صاحب الحوض والشفَاعة، فقد أمركم الله بذلك في قوله: ﴿**إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا**﴾ [الأحزاب: ٥٦].

اللهم صلِّ على محمد، وعلى آل محمد، كما صليت على إبراهيم، وعلى آل إبراهيم، إنك حميد مجيد، وبارك على محمد، وعلى آل محمد، كما باركت على إبراهيم، وعلى آل إبراهيم، في العالمين إنك حميد مجيد.

اللهم ارض عن خلفائه الأربعة، أبي بكر وعمر وعثمان وعلي، وعن

سائر الصحابة أجمعين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، وعنا معهم بعفوك وجودك وكرمك يا أرحم الراحمين.

اللهم أعز الإسلام والمسلمين، وأذل الشرك والمشركين، ودمر أعداءك أعداء الدين، واجعل هذا البلد آمنًا مطمئنًا وسائر بلاد المسلمين، اللهم انصرنا على من ظلمنا، واجعل ثأرنا على من ظلمنا يا ذا الجلال والإكرام، اللهم انصر دينك وكتابك وسنة نبيك وعبادك المؤمنين.

* * *

خطبة الخوف[1]

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره ونتوب إليه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ﷺ وبارك عليه وعلى آله وصحبه وسلم ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد:

فأوصيكم أيها الناس ونفسي بتقوى الله عز وجل، اتقوه واعبدوه واسجدوا له وافعلوا الخير لعلكم تفلحون. تقوى الله سبحانه هي حبل المؤمن في الدنيا ونجاته في الأخرى، ولم تكن التقوى يومًا ما صلة نسب أو مصاهرة نكاح ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾ [الحجرات: ١٣].

الناس من جهة التمثال أكفاء ... أبوهم آدم والأم حواء

وإن يكن لهم من أصلهم شرف ... يفاخرون به فالطين والماء

فأصل الناس واحد وتفاضلهم إنما هو بتقوى الله عز وجل والقرب منه، وما النسب والرحم إلا ملتقى للصلات والتقارب واجتماع القلوب.

---

(١) هذه الخطبة ألقيت ارتجالاً، وفرغت من شريط التسجيل.

ألا إنمـا التقوى لبـاس وزينـة فلا تترك التقوى اتكالاً على النسب
فقد رفع الإسلام سلمـان فارس وقد وضع الشرك الشقي أبا لهب

فما ضر بلالاً يوم أن أعلن تقواه الله فسمع رسول الله ﷺ قرع نعليه في الجنة، وما نفع أباطالب وأبا جهل يوم أن تنكصوا لشرع الله وعبادته، وما ضر أباهند وقد كان حجامًا أن يقول فيه النبي ﷺ «**يا بني بياضة أنكحوا أبا هند وأنكحوا إليه**»، وقد كان حجامًا رضي الله عنه.

ألا إنما التقوى هي العز والكرم وحبك الدنيا هو الذل والسقم
وليس على عبدٍ تقي نقيصة إذا حقق التقوى وإن حاك أو حجم

عباد الله:

إن نعم الله علينا تترى، وإن أفعالنا للمعاصي تترى، يطعمنا ربنا فنكفر ونعصيه فيغفر وإننا لفي غفلة عن الموت والبلى والحساب يوم الجزاء.

نصل الذنوب إلى الذنوب ونرتجي درج الجنان لدى النعيم الخالد
ولقد علمنا أخرج الأبوين من ملكوته الأعلى بذنب واحد
يا من بدنياه انشغل وغره طول الأمل
الموت يأتي فجأة والقبر صندوق العمل

أيها الناس:

في ظل الحياة المادية الجافة تعلقت قلوب الكثير إلا من رحم الله بالنظر إلى الطبائعيين الصرف وتعليل الأحداث بمعلولات طبيعية بحتة دون النظر إلى موجدها وجاعلها أسبابًا خاضعة لمشيئته وقدرته، إن خسوف القمر وكسوف الشمس آيتان من آيات الله يخوف الله بهما عباده؛ فهما لا ينكسفان لموت أحد ولا لحياته. ولقد بات تعلق الناس بالمسببات مع هذه الحوادث

أكثر من تعلقهم بمقتضياتها والمشروع تجاهها. فإذا ما خسف القمر قالوا: هو في مرحلة الظل؛ تحول الأرض بينه وبين الشمس، وإذا ما تزلزلت الأرض، قالوا: هذا نابع من القشرة الأرضية بسبب كيت وكيت، وإذا كثرت الأمطار وهبت الأعاصير قالوا: هي المنخفضات الجوية أو المرتفعات وما أشبه ذلك.

فعلام عباد الله نلتفت إلى هذه المسببات الطبيعية وننسى أن الله جل وعلا هو المسبب لها، فلم نكون أردى وأخذل من أهل الجاهلية الذين سلموا بمثل ذلك لله جل وعلا حتى قال مسلم الجاهلية:

وأسلمت وجهي لمن أسلمت ... له المزن تحمل عذبًا زلالا
إذا هي سيقت لبلدة ... أطاعت فصبت عليه سجالا
وأسلمت نفسي لمن أسلمت ... له الأرض تحمل صخرًا ثقالا
دحاها فلما استوت شدها ... سواء وأرسى عليها الجبالا
وأسلمت وجهي لمن أسلمت ... له الريح تصرف حالاً فحالا

ولذا فإن علينا أيها الأخوة أن ننتبه إلى قضية جد خطيرة، قد يغفل عنها كثير منّا ألا وهي قضية الإشراك في الربوبية، التي ربما تساهل فيها بعض الناس من منطلق قناعتهم المغلفة أن هذا التوحيد لا يتطرق إليه إشراك ألبتة، وهذا خطأ صريح؛ فإن النبي ﷺ ثبت عنه كما في الصحيحين من حديث زيد بن خالد الجهني أنهم صلوا الفجر مع رسول الله ﷺ على إثر سماء كانت مطيرة فقال رسول الله ﷺ: «**يقول الله سبحانه: أصبح من عبادي مؤمن بي وكافر؛ فأما من قال مطرنا بفضل الله ورحمته، فذلك مؤمن بي كافر بالكوكب، وأما من قال: مطرنا بنوء كذا أو نوء كذا فذلك كافر بي مؤمن**

بالكوكب».

فدل هذا الحديث عباد الله على أن الشرك قد يقع في الربوبية وأن نسبة الأحداث، إلى غير الله شرك، ولأجل ذا قسم أهل العلم الشرك في ذلك قسمين:

الأول: من قال: إن هذه الأشياء هي المحدثة بنفسها مستقلة بهذا الإحداث، فهذا شرك أكبر مخرج من ملة الإسلام.

الثاني: من قال: إن هذه الأشياء أحدثها الله سبحانه، ولكن يعتقد أن لها تأثيرًا، فهذا شرك أصغر غير مخرج من الملة.

ولأجل ذا عباد الله فإن علينا أن نحذر الوقوع في ذلك، كما أنه ينبغي علينا نسبة الأحداث إلى محدثها وهو الله سبحانه وتعالى، وأن نأخذ منها العبرة والعظة، وأن كثرة حدوث الآيات مما يؤكد ذلك؛ فالكسوف لم يحصل في عهد النبي ﷺ إلا مرة واحدة على الصحيح.

وأما في هذه العصور فهي تتكرر مرارًا، فكم صلينا من صلاة كسوف أو خسوف في أيامنا؟ إنها كثيرة وكلها نذر للبشر ليلتفتوا إلى واقعهم وينتبهوا لأنفسهم فيتوبوا إلى الله عز وجل، ولأجل ذلك، أمروا عند حدوث مثل ذلك بالعبادة والفزع والصلاة والتصدق، سبحان الله!! كل هذا متعلق بالكسوف والخسوف، فالعبادة إذًا أمر واجب علينا، بل إن التوحيد الذي دعا إليه النبي ﷺ في مكة كان كله منصبًا على توحيد الألوهية الذي يسمى توحيد العبادة، وهو إفراد الله بالعبادة، والعبادة كما قال شيخ الإسلام: اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأعمال والأقوال الظاهرة والباطنة.

قال ابن القيم :

وعبادة الرحمن غاية حبه	مع ذل عابده هما قطبان
وعليهما فلك العبادة دائر	ما دار حتى قامت القطبان
ومداره بالأمر أمر رسوله	لا بالهوى والنفس والشيطان

فلا بد في العبادة من أن تتحقق غاية المحبة وغاية الذل، أي النهاية القصوى في المحبة والنهاية القصوى في الذل، وإلا فليست عبادة إذا اختلت عن ذلك.

ومما زادني شرفًا وفخرًا	وكدت بأخمصي أطأ الثريا
دخولي تحت قولك يا عبادي	وأن صيرت أحمد لي نبيا

ولذلك وصف الله محمدًا بأنه عبد له حتى في موطن الدفاع عنه والتشريف له يقول: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَا الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ...﴾ الآية [الإسراء: ١] ويقول: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُ عِوَجًا﴾ [الكهف: ١] فوصفه بالعبودية مع أن له أسماءً أخرى ثبتت في أحاديث صحاح مثل: أحمد ومحمد والماحي والعاقب والحاشر، وما ذاك إلا لشرف منزلة العبودية؛ إذ إن كلنا ينبغي أن نكون عبادًا لله عز وجل نعبده بغاية الذل وغاية الحب وغاية التعظيم له جل وعلا.

وبعد أيها الإخوة: فعليكم جميعًا أن تنظروا في واقعكم وتصححوا ما فيه من أخطاء، فإن نعم الله علينا تترى، وأفعالنا للمعاصي تترى.

نصل الذنوب إلى الذنوب ونرتجي	درج الجنان لدى النعيم الخالد
ولقد علمنا أخرج الأبوين من	ملكوته الأعلى بذنب واحد

آدم وحواء، أخرجهما الله من الجنة بذنب واحد، فما بالكم بنا أيها الناس، ما بالكم بذنوبنا نحن وقدتوالت وتكاثرت ويتبع بعضها بعضًا اتباعًا حثيثًا، نسأل الله لنا ولكم السلامة والعافية.

فعلينا أن نلجأ إلى الله ونستغفره ونتوب إليه، فإن الله رؤوف بعباده رحيم بهم ﴿هُوَ يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَأْخُذُ الصَّدَقَاتِ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾ [التوبة: ١٠٤] ﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾[الزمر: ٥٣].

وباب التوبة مفتوح على مصراعيه لا يغلق إلا إذا طلعت الشمس من مغربها وبلغت الروح الحلقوم، فالبدار عباد الله إلى التوبة النصوح، وإلى أن ننظر إلى هذه الكوارث نظر اعتبار وادكار لا نظر طبيعة وجبلة، وإلا لكانت هذه النذر متروكة خلف ظهورنا، وعليها فلنستعد للسؤال عنها ﴿قَدْ كَانَتْ آيَاتِي تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَكُنتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ تَنكِصُونَ﴾[المؤمنون: ٦٦]، ﴿وَكَأَيِّن مِّنْ آيَةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ ﴿١٠٥﴾ وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِاللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ﴾ [يوسف: ١٠٥، ١٠٦] زلازل، ورياح، فيضانات، ونحو ذلك فلا ادكار ولا ارعواء. نسأل الله أن يجعلنا وإياكم من التائبين العائدين إليه.

يا من يرى مد البعوض جناحها ... في ظلمة الليل البهيم الأليل
ويرى نياط عروقها في نحرها ... والمخ في تلك العظام النحل
امنن علينا بتوبة تمحو بها ... ما كان منافي الزمان الأول

سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلامٌ على المرسلين والحمد لله رب العالمين.

* * *

حقوق الإنسان الزائفة

الخطبة الأولى

الحمد لله سبحانه، أنعم على العباد بدينه القويم ودعوته، ومنَّ عليهم بشرعته وصبغته، وأكرمهم بتوضيح الطريق إلى مرضاته ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلامَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣].

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له دعوة الحق ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلامِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [آل عمران: ٨٥] لا إله إلا هو سبحانه يخرج الحي من الميت، ويخرج الميت من الحي، يسبح له الليل إذا عسعس، والصبحُ إذا تنفس.

وأشهد أن محمدًا عبد الله ورسوله، قائدُ المجاهدين، وإمامُ المتقين، قضى دهره لله عابدًا، وأفنى فيه مجاهدًا، فصلوات ربي وسلامه عليه، وعلى آله وأصحابه الأتقياء البررة، وعلى التابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد:

مهما يكن من شيء بعدُ، فوصيتي لكم ونفسي بتقوى الله سبحانه؛ فهي

عمادُ المؤمن في الدنيا، وأنيسُه في قبره، وسلوانه في وحشته، ودليلُه في الأخرى يوم يلقى الله سبحانه إلى جنات النعيم.

عباد الله:

إننا لنعلم بالضرورة أنه لا يجوز للناس أن يتخذوا غير الله ربًا أو حكمًا، وأن من فعل ذلك أو همّ به فهو جاحد للحق خائن للنعمة، وكذا من اتبع غيرَ ما شرعه الله، أوحكم بغير ما أنزل الله، إنما هو مهمل للتشريع الإلهي، ومعتنقٌ للقوانين البشرية، في عبث شائن وجاهلية منكرة ﴿**أَفَغَيْرَ اللَّهِ أَبْتَغِي حَكَمًا وَهُوَ الَّذِي أَنزَلَ إِلَيْكُمُ الْكِتَابَ مُفَصَّلاً**﴾ [الأنعام: ١١٤].

إنها لم تُترك أحكام الله إلا ببواعث الهوى، غير أنه منظم مزوق، كأنه منطق العقل الشديد، وهديُ المصلحة الزائفة، التي لا تتصل بحنايا القلوب: ﴿**الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ**﴾ [يونس: ٩٤]، ﴿**إِنِ الْحُكْمُ إِلاَّ لِلَّهِ**﴾ [يوسف: ٤٠]، ﴿**لَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ**﴾ [القصص: ٧٠].

إن الشريعة الإسلامية ضمان للصالح العام، وهي مبنية على الرحمة والعدل، والخير الذي يأمر الله عباده به - وما يأمر إلا بخير - تعود غايته لإسعاد الناس في عاجلهم وآجلهم، والشر الذي نهاهم عنه - وما ينهى إلا عن شر - ليس إلا وقاية لهم، من أذى قريب أو بعيد، أو من سوء مغبة جلية أو خفية؛ ولذا سما الإسلام بالإنسان روحًا وجسدًا، عقلاً وقلبًا، لم يضع في عنقه غلاً، ولا في رجله قيدًا، ولم يحرم عليه طيبًا، كما أنه لم يدعه كالكرة تتخطفها مضارب اللاعبين، فتتهادى في كل اتجاه، بل خاطبه ربه خطابًا صريحًا: ﴿**يَا أَيُّهَا الإِنسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ ۝٦ الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ ۝٧ فِي أَيِّ صُورَةٍ مَّا شَاءَ رَكَّبَكَ**﴾ [الانفطار: ٦ - ٨]، ﴿**يَا أَيُّهَا الإِنسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلاقِيهِ**﴾ [الانشقاق: ٦].

يقول ابن القيم رحمه الله : اعلم أن الله سبحانه وتعالى اختص نوع الإنسان من بين خلقه، بأن كرمه وفضّله وشرّفه، وأنزل إليه وعليه كتبه، وأرسله وأرسل إليه، فللإنسان شأن ليس لسائر المخلوقات.

ومن ثمّ عباد الله ، فإن الناس في هذه القضية طرفان، فالماديون التحرريون قالوا: إن الإنسان يعيش لنفسه ومتاع الدنيا، فإذا كان الأحمق منهم يعيش ليأكل، فإن العاقل منهم يأكل ليعيش.

وأما المؤمنون الموحدون فقالوا: إنما يعيش الإنسان لربه الأعلى، ولحياته الباقية الأخرى: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ﴾

[المؤمنون: ١١٥].

بيد أن أهل الكفر - عباد الله - قد بذلوا غاية وسعهم في الدعوة إلى قضية كبرى، وراءها ما وراءها من الخطورة على الفكر، والوعورة في المسلك، ألا وهي ما أسموها: «مبادئ حقوق الإنسان»، وجعل الحريات - حسب مفهومهم العلماني، الرافض للفطرة السليمة التي فطر الله الناس عليها سببًا يبيحون به تدمير الأخلاق، ويشيعون به فوضى الغرائز في ديارهم، والبلاد التي تشبهها أو تقتدي بها، حتى تلتبس بلباس العلمانية، الملخبط من جرّاء التحرر من الدين، وتنحيته عن واقع الحياة.

وهم يزعمون أنها مبادئُ الحضارة والتقدم والرقي، من خالفها وكابر فيها رموه بأنه مخالفٌ لمبادئ حقوق الإنسان، وليست من الحق في وَرْد ولا صَدَر، ولا هي من بابته؛ حيث إن حُلْوَهَا مر، وسهْلَها صعب، ودماثتها دميمة.

ولقد صدّقوا ظنهم، فاتبعهم أغرار ولهازم، من مفكرين وكتاب، في

العلوم السياسية والاقتصادية والقانونية، وعلم الاجتماع، وأخذوا في الدعوة إلى حقوق الإنسان على ما يريده الغرب، ومن عامة الناس أشياع لهذه الدعوات ولُدات، يتنكرون لأصول دينهم، إبان سنة من ذوي الإصلاح والتوجيه، ويظنون في مبادئ حقوق الإنسان، النضج والخروج من المأزق، وأن ما يأتي من ديار الإسلام قديم بال، حتى وقعت مواقع بين الطرفين، وكان سلاحها من أولئك، قذائف الزندقة والكفر، ومن أولاء دروع الاستكانة والتخاذل عن القيام بالواجب.

هذه المبادئ التي أرادوها تمثلت بشعار الحرية والمساواة والإخاء، وبالله، إلى أي مدى بلغت هذه المبادئ من تضليل الشعوب، بيد أن الجميع غيرُ قادرين على أن يصلوا إلى نقطة ارتكاز ينبثق منها هذا المبدأ المزعوم، فماذا تعني عندهم كلمة الحرية والمساواة والإخاء، أهي في الفكر؟ أم الاقتصاد؟ أم الصحافة؟ أم الاجتماع؟!

وإذا سلمنا جدلاً أنها تعني هذه المعايير كلها، فمن الذي يحدد نسبَ هذه الحريات وحدودها؟ أهو السلطان؟ أم الشعوب؟ أم الشعار نفسُه؟!

الواقع المشاهد عباد الله، أن مُنشئي معاني هذه المبادئ لم يصلوا إلى تحديد الوجهة، ولا زالوا يعانون من مشكلات هذه الطروحات، والحق أن من كان خصب الحدس واسعه، علم أن هذا كله كان ألفاظًا ورسومًا لمقررات اليهود وحكمائهم، والتي قالوا فيها: «كنا أولَ من اخترع كلمات الحرية والمساواة والإخاء التي أخذ العميان يرددونها في كل مكان دون ترو، بل إنها جلبت لنا أعوانًا من جميع أنحاء الدنيا»، والحق عباد الله أنه مخطئ من ظن يومًا أن للثعلب دينًا.

أيها المسلمون:

إن الكثيرين يسمعون ويشاهدون في صحف العالم تارة، وفي المنتديات المقنّعة تارات، لَغَطًا جهولاً، مصحوبًا بقلم متعثر، وفكرٍ في كل واد منه شُعبة، حول قسوة القيود، التي جاء بها الشارع الحكيم، ورميها بأحدِّ العبارات المسفَّة، ودهماء الناس مشغولون بالجدل والحوار حول ما يثيرونه، ويتوهمون أنها مشكلاتٌ حقيقية، لابد لها من حلول، فيقدمون في التشريع، ويهوشون في الحدود، ويفتحون ملف المرأة على أنها مهضومة الحق، أسيرةُ الكبت، لا حظَّ لها في العبّ من الفوضى، ولا قدَمَ لها في المنتديات أو الدوائر المكشوفة، وأنها متى رغبت في أخذ حقها المزعوم، أو التعبير عن رأيها الفاضح، فليس لها إلا أن تتسلل لواذًا على تخوفٍ لا يزيله إلاتقادمُ الأيام ومرُّ الليالي.

ونظن أن خطورة مثل هذه القضية قد تبدت خطوطها، ولا يظن بالطبع أن ما بقي من ألوانها ورسومها بمعجزنا أن نتخيله، فمواقعوها صنف من الناس يتمددون بالحرية، وينكمشون بالإسلام، وكفاكم من شرِّ سماعُه، وتلكم شماله نعيذكم بالله من غائلتها، يشوشون حق المرأة، ويطلبون إنصافها، فطلبوا بذلك زُكامًا، في حين أنهم ما أحدثوا إلا جذامًا، وحللوا بزعم منهم عقدًا، وبالذي وضعوه زادت العقد.

ولا غرو أن يحصل هذا عباد الله، إذا نطقت الرويبضة، ولا جرم ألا يصل العطاشى إلى ارتواء إذا استقت البحار من الركايا، **ومن يثني الأصاغر** عن مرادهم إذا جلس أكابرهم في الزوايا؟!

إني أسائلكم عباد الله: ما هذه الحرية التي يطبِّلون لها و يزمرون، ويجعلون الاعتداء عليها أو التطرق لنقدها كفرًا بها وبالديمقراطية، ما هذا

كله؟ أهي حرية المرأة في أن تخلع جلباب حيائها، وتكشف من جسدها ما تريد؟ أو هي حرية الفسوق والعصيان اللذين كرههما الله إلى السلف الصالح: ﴿وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ أُولَئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ ۝٧ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَنِعْمَةً وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ [الحجرات: ٧، ٨].

إنهم بين أمرين لا ثالث لهما: إما انهم يهرفون بما لا يفقهون، وإما انهم يتسترون بالألقاب والمسميات الخلابة، من حرية وإخاء، وفكاك من إصر وأغلال، والله أعلم بما يوعون، والمثل السائد: «تحت الرغوة اللبن الصريح»، وإلا فأي أمة تصنع هذا الصنيع، وهي تريد أن تكون ممن يرد حوض نبيها ﷺ، أتريد أن تكون بدعًا من الأمم، تأخذ من كل أمة شرًّا ما عندها، وتدعو إلى أن تبدأ حياتها الاستقلالية بهذه الأخلاط من الشرور، المركبة تركيبًا مزجيًا يمنعها من الصرف والعدل، إنه والله طريق الموت الحاضر لا طريق الحياة.

قال رسول الله ﷺ: «**كل أمتي يدخل الجنة إلا من أبى**» قالوا: ومن يأبى يا رسول الله؟ قال: «**من أطاعني دخل الجنة، ومن عصاني فقد أبى**» رواه البخاري.

ولكن من مبلغ عنا الرعاع من بني قومنا، أن دعاة حقوق الإنسان وأبواقهم قد رأوا الناس يدخلون في دين الله أفواجًا، وخافوا بذلك أن تفوتهم حظوظ من الدنيا، بانقطاع لذائذهم، وانتشال علائقهم، فتقدموا حاقدين، ضامرين الغدر ناسين أن الله سميع بصير، وأنه خير حافظًا وهو أرحم الراحمين، كما انه كتب على نفسه أنه سيبلغ هذا الدين ما بلغ الليل والنهار حتى لا يدع بيت مدر ولا وبر **إلا أدخله هذا الدين**، ولمثل هذا فليبك الباكي حسبكم**باليهود**من هلاك.

قال رسول الله ﷺ : «والذي نفس محمد بيده لا يسمع بي أحد من هذه الأمة ؛ يهودي، ولا نصراني، ثم يموت ولم يؤمن بالذي أرسلت به إلا كان من أصحاب النار» رواه مسلم.

ومن هنا برزت لنا حقوق الإنسان على ما أراده الشارع الحكيم، في مثل خطاب النبي ﷺ في حجة الوداع : «إن دماءكم وأموالكم وأعراضكم عليكم حرام كحرمة يومكم هذا في شهركم هذا في بلدكم هذا»، وقد ترجم البخاري في صحيحه باباً يقول: «ظهر المؤمن حمى إلا من حدٍّ أو حق»، وتفسير هذه القاعدة يتمثل في أن حقوقه محمية إلا إذا ارتكب ما يوجب العقوبة عليه، كما أنها تعني كذلك: وجوب تطبيق الحدود، والغَيرة على حرمات الله ، لقول عائشة رضي الله عنها: «والله ما انتقم رسول الله ﷺ لنفسه في شيء يؤتى إليه قط حتى تُنتهك حرماتُ الله فينتقم لله» رواه البخاري.

ومن معاني القاعدة أيضاً: المساواة أمام العقوبات بين الشريف والوضيع ؛ لأن الغاية هي المحافظة على حقوق الجميع، عملاً بقوله ﷺ : «إنما هلك من كان قبلكم أنهم كانوا يقيمون الحد على الوضيع ويتركونه على الشريف، والذي نفسي بيده لو فاطمة فعلت ذلك لقطعت يدها» رواه البخاري.

كما أن من معاني تلكم القاعدة العظمى: المحافظة على حقوق أهل الذمة، وهم الكفار الذين يدخلون في ذمة المسلمين، فإن دخلوا تحت أحكامهم حفظوا لهم حقوقهم ما داموا في ذمة الله ورسوله ﷺ، وأقاموا عليهم الحدود، فيما يعتقدون تحريمه؛ كالزنا ونحوه، فعن البراء بن عازب رضي الله عنه قال: مُرَّ على يهودي محمماً مجلوداً، فدعاهم النبي ﷺ فقال :

«**هكذا تجدون حد الزاني في كتابكم**» قالوا: نعم، فدعا رجلاً من علمائهم فقال: «**أنشدك بالله الذي أنزل التوراة على موسى، أهكذا تجدون حد الزاني في كتابكم؟**» قال: لا، ولولا أنك نشدتني بهذا لم أخبرك، نجده الرجم، ولكنه كثر في أشرافنا فقلنا: إذا أخذنا الشريف تركناه وإذا أخذنا الضعيف أقمنا عليه الحد، قلنا: تعالوا فلنجتمع على شيء نقيمه على الشريف والوضيع، فجعلناه التحميم والجلد مكان الرجم، وقال رسول الله ﷺ: «**اللهم إني أول من أحيا أمرك إذ أماتوه**»، فأمر به فرجم، فأنزل الله: ﴿**يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ لا يَحْزُنكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ**...﴾ [المائدة: ٤١] الحديث. رواه مسلم.

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم .....

الخطبة الثانية

الحمد لله حمدًا كثيرًا طيبًا كما أمر، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، إرغامًا لمن جحد به وكفر، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، سيدُ البشر الشافع المشفع في المحشر، صلى الله عليه وعلى آله السادة الغرر.

أما بعد:

فإننا عباد الله من هذا المقام، لنذكر المصلحين من أمتنا، بوجوب الدفاع عن الشريعة الإسلامية، من منطلق عقدي صحيح، وبيان مقاصد الشريعة في حدودها، وما تنطوي عليه من حفظ الدين والنفس والعقل والعرض والمال، كل حسب طاقته ووسعه، مع كشف الجوانب المظلمة، التي تضمنتها مبادئ حقوق الإنسان، والرد على من أسموا أنفسهم بالمفكرين أو المتنورين، الذين انخدعوا بتلك الشعارات، وخدعوا الأمة الإسلامية بها، وما طرْحُنا لهذه القضية، إلا كنفثة مصدور، ولابد للمصدور أن ينفُث.

والمشاهد عباد الله أن الكأس تفيض عند امتلائها، كما أنه ينبغي التنبه إلى أمر مهم، قد يخفى على البعض منا، وهو أن من مستلزمات الأخذ بمبادئ حقوق الإنسان هو الجلوس على موائد أهل الكفر المستديرة في ندواتهم ومقرراتهم، والتي مفادها هدم ركن ركين، وأصل أصيل من أصول الإسلام، ألا وهو ركن الولاء والبراء، أعني الولاء للمؤمنين، والبراء من الكافرين، الذي هو من لوازم كلمة التوحيد: «لا إله إلا الله محمد رسول الله»، وذلك اللازم المؤكد في مثل قوله تعالى: ﴿لا يَتَّخِذِ

﴿الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران: ٢٨]، و في مثل قول المصطفى ﷺ لجرير بن عبد الله البجلي لما بايعه على الإسلام حين قال له: «**أن تنصح لكل مسلم، وتَبْرأ من الكافر**» رواه أحمد.

قال شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب، العالمُ المجدد لما اندرس من معالم الإسلام في القرن الثاني عشر: «فأما صفة الكفر بالطاغوت: فأن تعتقد بطلان عبادة غير الله، وتتركها وتُبغضها، وتكفّر أهلها، وتعاديهم».

وذكر رحمه الله من نواقض الإسلام: «من لم يكفر المشركين، أو يشك في كفرهم، أو يصحح مذهبهم كفر». وقال رحمه الله: «ومظاهرة المشركين ومعاونتهم على المسلمين كفر، والدليل قوله تعالى: ﴿وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ [المائدة: ٥١]».

اللهم صل على محمد...

* * *

﴿ وتعاونوا على البر والتقوى ﴾

الخطبة الأولى

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونتوب إلى الله، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فهو المهتدي، ومن يضلل فلن تجد له وليًا مرشدًا، ومن لم يجعل الله له نورًا فما له من نور، وأشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، وصفيه وخليله، صلوات ربي وسلامه عليه، وعلى آله وأصحابه وأتباعهم ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد:

فأوصيكم أيها الناس ونفسي بتقوى الله عز وجل، اتقوه وراقبوه، لئلا تدابروا ولا تحاسدوا ولا تباغضوا، ولا يبغي بعضكم على بعض، وتكونوا عباد الله إخوانا.

أيها الناس:

إن كتاب الله عز وجل هو المنبع الثرُّ للهدى والحق، فيه يجد المسلم النورَ الذي يضيء له الطريق، ومنه يفوز بالقوة والخشية من الله، المثمرة الاعتبارَ والادكار، اللذين يحفزان إلى الخير، وينقذان من ترادف الزلات، وحلقات الانحراف، ومن ندّ عن السويِّ من ذلك فما هو بحي، ولو نما جسمه ونبض عرْقُه، بل هو ميت، وإن طار في السماء أو غاص في الماء: ﴿أَوَ مَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا كَذَلِكَ زُيِّنَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [الأنعام: ١٢٢].

ألا وإن المرء المؤمن حينما يغشى معالم كتاب ربه بقلب غير مقفول، لهو كمتعبدٍ يغشى في مصلاه، ولربما أكرمه مولاه جراء تدبره فلم يخطئ، دمع عينه مجراه، يغدو في خمائل القصص والعبر، يمتح من هذه، وينهل من تلك، متأولاً قول ربه سبحانه: ﴿﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَكِن تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [يوسف: ١١١].

إن مثل آيات القصص عباد الله لجديرة بحق، أن نقف عند معانيها، وما ترمي إليه من دروس وعظات، ينبغي ألا تذهب هدرًا على ذوي الألباب؛ إذ ليس شيء أنفع للمرء من تدبر القرآن، وإطالة النظر في عواقب المثلات التي قد عفت، فيرى لعن اليهود ومسخهم، ويقرأ غرق فرعون ذي الأوتاد، وخسف قارون، ويتأمل عذاب إرم ذات العماد التي لم يخلق مثلها في البلاد، فيعيش المرء مع القرآن حتى كأنه في الآخرة، ويغيب عن الدنيا حتى كأنه خارج عنها: ﴿وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ

يَتَوَكَّلُونَ ﴾ [الأنفال: ٢].

عباد الله:

يقول ربنا جل وعلا في سورة الأعراف: ﴿ وَاسْئَلْهُمْ عَنِ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةَ الْبَحْرِ إِذْ يَعْدُونَ فِي السَّبْتِ إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَّعًا وَيَوْمَ لا يَسْبِتُونَ لا تَأْتِيهِمْ كَذَلِكَ نَبْلُوهُم بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ (١٦٣) وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِّنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا قَالُوا مَعْذِرَةً إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ (١٦٤) فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ أَنجَيْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُوا بِعَذَابٍ بَئِيسٍ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ (١٦٥) فَلَمَّا عَتَوْا عَن مَّا نُهُوا عَنْهُ ... ﴾

[الأعراف: ١٦٣ - ١٦٦]

هذه الآيات عباد الله إنما هي بسط في المقام لما أجمل في قوله سبحانه: ﴿ وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ الَّذِينَ اعْتَدَوْا مِنكُمْ فِي السَّبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ ﴾ [البقرة: ٦٥]، والمقرر عباد الله أن من خصائص القرآن الكريم: الإجمال في موضع، والبيان في موضع آخر، لأجل أن تشرئب النفوس إلى معرفة التأويل، وربط الآيات القرآنية بعضها ببعض، وليس ذلك إلا للقرآن خاصة ﴿ اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُّتَشَابِهًا مَّثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ﴾

[الزمر: ٢٣].

أيها الناس:

إن حاصل معنى آيات الأعراف هذه هو أن اليهود المعارضين لرسالة محمد ﷺ زعموا أن بني إسرائيل لم يكن فيهم عصيان ولا معاندة لما أمروا به؛ ولذا أمر الله نبيه ﷺ أن يسألهم على جهة التوبيخ لهم عن هذه القرية،

وهي على المشهور من أقوال المفسرين قرية أيلة على شاطئ بحر القلزم بين مدين والطور، هذه القرية أهلها من اليهود وكانوا يعتدون في يوم السبت، ويخالفون شرع الله؛ حيث إنه نهاهم عن الصيد فيه، وكان الله سبحانه قد ابتلاهم في أمر الحيتان بأن تغيب عنهم سائر الأيام، فإذا كانوا يوم السبت جاءتهم في الماء شُرّعًا مقبلة إليهم مصطفة، فإذا كان ليلة الأحد غابت بجملتها، ففتنهم ذلك وأضر بهم، فتطرقوا إلى المعصية بأن حفروا حفرًا يخرج إليها ماء البحر على أخدود، فإذا جاءت الحيتان يوم السبت وكانت في الحفرة ألقوا فيها حجارة فمنعوها الخروجَ إلى البحر، فإذا كان الأحد أخذوها، حتى كثر صيد الحوت، ومُشي به في الأسواق، وأعلن الفسقة بصيده، فنهضت فرقة منهم ونهت عن ذلك، وجاهرت بالنهي واعتزلت، وفرقة أخرى لم تعص ولم تنه، بل قالوا للناهين: ﴿ ﴿وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِّنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا﴾ [الأعراف: ١٦٤]، فلما لم يستجب العاصون؛ أخذهم الله بعذاب بئيس بما كانوا يفسقون، فنص سبحانه على نجاة الناهين وسكت عن الساكتين، فهم لا يستحقون مدحًا فيمدحوا، ولا ارتكبوا عظيمًا فيذموا.

روى ابن جرير بسنده عن عكرمة قال: دخلت على ابن عباس رضي الله عنهما والمصحف في حجره وهو يبكي، فقلت: ما يبكيك يابن عباس جعلني الله فداءك؟ فقال: هؤلاء الورقات، وإذا هو في سورة الأعراف، فقال: ويلك، تعرف القرية التي كانت حاضرة البحر؟ فقلت: تلك أيلة، فقال ابن عباس: لا أسمع الفرقة الثالثة ذكرت، نخاف أن نكون مثلهم،

نرى فلا ننكر، فقلت: أما تسمع الله يقول: ﴿فَلَمَّا عَتَوْا عَن مَّا نُهُوا عَنْهُ﴾؟ فسرِّي عنه وكساني حلةً.

عباد الله:

إننا بحاجة ماسة إلى أن نرفع الستار، ونلقي الضوءَ الواعظ على هذه الآيات الكريمات، التي تتمخض عنها دروس ثرة، ووصايا حثيثة، نوجز منها على سبيل المثال لا الحصر: ما أوضحه الله في هذه الآيات مما تنطوي عليه طبائع يهود، من خبث ومكر، وتنكر للرسالة السماوية، يتلونون تلون الحرباء مما جلب لهم المقت من ربهم، فأُوقعت بهم شر العقوبات: ﴿قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَلِكَ مَثُوبَةً عِندَ اللَّهِ مَن لَّعَنَهُ اللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمُ الْقِرَدَةَ وَالْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ الطَّاغُوتَ أُولَٰئِكَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضَلُّ عَن سَوَاءِ السَّبِيلِ﴾ [المائدة: ٦٠].

لقد كان لليهود شأن في بادئ الأمر، وقد أثنى الله عليهم بقوله: ﴿وَلَقَدْ نَجَّيْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنَ الْعَذَابِ الْمُهِينِ ﴿٣٠﴾ مِن فِرْعَوْنَ إِنَّهُ كَانَ عَالِيًا مِّنَ الْمُسْرِفِينَ ﴿٣١﴾ وَلَقَدِ اخْتَرْنَاهُمْ عَلَىٰ عِلْمٍ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ [الدخان: ٣٠-٣٢]، لكن التحول الذي حدث فيهم كان جذريًا، حتى أصبح لا يعرف من شمائلهم أنهم يقودون إلى تقوى، أو يُعرفون بمهادنة، ومن هنا تبدو النكتةُ اللطيفة وهي أنه من الغباء بمكان أن يحسب أهل جيل ما أن رحى الأيام لا تدور بالمجتمعات، وأن من ارتفع اليوم ستبقى رفعته له غداً إذا غير وبدل.

إن التاريخ صفحات متتابعة، يُطوى منها اليوم ما يطوى، ويُنشر منها غداً ما ينشر، وإن الله جل شأنه يختبر بالرفعة والوضاعة، بالزلزلة

والتمكين، بالخوف والأمن، بالضحك والبكاء: ﴿وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ الْمُنتَهَىٰ ﴿٤٢﴾ وَأَنَّهُ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَىٰ ﴿٤٣﴾ وَأَنَّهُ هُوَ أَمَاتَ وَأَحْيَا﴾ [النجم: ٤٢ ـ ٤٤] كل ذلك حتى تنقطع الأعذار، وتُخرسَ الألسنُ التي مُرِّنت الجدل، فإن ناسًا سوف يبعثون يوم القيامة وهم مشركون ويقولون لله: ﴿وَاللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ ﴿٢٣﴾ انظُرْ كَيْفَ كَذَبُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾ [الأنعام: ٢٣، ٢٤].

ولأجل ذا عباد الله جاء التحذير الصارخ من أن نسلك مسالكهم، بل جاء الأمر الصريح بمخالفة اليهود والنصارى في غيرما حديث، ومن الدروس المستفادة عباد الله: أنه ينبغي على أهل العلم وذوي الإصلاح أن يقوموا بواجب النصح والوعظ في إنكار المنكرات، على الوجوه التي جاءت بها الشريعة الإسلامية، بالحكمة والموعظة الحسنة، والمجادلة بالتي هي أحسن.

ولا يمنع من التمادي على الوعظ، والنهي والإصرار عليه عدمُ القبول من المخالف؛ لأنه فرضٌ فرضه الله قُبل أو لم يُقبل، وأن هذا هو الذي يحفظ للأمة كيانها بأمر الله، وبذلك تكون المعذرة إلى الله، ويكون الخروج من التبعية وسوء المغبة، وبمثل أولاء يدفع الله البلايا عن البشر: ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ﴾ [هود: ١١٧]، ولم يقل: وأهلها صالحون؛ فإن مجرد الصلاح ليس كفيلاً في النجاة من العقوبة الإلهية الرادعة؛ ولأجل ذلك قال النبي ﷺ: «**لا إله إلا الله، ويل للعرب من شر قد اقترب، فتح من ردم يأجوج ومأجوج مثل هذه**»، وحلّق بإصبعه؛ الإبهام والتي تليها، قالت زينب بنت جحش: فقلت: يا رسول الله،

أنهلك وفينا الصالحون؟ قال: «نعم، إذا كثر الخبث» رواه البخاري ومسلم.

﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَىٰ حَتَّىٰ يَبْعَثَ فِي أُمِّهَا رَسُولاً يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا وَمَا كُنَّا مُهْلِكِي الْقُرَىٰ إِلاَّ وَأَهْلُهَا ظَالِمُونَ﴾ [القصص: ٥٩].

بارك الله لي ولكم في القرآن .....

الخطبة الثانية

الحمد لله حمدًا كثيرًا طيبًا مباركًا فيه كما يحب ربنا ويرضى، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، صلى الله عليه وعلى آله والتابعين.

أما بعد:

فإن من الدروس المستفادة من الآيات عباد الله أن التهوين من شأن الإصلاح أو التخذيل أو الإرجاف فيه، ليس من سمات الأمة المسلمة الحقة، وأن مقولة بعضهم: «دع الناسَ وشأنَهم فربهم رقيب عليهم»، ليس من السنة في شيء، إنما هو في الواقع إقعاد بكل صراط يُوعد فيه، ويصد عن سبيل الله من آمن، وحينئذ لابد من معرفة العاقبة، لمن كان ديدنه كذلك: ﴿وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِّنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا﴾ [الأعراف: ١٦٤] ومن هنا عباد الله جاء حذر ابن عباس من أن يكون ومن معه من الفرقة الثالثة، وبعد، فيا رعاكم:

ليت شعري من لم يكن بالحق مقتنعًا ... يخلي الطريق ولا يوهنْ من اقتنعا

ومن الدروس عباد الله: أن الشارع الحكيم جاء بسد الذرائع، المفضية إلى ما حرم الله ورسوله ﷺ، وأن شيئًا من أنواع الحيل الموصلة إلى ما حرم الله لا يجوز ألبتة؛ لأن الحيل طرق خفية يتوصل بها إلى حصول الغرض، بحيث لا يُتفطن لها إلا بنوع من الذكاء والفطنة، وهي وإن كانت تخفى على جملة من البشر، إلا أنها لا تخفى على رب البشر؛ إذ إنها من باب الإلحاد

في حدود الله ، وهو الميل والانحراف عنها : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي آيَاتِنَا لَا يَخْفَوْنَ عَلَيْنَا أَفَمَن يُلْقَىٰ فِي النَّارِ خَيْرٌ أَم مَّن يَأْتِي آمِنًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾ [فصلت: ٤٠].

وأيًا كانت هذه الحيل، في العبادات، أو المعاملات، أو الأحوال الشخصية، أو نحوها، لا يجوز فعلها للوصول إلى المحرم من طرف خفي، ولربما انتشر مثل هذا في أوساط الكثيرين، لا سيما في البنوك والمصارف، أو في الهيئات، والشركات المتعهدة في اتخاذ طرق ومرابحات دولية ، أو مضاربات صورية، إنما هي في حقيقتها حيلة على أخذ الربا، فيُخدع ببهرجتها السذج، ويُغرر بها الذين يتشدون الكسب الحلال، فيوقعونهم في شرٍّ مما فروا منه، دون الرجوع إلى أهل العلم والمعرفة في كشف حقيقة تلك المرابحات، ما يجوز منها وما لا يجوز، وكذا الحيل في التخلص من الزكاة بتفريق المجتمع، وجمع المتفرق، ولقد كتب أبو بكر رضي الله عنه فريضة الصدقة التي فرض رسول الله ﷺ : «ولا يجمع بين متفرق، ولا يفرق بين مجتمع خشية الصدقة» رواه البخاري.

ومن ذلك عباد الله : الحيل في إباحة المطلقة طلاقًا لا رجوع فيه، نتيجة شقاق ورعونة عقل، أعقبها ندم، ولات ساعة مندم، ثم لا تسألوا بعدها عباد الله عن كذا حيلة وحيلة يزورِّها في نفسه، ويخدع بها في إباحة ما حرم من لا يعرف الحيل، إلا على المحتال فلا؛ لأنه هو طبيبها، ويا محنة الأجيال بالمحتال، ولا غرو أن يقع أولئك في أتون الإثم، والتعدي على حدود الله، ناسين أو متناسين قول النبي ﷺ فيما رواه أبو عبد الله بن بطة بسند جيد أن النبي ﷺ قال: «لا ترتكبوا ما ارتكب اليهود فتستحلوا محارم الله بأدنى الحيل».

وثبت في الصحيحين أن النبي ﷺ قال: «**قاتل الله اليهود، حرمت عليهم الشحوم فجملوها فباعوها**»، وغير ذلك كثير وكثير، وما الأمثلة المطروحة إلا شعبة في واد، وتُرَّةٌ من نبع، القصد من ورائها تنبيهُ الغافلين، وإنذارُ المتغافلين، والتأكيد الجازم على خطورة شيوع الحيل المحرمة، وما تودي به من كدر في الصفو، وعطب في النية والمقصد، وهي وإن تقالَّها ثلة من الناس، فإن هذا لا يهوِّن من شأنها، فإن القليل بالقليل يكثر، وإن الصفاء بالقذى ليكدر.

اللهم صل على محمد .....

* * *

من يرد الحوض

الخطبة الأولى

الحمد لله الذي لا إله إلهِ هو المتوحدُ في الجلال بكمال الجمال تعظيمًا وتكبيرًا، المنفردُ بتعريف الأحوال على التفصيل والإجمال تقديرًا وتدبيرًا، سبحانه لا يُحاط بشيء من علمه إلا بما شاء، لا تواري منه سماءٌ سماء، ولا أرضٌ أرضًا، ولا جبل ما في وعره، ولا بحر ما في قعره، يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، أرسله إلى جميع الثقلين الإنس والجن بشيرًا ونذيرًا، وداعيًا إلى الله بإذنه وسراجًا منيرًا، صلوات ربي وسلامه عليه وعلى آله وأصحابه الأتقياء البررة، الذين قضوا بالحق وبه كانوا يعدلون.

أما بعد:

فإن الوصية المبذولة لي ولكم عباد الله ، هي تقوى الله سبحانه، في السر والعلن، في الرغبة والرهبة، في الغضب والرضا، إنما يتقبل الله من المتقين،

الذين تدفعهم تقواهم إلى تقديم مرضاة ربهم على رضاء خلقه وعبيده.

أيها الناس:

لقد منّ الله سبحانه وتعالى على عباده بفصول أربعة، يتقلب فيها الزمن، على حرٍّ مصيف، ويُبْس خريف، وبرد شتاء، وحسن ربيع، وجعل لكل فصلٍ من هذه الفصول حِكَمة، يرعوي إليها من به اَدكّار فهل من مدكر؟!

في الصحيحين أن النبي ﷺ قال: «**اشتكت النار إلى ربها فقالت: يا رب، أكل بعضي بعضًا، فأذن لها بنفسين؛ نفس في الشتاء ونفس في الصيف، فأشدُّ ما تجدون من الحر من سموم جهنم، وأشدُّ ما تجدون من البرد من زمهرير جهنم**».

ولقد جعل الله سبحانه أشياء كثيرة تذكر بالنار ولهيبها، كالأماكن المفرطة في الحر أو البرد، فبردها يقرقف، ويذكر بزمهرير جهنم، وحرها يأخذ بالأنفاس ويذكر بحر جهنم وسمومها، قال الحسن البصري: «كل برد أهلك شيئًا فهو من نَفَس جهنم، وكل حر أهلك شيئًا فهو من نفس جهنم»، وقال قتادة في معرض هذا: هل لكم بذلك يدان أم لكم عليه صبر؟ طاعة الله ورسوله أهونُ عليكم يا قوم، فأطيعوا الله ورسوله ﷺ.

أنسيت لظى عند ارتكابك للهوى وأنت توقى حرَّ شمس الهواجر

أيها المسلمون:

إن الله جل وعلا سيحشر الأموات جميعًا، من قبورهم بعد البعث إلى الموقف حفاة عراة غرلا، كما بدأ أول خلق يعيده: ﴿**وَحَشَرْنَاهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا**﴾ [الكهف: ٤٧] يَجمعُ الناسَ في عرصات القيامة، أولهم وآخرهم

على صعيد واحد، فيموج بعضهم في بعض، وتدنو الشمس منهم حتى تكون كمقدار ميل، فيبلغ الناس من الكرب والغم ما لا يطيقون ولا يحتملون، فمنهم من يبلغ به العرقُ إلى كعبيه، ومنهم من إلى ركبتيه، ومنهم من إلى حقويه، ومنهم من يلجمه العرق إلجامًا، فيكون الناس أحوج ما يكونون إلى ما يروون به غليلَهم، ويُشفون عليلهم، أحوج ما يكونون إلى ما يقطعون به ظمأ الهاجرة، وغُصة الحشر المهول، إنهم يا رعاكم الله يطمعون في ورود حوض نبيهم ﷺ، بسم الله الرحمن الرحيم: ﴿**إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ ۝١ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ ۝٢ إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ**﴾ [سورة الكوثر]، قال رسول الله ﷺ: «**هل تدرون ما الكوثر؟**» قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: «**هو نهر أعطانيه ربي عز وجل في الجنة، عليه خير كثير، ترد عليه أمتي يوم القيامة...**» الحديث، رواه أحمد.

إننا بحاجة ماسة عباد الله إلى أن نلبث مليًا حول هذه النعمة المسداة المنصوبة في عرصات القيامة، لنأخذ منها دروسًا وعبرًا، علّها أن توقظ غافلنا، وأن تبصّر جاهلنا، بأنه لا عيش إلا عيش أهل الآخرة، إنا لنعمى مرات والعيون ناظرة، فالله مولانا ونعم المولى، وقل لمن يعصيه أولى أولى، ما هو إلا عفوه وحلمه، سبحان من لا حكم إلا حكمه.

جاء عند مسلم في صحيحه: «**أن الحوض يشخب فيه ميزابان من الجنة**». الحوض عباد الله قبل الصراط، عند وجود الناس في المحشر، يرده المؤمنون ويذادُ عنه الكافرون، طوله شهر، وعرضه شهر، كما بين المدينة وصنعاء، ماؤه أبيضُ من اللبن، وريحه أطيب من المسك، وكيزانه كنجوم السماء في عددها ونورها ولمعانها، وهو أبرد من الثلج، وأحلى من العسل، من شرب منه لا يظمأ بعدها أبدًا، يصب فيه نهر الكوثر الذي حافتاه قباب

الدر المجوَّف، وطينه مسك أذفر، وهو موجود الآن لقوله ﷺ : «**وإني والله لأنظر إلى حوضي الآن**» رواه البخاري.

كل هذه الصفات عباد الله صحّ بها الخبر عن الصادق المصدوق في الصحيحين وغيرهما مما يوجب الإيمان به والطمع في وروده، بيد أن ثمة قضية تحتاج إلى إمعان النظر فيها، والصدق مع الله في طرحها، والأخذ بأسباب التوقي من أن يكون مسلم ما في عداد الملتاثين فيها، ألا وهي ما يقع يوم القيامة من المفاجآت في أناس يطمعون أن يكونوا ممن يرد حوض نبيهم، فإذا هم يذادون عنه ويحرمون النهلَ منه، بل إنهم بذلك يفقدون مفتاح الجنة، وهو الشرب من هذا الحوض، قال رسول الله ﷺ : «**إني فرط لكم، وأنا شهيد عليكم، وإني والله لأنظر إلى حوضي الآن، وإني أعطيت مفاتيح خزائن الأرض، وإني والله ما أخاف عليكم أن تشركوا بعدي، ولكن أخاف عليكم أن تنافسوا فيها**» رواه البخاري.

والنكتة اللطيفة عباد الله أنه ﷺ ذكر الحوض قبل التحذير الذي بعده، ليشير إلى التخويف من فعل ما يقتضي الإبعاد عن الحوض.

وجاء عن البخاري في صحيحه أن رسول الله ﷺ قال: «**إني على الحوض، حتى أنظر من يردُ عليّ منكم، وسيؤخذ ناس دوني، فأقول: يا رب، منّي ومن أمتي، فيقال: هل شعرت ما عملوا بعدك؟ والله ما برحوا يرجعون على أعقابهم**» وكان ابن أبي مليكة راوي الحديث يقول: اللهم إنا نعوذ بك أن نرجع على أعقابنا أو نفتن في ديننا.

وجاء عند مسلم في صحيحه أنه ﷺ قال: «**إني لأذود عن حوضي رجالاً كما تذاد الغريبةُ عن الإبل**»، والمعنى عباد الله أنه يطرد من لا يستحق الشرب من الحوض.

أيها المسلمون :

إن الأمة الإسلامية لهي في أشد الحاجة إلى أن ترد حوض نبيها، وإن هذه الأجيال المتأخرة ليُخشى عليها من ظلمات لا يجد فيها الحاذقُ بصيص نور يهتدي به إلى سواء الصراط، أو يخلصُ به من ضلاله، وإن الإحداث والتّغيير الذي دبّ في صفوف المسلمين لهو خير شاهد على هذه القضية، ونحن اليومَ معاشر المسلمين نعيش معركة حامية مع الازدواجية في كثير من أجوائنا الحياتية - إلا من رحم الله - يُجمع بين الحق والباطل، والصحيح والضعيف، والزين والشين.

ولعل الازدواجية الصحافية في مثل هذه الأيام هي مقبض الرحى في كثير من الأقطار الإسلامية والعربية، والتي اندلعت نارها وطار في كثير من أرض الإسلام شرارها، لقد أهملت كثير من الأقلام، فلم تسخّر للإسلام، بل ما فتئ بعضها يلهو ويلعب ويسخر، وكأنه مدافع الأعياد، تتفجر بالبارود الكاذب، وسط مجتمعات مقرومة مجعومة، يتيه فيها اللبيب، وإن تعجبوا عباد الله فعجب أن يكون الاسم الصحافي مسلمًا، وما يخطه البنان غريبًا كل الغرابة عنه، أين تلك الأقلام، تدل الناس على ما يحفظ لهم دينهم ويحصي كيانهم، وتحذرهم من شرور الكفرة الحاقدين، وتقيم لهم الميزان العادل، فيرجعون عقلاء مميزين، يعرفون ما يأخذون وما يذرون.

واخجلتاه!! من أقلام محسوبة على المسلمين يموت فيهم العالم، وتبلى الأمة ببلايا ورزايا ثم لا تكتب فيها حرفًا، بل هذا زاهد في حق هذا، وهذا فيه أزهد منه فيه، لقد شغلها عنها شواغل الصبيان في الأوحال، ومباهج أحلام شبابهم، وملذّات الغرام التي يسمونها حتى في حال الوفاة

«أسطورية» أيًا كان هذا المتوفى رجلاً أو امرأة، كافرًا أو ملحدًا، بغيًا أو خبيث الطبع.

إن مثل هذه المشاعر الصحافية في تضخيم وفاة ما، نفسها أو أحرّ منها، موجودة عند رواد الصحافة، وعشاق الورق في بلاد الإسلام وللأسف، وهي مشاعر يأباها الدين جملة وتفصيلاً، ما دامت توهن إيمان المرء بالله وترده إلى غيره من الأحياء أو الأموات، ويالله، كم يحزننا أن يكون قلب امرئ ما فارغًا من الله، مملوءًا بغيره ممن بقوا أو هلكوا.

إن الانسياق مع مثل هذا جرم، وإحسان الحديث عنه زور، وإذا حكم ذوقهم على المرء بأنه حلو أو بالعكس فهو مدلس مخوف، هو وأمثاله كشجرة «الدلفى» تعجب من رآها وتقتل من أكلها، وما محبوهم إلا أنوف أزكمها الغبار، فاستوت عندها الروائح، أو جسوم تندت ولم ينزع مبلولها فما هي إلا الحمى ما منها بد.

عن جابر رضي الله عنه أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أتى النبي ﷺ بكتاب أصابه من بعض أهل الكتاب، فقرأه عليه، فغضب وقال: «**لقد جئتكم بها بيضاء نقية، لا تسألوهم عن شيء فيخبروكم بحق فتكذبوا به، أو بباطل فتصدقوا به، والذي نفسي بيده، لو أن موسى كان حيًا ما وسعه إلا أن يتبعني**» رواه أحمد وابن أبي شيبة.

فالعجب عباد الله ممن يعلم خطورة الركون إلى غير الإسلام، أو ميل القلب أو العاطفة، مع أحياء غير المسلمين أو أمواتهم، مهما كانت الظروف التي تحيط بهم، ودوافع الرغبة أو الرهبة، التي تنبعث من قبلهم، فإن ذلك

كله لا يسوغ تحبير الأقلام فيهم، ولا خلع الجلباب الساتر، والانتماء الزائف، مهما نَعَقَ الناعقون، فإن لهذه الشخصية أعمالاً خيّرة، بل وإن بلغ التجرؤ ببعضهم من وصف مثل هذه الشخصية بأنها طبقت الإسلام وإن لم تكن مسلمة، في صحافة المسلمين المتنوعة.

وما علم مَن جهله مركب أن عملاً ما بلا إسلام مهما كان خيراً، فلن ينفع صاحبه في أخراه، يقول الله جل وعلا في حق الكافرين: ﴿وَقَدِمْنَا إِلَىٰ مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَّنثُوراً﴾ [الفرقان: ٢٣]، ﴿مَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ أَعْمَالُهُمْ كَرَمَادٍ اشْتَدَّتْ بِهِ الرِّيحُ فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ لاَّ يَقْدِرُونَ مِمَّا كَسَبُوا عَلَىٰ شَيْءٍ ذَٰلِكَ هُوَ الضَّلاَلُ الْبَعِيدُ﴾ [إبراهيم: ١٨]، ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاءً حَتَّىٰ إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا وَوَجَدَ اللَّهَ عِندَهُ فَوَفَّاهُ حِسَابَهُ وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ [النور: ٣٩].

قدم أبو سفيان رضي الله عنه المدينة قبل أن يسلم، فدخل على ابنته أمِّ حبيبة زوج النبي ﷺ، فلما ذهب ليجلس على فراش رسول الله ﷺ طوته عنه، فقال: يا بنية، ما أدري أرغبت بي عن هذا الفراش، أم رغبت به عني؟ قالت: بل هو فراش رسول الله ﷺ وأنت رجل مشرك نجس.

هكذا فعلت أم المؤمنين في أبيها بكلمة حق، خرقت بها مثلاً عربيًا: كل فتاة بأبيها معجبة، ما دام أن الإيمان لم يخامر قلبه، وكلمة التوحيد لم ينطق بها لسانه.

ألا فاعلموا رحمكم الله أن رسالة المصطفى ﷺ كفراشه، فمن أجلس عليه من ليس من دينه فلن يرد حوض النبي ﷺ: ﴿لا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ

أَوْ عَشِيرَتَهُمْ...﴾ [المجادلة: ٢٢].

اللهم ارزقنا شفاعة نبيك ﷺ، وأوردنا حوضه، واسقنا منه شربة لا نظمأ بعدها أبدًا يا رحمن.

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم .....

الخطبة الثانية

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً ﷺ عبده ورسوله.

أما بعد:

فاتقوا الله معاشر المسلمين، ثم اعلموا أن بعض أهل البدع أنكر حوض النبي ﷺ ممن عرفوا بالمكابرة بعقولهم أمام نصوص الشارع الحكيم، فجعلوا آراءهم مقدمة عليها، فما وافق العقل منها قبلوه، وما لا فلا، وهذه بلية كبرى اتسع نطاقها في بقاع شتى من أراضي المسلمين، يُعرفون باسم أهل الفكر المستنير، أو العقلانيين الذين يُخضعون نصوص الشريعة لعقولهم لا العكس، وقد أشار ابن القيم رحمه الله إلى جملة ممن خالفوا الوحي بآرائهم وعقولهم، فكان من أهمهم ثلاثة أصناف:

صنف عارضوا الوحي والأخبار بعقولهم، فقالوا لأهل الشريعة: لنا العقل ولكم الشرع، فجعلوا أهل الأرض اثنين، ذا عقل بلا دين، وآخر دينًا لا عقل له، وعلى هذا ثلةٌ ممن اغترفوا من حضارة الغرب وفلسفاتها، ورضعوا من أثدائها حتى أنشزت عظامهم وأنبتت لحومهم.

والصنف الثاني: قالوا: لكم الشريعة، ولنا الحقيقة والأذواق، وهؤلاء هم أهل التصوف الذين لا يعتمدون على الوحي الصحيح.

وصنف ثالث: خالفوا الوحي بسياساتهم، فقالوا لأصحاب الشريعة: لكم الشريعة ولنا السياسة، والتي يعبر عنها آخرون بفصل الدين عن

الدولة، أو دع ما لله لله ، وما لقيصر لقيصر، أو بعبارة أخرى: الدين لله والوطن للجميع.

فهذه الأصناف عباد الله كلها، ممن لن يرد حوض نبينا ﷺ، وليس له إلا الحميم والغساق، وآخر من شكله أزواج، إلا أن يتداركهم الله برحمة منه وفضل، ويكونوا من المؤمنين المصلحين، البعيدين كل البعد عن الشح المطاع، والهوى المتبع، وإعجاب ذي الرأي برأيه، استجابة لقول النبي ﷺ: **«إنكم سترون بعدي أثرة شديدة، فاصبروا حتى تلقوا الله ورسوله على الحوض»** رواه البخاري.

اللهم صل على محمد وعلى آل محمد .....

* * *

بنت العجلة

الخطبة الأولى

الحمد لله الحكيم الخبير، يحكم بالعدل، ويمن بالفضل، والله ذو الفضل العظيم، علم القرآن، وخلق الإنسان، علمه البيان، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، طهر الإنسانية وزكاها، وفضلها على من خلق تفضيلاً، جعل لها سبيلاً واحداً لا سبلاً، وصراطًا واحداً لا صرطًا ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [الأنعام: ١٥٣]، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، خير من أدب، وأفضل من هذّب، قال عنه ربه: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم: ٤] فصلوات الله وسلامه عليه، وعلى آله وصحبه، وإن الله لهادي الذين آمنوا إلى صراط مستقيم.

أما بعد:

فيأيها الناس اتقوا الله حق التقوى، واستمسكوا من الإسلام بالعروة الوثقى، واحذروا طريق المعاصي، فإن أقدامكم على النار لا تقوى ﴿وَإِن

مِنكُمْ إِلاَّ وَارِدُهَا كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا ﴿٧١﴾ ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوْا وَّنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا﴾ [مريم: ٧١، ٧٢].

أيها المسلمون:

إن البواعث التي تسوق المرء إلى عمل ما، وتدفعُهُ إلى خوض غمار الحياة بظروفها الواقعة، لهي كثيرة متباينة، يبينُ لتباينها مواقف أهل الاحتكاك بها، فتكون نفوسهم إحدى نفسين؛ إما نفس عجلة تثير الفوضى في المنظوم المحكم، وإما نفس متأنية متئدة، يُشرق نبلها من داخلها، فتحسن التصرف وسط الأعاصير.

ومن المقررات التي لا ينبغي أن تُجهل أو يتجاهلَ عنها، أن تكرار المواقف واستحكامها، وترادف الضوائق والعلائق وتعقد حبالها، ليس لها إلا التأني وحده بعد الله سبحانه؛ إذ هو عاصم بأمر الله من التخبط، وواقٍ من القنوط في الوقت نفسه.

ولابد للمرء في حياته أن يبني أعماله وآماله على ذلك، وإلا كان هازلاً، تاركًا حظوظ العجلة أن تصنع له شيئًا ما، أو تبديَ له من التدبير ما قصّر هو في تدبيره لنفسه، فإن هناك أقوامًا يجعلون من اللجوء إلى العجلة ستارًا يواري تفريطهم المعيب، وضيق عطنهم الذميم، وهذا في الحقيقة التواءٌ يعلِّق القلب بالريب، ويطيش العقول عند الكرب، فلا يجلب لهم إلا المعرّة، وإلا العودَ بالألم فيما طلبوا منه السلامة، وبالنصب والأرق فيما رجوا منه الراحة، وذلك كله مما كرهه لنا الدين الحنيف، قال رسول الله ﷺ: «**إن الله رفيق يحب الرفق، ويعطي على الرفق ما لا يعطي على العنف، وما لا يعطي على ما سواه**»، وقال ﷺ: «**من يحرمِ الرفقَ يحرمِ الخير كله**» رواهما مسلم في صحيحه.

العجلة عباد الله: هي داء المجتمعات في القديم والحديث، كما أنها ثغرة ضخمة في إنسانية المرء، وهي بالتالي إذا تبدت فيه كانت ثلمة في إيمانه وحسن تدبيره!

العجلة أيها الناس: هي فعل الشيء قبل أوانه اللائق به، وهي بذلك تكون من مقتضيات الشهوة البغيضة، لخروجها عن إطارها المشروع لها، يقول الله جل وعلا: ﴿وَيَدْعُ الإِنسَانُ بِالشَّرِّ دُعَاءَهُ بِالْخَيْرِ وَكَانَ الإِنسَانُ عَجُولاً﴾ [الإسراء: ١١]، ويقول جلّ شأنه: ﴿خُلِقَ الإِنسَانُ مِنْ عَجَلٍ﴾ [الأنبياء: ٣٧]، ويقول سبحانه: ﴿وَلا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِن قَبْلِ أَن يُقْضَىٰ إِلَيْكَ وَحْيُهُ﴾ [طه: ١١٤]، ﴿لا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ﴾ [القيامة: ١٦]، لقد جاء لفظ العجلة في القرآن متصرفًا، في سبعة وثلاثين موضعًا، كلها على سبيل الذم إلا موضعًا واحدًا وهو قوله جل وعلا: ﴿وَاذْكُرُوا اللَّهَ فِي أَيَّامٍ مَّعْدُودَاتٍ فَمَن تَعَجَّلَ فِي يَوْمَيْنِ فَلا إِثْمَ عَلَيْهِ وَمَن تَأَخَّرَ فَلا إِثْمَ عَلَيْهِ لِمَنِ اتَّقَىٰ﴾ [البقرة: ٢٠٣].

أيها الناس:

إننا لنجد أن هذه العجلة المذمومة بادية في كثير من أعمالنا وتصرفاتنا، نجدُها في الحكم على الأشخاص قبل البحث والتحري، وفي سوء الظن قبل التثبت واليقين، وفي الغضب والاستجابة لثورة النفس المؤدية إلى الوقوع في المحذور، فيستحمقُ المرء على عجل، ويكون لسانه وفعله قبلَ قلبه وعقله، فلا يزمُّ نفسه ولا يتريث، بل يهذي بكلام، ويوكسُ ويشططُ في أفعال يحتاج بعدها إلى اعتذار طويل، وتلفيق لافت، فيقع فيما نهى عنه النبي ﷺ بقوله: «**ولا تكلم بكلام تعتذرُ منه غدًا**» رواه أحمد وابن ماجه.

ونقل أبو حاتم البُستي رحمه الله أن أعرابيًا شهد شهادة عند أحد السلف فقال: كذبت، فقال الأعرابي: إن الكاذب للمتزمل في ثيابك، فقال

الرجل: هذا جزاء من يعجل.

ولربما لم تفلح المعاذير، ولم تُرقّع الفتوق، كل ذلك لعجلة لحظة كانت كبرق، وبخاصة ما يثير الخصومة ويعجل الطلاق، حتى عُدّ يمينًا عند الرعاع، وضربًا من اللغو يُنقض به كثير من عرى الزوجية، فيقع الندم، ولات ساعة مندم، ويسبق السيف العذْلَ، ولكل شيء في الحياة وقته، وغاية المستعجلين فوته، والقاعدة المشهورة: «من تعجل شيئًا قبل أوانه عوقب بحرمانه».

العجلة عباد الله قد تكون في أداء الواجب دون إحكام وإتقان، حتى لقد بدت بعض الأعمال المؤداة وكأنها في صورة آلية، لا يتلبث أهلها ليجيدوا، ولا يتأنون ليتقنوا، وكأنهم بداخل أغلال أو أطواق، يحاولون في سرعة بالغة وعجلة مقيتة أن ينطلقوا منها، بل تعدى الأمر إلى أبعد من ذلك، حتى إلى علاقة المرء بخالقه ومولاه، في جوانب العبادة والمسألة، فترى المرء يعجل في وضوئه فلا يسبغه، ولربما بدا من عقبه أو نحوه ما لم يصل إليه الماء، فيقع في وعيد النبي ﷺ بقوله: «**ويل للأعقاب من النار**» متفق على صحته.

كما أنكم عباد الله: قد ترون المرء يعجل في صلاته، فلا يطمئن في ركوعه ولا سجوده، يسرع في الحركات ولا يتلبث، وكأنه أثلة في أرض هش، ويغيب عن وعيه قول أبي هريرة رضي الله عنه: «نهاني رسول الله ﷺ عن ثلاث...» وذكر منها: «عن نقرة كنقرة الديك» أي في صلاته. رواه أحمد.

ولربما طغت العجلة على المرء حتى في اللحظات الحرجة التي يناجي فيها ربه ويدعوه متضرعًا إليه، فيفقد بسبب ذلك الاستجابة التي دعا الله من أجلها، جرّاء ما استعجل، غير آبه بقول النبي ﷺ: «**يستجاب لأحدكم ما لم يعجل، يقول: دعوت فلم يستجب لي**» رواه البخاري ومسلم.

فلينتبه لهذا الأمر، أهل الضوائق والبلاء، أو الحوائج والأمراض، الذين يتعجلون الله في أدعيتهم، أو رقاهم، أو نحوها، فإن الاستجابة موكلةٌ بالأناة والصبر، التي ينسلخ المرء بها من الضجر والتبرم، ويقف في أرض الله أوّابًا يرجو رحمته ويخاف عذابه، فلا يضيره ما فقد، ولا يحزنه ما قدم.

إن المرء المسلم عندما يكون يقظ الفكر على هبوب الأخطار والمخاوف، وعندما يظل رابط الجأش، يُقلِّب وجوه الرأي هنا وهناك، ابتغاءَ مخلص مما عراه، فإن النجاح لن يُخلفَه بإذن الله تعالى؛ ولذلك قال النبي ﷺ: «**إنما الصبر عند الصدمة الأولى**» رواه البخاري ومسلم.

فالواجب على العاقل عباد الله أن يلزم التأني في الأمور كلها، والاعتدال في الحالات المتضاربة، وترك العجلة والخفة فيها؛ لأن الزيادة على المقدار في المبتغى عيب، كما أن النقصان فيما يجب من المطلب عجز، وما لم تصلحه الأناة لن تصلحه العجلةُ، ففي ترك الأناة يكون الخُرق، وفي لزوم الخُرق تُخاف الهلكة، وذو التثبت حاله من حمد إلى ظفر، فمن يركب الأناة لا يستحقب الزلل، ولو سار ألفُ مدبج في حاجة لم يقضها إلا الذي يتأنى؛ فالمتأني الحذق لا يكاد يُسبق، كما أنّ العجل الترِق لا يكاد يلحق، وما أحسن ما قيل في الصدّيق رضي الله عنه:

من لي بمثل مشيك المدلل تمشي رويدًا وتجي في الأول

وخلال العجل عباد الله: أنه يقول قبل أن يعلم، ويُجيبُ قبل أن يفهم، ويحمدُ قبل أن يجرِّب، ويذمُّ بعدما يحمد، يعزم قبل أن يفكر، ويمضي قبل أن يعزم. العجل تصحبه الندامة، وتقذله السلامة، ولقد كانت العرب في القديم تكني العجلة «أمَّ الندامات»، والمثل السائد: «في التأني السلامة،

وفي العجلة الندامة».

فقد يدرك المتأني جلّ حاجته وقد يكون مع المستعجل الزلل

قال المهلب بن أبي صفرة: «أناة في عواقبها درْك، خير من عجلة في عواقبها فوْت».

إن التأني مع الصبر سبب في التحصيل المتكامل في شتى شئون الحياة، بدءًا من العلم والتعلم، وانتقالاً إلى التربية والتكوين، والكسب والتكسب، فيما أحلّ الله وأباح، فليس المرء يولد عالمًا غنيًا حليمًا، وإنما العلم بالتعلم، والحلم بالتحلم، والغنى بالتكسب:

وإن القليل بالقليل يكثر كذا الصفاء بالقذا ليكدر

ألا وإن بروز العجلة في هذا الميدان لهو المؤذنُ بالفشل الذريع، وكثرة الفتوق، والقنوط من التكامل، ولقد ذكر الخطيب البغدادي رحمه الله أن رجلاً من أهل العلَم كانت له مدارسات وتلمذة، فتباطأ تحصيله، وأيس من حصوله، فترك العلم، وخرج مرة فإذا هو بماء يصب فوق صخرة وقد أثّر فيها، فقال: سبحان الله! هذا الماء على لطافته أثّر في هذه الصخرة على كثافتها، فلا والله، ليس العلم بألطف من هذا الماء، وليس عقلي بأثخنَ من هذه الصخرة، فعاد إلى العلم والتعلم حتى أصبح من كبار المحدثين الحفاظ.

اليوم علم وغدًا مثله من نخب العلم التي تلتقط

يحصل المرء بها حكمة وإنما السيل اجتماع النقط

فاتقوا الله معاشر المسلمين، وعليكم بالتؤدة والتأني تفلحوا، وإياكم والعجلة؛ فليست من هدي النبي ﷺ ولا هي من شأنه، فما علينا إلا الأناة

والانضباطُ في الأعمال، وعدمُ النظر إلى الثمرة فقد تطول، فهذا رسول الله ﷺ يعد سراقة بن مالك بسواري كسرى، ولم يلمسهما إلا في عهد الفاروق رضي الله عنه؛ لأن المؤمّلَ غيب، وليس لنا إلا الساعة التي نحن فيها، وإن غداً لناظره قريب.

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم .....

الخطبة الثانية

الحمد لله على إحسانه، والشكر له على توفيقه وامتنانه، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، تعظيمًا لشأنه، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، الداعي إلى رضوانه، صلى الله وسلم عليه وعلى آله وأصحابه وإخوانه.

أما بعد:

فاتقوا الله معاشر المسلمين، ثم اعلموا أن من الناس من لا يحسن التؤدة والأناة، كما أنه بعيد الإتقان لمواطن العجلة المحمودة، فلا هو من أهل الأناة فيحمد، ولا أحسن مواضع العجلة فيشكر؛ حيث يبلغ في البطء غايته، ويصل في العجلة مزلتها، فيصير مثل فند مضربًا للمثل؛ حيث كان مولىً لإحدى نساء التابعين، فأرسلته مرة يحتَطِب، فرأى قافلة تسير إلى مصر، فارتحل معهم، ثم عاد بعد سنة، وتذكر الاحتطاب، فعَجِل حتى تعثر على الأرض ثم قال: بئست العجلة، فصار مثلاً مضروبًا حتى قيل فيه: ذاك فندٌ أرسلوه قابسًا فثوى حولاً وسب العجلة، وأمثال هذا كثير ممن يسيرون في أعمالهم على عادة قبيحة، يقول أصحابها: لا تؤخر إلى الغد ما تستطيعُ أن تفعله بعد غد.

والدين الإسلامي عباد الله دينُ وسط، لا يرضى بالإفراط ولا التفريط، ولا المغالاة ولا المجافاة، والنظرة الشرعية للعجلة هي نظرة عادلة، كرهها الإسلام في مواضع، وندب إليها في مواضع أخرى، فكما أن التأني مندوب إليه في ظروف تليق به، فإن ظروفًا أخرى تليق هي بالعجلة،

والعجلة لا تليق إلا بها:

وربما فات قومًا جلّ مطلبهم من التأني وكان الأمر لو عجلوا

وليس معنى تنفير الإسلام من العجلة أنه يريد أن يعلّم أتباعه البطء في الحركة، أو الضعف في الإنتاج، أو التماوت في العمل، والكسل في أداء الواجبات، كيف ورسول الله ﷺ يقول: «**بادروا بالأعمال سبعًا، هل تنتظرون إلا فقرًا منسيًا، أو غنىً مطغيًا، أو مرضًا مفسدًا، أو هرمًا مفندًا، أوموتًا مجهزًا، أو الدجالَ، فشر غائب ينتظر، أو الساعةَ، فالساعةُ أدهى وأمرّ**» رواه الترمذي، ويقول ﷺ: «**ما حق امرئ مسلم له شيء يريد أن يوصي فيه يبيت ليلتين إلا ووصيته مكتوبةٌ عنده**» رواه البخاري ومسلم.

ومن هذا المنطلق عباد الله، كان ثمّ أمورٌ ومواقف تتطلب من التصرف الحازم والعمل السريع، ما لا يناسبه التأجيل والتسويف، مثل العجلة في اغتنام الأوقات، وترك التسويف فيها، وكذا التعجيل بالفطور للصائم، وتعجّل المسافر إلى أهله، إذا قضى نهمته، وكذا صد الشر الظاهر، وإغاثة الملهوف، والنصح لله ولرسوله، ولكتابه، ولأئمة المسلمين وعامتهم، وعدم تأخير البيان عن وقت حاجته، فيما للمسلمين فيه حاجة؛ كبيان حق وإبطال باطل، وأمر بمعروف ونهي عن منكر، وكذا الواجبات الموقوتة بوقت محدود، يقول ﷺ: «**التؤدة في كل شيء إلا في عمل الآخرة**» رواه أبو داود.

ويتأكد أمر العجلة بشدة في وجوب الأخذ بالحق إذا ظهر، وعدم التواني في قبوله، وترك التسويف المودي إلى تركه ومجانبته، والبعد كل البعد عن التعليلات أو التبريرات التي يُدَّعى أنها مسوغ لتركه أو تأجيله: ﴿**وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ**

﴿وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلالاً مُّبِينًا﴾ [الأحزاب: ٣٦] والمعاذير التي يقدمها المرء في تأجيل الحق أو رده، مهما بلغت، ما هي إلا أوهام وخيوط، أو هي من نسج العنكبوت، فإذا كنت أيها المرء ممن يؤذيك حر المصيف، ويُبْس الخريف وبرد الشتاء، ويلهيك حسن زمان الربيع فأخذك للحق قل لي متى.

اللهم صل على محمد...

* * *

كيف نفرح

الخطبة الأولى

الحمد لله على تقديره، وحسن ما صرف من أموره، نحمده سبحانه بحسن صنعه، شكرًا على إعطائه ومنعه، يخير للعبد وإن لم يشكره، ويستر الجهل على من يظهره، خوّف من يجهل من عقابه، وأطمع العامل في ثوابه، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، خيرُ من يُدعى لدى الشدائد، ومن له الذكرُ مع المحامد، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، صاحب الوجه الأنور، والجبين الأزهر، قضى بالحق وبه عدل، ربَّى فصقل، ووعد ففعل، اللهم صلِ وسلم على عبدك ورسولك محمد، وارض اللهم عن خلفائه الأربعة: أبي بكر وعمر وعثمان وعلي، وعن سائر صحابة نبيك محمد، وعن التابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد:

فأوصيكم أيها الناس ونفسي بتقوى الله سبحانه، فاتقوه وراقبوه، وأخلصوا له في السر والعلن، وتزودوا في طاعته، فإن خير الزاد التقوى.

أيها الناس:

يقول الله جل وعلا في محكم التنزيل: ﴿وَفِي الأَرْضِ آيَاتٌ لِّلْمُوقِنِينَ ﴿٢٠﴾ وَفِي أَنفُسِكُمْ أَفَلا تُبْصِرُونَ﴾ [الذاريات: ٢٠، ٢١]، ويقول جل شأنه: ﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ﴾ [فصلت: ٥٣] ألا فاعلموا عباد الله، أن الآيات العظام، التي أودعها الله جل وعلا أنفسَ بني آدم، لهي كثيرة حقًا، يعزُّ على اللبيب حصرُها، ويَعْيَ المتحدث سردُها، ولو كلف المرء نفسه مرةً في أن يستخلص بعضًا، مما يثير الإعجاب في هذا التكوين، لوجد أن من اللافت حقًا ما يكمن في نفسه التي بين جنبيه من الأضداد المزدوجة، والعكوسات المتقابلة، والتي تكيف نفسَهَا بقدر من الله وحكمة، في التعامل مع الأحداث والمواقف، ولوجد المرء نفسه بينَ خلايا من الشعور اللا إرادي، الذي فطر الله الناس على أصله وقاعدته، ويبدو ذلك بوضوح في مثل الضحك والبكاء، والقوة والضعف، والرغبة والرهبة، والذلة والعزة، والخوفِ والرجاء، والحزن والفرح، والغضب والرضا.

كل ذلك عباد الله يجتمع في النفس الواحدة في غير ذهول ولا جنون، وإنما هي خلال جبلية أودعها الله النفس البشرية ﴿وَفِي أَنفُسِكُمْ أَفَلا تُبْصِرُونَ﴾.

عباد الله:

إننا بحاجة ملحة إلى أن نلقي الضوء قليلاً في عدل وإنصاف، ومن منطلق النصح والتوجيه على واحد من تلك الأضداد الآنف ذكرُها، ألا وهو الفرح، الفرح الذي يكون في مقابلة الحزن والكآبة، الفرح الذي هو لذة في القلب بسبب الحصول على أمر محبوب، وانشراحٍ في الصدور عند بلوغ مقصد مطلوب أنسًا بما يسرُّ، والذي يُترجَمُ عنه في الجوارح بالابتسامة حينًا، أو بأسارير الوجه حينًا آخر، ولربما غلبت العاطفةُ نفسَ الفَرِح، فكان

من فرط ما قد سرّه أبكاه.

إن الله عز وجل بقسطه وعدله، جعل الفرح والرَّوْح في الرضا واليقين، وجعل الغمّ والحزنَ في السخط والشك، فالساخط والشاك لا يذوق للفرح طعمًا، ولا يرى له طيفًا؛ لأن الساخط العيش، كثير الطيش، بل إن حياته كلها سواد ممتد، وليل حالك لا يعقبه نهار، إلا بفضل من الله ومنّ، فهو دائم الكآبة، ضيقٌ بالناس، ضيق بنفسه، كأن الدنيا في عينه سمُّ الخياط حتى يكون حرضًا أو يكون من الهالكين. قال ابن القيم رحمه الله: ثمرة الرضا: الفرح والسرور بالرب تبارك وتعالى.

الفرح أيها المسلمون صفة كمال في البشر، وهو قبل ذلك صفة لله جل وعلا تليق بجلاله سبحانه، وهي في منتهى الكمال، ليس كمثله شيء وهو السميع البصير.

في الصحيحين من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**لله أفرح بتوبة عبده، من أحدكم كان على راحلة بأرضٍ فلاة، فانفلتت منه، وعليها طعامه وشرابه فأيس منها، فأتى شجرة فاضطجع في ظلها، قد أيس من راحلته، فبينما هو كذلك، إذا هو بها قائمة عنده، فأخذ بخطامها ثم قال: اللهم أنت عبدي وأنا ربك. أخطأ من شدة الفرح**».

إن لفرح الله بتوبة عبده شأنًا لا ينبغي لأحد أن يهمله ويُعرضَ عنه، بل إن من عرف ذلك فهو الموفق الذي يغبط؛ إذ لا يتنبه لمثل هذا إلاَ من له معرفة بالله وأسمائه وصفاته وما يليق بالباري جل ذكره، ومثل هذا الحديث قد تقصُر عنه أفهام بعض بني الزمان، لضعف عقولهم وعلومهم عن احتماله، إبان نقص في العلم، وجنوح غير يسير عن تربية المرء على التعلق بالله سبحانه، غير أننا نقول كما قال ابن القيم رحمه الله: إن الله عز وجل

سيسوق هذه البضاعة إلى تجارها، ومن هو عارف بقدرها، وإن وقعت في الطريق بيد من ليس عارفًا بها، فربّ حاملِ فقه ليس بفقيه، ورب حامل فقه إلى من هو أفقه منه.

أيها المسلمون:

إن المقاصد الكثيرة للفرح برمَّتها، منها ما هو شريف ومنها غيرُ الشريف، والإسلام بشرعته ومنهاجه يحرض أتباعه في كل حين على أن يفرحوا بما يُحمد ويشكر، من الأمور والأعمال، الظاهرة والباطنة، ولأجل ذا نهاهم عن أن يفرحوا بزخرف الدنيا، ومتاع الحياة الزائل، أو يفرحوا للسطوة في الأرض بغير الحق، أو يفرحوا فرح الاعتزاز أو الافتخار الكاذب: ﴿وَفَرِحُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فِي الآخِرَةِ إِلاَّ مَتَاعٌ﴾ [الرعد: ٢٦]، ﴿ذَلِكُم بِمَا كُنتُمْ تَفْرَحُونَ فِي الأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَبِمَا كُنتُمْ تَمْرَحُونَ﴾ [غافر: ٧٥].

الفرح عباد الله: شأنه شأن الوعاء، الحكم عليه مبني على ما يكون فيه من المادة الداعية إليه، فالفرح إنما يكون محموداً حينما تجده في مقابل نعمة التوفيق لطاعة من الطاعات، أو قربة من القربات، أو كفرحة المجاهد الذي قهر شهواته وقاوم رغباته، أو كانتصار ما يحبه الله على ما لا يحبه، وكذا دفع الحق للباطل فإذا هو زاهق: ﴿وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ ۝٤ بِنَصْرِ اللَّهِ يَنصُرُ مَن يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾ [الروم: ٤، ٥].

وإن للمسلمين طرًا، الحق كل الحق، في أن يبتهجوا ويفرحوا، إذا نالوا نعمة خالصة أو حققوا أمنية خالية من شوائب الحظوظ العاجلة، في دينهم ودنياهم، مما يضر ولا ينفع، ولكنهم يفرحون إذا فرحوا فرح الأقوياء الأتقياء، وهم في الوقت نفسه لا يبغون ولا يزيغون، ولا ينحرفون عن

الصواب ولا يتعسفون، ناهيكم عن كونهم يعمرون فرحتهم بذكر ربهم، الذي أتم عليهم نعمته، ورزقهم من الطيبات، وهيأ لهم في كونه كثيرًا من أسباب البهجة والسرور، بل ولربما تعدى الأمر إلى أبعد من ذلك، حتى إلى مقابلة الابتلاء والامتحان بالفرح، لما يفضي إليه من محوٍ للسيئات ورفع للدرجات.

فعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: دخلت على النبي ﷺ وهو يوعك، فوضعت يدي عليه فوجدت حرّه بين يديّ فوق اللحاف، فقلت: يا رسول الله، ما أشدها عليك!! قال: «**إنا كذلك، يضعَّفُ لنا البلاء، ويضعف لنا الأجر**» قلت: يا رسول الله، أي الناس أشد بلاءً؟ قال: «**الأنبياء**،» قلت: يا رسول الله، ثم من؟ قال: «**ثم الصالحون، إن كان أحدهم ليبتلى بالفقر حتى ما يجدُ أحدهم إلا العباءة يحوِّيها، وإن كان أحدهم ليفرح بالبلاء كما يفرح أحدكم بالرخاء**» رواه ابن ماجه بسند صحيح.

الفرح المحمود عباد الله: يُترجمُ في الواقع، ماتحمله في طيات نفسك لأخيك المسلم، فتفرح لفرحه، وتَسر لوصول النعمة إليه، ضف إلى ذلك الفرح حينما يُسلم عبدٌ أو يتوب عاصٍ، كما فرح الصحابة رضي الله عنهم بإسلام الفاروق رضي الله عنه أو غيرِه من الصحابة، لا الازدراءَ والمحق الموجهين تجاه من يتمسك بدينه، ويعتز بكونه من ركاب الصالحين والطائفة الناجية المنصورة.

قال أبو هريرة رضي الله عنه: كنت أدعو أمي إلى الإسلام وهي مشركة، فدعوتها يومًا فأسمعتني في رسول الله ﷺ ما أكره، فأتيت رسول الله ﷺ وأنا أبكي، قلت: يا رسول الله: إني كنت أدعو أمي إلى الإسلام فتأبى

عليّ، فدعوتها اليوم فأسمعتني فيك ما أكره، فادع الله أن يهدي أم أبي هريرة، فقال رسول الله ﷺ : «**اللهم اهد أم أبي هريرة**» فخرجتُ مستبشراً بدعوة النبي ﷺ ، فلما جئت فصرت إلى الباب، فإذا مُجافٌ، فسَمِعَتْ أمي خشْف قدمي فقالت: مكانك يا أبا هريرة، وسمعت خضخضة الماء، قال: فاغتسلت ولبست درعها وعجلتْ عن خمارها ففتحت الباب ثم قالت: يا أبا هريرة أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، قال: فرجعت إلى رسول الله ﷺ فأتيته وأنا أبكي من الفرح، قال: قلت: يا رسول الله أبشر، قد استجاب الله دعوتك وهدى أم أبي هريرة، فحمد الله وأثنى عليه وقال خيراً. . . الحديث، رواه مسلم في صحيحه.

الفرح المحمود يا رعاكم الله، في مثل فرح الصائم بفطره الذي عناه المصطفى ﷺ بقوله: «**للصائم فرحتان يفرحهما؛ إذا أفطر فرح بفطره، وإذا لقي ربه فرح بصومه**» رواه البخاري ومسلم.

الفرح المحمود فرح المؤمن بشريعة ربه وأمره ونهيه، وعدم التقديم بين يدي الله ورسوله، بل يفرح أشد الفرح إن كان ممن عناهم الله بقوله: ﴿**إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ**﴾ [النور: ٥١]، أو ممن قال الله فيهم: ﴿**وَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَفْرَحُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمِنَ الْأَحْزَابِ مَن يُنكِرُ بَعْضَهُ . .**﴾ [الرعد: ٣٦] ففي هاتين الآيتين دعوة محضة للارتقاء بفرح القلب بالإسلام، ومجيء المصطفى ﷺ، خلافًا لمن يشرق بها، أو يشاكُ فينتقش: ﴿**يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِّمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٥٧﴾ قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ**﴾ [يونس: ٥٧، ٥٨].

روى ابن أبي حاتم بسنده: لما قدم خراج العراق إلى عمر رضي الله عنه،

خرج عمر ومولى له، فجعل عمر يعد الإبل فإذا هي أكثر من ذلك، فجعل عمر يقول: الحمد لله تعالى، ويقول مولاه: هذا والله من فضل الله ورحمته، فقال عمر: كذبت، ليس هذا هو الذي يقول الله تعالى: ﴿قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ﴾ وهذا مما يجمعون.

أراد الفاروق رضي الله عنه أن الفرح بالقرآن الذي هو شفاء وموعظة خير مما يجمعون من حطام هذه الدنيا من الخراج ونحوه؛ فإنه ليس بموضع للفرح؛ لأنه عرضة للآفات، ووشيك الزوال، كما أن فرح الدنيا لا يسلم من ترحٍ سابق، أو مقارن، أو لاحق، يجعل الفرح كطيف خيال، زار صبًا في المنام، ثم انقضى المنام وولّى الطيف. وقيل في الحكمة: أمرٌّ ما في أحزان يومنا ذكرى أفراح أمسنا.

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم .....

الخطبة الثانية

الحمد لله حمدًا كثيرًا طيبًا كما أمر، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، إرغامًا لمن جحد به وكفر، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله؛ سيد البشر، والشافع المشفع في المحشر، صلى الله وسلم عليه وعلى آله وصحابته السادة الغرر.

أما بعد:

فاتقوا الله معاشر المسلمين، ثم اعلموا رحمكم الله: أن الجانب الآخر من جانبي الفرح، هو الفرح المذموم، وهو الذي يورث الأشر والبطر، وهو ما كان ناتجًا عن الغفلة والخواء، وقد ذكر بعض المفسرين لقوله تعالى: ﴿مِن شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ﴾ [الناس: ٤] أن الشيطان الوَسواس ينفث في قلب ابن آدم عند الحزن وعند الفرح، فإذا ذكر الله خنس.

والشخص المكثر من الفرح بإفراط، مما هو من متاع الدنيا وزخرفها هو المعنيُّ بمثل قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ﴾ [القصص: ٧٦] وليس من شأن المسلم أن يكون مفراحًا إلى درجة الإسراف؛ إذ ما من شيء من أمور الدنيا إلا والإسراف يشينه، كما أن الاعتدال يزينه، إلا عمل الخير، ولذلك قيل: «لا خير في الإسراف، ولا إسراف في الخير»

ومن هذا المنطلق، فإن الإسراف في الفرح، سواء كان في الأعراس أو شبيهها، مدعاة للخروج عن المقصود، بل ولربما أدى إلى وقوعٍ فيما لا يرضي الله من معاصٍ، أو ضجيجٍ وأهازيج، تقلق الذاكر، وتنغص الشاكر، وقد سمعتم عباد الله الحديث الدال على أن شدة الفرح مدعاة للوقوع في الخطأ، كما في قصة صاحب الراحلة حين قال: «**اللهم أنت عبدي وأنا ربك**»، ناهيكم عباد الله عن ذم الفرح بالمعصية والمجاهرة بها، والافتخار في نشرها، أو السرور بالألقاب والمدائح لفاعليها، ووصفهم بالتحرر أو التنور بما يصيغونها فيه، على هيئة مقالات أو روائيات، على حين فترة من التذكير، يقول النبي ﷺ: «**كل أمتي معافى إلا المجاهرين**» رواه البخاري.

ومن الطوام العظام في الفرح المذموم، فرح المرء بالعمل وإظهاره للناس والتسميع والمراءاة به، ورسول الله ﷺ يقول: «**من سمّع سمّع الله به، ومن يرائي يرائي الله به**» رواه البخاري.

ويشتد الأمر خطورة حينما يفرح المرء بما لم يفعل من باب الرياء والتكثر، ففيهم يقول تعالى: ﴿**لا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَا أَتَوْا وَّيُحِبُّونَ أَن يُحْمَدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا فَلا تَحْسَبَنَّهُمْ بِمَفَازَةٍ مِّنَ الْعَذَابِ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ**﴾ [آل عمران: ١٨٨].

ومثل ذلك في الخطورة: فرح المرء بتقصيره في طاعة الله، أو تخلفه عن ركب الصلاح والاستقامة، وقعوده عن دعوة الداعي، وأمر الآمر ونهي الناهي، ﴿**فَرِحَ الْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خِلافَ رَسُولِ اللَّهِ وَكَرِهُوا أَن يُجَاهِدُوا**

بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَالُوا لا تَنفِرُوا فِي الْحَرِّ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا لَّوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ ﴿٨١﴾ فَلْيَضْحَكُوا قَلِيلاً وَلْيَبْكُوا كَثِيراً جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾

[التوبة: ٨١، ٨٢].

اللهم صل على محمد .....

* * *

خواطر رمضانية

الخطبة الأولى

الحمد لله الذي دبر الكون بعلمه، وقدر الأمور بحكمته، عنده مفاتح الغيب لا يعلمها إلا هو، ويعلم ما في البر والبحر، وما تسقط من ورقة إلا يعلمها، ولا حبة في ظلمات الأرض ولا رطب ولا يابس إلا في كتاب مبين. أحمده سبحانه وأشكره، وأتوب إليه وأستغفره، وأشهد أن لا إله إلا هو، شهادة عبد يؤمن بعظمته، ويرى آثار قدرته في ملكوته وآياته، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، شرفه ربه فجعله خير هداية، وأفضل دعامة، وخاتم أنبيائه، وأقرب أصفيائه، فصلاة ربه عليه وسلامه، وعلى أهل بيته الطيبين، وعلى أصحابه رضي الله عنهم أجمعين، وعلى التابعين لسنته، والمهتدين بهديه وسلم تسليماً كثيراً.

أما بعد:

فأوصيكم أيها الناس ونفسي بتقوى الله عز وجل في كل حال، وكثرة حمده على آلائه إليكم، ونعمائه عليكم، وبلائه لديكم، فكم خصَّكم

بنعمة، وأزال عنكم نقمة، وتداركم برحمة، أعورتم له فستركم، وتعرضتم لأخذه فأمهلكم، وإن تتولوا يستبدل قومًا غيركم ثم لا يكونوا أمثالكم.

أيها الناس:

إن للأمم مع نفوسها غفوةً تعقبها غفوات، وللأفراد المنفردين كما للأمم والشعوب، سواء بسواء، وإذا كانت غفوةُ الفرد تعد بالساعات، فإن غفوة الأمم تعد بالسنين؛ لأن السنة في حياة الأمة تقوم مقام اليوم أو بعضه في حياة فرد من الأفراد.

وفي مقابل ذلك، فإن لبعض النفوس المعتادة لحظات تصفو فيها من كدر، وتَرقُّ من غلظة، وترقى بمشاعرها وأفكارها إلى جو نقي طهور، لكنها لا تلبث طويلاً حتى تتدنى معظم أوقاتها، وتبدو سويعات السمو عندها وكأنها ألقٌ عارض، يومض ولا يضيء، أو يرعد ولا يمطر، بيد أن ثمة نفوسًا عظيمةً لها مجال أرحبُ مدى، ونهج أرجعُ صدى، قلما تنزل عنه، فهي كالطير الذي ألف الذُرا، لا ينحطَّ دونها إلا لُمامًا.

هكذا الناس عباد الله، فهم بين عامة مغلولين في قيود من مطالبهم اللامحدودة، وربما انفكوا عنها حينًا، وبين خاصة أمكنهم الخلاصُ من معظم هذه القيود، ولا غرو أن يتشبث بعضها بأقدامهم فترهقهم حينًا ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُم مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بِإِذْنِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ﴾ [فاطر: ٣٢].

أيها المسلمون:

لله جلَّ وعلا أن يصطفي بحكمته وعدله من الأيام والشهور مايشاء، ويودع بعض المواسم نفحاتٍ، من تعرض لها واقتبس منها سعُد وفاز، حتى

ينال في الزمن اليسير، أضعاف ما يناله في زمن متكاثر، وإنَّ من أعظم النفحات المحبوءة في الدهر الواحد شهر رمضان المبارك، الذي أنزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان، فهو على قصر زمنه، إلا أن لأجره عظمًا وكثرة، فمن صامه إيمانًا واحتسابًا غفر له ما تقدم من ذنبه، وكان ممن يقال لهم: ﴿كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ﴾ [الحاقة: ٢٤]. والأيام الخالية هي أيام الصيام، على قول جماعة من المفسرين.

الصيام - يا رعاكم الله -: عبادة مفادها أن يزم المرء نفسه، وأن يحكم هواه، لأجل أن يترك ما يشتهي، ويُقدمَ على ما يكره، ومن ثم يكون تابعًا لأوامر الله لا لرغائب النفس، فيتعلم كيف يترك ولو كان قادرًا على أن يُدرك، وهنا مكمن السر في التباين الظاهر بين الإنسان والعجماوات، وإلا فهو إلى الدواب أدنى؛ ولذا فإن الصوم لم يُنظر إليه على أنه حرمان مؤقت فحسب، بل يُعدُّ خطوة جُلّى إلى حرمان النفس دائمًا من شهواتها المسعورة ونزواتها المنكورة، وتأكيدًا لهذا المعنى يقول ﷺ: «**من لم يدع قول الزور والعمل به فليس لله حاجة في أن يدع طعامه وشرابه**» رواه البخاري.

ومن هنا يُعلم أن الصيام امتناع عن أشياء مخصوصة، والامتناع في حقيقته عنصر سلبي لا يراه الناس عادةً، لكنه لا يخفى على علام الغيوب، وهذا في الواقع تفسير لقول الجبار جل وعلا في الحديث القدسي: «**الصوم لي وأنا أجزي به**» رواه البخاري في صحيحه. ﴿التَّائِبُونَ الْعَابِدُونَ الْحَامِدُونَ السَّائِحُونَ الرَّاكِعُونَ السَّاجِدُونَ الْآمِرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّاهُونَ عَنِ الْمُنكَرِ وَالْحَافِظُونَ لِحُدُودِ اللَّهِ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [التوبة: ١١٢]. والسائحون - يحفظكم الله - هم الصائمون كما قال مجاهدٌ وغيره.

الصوم ـ أيها الناس ـ: عبادة لا بد منها؛ لترويض النفس على الصبر وتحمل المشاق، وهي في هذه الصورة ليست تعذيبًا جسمانيًا، ولا معركة مبهمةً ضد الجسم، كلا إنما هي التعويد على المكابدة وتحمل العنت، بإحلال الجد محل الهزل، والعمل محل البطالة، والحق محل الباطل، والجهاد محل القعود، والصبر محل الضجر، ﴿وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلاةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلاَّ عَلَى الْخَاشِعِينَ﴾، والصبر هنا هو الصوم، وفي الحديث الحسن أن النبي ﷺ قال: «**الصوم نصف الصبر**» رواه الترمذي.

إن رمضان بهذه الصورة فرصة كبرى، ومنحة عظمى للمرء المسلم في أن يطهر نفسه بالنهار، كي يُعدَّها لتلقي هدايات القرآن في قيام الليل ﴿وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلاً ﴿٤﴾ إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلاً ثَقِيلاً ﴿٥﴾ إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطْئًا وَأَقْوَمُ قِيلاً﴾ [المزمل: ٤ ـ ٦]. وناشئة الليل هي أوقاته وساعاته، والمقصود: أن قيام الليل هو أشدُ مواطأة بين القلب واللسان، وأجمعُ على التلاوة من قيام النهار؛ لأنه وقت انتشار الناس، ولغط الأصوات، وأوقات المعاش، فكان الصيام في النهار تخلية، والقيام في الليل تحلية، ومن ثم تزكو النفس وتسمو، وتكون مهيأة لأن تكون مجابة الدعوة، ولربما دل على ذلك قوله جل علا بعد آيتي الصيام: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾ [البقرة: ١٨٦].

أيها المسلمون:

رسول الله ﷺ كان أجود الناس، وكان أجود ما يكون في رمضان، وجوده ﷺ في رمضان ليس بدعًا عن سجية كرمه في كل حين، بل هو جواد في كل زمن وآن، وإنما كان يزداد في رمضان ما لا يزداد في غيره، وقد جاء في الصحيحين: أن النبي ﷺ «ما سئل شيئًا فقال: لا». وهو بذلك

يحبِّب إلى بني الإسلام أن تكون نفوسهم سخية، وأكفهم ندية، فيشركوا غيرهم فيما آتاهم الله من فضله، ويجعلوا منه متسعًا، يسعفون به المنكوبين، ويريحون المتعبين، ونتاج هذا التحضيض، لا يسْعَد به الضعاف وحدهم، بل يرتد أمانه واطمئنانه، حتى إلى الباذلين أنفسهم، قال رسول الله ﷺ: **«مثل البخيل والمنفق، كمثل رجلين عليهما جبتان من حديد، من ثديِّهما إلى تراقيهما، فأما المنفق فلا ينفق إلا سبغت على جلده حتى تخفي بنانه، وتعفو أثره، وأما البخيل فلا يريد أن ينفق شيئًا إلا لزِقت كُلُ حلْقة مكانها، فهو يوسِّعها ولا تتسع»** رواه البخاري ومسلم. وفي رواية أحمد: **«وأما البخيل فإنها لا تزداد عليه إلا استحكامًا»**.

والمراد ـ عباد الله ـ: أن الجواد إذا هم بالصدقة؛ انفسح لها صدره، وطابت بها نفسه، فتوسعت في الإنفاق، ولا يضيره الحديد، بل هو يتسع معه؛ لأن الجواهر تحت التراب جواهر، والأسد في قفص الحديد أسود، وأما البخيل، فإذا حدث نفسه بالصدقة، شحت نفسه فضاق صدره، وانقبضت يداه **﴿هَا أَنتُمْ هَؤُلَاءِ تُدْعَوْنَ لِتُنفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَمِنكُم مَّن يَبْخَلُ وَمَن يَبْخَلْ فَإِنَّمَا يَبْخَلُ عَن نَّفْسِهِ وَاللَّهُ الْغَنِيُّ وَأَنتُمُ الْفُقَرَاءُ﴾** [محمد: ٣٨].

ألا إن البخل معرة، إذا لصقت بالإنسان أحرجته، وجعلته يعيش في نطاق ضيق لا يرى فيه إلا نفسه، حتى يصيبه سعار الكانز، فلو بدا له المال فوق الثريا، وله ريش لطار إليه، فيهون على نفسه أن يرى شخصًا بالي الثياب، تكادُ فتوقُها تكشف سوأته، أو حافيًا أبلى أديم الأرض كعوبه وأصابعه، أو جائعًا يمد طرفه هنا وهناك، ثم يرده البخل وهو حسير، بمثل هذا يبْلُدُ الشحيح، ويكون للأثَره في نفسه إيحاءٌ شديد؛ أكثر همه في نفسه، وأقله في الآخرين إن وجد، ، بل و على مضض وتخوف، مصحوبين

بعلل شتى، تضع في يديه الإصر والأغلال ﴿قُل لَّوْ أَنتُمْ تَمْلِكُونَ خَزَائِنَ رَحْمَةِ رَبِّي إِذًا لَّأَمْسَكْتُمْ خَشْيَةَ الإِنفَاقِ وَكَانَ الإِنسَانُ قَتُورًا﴾ [الإسراء: ١٠٠].

ألا لو فكر الشحيح في حقيقة ما يملك، وفي عاقبته معه، لرأى السماحة خيراً من الأثرة، والعطاء أصح من المنع، ولعلم أن بين البشر عامةً رحمًا يجب أن توصل، وألا تمزّقها الفاقة «**يقول العبد مالي مالي، وإنما له من ماله ثلاث: ما أكل فأفنى، أو لبس فأبلى، أو أعطى فأقنى، وما سوى ذلك فهو ذاهب وتاركه للناس**» بذلك صح الخبر عن الصادق المصدوق ﷺ عند مسلم في صحيحه.

جاء إلى النبي ﷺ قوم عراة، مجتابي النمار - أي **مشقوقي الثياب** - عامتهم من مضر، فتمعَّر وجه رسول الله ﷺ لما رأى بهم من الفاقة، فدخل ثم خرج فأمر بلالاً فأذن وأقام فصلى، ثم خطب، فكان مما قال: «**ليصدَّقْ رجل من دينارِه، من درهمِه، من ثوبه، من صاع بره، من صاع تمره، حتى قال: ولو بشق تمرة**»، فجاءه رجل من الأنصار بُصرة، كادت كفه تعجزُ عنها، ثم تتابع الناس، حتى رؤي وجه رسول الله ﷺ يتهلل كأنه مذْهَبة، فقال رسول الله ﷺ: «**من سن في الإسلام سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها من بعد، من غير أن ينقص من أجورهم شيء، ومن سن في الإسلام سنة سيئة، كان عليه وزرها ووزر من عمل بها، من غير أن ينقص من أوزارهم شيء**» رواه مسلم.

إن هذا الحديث البليغ المنبعث من مشكاة النبوة لهو خير دعوة إلى التنافس في الخير، والتسابق في افتتاح المبرات النافعة، وهو في الوقت نفسه تحذير وتقريع لمرضى الأفئدة، من صناع العوائق المعقدة، والتبريرات السمجة، التي تعقد شؤون الجماعة المسلمة، وتترك من بعدهم يضطرب

في شرورها ومتاعبها، وما من شيء أشق على الشيطان وأبطلُ لكيده، وأدحرُ لوسواسه من إخراج الصدقات، والإعانة عليها من كل طريق، سواء كانت فرديةً، أو شخصيات اعتبارية ﴿الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِالْفَحْشَاءِ وَاللَّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِّنْهُ وَفَضْلاً وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٦٨].

فاتقوا الله عباد الله، واعلموا أن مفهوم الصدقة تارةً أعمُّ من أن يكون في المال، ليستبشر الفقراء وذوو الدخول المحدودة، حيث إن العمل بالمعروف صدقة، وكفُّ الشر صدقة، والإعانة على البر صدقة، قال رسول الله ﷺ: «على كل مسلم صدقة»، فقالوا: يا نبي الله، فمن لم يجد، قال: «يعمل بيده فينفع نفسه ويتصدق» قالوا: فإن لم يجد، قال: «يعين ذا الحاجة الملهوف» قالوا: فإن لم يجد، قال: «فليعمل بالمعروف، وليمسك عن الشر فإنها له صدقة» رواه البخاري ومسلم. بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم .....

الخطبة الثانية

الحمد لله حمدًا كثيرًا طيبًا مباركًا فيه، كما يحب ربنا ويرضى، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، صلوات ربي وسلامه عليه وعلى آله وأصحابه ومن سار على طريقهم.

أما بعد:

فاتقوا الله معشر المسلمين، وإليكم مقولة بعض الحكماء في القديم: اغتنموا الفرص، فإنها تمر مر السحاب. وهذا قول صدق ورشد؛ ذلك أن الفرصة الجيدة إذا ما انتهزت بصورة سوية، صار بها الفوز والنجاح؛ ولهذا قال ابن القيم رحمه الله: المؤمن وليد وقته، فإما اغتنام الفرص، وإلا النقص والغُصص، والمفرط بين يديه عقبة كؤود ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُقْسِمُ الْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُوا غَيْرَ سَاعَةٍ كَذَلِكَ كَانُوا يُؤْفَكُونَ﴾ [الروم: ٥٥].

وبعد ـ يا رعاكم الله ـ فإن شهر رمضان المبارك في هذا النطاق، ينبغي أن يكون محضنًا لتربية الأولاد، وزمهم عن سفاسف الأمور، أو عن أن يكونوا أحلاس عبث وصخب، قُعَّدًا بكل صراط، يهوشون ويشوشون، أو يضجون بمكائهم وتصديتهم، ناهيكم عن كون هذه الطرق مأوبات إبليسية، تعلمهم كل بذيء وقبيح من القول والفعل، في خليط من التصرفات اللامسئولة، التي أحسن ما فيها أنها غير حسنة. في حين أن المستقر من مبادئ الإسلام أن هذا الشهر المبارك، مُستَقَر للعبد، يستجم فيه من وعثاء

الكدح، وكآبة الدنيا، بيد أن فئامًا من الناس لا يعرفون كيف يقيمون حدود الله في رمضان؛ ذلك عباد الله، أنهم تواصوا بتجهيل أنفسهم، وازدراء الظهور بالمظهر اللائق في هذا الشهر المبارك خلقًا وسلوكًا، صحافةً وإعلامًا.

فضلاً عن الإجلاب بالخيل والرجل، على ترسيخ مفهوم رمضان في حق المرأة، في أن تكون محلاً لتجارب طهو الطعام، وإجابة الشهوة وتسمين أهل بيتها، والمعدة بيت الداء، وما ملأ ابن آدم وعاءً شرًا من بطنه، وحسبها هذا، أو التطواف بالأسواق خراجةً ولاجة، فتزرع بتبرجها دروب الناس ألغامًا، أو ترسيخ مفهوم رمضان، على أنه محل للسهر والسمر، أو موضع للضياع والانحدار، وراء الأفلام الهابطة، أو الروائيات الرخيصة، عبر القنوات المرئية، **والتي تجعل من رمضان شهرا لمهامه برامج وقحة** يبيد فيها البيد، ويضيع بسببها الذكي والبليد، فلا غرو حينئذ إذا لم يستقم الظل؛ لأن العود أعوج، أيها الناس ﴿**أَفَمَن يَمْشِي مُكِبًّا عَلَىٰ وَجْهِهِ أَهْدَىٰ أَمَّن يَمْشِي سَوِيًّا عَلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ**﴾ رحماك يا رب عفوك، اللهم صلِّ على محمد وعلى آل محمد...

* * *

لكل شرة فترة

الخطبة الأولى

إن الحمد لله نحمده على ما وفق من الطاعة، وذاد عنه من المعصية، ونسألة لمنته تمامًا، وبحبله اعتصامًا، نحمده على ما كان، ونستعينه من أمرنا على ما يكون، ونسأله المعافاة في الدين، كما نسألة المعافاة في البدن، ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، شهادة إيمان وإيقان، وصدق وإذعان، ونشهد أن محمداً عبده ورسوله بلغ الرسالة، وأدى الأمانة ونصحً الأمة، وتركنا على المحجة البيضاء، ليلها كنهارها لا يزيغ عنها إلا هالك، فصلوات ربي وسلامه عليه، وعلى آله الأتقياء الأوفياء، وعلى الصحابة الأبرار، العبَّاد الأطهار، وعلى من سار على طريقهم، واتبع هداهم ما تعاقب الأجدّان الليل والنهار.

أما بعد:

فأوصيكم أيها الناسُ ونفسي بتقوى الله سبحانه، فإنها الزمام والقوام، فتمسكوا بوثائقها، واعتصموا بحقائقها، ثم اعلموا أنما أنتم في هذه الدنيا غرضٌ تتناضل فيه المنايا، مع كل جرعةٍ شَرَقٌ، وفي كل أكلةٍ غَصَص، لا

تنالون منها نعمةً إلا بفراق أخرى، ولا يُعمَّرُ معمرٌ منكم يومًا من عمره، إلابهدم آخرَ من أجله، ولا يحيا له أثرٌ إلا مات له أثرٌ، وقد مضت أصولٌ نحن فروعها، فما بقاءُ فرعٍ بعد ذهاب أصله؟! ألا فلا يستوحشن أحد في طريق الهدى لقلة أهله، فإنَّ الناس قد اجتمعوا على مائدة، شبَعُها قصير، وجوعها طويل، ومن سلك الطريق الواضح دون فتورٍ أو مَلَلٍ ورد الماء، ومن خالفَ وقع في التيه.

أيها الناس:

إن شعور المسلم بالاستبشار والغبطة حينما يرى إقبال الناس على الله في رمضان، وما يُقلِّبه من بصره هنا وهناك تجاه أوجه البر والإحسان لدى الكثيرين من أهل الإسلام، ليأخذ العجبُ بلبه كلَّ مأخذ، ولربما غلب السرور مآقي المترقب، فهتن دمعَ الفرح والإعجاب، لما يرى ويشاهد، إلا أن العيد وما يعقبه ليصدق ذلك الظنَ أو يكذِّبُه، ومن ثم، يَنْكُصُ المعجب، وتشخص أحداقُه، لما يرى من مظاهر التراجع والكسل والفتور، ومن ثم يوقن، أنه إنما كان مستسمنًا ذا ورم.

وما يشاهده المرء في الأعياد في أقطار شتى، من الفرح اللامشروع، وتجاوز حدود الاعتدال فيه، على هيئة وصورة تنفيان كونهم من الخائفين على رد الأعمال الصالحة، أو من الشاكرين، لبلوغ هذا العيد الذي أكرمهم الله به، ومن ثم، فإن الحال على ما ذكر كالتي نقضت غزلها من بعد قوة أنكاثاً؛ لأن النفس البشرية لو كان عندها شغل بالخالق لما أحبت المزاحمة بما يسخطه ﴿إِنَّ الَّذِينَ ارْتَدُّوا عَلَىٰ أَدْبَارِهِم مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْهُدَى الشَّيْطَانُ سَوَّلَ لَهُمْ وَأَمْلَىٰ لَهُمْ﴾ [محمد: ٢٥] ولو أنهم أحبوا الطاعة، لما تخلوا عنها طرفة عين، وقديمًا قيل: من عَشَقَ طريق اليمن، لم يلتفت إلى الشام.

ألا فاعلموا - يا رعاكم الله - أن من قارب الفتور والكسل، بعُدَ عنه النَصبُ والاجتهاد، ومن ادّعى الترويح أو التسلية وكل إلى نفسه، وإن من أحق الأشياء بالضبط والقهر والأطرِ على العبادة والاستقامةِ أطرًا؛ هي نَفْسَك التي بين جنبيك.

فإياك إياك - أيها المسلم - أن تغتر بعزمك على ترك الهوى في رمضان، مقاربة الفتنة بعده، فإن الهوى مكايد، فكم من صنديد في غبار الحرب أُغتيل، فأتاه ما لم يحتسبْ ممن يأنف النظر إليه، واذكر - حفظك الله - حمزة مع وحشيٍ رضي الله عنهما.

من تعوَّد الفتور والكسل، أو مال إلى الدعة والراحة، فقد فقد الراحة، وقد قيل في الحكمة: إن أردت ألا تتعب، فاتعَب لئلا تتعب، ولا أدلَّ على ذلك من وصية الباري جل وعلا لنبيه ومصطفاه ﷺ ﴿فَإِذَا فَرَغْتَ فَانصَبْ﴾ لأن من كَسَلَ لم يؤد حقًا، ومن ضَجِر لم يصبر على الحق، والكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت، والعاجز من أتبع نفسه هواها وتمنى على الله الأماني.

وليس في سياط التأديب للنفس أجودُ من سوط عزمٍ، وإلا ونت وأبت؛ لأن فساد الأمر في التردد، والنفس - عباد الله - من أعجب الأشياء مجاهدة؛ لأن أقوامًا أطلقوها فيما تحب، فأوقعتهم فيما كرهوا، وآخرين بالغوا في خلافها حتى منعوها حقها، وإنما الحازم من تعلم منه نفسه الجدَّ وحفظ الأصول، فإذا ما أفسح لها في مباحٍ، لم تتجاسر أن تتعداه، لأن تفقد النفس حياة، وإغفالَها لون من ألوان القتل صبرًا.

والنفس كالطفل، إن تهمله شب على ... حب الرضاع، وإن تفطمه ينفطم

إن الحياة الدنيا لا تخلو من عقوبة، ومن عاش لم يخلُ من المصيبة، وقل

ما ينفك عن عجيبة، وإن من أعظم العقوبات عباد الله، عدم إحساس المعاقب بها، بل وأدهى من ذلك وأمر السرور بما هو عقوبة كالفرح بالتقصير بعد التمام، أو التمكُّن من الذنوب بعد الإقلاع عنها، ومَنْ هذه حالُه لا يفوز بطاعة، ولو غشَّى نفسه بعبادات موسمية ذات خداج، لوجَد خفيَّ العقوبة الرئيس، وهو سلبُ حلاوة المناجاة، أو لذة التعبد، إلا رجالٌ مؤمنون ونساءٌ مؤمنات، من عبَّاد رب الشهور كلِّها، بواطنهم كظواهرهم، شوالهم كرمضانهم، الناس في غفلاتهم، وهم في قطع فلاتهم، فأخلق بمدمنِ القرع منهم للأبواب أن يلج؛ لأنهم تغلبوا على طباعهم ذات الجواذبَ الكثيرة، ولذا فليس العجب أن يَغلبَ الطبع، وإنما العجبُ أن يُغلَب.

لقد خلق الإنسان في كبد، والمرء كادح إلى ربه كدحًا فملاقيه، وإن من أعظم ما يعين النفس المسلمة على دوام الطاعة ألا تُحمَّل من الأمر ما لا تطيق، بل لا بد لها من التلطف، فإن قاطع مرحلتين في مرحلة خليق بأن يقف، والطريق الشاق ينبغي أن يقطع بألطف ممكن، ولا شك أن الرواحل إذا تعبت نهض الحادي يُنشدها، ولذا فإن أخذ الراحة للجد جدٌّ، وغوص البحار في طلب الدُر صعودٌ، ومن أراد أن يرى التلطف بالنَفس، فليداوم النظر في سيرة النبي ﷺ، وليستمع إلى قوله: «**إن هذا الدين متين، فأوغلوا فيه برفق، فإن المنبت لا أرضًا قطع ولا ظهرًا أبقى**» رواه أحمد. وعند البخاري في صحيحه: أن النبي ﷺ قال: «**إن الدين يسر، ولن يشاد الدينَ أحد إلا غلبه**».

كثيرون هم أولئك الذين يشفقون من المتاعب، وينفرون من الجهد والتكاليف، وهم كذلك يتساقطون إعياءً خلف صفوف الجادِّين من عباد الله، يتخللونها ضعافًا مسترخين، يخذلون أنفسهم في ساعات الشدة ﴿بَلْ تُؤْثِرُونَ

﴿الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ﴿١٦﴾ وَالآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ﴾ [الأعلى: ١٦-١٧].

نعم إن هناك ضعفًا في البشر، ولا يملك الناس أن يتخلصوا منه، وليس مطلوبًا منهم أن يتجاوزوا حدود بشريتهم، ولكن المطلوب أن يستمسكوا بالعروة الوثقى التي تشدهم إلى الله في كل حين، وتجعلُ من التدين في جميع جوانب الحياة عندهم ثقافة وأسرةً وإعلامًا من الثوابت التي لا تتغير، ولا تخدع بها النفسُ في موسم ما دون غيره، كما أنها تمنعهم في الوقت نفسه بإذن الله من التساقط، وتحرسهم من الفترة بعد الشرَّة مهما قلت، ما دامت على الدوام، فرسول الله ﷺ يقول: «**يا أيها الناس، خذوا من الأعمال ما تطيقون؛ فإن الله لا يملُّ حتى تملوا وإن أحب الأعمال إلى الله ما دام وإن قل**» رواه البخاري ومسلم.

ولا جرم أن نشير ههنا إلى أن التحرر من الغلو والتشدد لا يعني الترك والإهمال، بل يعني التوسط والاعتدال، مع محافظة المرء على ما اعتاده من عمل، أو التزام في السلوك العام، قال عبد الله ابنُ عمرو بن العاص رضي الله عنهما: قال لي رسول الله ﷺ: «**يا عبد الله، لا تكن مثل فلان، كان يقوم الليل فترك قيام الليل**» متفق عليه.

إن الانهماك المستمر في العبادة، والإغلاق على حقوق النفس والأهلين يعد إفراطًا مذمومًا ليس من هدي سيد المرسلين، وأعبد الناس لرب العالمين، بله كونه سببًا في التراجع والنكوص، كما أن الأمر في الوقت نفسه إن كان تقاصرًا عن العبادة، أو انشغالاً عنها، أو تركًا للحبل على الغارب مجانبة للتصحيح، أو الارتقاء بالحال على ما يريده الله ورسوله يعد تفريطًا ممقوتا، وكلا طرفي قصد الأمور ذميم، ويمثل ذلك تضييع المجتمعات المسلمة، بين إفراط وتفريط، ناشئين عن جهل وضلال، كما قال علي

رضي الله عنه: «لا يُرى الجاهل إلا مُفَرِّطًا أو مُفْرِطًا»، ولفظ الإفراط والتفريط ـ عباد الله ـ لم يأت في القرآن على سبيل المَدح إلا في نفيه عن كل صالح أو مصلح يقول سبحانه عن الملائكة: ﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ﴾ [الأنعام: ٦١]، وقال عن موسى وهارون: ﴿قَالَا رَبَّنَا إِنَّنَا نَخَافُ أَن يَفْرُطَ عَلَيْنَا أَوْ أَن يَطْغَىٰ﴾ [طه: ٤٥]، ويقول سبحانه: ﴿أَن تَقُولَ نَفْسٌ يَا حَسْرَتَىٰ عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِي جَنبِ اللَّهِ﴾ [الزمر: ٥٦]، ويقول سبحانه عن أهل النار: ﴿قَالُوا يَا حَسْرَتَنَا عَلَىٰ مَا فَرَّطْنَا فِيهَا﴾ [الأنعام: ٣١] وقال جل شأنه: ﴿وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا﴾ [الكهف: ٢٨]

والمراد هنا ـ عباد الله ـ: أن يتماسك المرء المسلم والمجتمعات المسلمة، فيكون لهم من صلابة عودهم الإسلامي وحسه ما يحول بينهم وبين الفتور والضعف، أو التراجع عن الدين أو التخاذل عنه، وإذا ما بدت هفوةٌ أو غفلة، سارعوا بالتيقظ ومعاودة التمسك، والاستجابة لكل ناصح مشفق، وهذا هو التوسط المحمود الذي اختُصَّتْ به هذه الأمة من بين سائر الأمم.

فلا هو في الدنيا مضيعٌ نصيبه ولا عَرَضُ الدنيا عن الدين شاغله

﴿فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْا إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [هود: ١١٢] والطغيان هنا هو ما تجاوز الحدَّ في الأخذ أو الترك.

أيها المسلمون: كثيراً ما يناجي المرء نفسه، ماذا وكم عملت، وقليلاً ما يسائل نفسه، ويبلوها، كيف كان عملي وما مدى قربه أو بعده من الله؟ وما درجةُ المداومة عليه وعدم الفتور عنه، أو الإعياء بحمله؟ وما ذاكَ عباد الله إلا من جهل المرء بنفسه، وتقصيره في معرفة حقيقة العبادة التي يريد الله منه في قوله: ﴿وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ﴾ [الحجر: ٩٩] إن البقاء على الطاعة

في كل حين، أو التهاون عنها كرات ومرات ليعودان في المرد بإذن الله إلى القلب، وهو أكثر الجوارح تقلبًا في الأحوال، حتى قال فيه المصطفى ﷺ : «**إنما سمي القلب من تقلبه، إنما مثل القلب كمثلِ ريشة في أصل شجرة يقلبها الريح ظهرًا على بطن**» رواه أحمد.

ولأجل ذا كان من دعائه ﷺ : «**يا مقلب القلوب، ثبت قلبي على دينك**»، وسئل عن ذلك فقال: «**إنه ليس آدمي إلا وقلبه بين أصبعين من أصابع الله، فمن شاء أقام ومن شاء أزاغ**» رواه أحمد والترمذي.

وما سمي الإنسان إلا لنسيه ولا القلب إلا أنه يتقلب

إن استدامة الطاعة والمداومة على الأعمال الصالحة لهي في الحقيقة من عوامل الثبات على دين الله وشرعه ﴿**إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا فَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ**﴾ [الأحقاف: ١٣]، ألا وإن ترك المحرمات، والعمل بما يوعظ به المرء من قبل خالقه ومولاه لأمر يحتاج إلى ترويض ومجاهدة من أجل الحصول على العاقبة الحميدة، وحسن المغبة ﴿**وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنِ اقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ أَوِ اخْرُجُوا مِن دِيَارِكُم مَّا فَعَلُوهُ إِلاَّ قَلِيلٌ مِّنْهُمْ وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيتًا (٦٦) وَإِذًا لآتَيْنَاهُم مِّن لَّدُنَّا أَجْرًا عَظِيمًا (٦٧) وَلَهَدَيْنَاهُمْ صِرَاطًا مُّسْتَقِيمًا**﴾ [النساء: ٦٦ - ٦٨] والتثبيت ـ عباد الله ـ يكون في الحياة الدنيا على الخير والعمل الصالح، وفي الآخرة يكون تثبيتًا في البرزخ وعند السؤال ﴿**يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ**﴾ [إبراهيم: ٢٧]، اللهم إنا نسألك الثبات قبل الممات، والإرشاد إلى استدراك الهفوات من قبل الفوات، وإلهامنا أخذ العدة للوفاة قبل الموافاة.

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم .....

الخطبة الثانية

الحمد لله حمد من يشكر النعمة، ويخشى النقمة، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الفضل والمنة، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله معلمنا الكتاب والحكمة، صلوات ربي وسلامه عليه وعلى آله وصحبه أولي النجابة والفطنة.

أما بعد:

فاتقوا الله ـ معاشر المسلمين ـ وتوبوا إلى ربكم تفلحوا، تمسكوا بسنة المصطفى ﷺ وعَضُّوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور؛ فإن كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة.

قال الحسن البصري رحمه الله: «السنة ـ والذي لا إله إلا هو ـ بين الغالي والجافي، فاصبروا عليها رحمكم الله، فإن أهل السنة كانوا أقلَّ الناس فيما مضى، وهم أقلُّ الناس فيما بقي، الذين لم يذهبوا مع أهل الإتراف في إترافهم، ولا مع أهل البدع في بدعهم، وصبروا على سنتهم حتى لَقوْا ربهم، فكذلك إن شاء الله فكونوا».

فيا أهل التوبة، استيقظوا، ولا ترجعوا بعد رمضان إلى ارتضاع ثدي الهوى من بعد الفطام، فالرَّضاع إنما يصلح للطفل الذين لم يظهروا على عورات النساء، لا للرجال، وعليكم بالصبر على مرارة الفطام، لتعتاضوا

عن لذة الهوى بحلاوة الإيمان في قلوبكم، ومن ترك شيئًا لله عوضه الله خيرًا منه ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُل لِّمَن فِي أَيْدِيكُم مِّنَ الأَسْرَىٰ إِن يَعْلَمِ اللَّهُ فِي قُلُوبِكُمْ خَيْرًا يُؤْتِكُمْ خَيْرًا مِّمَّا أُخِذَ مِنكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [الأنفال: ٧٠].

ذنب واحد بعد التوبة، أقبح من كذا ذنب قبلها، النكسةُ أصعب من المرض، وربما أهلكت، فسلوا الله الثبات على الطاعات إلى الممات، وتعوذوا بالله من تقلُّب القلوب، ومن الحور بعد الكور، فما أوحش ذُلَّ المعصية بعد عز الطاعة، وأفحش فقر الطمع، بعد غنى القناعة.

ذُكر عند النبي ﷺ قوم يجتهدون في العبادة اجتهادًا شديدًا، فقال: «**تلك ضرورة الإسلام وشرّته، ولكل عمل شرة، فمن كانت فترته إلى اقتصاد فنعمًا هو، ومن كانت فترته إلى المعاصي فأولئك هم الهالكون**» رواه أحمد والطبراني.

ومعنى الحديث ـ عباد الله ـ: أن لكل عملٍ قوة وشدة، يتبعها فتور وكسل، ولكن الناس يختلفون في هذا الفتور، فمنهم من يبقى على السنة والمحافظة عليها ولو كانت قليلة، ومنهم من يدعها ويتجاوزها إلى ما يغضب الله، وبنحو هذا يقول ابن القيم رحمه الله: تخللُ الفترات للعباد أمر لا بد منه، فمن كانت فترته إلى مقاربة وتسديد، ولم تخرجه من فرض، ولم تدخله في محرم، رُجي له أن يعود خيرًا مما كان ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بِإِذْنِ اللَّهِ ذَٰلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ﴾ [فاطر: ٣٢] يقول المصطفى ﷺ «**إذا أراد الله بعبد خيرًا استعمله** قيل: كيف يستعمله؟ قال: **يوفقه لعمل صالح ثم يقبضه عليه**» رواه الترمذي.

ولقد بكى ابن مسعود رضي الله عنه في مرض موته، فسئل عن ذلك،

فقال: إنما أبكي؛ لأنه أصابني في حال فترة ولم يصبني في حال اجتهاد.

اللهم أحسن عاقبتنا في الأمور كلها، وأجرنا من خزي الدنيا وعذاب الآخرة.

اللهم صل على محمد وعلى آل محمد .....

* * *

الفهرس

المقدمة ٥
خواطر بين يدي الخطيب ٧
١ ـ مفهوم الموعظة ٧
٢ ـ خطبة الخسوف ٩
٣ ـ الطهارة من الحدث في الخطبة ١٠
٤ ـ إذا قرأ الخطيب آية فيها سجدة ١١
٥ ـ أمران يحتاجان إلى تنبيه ١٢
٦ ـ هل يمكن أن يتولى الصلاة من لم يتول الخطبة ١٣
٧ ـ استيعاب الخطبة للموضوع ١٤
٨ ـ اقتراح في التجديد ١٥
٩ ـ توقيت هجرة النبي ﷺ بنهاية العام ١٦
١٠ ـ إيراد الأحاديث الضعيفة في الخطب ١٧
١١ ـ هل خطبة الاستسقاء قبل الصلاة أو بعدها ١٩
١٢ ـ هل خطبة الاستسقاء واحدة أم ثنتان ٢٣
١٣ ـ كيفية قلب الرداء للخطيب في الاستسقاء ٢٤
١٤ ـ تحريك الخطيب يديه حال الخطبة ٢٦
الجاهلية الجهلاء ٢٩
آفة الغضب ٣٩
يوم لا ظل إلا ظله ٤٧
لن يحافظ على الوضوء إلا مؤمن ٥٨

الابتلاء بالأمراض ٦٧
يا أشباه الرجال ولا رجال ٧٧
تحية رمضان ٨٧
ولا تفسدوا في الأرض بعد إصلاحها ٩٧
السعادة المنشودة ١٠٧
وألو استقاموا على الطريقة لأسقيناهم ماءً غدقًا ١١٧
الهدية حكم وأحكام ١٢٤
العين حق ١٣٣
لماذا السفر؟ ١٤٣
وداع رمضان ١٥٤
خطبة الخسوف ١٦٥
حقوق الإنسان الزائفة ١٧١
واسئلهم عن القرية ١٨١
من يرد الحوض ١٩١
بئست العجلة ٢٠١
كيف نفرح ٢١١
خواطر رمضانية ٢٢١
لكل شرة فترة ٢٣٠
الفهرس ٢٤١

توزيع

مؤسسة الجريسي للتوزيع والإعلان

الرياض- هاتف : ٤٠٢٢٥٦٤ - فاكس : ٤٠٢٣٠٧٦

مطابع الحميضي
تلفون: ٤٥٨١٠٠٠ - فاكس: ٤٥٩٢٢١٧